٢١٤

ش.م شرح عقيدة الرسالة لابن أبى زيد القيروانى، لمحمد جسوس، محمد بن قاسم – ١١٨٢ هـ .
بخط أحمد بن محمد المختار بن عمر بن علي ابن تاشعين، ١٢٣٢ د .
١٣٥ ق ٣٣ س ٢٩×٢٠ سم
٥٠٩٧ نسخة جيدة ؛ خطها مغربى ، طبع
الاعلام ٧: ٢٢٠ الخزانة العامة للرباط ق ٣ ج ١ : ١١٤ ، ١١٥
١ – أصول الدين أ – المؤلف
ب – الناسخ ج – تاريخ النسخ د – شرح الرسالة للقيروانى .


11

١

الكردودي

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

نحمدك اللهم على ما اكرمتنا به من العقل الذي هو مناط الحكم والحكم.
وشرفتنا به من العلم الذي هو واسطة النعم. ونشكرك على ما هديتنا له من توحيدك مشهرا
به منا اللسان والقلب والقلم. ونثني عليك بما نصرت به على اهل النحل الضالة
الذين زلت بهم اقدام عن اعتقادات القدم. وايدت به جماعة اهل السنة من الحجج القا
طعة ما استخرجتنا من ظلمات [illegible]. ونصلي على نبيك سيدنا محمد الذي افتتحت الخلق
بنوره وختمت به ديوان الرسالة ونسخت بشريعته احكام اهل الجاهلية ونصلي
ونرضى على آله واصحابه الذين رضيت بهم عن الحنيفية السمحاء [illegible] وابن
شرف من نبيهم ومن بعده نشر بهم كنار على علم. وبعد فهذا تعليق لطيف على عقيدة
رسالة الشيخ الامام ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني نفعنا الله به يشتمل
على فوائد ونكت جليلة واجوبة من العلوم [illegible] من مفاده [illegible] فلما صار اضافته الى
ما كتبت فيرته من مجلس قراءته على الشيخ العالم العلامة المحقق البركة [illegible]
[illegible] من بين عصره ووحيد مصره شيخنا الامام الاعظم خاتمة
المحققين ابي عبد الله سيدي محمد بن الاستاذ البركة سيدي احمد [illegible] المصنف وجمع الله قرب
واحرزت [illegible] خشية ان يرث ويطول عليه الزمان فلا يبقى له اثر. او تاكله
الارضة. فلا يستوفي الراغب عليه غرضه. فضمنت جميع ذلك هذه الاوراق حفظا
له وصونا. وقيدته لنفسي ولمن طلبه مني من الاخوان تذكرة وعونا. رجاء ان اجد ذخره
في مستقبل الايام. ولم اتقيد بغير شيء استحسنه اهل الله. اذ كان اعزه الله [illegible]
قراءته لها نقرر مذاهب اهل السنة وينبه على كثير مما اشتبه على الشراح من اقوال
المعتزلة وشبههم ويعتمد في ذلك على مذهب اهل الحق اذ التكلم على كل من
يتبرعه [illegible] وهو ليس كما قيل في حديث بارد. وجهد مع غير فائدة ولان
كثرة النظر الى الباطل يكدر صفاء نور القلب وهو من اكبر العيوب. فلا يحسن
اختياره مقصرته ثم الكشف به حفظ مقيدته ولنتكلم اولا على ما يتعلق
بما فيه المصنف على المقصود بالذات. فاقول وبالله اعتصم وبه استعين
قال المصنف رضي الله عنه ونفعنا به بسم الله الرحمن الرحيم افتتح رحمه الله كتابه
بالبسملة للامور منها الاقتداء بكتاب الله العزيز فانه ابتدئ بها في الكتابة
اجماعا بل قيل ان جميع الكتب السماوية التي انزلت على الانبياء كذلك وانما اختلف

الامام المصنف واحد من شيوخ [illegible] رضي الله عن جميعهم

يعني [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible]

كثرة النظر الى الباطل يكدر صفاء القلوب

هل

هل هي آية من الفاتحة وهو قول الشافعي رحمه الله ومن حجة هذا القول ما روي
انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وليست
بآية اصلا الا في سورة النمل في قوله انه من سليمان الآية وهو قول مالك وابي حنيفة
واخرين رضي الله عنهم وصححه القرطبي في تفسيره فقال بلا ان القرآن لا يثبت الا بالنقل
المتواتر القطعي لا بخبر الآحاد [illegible] ويكفيك انها ليست من القرآن اختلا
ف الناس فيها والقرآن لا يختلف فيه والاخبار الصحاح التي لا مطعن فيها دالة على
ان البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها الا في النمل وحدها انتهى ومن ادلة
هذا القول ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة لم ينزل في التوراة ولا في
الانجيل ولا في الفرقان مثلها ثم قال الحمد لله رب العالمين ولم يذكر البسملة وما ورد
في صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين
عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل اذا قال العبد الحمد لله رب العا
لمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي واذا قال
مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول
هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم الآية يقول
هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فلو كانت البسملة منها لبدأ بها وقوله في هذا
الحديث قسمت الصلاة اي قراءتها وهي الفاتحة بدليل آخر الحديث وقوله نصفين
اي باعتبار المعنى لا اللفظ لان قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
ثلاث آيات له وقوله اهدنا الصراط المستقيم الى آخره [illegible] ثلاث آيات
للعبد وما بينهما بين العبد ومولاه [illegible] وبيان ذلك ان الآيات الثلاث
الاول ثناء والآيات الثلاث الاخر مسألة وما بينهما آية واحدة وهي اياك نعبد واياك
نستعين بعضها ثناء كالذي قبله وهو قوله اياك نعبد لانه اخلاص وتوحيد وانه
تعالى المنفرد بالالوهية لا يستحق العبادة غيره وبعضها سؤال كالذي بعده
وذلك ظاهر وقد اشار الى ذلك الامام ابو الفضل عياض ونصه قوله نصفين عياض
يحتج به لكون البسملة ليست منها اذ لا خلاف انها سبع آيات ثلاث ثناء وثلاث
مسألة والسابعة نصفين وهي اياك نعبد واياك نستعين وسط بين النوعين نصفها
اخلاص متصل بما قبله ونصفها مسألة متصل بما بعده فلو كانت منها لم تكن القسمة نصفين
انتهى ولكون البسملة ليست آية من سورة الفاتحة كره في مشهور مذهب
مالك قراءتها في الفريضة وقال الشافعي ببطلان صلاة تاركها بناء على
انها آية منها وكان الامام المازري من شيوخ المالكية يبسمل في الفريضة
فقيل له في ذلك فقال قول واحد في مذهب مالك ان البسملة لا تبطل الصلاة وقول
واحد في مذهب الشافعي ان تركها يبطل الصلاة ولان تكون صلاتي صحيحة
باتفاق المذهبين احب الي من ان تكون باطلة على مذهب صحيحة على آخر

مشهور مذهب الامام كراهة قراءة البسملة في الفريضة

[illegible] الامام [illegible] المازري [illegible] [illegible]

فالورع فعلها بقصد الخروج من الخلاف لا بنية فرض ولا نفل فان الكراهة في مشهور
المذهب انما هي اذا اتى بنية الفرض فاذا اتى بنية الخروج من الخلاف كانت
عبادة جائزة ومقابل مشهور المذهب وجوبها واباحتها وندبها قوله وتيمنا لانه اول
ما خطه القلم اخرج الثعلبي عن ابن عباس مرفوعا اول شيء كتب الله في اللوح
المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة انه قال كان الله سبحانه ولا شيء قبله
فخلق النور وخلق من النور القلم واللوح ثم امر القلم ان يكتب قال وما اكتب يا رب
قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فجعله الله امانا لخلقه ما داموا على قراءته وروي
ان اول ما كتب في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم انني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي
من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته
مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بحكمي
فليتخذ الها سوائي واخرج الطبراني مرفوعا اول ما القى علي من الوحي بسم الله
الرحمن الرحيم ومن ثم كان عليه السلام يصدر كتبه بها كما في الصحيح وغيره
والظاهر انها تبع ما روي من انه عليه السلام كان اولا يكتب باسمك اللهم حتى نزل بسم الله
مجراها ومرساها فكتب بسم الله حتى نزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب
بسم الله الرحمن حتى نزل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها تماما
وتبينا للعمل بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الترغيب في قراءتها وروى
الخطيب في جامعه عن ابي هريرة رضي الله عنه كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله
الرحمن الرحيم اقطع وعند ابن حبان بلفظ فهو اجذم وروي كل امر ذي بال لا يبدأ
فيه ببسم الله فهو ابتر وليس شيء من رواياته فيها ببسم الله بدون الرحمن الرحيم
وهي مخصوصة بقوله فهو ابتر قال القشيري ولا شك ان تآليف الكتب من
اعظم الامور التي لها بال لان التآليف تعليم ونشر العلم وصيانة للدين فكان
افتتاحها بالبسملة سنة متبعة ومعنى ذي بال ذي حال شريف او قلب فان
البال يطلق بمعنى الشأن والحال وبمعنى القلب ومنه قوله تعالى واصلح بالهم
يحتمل المعنيين اي شؤونهم واحوالهم وصلاحه بصلاح القلب لان في
الجسد مضغة اذا صلحت الحديث ووجه الاطلاق على الاول ان الحال الشأن ونحوه
ان المراد القلب ان الامر لما كان شاغلا قلب صاحبه عن سائر الامور كانه
مالك له وقيل غير ذلك وتبينا لما ذلك ما اشار اليه في المختصر بقوله وشرع
في غسل وتيمم الخ وحكم التسمية في جميع ما ذكره الندب الا في الاكل والشرب
ما عدا السنة والا في الذكاة فتجب مع الذكر والقدرة في مذهب مالك و
انتقل للوجوب والعموم بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وانه لفسق انظر الغنية وخرج بقوله في كل شأن امرها كل منهي
عنه ولو نهي كراهة فتكره في الحرام والمكروه وللقرافي نحو فيهما وقيل تكره

في المكروه وتحرم في المحرم انظر التوضيح وقال سعد الدين في شرح عقائد النسفي
من قال عند الزنى او شرب الخمر بسم الله يكفر واما الشعر ففيه خلاف وتفصيل
قال الحطاب نقلا عن ابن حجر في فتح الباري اختلف القدماء فيما اذا كان الكتاب كله
شعرا فجاء عن الشعبي منع ذلك وعن الزهري قال مضت السنة ان لا يكتب في الشعر
بسم الله الرحمن الرحيم وعن سعيد بن جبير جواز ذلك وتابعه على ذلك الجمهور وقال
الخطيب هو المختار قال الحطاب قلت وهذا في غير الشعر المحتوي على علم او وعظ
فهذا لا شك في دخوله في كتب العلم وفي غير الشعر المحرم فان التسمية لا تشرع
في الامر المحرم اه والثاني كل ممتنع طبعا وعادة وان كان من قبيل المباح شرعا
وانما لم تطلب التسمية في الاول تنزيها لاسم الله تعالى وفي الثاني تيسيرا للعباد وتسهيلا
عليهم والا لكانت التسمية مطلوبة مع كل حركة وسكون وفي ذلك حرج وانما كان
الثاني خارجا من الحديث لان قوله ذي بال المتضمن ان يكون شأنا يهتم به وكل امر من
ان التسمية مطلوبة في كل ما لم ينه عنه ولا ممتنع طبعا وعادة وانظر في ذلك
ومن صرح في التوضيح بان التسمية لا تشرع في الاذان والحج والذكر والدعاء
والظاهر انما للاقوال باعتبار التسمية ثلاثة اقسام ومعنى اقطع وابتر واجذم
ناقص البركة غير معتد به شرعا من حيث كماله وهو من التشبيه البليغ
في العيب القبيح بحذف الاداة بمعنى انه ناقص معنى كنقصان المتصف بهذه
الاوصاف حسا فان الاقطع من قطعت يداه او احداهما والاجذم من ذهبت
اطرافه كلها والابتر مقطوع الذنب فهو من تشبيه الامور المعنوية بالمحسوسة
للايضاح والبيان وسياق الامر بالبسملة في هذا المساق اسرع للامتثال من
ان لو قيل مثلا ابدأ بالبسملة كل امر مهم كما هو بين وفي الحديث اشارة
الى ان المطلوب من العبد اذا اراد شيئا من الامور ان يلجأ فيه الى الله سبحانه
الذي له تيسير كل عسير وان يتخلص من عجزه وضعفه وهلعه متوجها
الى الله والاستعانة بالقلب اليه فكأنه يقول بسم الله افعل كذا لا بحولي وقوتي
فان ذلك اقرب الى النجح وحصول المطلوب اثبات الصفات المقتضية وعلى هذا
نمر هذا المعنى من غلب الشعور يتعين له الابتداء ولذلك قالوا بسم الله من
العارف بمنزلة كن من الله واشار بعضهم الى ان من وكل امره الى نفسه وعقله وركن
الى قوته وحوله فانه يوكل الى نفسه فلا ينجح له مطلب ولا يتيسر له مأرب
ولا تحمد عاقبة امره اذ لم يأخذ المولى جل وعلا له وعلى المؤمن ان يكون
معتمدا في امره على ربه معتصما به من شر شيطانه ونفسه والا فالشيطان
بالمرصاد اعماله بالمرصاد والله ولي التوفيق ثم اعلم ان الكلام على البسملة
مع قلة كلماتها طويل عريض لان اكثر الفنون العلمية تعلقا بها فاهل
الرسم تكلموا على حروف الاسم والعطف اسم الجلالة والعطف الرحمن واهل البيان

اول ما خطه القلم

حكم البسملة في الشعر

بسم الله من العارف بمنزلة كن من الله

تكلموا على انشائيتها وخبريتها وتقديم متعلق البا وتاخيره وتقدير العامل
على الوصف بعينه وتخصيص الاول على الثاني واهل الاصول تكلموا على كونها اية
من الفاتحة ام لا واهل التصريف تكلموا على لفظ الاسم هل هو من الاسماء التي
حذفت اوايلها او اعجازها واهل النحو على اعرابه وما يجوز فيه من اوجه
الاعراب وهل اسم الجلالة منقول او مرتجل وهل الرحيم صفة او علم واهل
الفقه تكلموا على حكم الابتداء بها ومن تفرع واهل اصول الدين تكلموا على
ما فيه من الاوصاف هل هي راجعة الى صفة قديمة وهي ارادة الانعام او
من صفات وهو الانعام ولطول الكلام عليها امرد ها الناس بالتصنيف
مع اعتنائنا لك عن تتبع مسائلها ورايت ان نقتصر من ذلك على ما تيسر مما
الغير مستحسنا كيما في الوقت فنقول البا في البسملة متعلقة بمحذوف ولا
ان يقدر فعلا لان الاصل في العمل للافعال مؤخرا ليفيد ان المقصود الاهم هنا هو
البداءة باسمه تعالى وليدل على الاختصاص فيكون فيه رد على المشركين في ابتدائهم
باسماء الهتهم من مادة لما جعلت التسمية مبدا له وكل ما يليه هنا فيقدر
اكتب او اولف او يقدر تلبس الفعل جميعه بالتسمية لا من مادة الابتداء لانه لا يفيد
الا تلبس الابتداء فقط بها وهي للاستعانة وتلك الاستعانة هي الداخلة
على الة الفعل نحو كتبت بالقلم [illegible] او ان تاويلها معنى المصاحبة في صون
الفعل او محل له او للمصاحبة والملابسة وهي التي يصلح في موضعها مع وتغني
عنها وعن مصحوبها الحال نحو اهبط بسلام اي مع سلام او مسلما والمقصود
من المصاحبة هنا التبرك وارادة الانتفاع والمراد بالاسم هنا ما يقابل الاسم والحرف
وفي اضافته الى اسم الجلالة ما يرشد الى انه الاولى لاختصاره على التبرك والاستعانة
بجميع اسمائه الا ان المفرد المعرف بالاضافة يفيد العموم كالجمع فمعنى باسم الله
بكل اسم دال على الله اي الذات العلية فالاسم بمعنى اللفظ واضافته الى الجلالة
من اضافة الاسم الى المسمى لا من اضافة العام للخاص كما في الاعضاء لا من قول الاول
اللفظ ومن قول الثاني الذات العلية لا اللفظ [illegible] وصفه بالصفتين بعد
والتشاغل بالاشارة الى ان التعلق باسمه تعالى الدال عليه كاف في نيل المطالب
وتحصيل المارب ولا يتوقف على ما فوقه انظر الشنواني في شرح مقدمة زكرياء واسم
الجلالة الجمهور على انه علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد
المتعالي للعالم [illegible] عليه دلالة جامعة لمعاني اسماء الله الحسنى وما
سواه خاص بمعنى [illegible] الى جميع الاسماء الحسنى [illegible]
من اسماء الله تعالى وكذا الباقي ولا ينطق [illegible] وهو اعرف المعارف
الخطاب حكي عن سيبويه [illegible] بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال
خيرا وكرامة [illegible] فقيل له [illegible] بقولي ان اسم الله هذا اعرف المعارف

ب ان الاستعانة

المجرد النعم [illegible] بالاضافة [illegible]

اسم الجلالة

انتهى وقد قيل انه اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب وعدم الاجابة
به لكثير لعدم استجماعهم لشروط الاجابة التي من جملتها تفريغ القلب لما غيره
به تعالى واكل الحلال وقيل هو اسم الحي القيوم قال السيوطي ولذلك جاء في
القرءان في ثلاثة مواطن البقرة وال عمران وطه واستشكل هذا بعضهم من
حديث خرجه ابن ماجة وغيره عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انه في ثلاث سور في البقرة وال عمران وطه وفيه نحو الاربعين قولا
والرحمان الرحيم قال البيضاوي بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من
غضب والعليم من علم انتهى يعني انهما من امثلة المبالغة لا من الصفات المشبهة
اذ لا مبالغة فيها وانما يعرف ذلك بالنقل الشموني انه من مفعال للحروف واضمار الذي
اطلق المبالغة على الثبوت بعيد لا يدل عليه ولم يقرا ابو حاجة الى قاذ كره العطار
وعين مراد علماء النحو بل هي وفعل بفتح العين او تنزيل المتعدي منزلة اللازم الا انه خرج
بقول ابن الشجاري لم يعدوا فعلان من امثلة المبالغة فقال في رد ذلك عليهم لا اهل
اللغة فانه ابع نوما [illegible] بهذا الكثير النوم او يقال ان النحاة لم يعدوا العصر الى حد
ابقاء التعدي [illegible] وعبر بفعلان للكثرة قليل فكيف تخرج عليه البسملة والرحيم
فالحكاية واختلف في تفسير الرحمة فقيل هي رقة والتعطف يقتضي التفضل
والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها [illegible] نسبة الله تعالى مجاز عن الانعام
قال الرازي اذا وصفا الله بامورها [illegible] وصفته بمعناه مجملا على غاية ذلك وهي على
هذا القول من صفات الافعال وقيل الرحمة ارادة الخير فهو صفة تعالى [illegible] على هذا
القول حقيقة وهي حينئذ صفة ذات قال الطيبي وكلا القولين منقول وذكر الشيخ
في اعرابه القولين وقال الظاهر الثاني وذهب الزمخشري الى الاول اه قال في التصريح
كلام الصحاح نحو كلام الزمخشري ومن تبع الزمخشري جماعة منهم البيضاوي
وابن عرفة بل نقل الابي عن ابن عرفة انه قال كل مجاز له حقيقة الا هذا يعني الرحمن
ما زال [illegible] فهو مجاز لا حقيقة له اه ونسب بعضهم القول الثاني الى
الحسن الاشعري والاول للقاضي ابي بكر الباقلاني قال ومنشا القولين ان من وصف
شيئا اراد به الخير وفعله به فالاول اخذ المجاز المقصود والثاني اخذ اللازم
الاقرب او يجعل الرحمة مجازا على كل من القولين ومما يتعين فيه المعنى الاول
قوله تعالى هذا رحمة من ربي اشارة الى السد وقوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة
وقوله فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وقوله في الحديث القدسي
ان رحمتي سبقت غضبي لان الصفة لا تتصف بالحوادث ويحتمل ان معنى
سبقت غلبت قال النووي اي غلبت عليه بكثرة اثارها الا ترى ان قسط الخلق
من الرحمة اكثر من قسطهم من الغضب لنيلها اياها بلا استحقاق وان التكليف
مرفوع عنهم الى البلوغ وانه تعالى لا يعجل عليهم بالعقوبة اذا عصوه بل يرزقهم

[illegible] على اسم الله [illegible]

الرد على النحاة [illegible] بعثلان من امثلة المبالغة والجواب منتهى

كل مجاز له حقيقة الا الرحمن

ويقبل توبتهم وقوله في الحديث إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك
عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي
عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن
من النار رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ورواه مسلم والإمام أحمد في مسنده عن سلمان
وابن ماجه عن أبي سعيد بلفظ إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق
ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش و
الطير بعضها على بعض وأخر تسعا وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة
قيل ومما يتعين فيه المعنى الثاني قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وهذا ظاهر
في معنى الإرادة بدليل عطف قوله وعلما عليه فتأمل وفيه نظر وهو على القول بأنه مجاز مرسل
من إطلاق السبب على المسبب أو الملزوم على اللازم وأما أنه استعارة تمثيلية بأن يشبه حاله
تعالى بملك عظيم عطف على رعيته ورق لهم فعمهم معروفه ما كلي عليه وأر بر غاية به
التي هي فعل أو إرادة فعل كما تقول لا صبر له الذي هو الفعال فإن بعض المحققين وحاول
بعضهم جعله حقيقة شرعية أو عرفية لكثرة الإطلاق من غير قرينة والرحمان أبلغ
من الرحيم فيما قالوا لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا كقطع وقطّع وسماع
باعتبار الكمية ولذلك قيل يا رحمان الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص
المؤمن وباعتبار الكيفية وعليه قيل يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية
كلها عظيمة وأما نعم الدنيا فمنها العظيمة ومنها الحقيرة فيستعمل تارة للكثرة في الكمية
كما في الوجه الأول وتارة للكثرة في الكيفية كما في الوجه الثاني فلذلك كان مستعملا في
البسملة على الوجه الأول بقاعدة ذكر الرحيم بعد الرحمن ووجه الترتيب بينهما مع
أن ذكر الرحيم بعد الرحمن كذكر البعض بعد الكل بيان الاعتناء بشأن المؤمنين وتخصيص شمول
الرحمة لهم تشكر ما بذل لهم من رحمتهم أو أن نعم الدنيا لما كانت سابقة قدم ما يدل عليها وإن كان
مستعملا على الوجه الثاني فوجه الترتيب بينهما مع أن القياس يقتضي الترقي كما يقال
عالم نحرير وجواد فياض أن الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر بعده الرحيم ليتناول
ما لطف ودق منها فهو من باب التتميم وهو تقسيم الكلام بتابع يفيد مبالغة قاله
الزمخشري وقيل الرحيم أبلغ من الرحمان ويعضده الصفات الغريزية ككريم وشريف
وفعلان كغضبان وسكران فهو للأمور العارضة وعليه فوجه الترتيب
وضعفه السعد بأن ذلك في صيغة فعيل إذا كان من باب فعل بالضم وقيل إنه
خاص من حيث إن الرحمن مقتض لإيجاد الخلق فلذلك لا يتسمى به غير الحق ومن
تسمى به هلك والرحيم مقتض لإمداد الخلق بقوامهم ووجودهم ونحوه إطلاقه على
المخلوق لأن المراد به في حقهم ولذلك وجب شكرهم على ما وصل منهم وهذا والله
أعلم معنى قول من قال الرحمن المنعم بما لا يتصور جنسه من العباد والرحيم المنعم
بما يتصور منهم ويدل لهذا القول ما ورد في دعاء قضاء الدين بلفظ اللهم فارج

الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطر رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فا
رحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك رواه الترمذي والحاكم في المستدرك ووجه الترتيب
بينهما على هذا القول والله أعلم أنه لما كان الرحمن من حيث إنه لا يوصف به غيره تعالى جاري
مجرى العلم وتوسط ما هو كالواسطة بل قيل إنه علم ويطلع هذا توجيه
للترتيب المذكور على القول الأول والثاني والله أعلم وإذا علمت ما تقرر تحصل لك أن معنى
البسملة أنه لا يستحق أن يستعان أو يتبرك إلا بذكر أسماء الله إله الذات الذي هو واجب
الوجود المعبود بالحقيقة مولي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها ودقيقها فضلا
منه ورحمة وبهذا تعلم أن البسملة تدل على أن المستعان به هو من له هذا الفضل العظيم
وهو المنعم بالإيجاد لكل موجود وبالإمداد لكل موجود ما دام له وجود وإلى هذا أشار
في الحكم بقوله نعمتان ما خلا موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة
الإمداد ومن عرف أنه تعالى الرحمان الرحيم لا غيره التجأ إليه بلزوم الافتقار ودوام الا
ضطرار في جميع الحالات وعموم اللحظات كما قال القائل

ألا إليك من الأنام مختلجي • لذا في معرفة الإكليل والتاج

تحققه بأنه هو المنعم لا غيره وأنه المنعم بكل النعم في الدنيا والآخرة وفي اختتام البسملة
بصفتي الرحمان الرحيم إشارة إلى سبق الرحمة وغلبتها على أضدادها وعدم انقطاعها
رأفة ورحمة ولكونهما صفة للاسم الذات دالة على السمو وإنما خص لذا الذات وتكرار
دال على الغلبة وعدم الانقطاع وفي ذلك حض للعبد على التخلق بالرحمة ومن أراد رحمة
الله فليرحم عباد الله كما رحم نفسه وقد ورد في الحديث إنما يرحم الله من عباده الرحماء
ولا تنزع الرحمة إلا من شقي والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم أهل السماء
قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله أرحم الناس بالناس من رحم من لا رحم نفسه
أو في الجمع بينهما إشارة لطيفة إلى أن العبد كما في بينهما لفظا ينبغي له أن لا
يتناول من نعيم الدنيا إلا ما يكون معينا له على نعيم الآخرة ولا يكون قاطعا له
عنه وفي الجمع بينهما لفظ تعليم للزهد في الدنيا الذي هو أساس كل خير والله أعلم
قال جماعة من الشيوخ ويوجد في بعض النسخ من الرسالة بعد البسملة وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه فنقول أتى المصنف رضي الله عنه بذلك بعد البسملة
لوجوه الأول الاقتداء ببعض جواز الواسطة ليجمع بين الحقيقة والشريعة فإن كل
خير وإن كان في الحقيقة من مولانا وما بلغ من نعمة فمن الله لكن الشرع جاء بشكر الوسائط
ففي الحديث من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بوجه الله فأعطوه ومن دعاكم
فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى
تروا أنكم قد كافأتموه خرجه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن
حبان والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما وفي الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ولا
شك أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الواسطة لجميع النعم في كل خير ديني

او دنيوي وهو ان اظهر المولى سبحانه على يديه جميع النعم وافاضها ببركته على الخلوق دنيا
واخروي كيف وهو الدليل لنا على الله والمعرف لنا به فهو باب الله الاعظم وجميع ما
يخرج من الخزائن الالهية انما يخرج على يديه صلى الله عليه وسلم ونذكر هنا قول القائل
من البكريين

ما ارسل الرحمن او يرسل • من رحمة تصعد او تنزل
في ملكوت الله او ملكه • من كل ما يختص او يشمل
الا وطه المصطفى عبده • نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها • يعلم هذا كل من يعقل

قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله في مقدمة كتابه لطائف المنن ولقد سمعت
شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول جميع الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى
الله عليه وسلم هو عين الرحمة قال الله سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم من دعا الى الله بالبصيرة الواضحة والبينة القاطعة
وفرق المدارك وبين المسالك وحث على سلوك سبيل الهدى واجتناب سبل الردى
مجازي شتا يرغب الى الله الاوحد على البيه ولا اذ لا يصلح ان يكون احد به مع الله
الا احث عليه ولا شيا يشغل عن الله الا وحذر العباد منه ولا عملا يقطعهم عن الله الا
واخرجهم عنه. فلا بد له من خلاص العباد من اوحال القطيعة ومواطن الهلكة الى
ان وصل سبيل الشرك وانقطعت اغباره واظهر الدليل واشرقت انواره. من صحح كلي
الله عليه وسلم من الدين لواء. وتم نظامه وفرغ من ابنيته واحكامه. وبين حلاله وحرامه
وكتابه للعباد الاحكام. كذلك فتح لهم باب الافهام حتى قال ابن ابي ... لقد تركنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان الطير ليحرك في الهواء فنستفيد منه علما. فمجموع قال الله تعالى
لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا وقال صلى الله عليه وسلم تركتكم على بيضاء نقية فجزاه الله خير ما جزى
نبيا عن امته وقال في الشفا وقد وصف الله تعالى في كتابه احسانه صلى الله عليه وسلم وانعامه
على امته من رافته بهم ورحمته لهم ورعايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وانه بالمومنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ومن احبه
منهم ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي
احسان اعظم قدرا واجل خطرا من احسانه صلى الله عليه وسلم الى جميع المومنين واي افضال
اعم منفعة واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية و
منقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم و
المتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدايم والنعيم السرمدي انتهى ومن
ثم كان من الحق الواجب على المومن اذا ذكر الله تعالى ان يعطف بذكر رسوله صلى الله
عليه وسلم فيكون ذكر الله حقيقة وذكر رسوله شريعة وكذلك ينبغي ان يعطف
بذكر كل من له اتصال به صلى الله عليه وسلم من آله وصحابته وتابعيهم باحسان والثنا

أسرت

أسرت الصلاة الى الله تعالى لانا لما عجزنا عن مكافاته صلى الله عليه وسلم من قبل
انفسنا وجب ان نرجع في ذلك الى مولانا الكريم القادر الذي بيده خزاين النعم
فنطلب منه ان يصلي على هذا النبي الشريف اي ينعم عليه بنعم يحبها تكريما وتعظيما
على ما يليق بمنزلته عنده. الوجه الثاني امتثال امر الله تعالى بذلك في قوله ان الله
وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما والاصل في الامر
الوجوب ويخلص المكلف من عهدة هذا الامر بالمرة الواحدة لانه تعالى امر بالصلاة
عليه ولم يحد لذلك حدا ويبقى الطلب بعد ذلك على جهة الاستحباب الا انه تتاكد في
مواضع منها اذا ذكر لحديث البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وانكر بعضهم
في المطالب وفي امره تعالى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله ان الله وملايكته
يصلون على النبي اشارة الى مزية هذه العبادة وشرفها على غيرها وذلك انه تعالى امر
بها بعد ان اخبر بانه يفعلها هو وملايكته المطهرون وبهذا الشرف اختصت به من بين
ساير العبادات والله تعالى اعلم. الوجه الثالث اغتنام بعض ما ورد في الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم من المزايا والفضايل التي لا تحصى لا سيما الحديث من صلى علي في كتاب لم تزل
الملايكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ذكره في الشفا وفي رواية من صلى عليه
والصلاة عليه في الكتاب محتملة للكتابة وهو الظاهر وللقراءة وهو ابعد قاله الشيخ زروق
وفي الحديث من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وما اعظم قدر هذه العبادة
التي تكون سببا في ان يصلي عليه العظيم الذي صلاته تعود عليه بمضاعفة قال ابن عطاء الله رضي
الله عنه من صلى الله عليه مرة واحدة كفاه الله هم الدنيا والاخرة فكيف بمن صلى عليه عشرا اشهر
تنبيه اختلف في فايدة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ونفعها هل هو عايد على المصلي
فقط او عليه وعلى المصلى عليه فقال بالاول جماعة منهم ابن العربي والشيخ السنوسي في شرح
صغراه وابن برجان والقرطبي في التذكرة وقال بالثاني ابو القاسم القشيري في تفسيره
والقرطبي نقل كلامه السنوسي على مسلم قال الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي
وقد يقال لا خلاف وان احدهما ينبني على الاجر في القصد والاخر ناظر الى كرم الله وعموم
تفاضل افضاله انتهى فينبغي للمومن ان يقصد بصلاته التقرب الى الله والى نبيه
بالصلاة على حبيبه ولا يقصد بها حصول النفع منه صلى الله عليه وسلم وان كان النفع
حاصلا له بذلك لانه غير محتاج الى ذلك فانا لنحن المحتاجون الى ما يحصل لنا من
النفع والتقرب اليه والى ربه بالصلاة عليه قاله شيخ شيوخنا سيدي عبد الله العياشي
في اول شرحه لنظمه بيوع ابن جماعة وانظر تمام كلامه وقد علمت بما قررناه ان ما يحصل
للمصلي عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة امور خدمته والتودد اليه وهذا مقتضى الوجه
الاول مقام جزاء الاحسان بالاحسان وامتثال امر الله بالصلاة عليه وهو الوجه
الثاني واغتنام فضايله التي لا تحصى لها وهو الثالث والله اعلم لا فقط حقيقة
اذ حقيقة الصلاة تقتضيه امته اجمع اذ هو في صلوات الله تعالى ان الله وملايكته

يصلون على النبي انظر ابو يحيى في تقسيم هذه الاية وما ابطال النفع منا الدنيه وجعل يبين
ما يوتى به صدقة وبين ما يوتى به هدية الصدقة للمحتاجين والهدية للمحبوبين وقد شاع
على الالسنة هنا امور منها ان الصلاة من الله رحمة ومن الملايكة استغفار ومن العباد
دعاء بعضهم لبعض ونحوه في المغني من جهات على بحثه في بعضها وقال الضراب غير ان
الصلاة لغة بعضهم واصله هو العطف ثم ان العطف بالنسبة الى الله تعالى الرحمة والى
الملايكة استغفار والى الادميين دعاء بعضهم لبعض وهو في ذلك تابع للسهيلي في كتابه
المسمى نتايج الفكر ومنها ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا بخلاف
غيرها من سائر الاعمال ويشهد له قول ابي سليمان الداراني من اراد ان يسال الله حاجة فليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم اولا واخرا فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما
وممن سئل عن ذلك الشيخ سيدي محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله فقال في جوابه فقد ان
ذلك منصوص الشاطبي شارح الالفية وكنت استشكله بانه لو قطع بقبول ذلك
لقطع للمومن المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الخاتمة كيف وهي مخوفة مجهولة وكنت
اجيب بان معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله تعالى للمصلي بخاتمة الايمان وجد حسنة
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة لا ريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه
لا وثوق بقبولها وان مات طاهرا على الايمان ويحتمل ان يكون معنى قبولها على القطع انها
اذا صدرت من كل واحد على سبيل المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم انه يقطع بحصول النفع
بها في الاخرة ولو بتخفيف العذاب ولو على سبيل الخلود الابدي لعظم موقع محبة اشرف
الخلق صلى الله عليه وسلم الا ترى الى انتفاع ابي طالب في الاخرة بسبب محبته لنبينا عليه الصلاة
والسلام وانظر الى انتفاع ابي لهب بسقيه في نقرة الابهام او تخفيف العذاب عنه في يوم
الاثنين بسبب عتقه الجارية التي بشرته بولادة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واذا ان
حصل هذا النفع لاجل الطبع وان كان لغير الله تعالى فكيف بحب المومن من الاخيار
وصلاته عليه صلى الله عليه وسلم اه ولبعضهم في هذا المعنى

اذا كان هذا كافرا جاء ذمه • وتبت يداه في الجحيم مخلدا
اتى انه في يوم الاثنين دايما • يخفف عنه للسرور باحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره • باحمد مسرورا ومات موحدا

ومنها انها لا توخذ في التباعات ممن يطالب بشيء من التبعة وقد سيل سيدي عبد الرحمن الفاسي
عن هذه المسئلة وانه قيل ما جاب ان فضايل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا تحصى
لقاربنا بعد ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرا وغير ذلك لغيرها من الطاعات
واما كونها مقبولة قطعا وكونها مقصورة على صاحبها بحيث لا توخذ في التباعات
فلا اعرف لذلك دليلا قاطعا ولا مستندا واضحا وانما في ذلك ما يصير فيه الى رجاء الفضل
في خصوص شخص بعينه وان كان يقطع بقبولها في الجملة وكذلك لا توخذ في التباعات
ان شاء الله ارجع عنه في الجملة نعم جاء ان الايمان لا يوخذ في التباعات لا غير

من سائر الاعمال الطاعات كلها انه لا يوخذ من المفلس ما هو ضروري له ولعياله من قوت وكسوة
نفقة وكذلك ما هو شرط في الايمان من محبة الله ورسوله والقدر الضروري في ذلك لا يوخذ
في التبعات جزما اه والسيد هو الكامل المحتاج اليه في الشر ابن الاعرابي ولا يستعمل لغة
السيد والمولى هضم وابن برد والمستشهد فيه ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
ام وآله صلى الله عليه وسلم اقاربه المومنون من بني هاشم وبني المطلب في مشهور مذهب مالك
وياتي ان شاء الله الكلام على الصحابة رضي الله عنهم ويوجد في بعض النسخ انا بعد ما تقدم
قال ابو محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني عفى عنه بفضله رضي الله عنه لاجل
ما ذكر في هذا الكتاب من العلوم النقلية التي تحتاج الى معرفة القايل وعن الناقل فكل
من ضل العلم كان عن العلماء الاجلاء ولذلك قال ابن سيرين ان هذا العلم او هذا الحديث دين فانظروا
عمن تاخذون دينكم ولذلك ترى المحدثين يبحثون عن احوال الرواة عن الثقة وجرحا ولذلك قال
العلماء ان العمل او الفتوى من الكتب التي جهل مولفوها ولم تعلم صحة ما فيها لا يجوز والايمة
ذكر نبذة صالحة من مناقب المولف ليقوى باعث الرغبة في تحصيل مسايل الكتاب ويحصل
الانتفاع المقصود من تاليفه بعون الله آمين فاقول كان المصنف رضي الله عنه ممن
حاز قصب السبق في العلم والعمل ذكر من عرف به ان الله تعالى وصله بارفعة الشان
السعة في العلم والدين المتين والسعة في المال وصحة البدن امثال العلم مكانا جليلا
اليه ما وجمع واختصر كثير الحفظ مليا بالعلوم ضابطا لها وكان الغالب عليه الفقه وهو
الذي لخص المذهب وضم نشره وكانت البلاد تولت عليه عارض كثير من الناس من اكثرها
والى المحفوظ الدين من ابيع فضل السير وصعوبة المنتزع عمله من التاليف خمسة وعشرون
تاليفا اكثرها في الفقه وله في اصول الفقه واصول الدين والزهد والرقائق وكان
يلقب بخليفة مالك ومالك الاصغر وقطب المذهب وكان يقال لولا الفاضلان والمحمدان
والشيخان لذهب المذهب فالفاضلان ابو الحسن القطان والتمييز ابو محمد عبد الوهاب
والمحمدان محمد بن المواز ومحمد بن سحنون والشيخان ابن ابي زيد وابو بكر الابهري تفقه ببلده
بلده وسمع من شيوخها وعول على ابي بكر بن اللباد وابي الفضل الممسي واخذ عن محمد بن مسرور
الحجال وعبد الله بن مسرور وابن الحاج والقطان والابياني وغيرهم كعثمان بن سعيد
الغرابلي وذكر ابن سعدون انه اخذ عنه كل من رحل من قرطبة والقيروان
ومن الاجماع البستي في تفسير له في القبلة وقد ذكر مجراه الفرويين وانه لا اختلاف فيه
وجعل يذكر الايمة الذين طوافيه من غير اختلاف انتهى فاذا منهم فلان وفلان وكان الشيخ
ابو ميمونة حاضرا كثير وعالم جليل والاكثر ما فاته فيه عبد الكريم في المدارك وتخذ ان علي
اليه ابن ابي زيد موضعه يفتي فانظر نقول •

• فصل انظر للتوضيح ماخذ قال في حوفي فلس والكافي •
وكان ابن ابي زيد عن سحنون بواسطة وعن ابن القاسم بواسطتين وعن مالك بثلاث واخذ عنه
جماعة منهم ابو بكر بن موهب المقبري وابن عات وابو عبد الله بن العطار وغيرهم انظر الثقات

وغيرهم وأما الورع اليقين وكان رضي الله عنه من عباد الله المخصوصين وأوليائه
الكاشفين بحيث صار كما قال الثعالبي وكان إذا جلس للإقراء ربما قال حدثتني
نفسي أن في هذا المجلس كذا وكذا سؤالا أو لا أدري طالب سؤال كذا فيقول إنه فيجيبه
وإذا أشكل عليه شيء من كلام من تقدم يكاشفه الله تعالى به في المنام وقد ألف رضي
عنه تأليفا في المسائل التي أشكلت عليه وكوشف بها في النوم سماه الكشف وكان
مجاب الدعوة في عالم حفظه هذا الكتاب وعمل بما فيه وصرف همته إليه أن رزقه الله المال
والعلم والدين وبعضهم في ذلك • قال ابن زيدون وكان كرامة لقارئه المال والعلم
قال سيدي زروق وقد جرب ذلك فصح قال وحكى بعض المشايخ الأولياء كانوا يأمرون
ورده من قرأه حتى إنه من المجربات عند من كانت عنده نسخة من الرسالة وقرأه
فيها وفقير أو ثلاثة وأربعين ثم قال الله تعالى أصبت دعوته وهو مجرب ... ابن
ومن مدح إنما هو هذا الكتاب واعتنوا بشرحه حتى يقال كان بعض الفضلاء يقول
من كانت الرسالة الأولى بيته يبلغ كل سنة شرح نقص أو بطول قال الشيخ زروق
رحمه الله وقد ظهرت بركته على العامل بها والملتزم لها وسمعت من الشيخ القطب سيدي
عبد الله عباد رحمه الله أنه قال كل طلبوا الفقه غير الرسالة فطلبوا وطلبوا التصوف
بغير الحكم فطلوا وقد جربنا بالمشاهدة إن قارئ كتب الفقه دونها لا ينتفع بنفسه غالبا
وما ذاك إلا لصدق مؤلفيهما وكمال نيته ... ما الأعمال بالنيات والأعمال ... بالله التوفيق
وحكي أن الغسا... بن الزاهر رأى مرة أعرض أنه منصرف من عناية وأخذ بعرضه فقال
تنسخ ما فرك ... محرم ذلك ... واعتقادا لنفسه فقال له الزاهد ... الشيخ ابن أبي زيد
والله ما نسخت إلا لله تعالى ... وكان رضي الله عنه ... وروي عنه
الثقات أنه خرج في عام الخندق إلى الجهاد زمن ولاية عبد الرحمن الناصر بلا تدليس
وكانت غزوة عظيمة هاء أبيه العدو بجموع لم ير مثلها وكانت الهزيمة فيها
على المسلمين فقتل من المسلمين فيها أربعون ألف راجل وعشرون ألف فارس وتفرقت الناس
إلى غير جهة فهلك ... رحمه الله وكان يمشي ليلا ويختفي نهارا قال فمشيت ليلة
فإذا بعسكر نازل وطبول تضرب ... فإذا هم يقرؤون القرآن فقلت
الحمد لله هذا عسكر المسلمين فقصدتهم فإذا أنا بشاب ... وهو
يقرأ بصوت حسن ... فسلمت عليه فرد علي السلام وقال أنت من أنا ... فقلت
نعم فقال اجلس واسترح فجلست ... في غير أوانه ورغيفا
وكوز ماء مما أكلت ولا شربت أنفس ولا أطيب من ذلك فقال لي لعلك من أهل
فقلت نعم وما ضرت في النوم ولا أوجعني ضربة الشمس نهارا فمضيت إلى أهل
أهل الأعظم ... فعلمت أنهم الشهداء وكتمت ذلك اليوم فلما جن
الليل مشيت فإذا أنا بعساكر تمر علي وهم يقرؤون القرآن ويسبحون ويذكرون الله
عز وجل وإذا في آخر القوم رجل تحته فرس تعرج فإذا ركبته وسلم علي فقلت يا أخي

من هاهنا قال الشهداء مضوا إلى زيارة أهاليهم فقلت له ما بال فرسك تعرج وأنت
في آخر الناس فقال بقي علي من ثمنه دينارا فقلت لمن دفعت إليه بالله إلا ما قضيته
عنك ما تكلف العرس صحيحا ما دفعه خلفه موطنا من بنية تعالى وبينها وبين الموضع
الذي حملني منه مسيرة عشرة أيام فقال لي عشي تدخل هذه المدينة فإذا كنت من الغد فاقصد
وسل عن دار محمد بن يحيى الغافقي وادفع زوجتي فاطمة بنت ... وسلم عليها وقل لها
أن في الطاقة خمسمائة دينار في جرة ... واحد مع الدينار ...
فعلقت فلما مررت بها تسلمت ... امرأة الحرة ... الأمر كما ذكرت لها فغرفت
الموضع إياه وأعطتني عشرة دنانير وقالت لي اشتر بها علفا سعدك وأما النفقة
في المال مكان ينفعنا الله به فذا المال كثير ملك ثلث الفقير وآله ... خراج مال له كل يوم
ألف درهم على ما قال بعضهم أو دينار على ما قاله الآخر ولم تجب عليه الزكاة قط لأنه
كان ينفقه في وجوه البر وكان ينفق على طلبة العلم ويجمع كل غنائمه في سبيل الله ويعطي
الأيتام ويعود الفقراء والمساكين ما لا تنسب ... عطية ... وعفو ...
هذا الكتاب والقطايا بين محمد بن خلف له بنت ... تقاولا ... الكتاب ...
يأمرها ... تعين لها شيئا من ماله وجعله بين ... فلما كبرت البنت
وطلبت البناء كتب له أبو محمد بما فعله بسببها وأمره أن يشتري لها من ماله
المال موضع بيته من موضع ... خمسين ألف دينار عوضا مما نقص له من ذلك ولد رحمه الله
سنة عشر وثلاثمائة وتوفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة فعمره ست وثمانون
سنة كذا في الأقفهسي وفي الديباج أنه توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة قال الأجهوري
وتوفي رحمه الله عن زوج وعصبة ولم يترك ولدا وأوصى بثلث ماله للفقراء والمساكين وابن
السبيل يحكى أن المؤلف لما ... أقبل الناس على الاشتغال بالرسالة ...
في قبلة محرابه وكان يدعو الله في إثر كل صلاة أن يجعلها للخلو وأن يبقي له ...
فكان كذلك فطار ذكرها وانتفع بها ... وقال بعضهم في هذا
المعنى • أخو العلم حي خالد بعد موته • وأوصاله تحت التراب رميم •
• وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى • يعد من الأحياء وهو عديم •
وانظر ما قاله الأجهوري مع ما ذكره في المدارك من أنه كان له ابن ... أبو بكر وأبو محمد
وإن أبا بكر ولي الفضاء ... اللهم إلا أن يكونا ماتا في حياته والله أعلم
قال الشيخ زروق كان الشيخ القوري رحمه الله يقول ألف هذا الكتاب وهو صغير ولذلك
... بينه وبين كلامه في النوادر تباين وكان يقول كتب الفقه من النوادر ...
ابن ... وأبو محمد هو كنيته وعبد الله هو اسمه وأستشكل جمعه بينهما بأن
في الكنية تزكية للنفس كما قيل • أكنيه حين أناديه لأكرمه • ولا ألقبه والسوءة
اللقب • قال الرضي الكنية عند العرب يقصد بها التعظيم والفرق بينها وبين
اللقب أن اللقب يمدح الملقب به أو يذم بمعنى ذلك اللفظ بخلاف الكنية فإنه

يعظم المكنى بها بل يعم التصريح بالاسم وان بعض الفقهاء يرثانه من ان تخاطب باسمها
اهـ والتزكية منهي عنها قال تعالى فلا تزكوا انفسكم واجيب بان ذلك من صنيع بعض
الامر بنو سبعين هذا نبوته اخر الكتاب باتفاق ما السؤال وارد على كل حال ما الصواب
ان يجاب بان التزكية انما هي في الكنية التي في معنى اللقب كما في الفضل واما نحو ابي عبد
الله فلا تزكية فيه ويستثنى كل كنية تدل على التعظيم والاما مع النبي صلى الله عليه
وسلم عليها ومراده عليه السلام لعايشة رضي الله عنها ان تكتني بابن اختها عبد الله بن
الزبير فكانت تكتنى بام عبد الله نعم المخاطبة بنحو محيي الدين ذكر ابن الحاج انها
منهي عنها وذكر القرافي جوازها وعلى عدم تسليم ان من الكنى ما لا يدل على التعظيم
فنقول التعظيم الذي يحصل بالكنية لا يختص بقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لورود
الاذن به كما سبق او نقول ان ذلك جاز لم يبلغ درجة التزكية ونحوه المراد تزكية
الظاهر المذموم وهو تعظيم الله لانتا عليه للتاليف تعرفا بالنعم كما قرره المحلي كلامه
الشك او تحريضا للناس على الاخذ عنه حرصا على نفعهم نظير قوله انا ابن من يوصف على
نبينا وعليه الصلاة والسلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم واما اعلم
على ان ذلك من صنيع بعض تلامذته فلا اشكال في التعبير بالماضي في [illegible] المقام
للاستقبال على انه من صنيعه فيجاب بانه وثوق بنفسه فذلك حتى كانه موجود
ما وقع الماضي موقعه وقيل غير ذلك وابو زيد هو كنية ابن المصنف واسمه عبد
الرحمن قاله ابن مرزوق وقال الاقفهسي هو ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن اسحاق
بن عيسى بن بلال والصحيح انه ابن بلال ليس بمولى الشمس والقمر والنسبة التي
قيروان مدينة من مدن افريقية وهي من بناء الصحابة وذلك ان معاوية رضي الله
عنه ولى الخلافة بعث عقبة بن نافع الفهري يغزو المغرب فوصل الى افريقية واراد
ان يختط القيروان موضعها غيضة كثيرة الوحوش والسباع والحشرات فاراد ان
يحرمها فخاف من ذلك فاتى نافع من الوحوش فوقفها واعلاها ونادى يا اهل الوادي انا
حالون ان شاء الله فارتحلوا فانا ثلاثا فجعلوا يخرجون حاملين اولادهم على ظهورها
وتتابع خروجهم ثلاثة ايام ثم احرقها واختطها ويقال بل النسب اليها مروي
على غير قياس مروزي وان والنهاية نسب عبد الله بن الغزوي وقول القفاية الفر
حر والصحاح بعزوه النسب ونفزاوه قبيلة من قبل الامام بافريقية وقوله رحمه
الله **الحمد لله** من اشتهر هنا السؤال عن توجيه اسم من تضمنه نعني
التسمية بالحمدلة الاول والجمع بينهما ابتداء او عموم الاقتصار على التسمية الثاني
عدم الترتيب بينهما واشار الشيخ في حواشيه المختصر الى ما يفيد الجواب
عنها فقال الزرقاني التسمية بالتحميد في مفتتح الكلام اقتفاء بما ورد في الاخبار
واقتداء بطريقة الاخيار واداء لبعض حقوق ما استغرقه من ضروب الاحسان
التي من جملتها التوفيق لمثل هذا التصنيف العظيم الشان اهـ فقوله اقتفاء

ابن الغزواه

٨

الخ اشارة للاحاديث الواردة في الحث على البداءة بالتسمية والتحميد وفي الجمع بينهما
في الابتداء عمل بروايتي الحديث وقوله واقتداء الخ ايماء لاجماع العلماء من العقلاء على
هذا الترتيب وقوله واداء الخ ايماء الى الجمع وايماء الكتب اداء لبعض شكر المنعم وكله
هذا جواب ثالث عن السؤال الاول وقد ذكروا من التوجيهات غير هذا ما لا تكميل
به ما نكرها في شرح الزرقاني على اللقاني ان شئت والحمد هو الثناء بالجميل على الجميل
الاختياري حقيقة او حكما على جهة التعظيم والتبجيل كان بالقول او بالصفة ولا فرق بين
كون المحمود به من الفضائل وهي المزايا غير المتعدية او من الفواضل وهي المزايا المتعدية
اي التي يتوقف تحققها على تعلقها بالغير قال الكمال ابن شريف معنى هذه الجملة
كل حمد او كل ثناء جميل مستحق لله او مختص به اما ان جعلت اللام للاستغراق فواضح
واما ان جعلت للجنس فلثبوته في ضمن كل فرد فلو ثبت فرد لغيره لثبت له الجنس وثبوت
كل ثناء جميل له يستلزم ثبوت الجميل الخ الثناء ثبوته حقيقة فرع ثبوته كذلك وثبوته
تفصيلا فرع ثبوته على الكمال وفي ضمن ذلك الاعتراف بكمال صفاته وكمال الذات وافعاله
للصفات ولا الكمال لانه مكان الحامد يصفه بكل صفة جميلة وبكل ما يليق به فما لا نعلمه
والتساوي في هذه الجملة اخص من ذلك والله اعلم انتهى في كتاب الفقه العربي كما قال الشيخ
المفوا عبد الله [illegible] محمد عبد الرحمن زكريا في تفسير سورة الفاتحة والغرض الاصل يعني
هذه الجملة الثناء على الله تعالى بان جميع المحامد ثابتة له وذلك ظاهر اذا كانت اللام للاستغراق
وكذا على انها للحقيقة لانه اذا اختص جنس الحمد به كان كل حمد راجعا اليه واعلم انهم قسموا
الاستغراق باب الحمد اما قديم او حادث فالقديم وصفه والحادث فعله فكل حمد اذا راجع
اليه قال في شرح الوسطى هو تعالى اما انه يثني بنفسه على نفسه او بنفسه على فعله او بفعله
على نفسه او بفعله على فعله وفي ذلك اذا نظر اليه حال وعلى وان اختلفت جهة الاضافة انهم
قال شيخنا المحقق في التقسيم المذكور وفيه انه يقتصر المتكلم بجملة الحمد الثناء على الله
بانه المحمود بعض المحامد وانما لو بعضه وان النسبة مختلفة والاستغراق مختلف بالا
عتبار ولا تعشيقة غير خفي بل يعني ان كل حمد لله سواء كان قديما او حادثا انه تعالى
هو المحمود بكل حمد ووجهه ان الحمد لما ان يكون في مقابلة نعمة او في مقابلة كمال غير
فالاول راجع اليه لان النعمة اثارتها بلا واسطة او منتهاها اذ لا منعم على الحقيقة سواه
وانعم المحمود على جلب او دفع ملجا الى ذلك ومستعمل فيه احب او كره ولو كشفنا عن
حقيقة الحال لاستبان عجزه وظهر ضعفه وفقره وانه ليس هو الجالب ولا الدافع
فيتعلق الحمد به باعتبار الصورة والمباشرة فقط فالى الحكم من الكونيك ما لنا الكرم
فيه جميع سيره قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله والثاني راجع اليه
لان الكمال الباعث عليه اركان للحادث فهو عطية غيره ومنسوب اليه وان هنا هو الله
تعالى فهو المحمود بكل حمد على الحقيقة اي من المحامد المعتبرة شرعا ولا عبرة بحمد بعض
الجهلة بعض المحرمات ومن حقق وبحثه وحرر النية الفعل اتضح له هذا المعنى وانه لا

يتامى ان العبد فاعل ومحمود لغة وشرعا هذا هو اللائق بالعبد ان يعترف بتقصيره ويستنقص
ولا يغفل عنه في مقام حمد الوسائط اذ ليس ترك اللامنة ومن اعتبره وشهوده وقطع
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ومن ثم رحم الله رابعة حيث تقول

احبك حبين حب الهوى * وحبا لانك اهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواك
واما الذي انت اهل له * فكشفك لي الحجب حتى اراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم قال واعلم ان لتعلق نظام كمالاته . وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد
فلا محمود على الحقيقة سواه نظيره قولهم ما يقال لا مزور على الحقيقة سوى قبر محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة الاولياء والعلماء لانهم مظاهر تعظيمه وجداول
نوره فينبغي لنا مراعاة الوسائط رعاية لذلك المعنى كما ينبغي للزائر رعاية هذا وانه
اعلم [illegible] وحاصله ان كل حمد مصروف الى الله تعالى ومما يستانس به في هذا المعنى
قول ابي نواس . وان جرت الالفاظ يوما بمدحة . لغيرك انسانا فانت الذي تعني
وقول ابي الطيب

تملك الحمد حتى ما لمفتخر * في الحمد حاء ولا ميم ولا دال

وشمل الاستغراق جميع المحامد اللغوية التي تورد هاهنا كما [illegible] من التعريف
الشاطبي وهو قولنا الثناء الخ وجميع المحامد العرفية التي تورد هاهنا كما يعلم من
تعريفهم العرفي بانه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما ومن هذا القبيل
حمده تعالى لنفسه بخلقه لجميع الكائنات اجمعها فعل ينبئ عن كماله تعالى اذ
هو المنعم بايجادها وامدادها ويدل عليه دلالة الاقوال عليه الخ كما وقع
عند السعد رحمه الله بقوله اعلم ان القول المخصوص ليس حمدا مخصوصا بل لانه
دال على صفة الكمال ومظهر لها ومن ثم قال بعض المحققين من الصوفية حقيقة
الحمد اظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول كما عرفت وقد يكون بالفعل
وهو اقوى لان الافعال التي هي آثار السخاوة تدل عليه دلالة عقلية قطعية لا يتصور
فيها تخلف بخلاف الاقوال فان دلالتها عليه وضعية قد يتخلف عنها
مدلولها ومن هذا القبيل حمد الله تعالى وثناؤه على ذاته وذلك انه تعالى حين
بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى ووضع عليه موائد كرمه التي لا
تتناهى فقد كشف عن صفات كماله واظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير
متناهية فان كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليه ولا يتصور في العبارات مثل هذه
الدلالات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
او تنبيه ما قررناه من ان الحمد العرفي على المورد انهم عرفوه بانه فعل ينبئ الخ
هو الذي قرره جماعة من شراح مختصر الشيخ خليل وغيرهم والعنوان العرفي هو اللغوي

المعرف بقولهم هو الثناء بالجميل الخ لان المفسرين اطبقوا على تفسير الحمد الواقع في القرآن
بما فسره به اهل اللغة فيكونان مترادفين وليس بينهما العموم والخصوص من وجه
كما قاله الاطباق اهل اللغة والشرع على انهما بمعنى واحد هو ما علم ذلك لا كن [illegible] في
هذا ما تفرع عن التشبيه من الحمد كل ما يظهر صفات الكمال سواء كان من الاقوال او من
الافعال اللهم الا ان يقال ان الثناء بالافعال من باب الثناء بلسان الحال كما صرح
اثناء [illegible] قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده . هذا اشكال فقوله **الذي ابتدأ**
الانسان بنعمته قال المصنف رحمه الله قصد بهذه الجمل التي عطف بعضها على بعض
تذكير الانسان وتنبيهه على بعض ما لله عليه من النعم الربانية والربوبية لينقطع
قلبه الى الله تعالى والتعلق به ويتعلق به وينتقل اليه ويتخلى عن الدنيا ويقبل على
الاخرة لعلمه ان اموره كلها بيد الله ولمعرفته بجنس مقالات مولاه به فيصير ذا الظن
بمولاه ويتوكل عليه ويلجأ اليه في كل شيء ويجد الطفل الذي امه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى
سواها ولا يعتمد الا اياها ولا يهتم بشيء في غيبتها كان اولى او احرى انه باعمالها فانه
مع غيبته كانه مزور بكفالته وكفاءته وشفقته فيكفيه سؤاله همه وبالا واخراه ومن
يتوكل على الله فهو حسبه وايضا فان تذكر النعم يثمر مقاما عظيما من اعظم مقامات
اليقين وهو محبة المنعم بها وهو المولى جل جلاله لا سيما الا حملوا من اسباب المحبة
فيه الحديث الكريم جبلت القلوب على حب من احسن اليها وفيه ايضا احبوا الله لما
يغذوكم به من نعمه واحبوني بحب الله والمحبة الحقيقية تورث مقاما من مقامات
اليقين ايضا اشرفهما الرضى بافعال المحبوب الذي هو اعلى درجة من الصبر كما يرشد
له حديث اعبد الله بالرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير لان المحب
يستحسن كل ما يصدر له من المحبوب حتى يتلقى البلايا بوجه ضاحك ومن امثال
العامة الجري من الحبيب تفاحة واعتبر ذلك باحوال السلف رضي الله عنهم الذين
حصلت لهم المحبة الحقيقية كيف لم يتالموا ولم يتقلقوا بالبلايا بل كانوا يتلذذون بها
الفطا وما ينزل بهم من المحن والرزايا فقد كان معاذ رضي الله عنه في مرضه
يقول اخنقني خنقك فوعزتك لتعلم اني احبك وقال بلال رضي الله عنه عند موته
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اللهم
ان كان هذا لك رضى فزدني حتى ترضى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بكل خير
على كل احواله ان نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى وكل هذا موجود في
المشاهد الان في حب الخلق للخلق والثناء والشكر لانه لا سيما اذا اظهر النطق لعالمه
بذكره والثناء عليه والشوق هو الرضى الظاهر والباعث للاستعمال كل احد على
بربه ويفزع اليه اذ كل محبة صادقة تنتج طاعة المحبوب وفعل ما يرضيه وانصاف
الاعمال اليه اذ من يحمل على المحبة ساع في رضى محبوبه فلا يعبأ انه يحتمله غير محبوبه
كما قيل ان المحبة ان تستعمل محبا لغير محبوبه وقيل

هذ الحال في الغابر من تزيح ..
تغضب الله وانت تظهر حبه .. إن المحب لمن يحب مطيع ..
لو كان حبك صادقا لأطعته .. والطاعة فيه من الثلاثة

والطاعة جارحة من الجوارح هي الشكر واعلم ان الشكر كما في لطائف المنن ثلاثة
اقسام شكر اللسان وهو التحدث بنعم الله تعالى قال الله تعالى واما بنعمة ربك
فحدث وقال عليه السلام التحدث بالنعم شكر وشكر الاركان وهو العمل بطاعة
الله تعالى قال سبحانه اعملوا آل داوود شكرا وقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت
قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا
أكون عبدا شكورا وشكر القلب وهو الاعتراف بان كل نعمة بك او باحد من العباد
انما هي من الله قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا اصبح قال
اللهم ما اصبح بي من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك وقد روي ان
داود عليه السلام قال الهي ابن آدم ليس فيه شعرة الا وفوقها نعمة وتحتها
نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله اليه يا داوود اني اعطي الكثير وارضى باليسير وان
شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني وقيل انه قال الهي كيف اشكرك وانشكر
نعمة منك على فقال الآن شكرتني يا داوود وقد اشار بعضهم الى هذه الاقسام
الثلاثة في قوله .. افادتكم النعماء مني ثلاثة .. يدي ولساني والضمير المحجبا ..
واعلم ان شكر النعم يورث بقاءها وبالعكس ففي الحكم من لم يشكر النعم فقد تعرض
لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها وقيل ..
الشكر قيد النعم .. مستلزم دفع النقم .. وهو على ثلاثة .. قلب يد فاعلم وفم ..
وقال تعالى فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم وانشدوا
.. واذا كنت في نعمة فارعها .. فان المعاصي تزيل النعم ..
ويورث ايضا الزيادة فيها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال سبحانه والذين
اهتدوا زادهم هدى وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال السمرقندي
اذا رأيت عبدا قد فتح الله عليه بنعمة ولم يقم بشكرها فاعلم انها ستسلب منه
فاقطعها عنه وقال في الحكم من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها
ومن العلم الجامعة للشكر قول القائل الشكر صبر المفقود وقيل للموجود
فشكر النعم يحصل بالمحبة والحكمة تورث تعظيم المحبوب والرضا بما قدر
والشكر يورث بقاء النعم والزيادة منها وتحصيل هذه المقامات والاشياء
يكون شرف العبد ورفعة قدره عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم
تنبيه .. تقسيم الشكر الى الاقسام الثلاثة يدل على انه مورد على ولذلك
عرفوه بانه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما وهذا هو معنى الشكر

لغة وهو ايضا معناه شرعا وكل واحد من الاقسام الثلاثة يؤدى به الشكر المطلوب
شرعا على حدته كالواجب المخير ويطلق الشكر شرعا على معنى آخر يعبرون عنه
بالاستقامة في العبودية وبالتقوى بمعنى امتثال الاوامر واجتناب النواهي
الظاهرة والباطنة وهو معنى قول بعض الصوفية هو صرف العبد جميع ما انعم
الله به عليه الى ما خلق لاجله وقال شيخنا في شرح الحضرة معنى قولهم صرف العبد
الخ الا يخرج العبد عن طاعة ربه بان يستعمل جوارحه كلها واوقاته كلها من الحال اللفة
قال وعن ذلك افصح الجنيد رضي الله عنه بقوله الشكر الا يعصى الله بنعمه انتهى
والشكر بمعنى امتثال الاوامر واجتناب النواهي واجب شرعا على كل مكلف واثر نبيه
اجماعا واما الشكر المنقسم الى الاقسام الثلاثة فليس بواجب وصح بعضهم بانه
اذا كان في مقابلة نعمة معينة فانه يكون واجبا وبحث فيه شيخنا في شرح الحضرة بان
هذه دعوى تحتاج الى دليل وانظر ما معنى الكلام في ذلك وتقسيم المحلي الشكر الواجب
بالشكر باحد الاقسام الثلاثة اعني صوره وفي كلام الصائغ تنبيه الا ان يعني
على ما يوطئه لمعرفة نفسه بأوطافها وهي اوطاف العبودية وخالف الربوبية وهي
اوصاف الربوبية ولا بد لمن عرف نفسه حتى لا يدعي لنفسه ما ليس لها ما
يخرج عن اوصاف العبودية التي هي الفقر والذل والعجز والضعف ولا بد له من معرفة
ربه حتى يقدر الله حق قدره قال في الطريقة المرعية الشيخ ابي العباس المرسي
رضي الله عنه صلاح العبد في ثلاثة اشياء معرفة الله ومعرفة الدنيا ومعرفة النفس
فمن عرف الله خاف منه ومن عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف نفسه تواضع لعباد الله
اهـ وذلك كله هو ما يرشد اليه التذكير الذي امر الله به في غير ما آية كقوله وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين وذكرهم بايام الله حتى يعرفوه وشكر الآلاء حتى يحبوه وقد اوحى الله الى داوود
عليه السلام يا داوود احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقه فقال كيف احببك
الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا
يعرفون مني الا الجميل وممن يعين على تذكر النعم ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله انظروا الى من هو تحتكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
قال الشيخ زروق وحمله المحققون على اطلاقه فيعم الشكر على الدين والدنيا فان العبد
من حيث هو لا يليق به الا النقص فكل ما ظهر عليه فنعمة من الله وان قل فيستحق
الثناء وبعده لقول لا اله الا الله ولو مرة في عمره فافهم اهـ وليس في عمر الله على
هذا المعنى مثل النهي حسنة ما نظر بها اهـ ادخل بالصغرى قال القرطبي بالنعم من
احسن ما يجد به العبد الى مولاه ومن اقرب الطرق الموطئة الى الرضى من الله وحسن
الظن به تعلق القلب بالنعم ومحبته للمنعم وحياؤه منه واعتقاده طلبه تقربا بسبب
الشاذلية وهي الصراط المستقيم الذي قعد عليه الشيطان فقال بعض العارفين
لو علم الشيطان طريقا توصل الى الله افضل من الشكر لوقف فيها الا تراه كيف قال ولا تجد اكثرهم

صلاح العبد في ثلاثة اشياء

الدليل على ان الشكر افضل القرب

صراطه المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
أكثرهم شاكرين ولم يقل ولا تجد أكثرهم طائعين ولا خائفين ولا راجين إلى آخره ومقصود الشيطان
الشيطان بذلك أن يكثر العباد نعم الله تعالى حتى يسلبوها وأن بنعمه الرضى
عن الله تعالى ويخرجهم من الغفلة إلى الله إلى الاضطرار لا يعنيهم فيكونون كالمجبرين
الله الشاكر عبده لتيسير الطريق وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله
عنه قرأت ليلة قل أعوذ برب الناس فقيل لي شر الوسواس الذي يدخل بينك وبين
حبيبك يذكرك أفعالك السيئة وينسيك أفعاله الحسنة ويكثر عندك ذات
الشمال ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه إلى سوء الظن
بالله ورسوله قال عز هذا الباب فقد أصمته كثير من العباد والزهاد وأهل الطاعة
عنه وأنشد أبو شيخنا أبو محمد سيدي عبد السلام بن محمد بن حسون بن عبد الله رضي الله عنه

إذا فتشت النفس يوما بحسنة • ظننت بك المولى جزاك أتقى المعنى

ألم تر أن الذنب منك محقق • وأنك في بحر المواهب مغرق

ومن فتح الله تعالى بصيرته ونور قلبه وطهر سريرته فقد تحقق بأن أعلى الأعمال
أسباب المحبة إنما هي حقيقة ثلاثة وهي ثلاثة الحسن والإحسان وعظم الشأن
وعزة السلطان أما الحسن فلا شك أن الله تعالى المتصف بجميع صفات الكمال
ونعوت الجلال إذ هو الواجب الوجود الذي ليس كمثله شيء وكل ما سواه حادث ممكن
الوجود فهو المفتقر إلى الإيجاد وجوده عين الحادثات الذي لا يخفى عن الفساد الذي لا
يعجزه شيء تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة الغني الذي يفتقر إليه كل شيء ولا
يفتقر إلى شيء وأما الإحسان فلا شك أن المنعم بجميع نعم الدنيا والآخرة وأنه
المنعم على الإطلاق والكريم كما قيل هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى
زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى
وإذا جوفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل
والشفعاء وليس ذلك إلا الله سبحانه فإذا المحسن حقا إلا الله وما بكم من نعمة
فمن الله وقد قال الشيخ أبو الحسن نحن لا نحب إلا الله فقيل له قد أبى ذلك جدك
بأبيه بقوله جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فقال نحن لا نرى محسنا إلا الله
ما أغنى سواه وفي الحديث [illegible] تبارك الله سبحانه العالم بما أنه
أنعم من خلق السماوات والأرض والعرش وأما عظم الشأن وعزة السلطان
وكمال الملك والاقتدار فلا شك أنه كل شيء تحت قهره وفي قبضته و
الكائنات كلها أثر قدرته وهو الحي الفعال المتصرف في كل شيء بما شاء ولا
ثانيا لا معقب لحكمه ولا راد لما قضيته ولا مانع لما أعطيت قل اللهم مالك الملك
فلا سلطان مثل سلطانه ولا عزة مثل عزته ولا ملك كملكه وشيخنا أبو محمد عبد السلام

قلوب أهل النهى يا رب قد فنيت • تشوقا أنك للخير مجتمع

أسباب المحبة ثلاثة

[illegible]

• كانت لقلبي أهواء مفرقة • فاستجمعت مذ رآك العين أهوائي •

• تركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا ديني ودنياي •

• فصار يحسدني من كنت أحسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي •

ومعرفة هذه الثلاث هو المعرفة ومن ضيع الكنز العظيم وهو معرفة المولى جل جلاله
وقد قيل إذا أراد الله سبحانه أن يفتح على عبده باب الولاية ألهمه ما عليه من النعم
فمن رآه يشكر لها بواطنه وكل زمان وأوان وأنه لا ينقطع عنه عادة الإحسان ولا الامتنان
على جهالته وأنه عرس إحسانه ومعدن امتنانه فهو لا شك أنه يميل إليه بالكلية
راضيا عنه بما له من حابه ذاكرا له بقلبه ولسانه مكتفيا به عما سواه وقد أنشدوا

• كانت لقلبي أهواء مفرقة • فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي •
• تركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا ديني ودنياي •
• فصار يحسدني من كنت أحسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي •

ولنرجع إلى كلام الشيخ رحمه الله فقوله الذي ابتدأ الحمد أن يكون أتى
بالابتداء بمعنى الافتتاح كما في حديث البسملة كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه ببسم الله
أو يكون كقولك ابتدأت زيدا بالكلام أو بالسلام وعلى هذا فتأتي في قوله بحمد
المعروفة المتوقعة للنعمة على الحمد وإذا قلت ابتدأت زيدا لم يتم معنى الكلام إلا بذكر
المفعول الثاني والعامل لا يتعدى إليه بنفسه بل بالباء المتعدية التي هي كالهمز
والمعنى أنه سبحانه أنعم على الإنسان بالنعم قبل أن يستحق بطاعة الأعمال وأنه
ابتدأه بالنوال قبل السؤال وإذ أنشأه من لدن رحمته ولا نعم عليه ما يستحق عنه
مقتضى الحساب على سبيل الكرم والإفضال وفي إعطاء الفضل جل إنعامه عليه
باشتمال النعم قبل استحقاقه وفي حديث الشفاء لي حوض من عيشه قد أعطيتك
من قبل أن تسألني وفي الحكم عنايته فيك لا لشيء منك وأين كنت حين واجهتك
عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك
إلا محض الإفضال وعظيم النوال وفي مناجاة الحكم أنت الباذي بالإحسان من
قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب [illegible]
أنت لنا وعطيت ما المستقرضين وقيل

• بلا عمل مني إليك اكتسبته • سوى محض فضل لا بشيء يعلل •

وتحتمل وهو الظاهر أن يكون ابتدأ بمعنى بدأ وبدأ هو الذي جاء في القرآن بمعنى الخلق
تعودون وبدأ وأبدأ وخلق وبرأ واخترع متقاربة أي تفنن أو يكون وعلى هذا الاحتمال
فالباء تحتمل أن تكون للمصاحبة ويحتمل أن تكون للإلصاق والمعنى أنه النعم متصفة به
وهذا أبلغ من المصاحبة لأن الوجود يقتضي اللزوم بخلاف المصاحبة أي أنه خلق الإنسان
النعم الملازمة له لا انفكاك فيه ويحتمل السببية أي بسبب النعم عليه كما قال الشيخ
زروق بعد ذكر احتمال السببية والمصاحبة وقد تكون صوفية بها وقد تكون
التقدير ابتدأ الإنسان بسبب نعمته حالة كونه مصحوبا بها إذ لولا النعم
الله عليه بالإيجاد لما كان وجوده ولولا مصاحبة النعمة له لا انقطع وجوده

ايجاده وقوله الانسان الظاهر ان ال فيه للاستغراق فيكون شاملا لجميع افراد
الانسان نعم الكامل ويدل عليه بانظر
الانسان وادم عليه وذريته مومنهم وكافرهم وان كانت نعم الله في الجزاء بل الذين يشعرون
للمال ايتيسون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقوله
ايدل الا بل لا يشعرون ان ذلك وبال عليهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ويدل له قوله
صم من موقعه الى ولانه لما ذكر ان الجنس كله من المشترك في النعم الدنيوية اشار
الى انه بالنسبة للنعم الدنيوية امتن على من قبل والبعض فقوله وصوره في الارحام كما في
الكلام يتصرف لما يليق به كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ولا ذكر بعض افراد الطاعة نعمه لا غيرهم وتخصيصه قوله تعالى
والمطلقات يتربصن الشامل للرجعيات والبائنات مع ان
وبعولتهن احق بردهن قوله وانما ابعد احتمال ان يكون المراد
ضمير بعولتهن انما يعود على الرجعيات فقط والله اعلم
بالانسان خصوص ادم وبضمير صوره ذريته فيكون نظير قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
الاية فهو بعيد لا داعي اليه لان الامتنان بالنعمة عام لا يختص بمن من الكلام اي خلاف
الظاهر فوجب ان يكون المراد بالانسان
العموم لكن ما انه خاص بادم عليه السلام
في الاية خصوص ادم وان كان يتراى بعضه هذا الاحتمال بان ذلك هو مثل
هذا الجنس فهو اول من امتن بالنعمة والانسان قيل مشتق من النسيان لانه نسي
شغله فيكون من انس وقيل من الانس بمعنى الانس لانه كان مستانسا
بشر لظهور بشرته خلاف غيره وقيل من النسيان كما انه عهد اليه ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسي وقوله نعمة بكسر النون بمعنى المنة جمعها نعم لكل
خير كالصحة والعافية والمال وبفتحها التنعم وبضمها السرور اعلم
ان تعقيبه جملة الحمد بهذا التابع يشير الى ان الحمد بعد الدعوى لانه لما ادعى ان
جملة الحمد لكل وصف جميل مختص بالله او مستحق للذات بما يدل على ذلك وهو انه سبحانه
هو الخالق ومعلوم ان الخلق والايجاد يتوقفان على اتصاف الموجد بصفات الكمال وبهذا
لعل انه يعقب جملة الحمد في سورة الفاتحة بالوصف برب العالمين وما بعده في غاية الحسن
والايجاز كما في شرح صغرى الصغرى وقوله وصوره في الارحام بحكمه
اشار به الى ان الله تعالى كما خلق الانسان فله ان يكون نعمة اذ هو تعالى المبدع
بتصوير في ظلمات الاحشاء كيف شاء المتولي لرعايته وحفظه في او عنايته
التي جعلها له ما يصونه ومن شان تعالى المتقن في جميع تنقلاته واصول
اي القى في ذلك على ما ذكر صورا من اشرافه وصور نطفته التي استعمل في الاصل
الى ربي نار او جنته كما اشار سبحانه الى ذلك بقوله ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين الى قوله وفي ذلك تنبيه على ان الانسان لا يستقل بالفلاح الا به و
التوكل عليه ويضمن كل التي استفاضة التوحيد وعموم منافع الله المفادي
كما اشار اليه بعضهم بقوله على لسان الحقيقة

• تركون جميلي فيكان اذ كنت نطفة • ولا تنسى تصويري لشخصك في الحشا •
• وسلم لي الامر انني اعلم بالذي • اريد احكامي وافعل ما اشاء •
• وكن واثقا بي في امورك كلها • ساكفيك منها ما تخاف وما تخشى •

وتفرع ان خميس صوره للانسان ما عرض بان ادم ميتا او عيسى عليه السلام ولا يشكل
عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب للانه ضمير خلقه لادم
وهو من باب تشبيه الغريب الذي هو الولد بلا اب بالاغرب الذي هو وجود الا
نسان بلا ام ولا اب دالا على الخالق وصوره شكله على صفة اراد ها لان التصور
جعل الشيء على صورة وصور مخصوص هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء افرايتم
ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون اي انتم تخلقونه بشرا اخرج البخاري
في تاريخه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه من طريق موسى بن علي بن رباح
عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما ولد لك قال يا رسول الله ما عسى ان
يولد لي اما غلام واما جارية قال فمن يشبه قال يا رسول الله ما عسى ان يشبه اما
اباه واما امه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولن هذا ان النطفة اذا استقرت
في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين ادم مركبا خلقه في صورة من تلك الصور
اما قرات في اي صورة ما شاء ركبك اي من اي نسل شئت وفي صحيح البخاري ان خلق احدكم
يجمع في بطن امه اربعين يوما او اربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم
يبعث اليه الملك فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ
فيه الروح وفيه ايضا من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل
الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله
ان يقضي خلقها قال اي رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب
ذلك في بطن امه والضمير المستتر في صوره لله والبارز للانسان والارحام
جمع رحم وهو هنا جلدة منكمشة تنفتح عند الجماع فيجتمع فيها ماء الرجل
وماء المراة وتنغلق فيه الولد وتطلق ايضا بمعنى القرابة قال تعالى واتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام وفي الحديث ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ
من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان
اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فهو لك ثم مقتضى كلامه
ان يكون اولا نطفة ثم علقة ثم مضغة وصورتها في الرحم ويجمع فيه او صورته في الارحام كما
في الاية هو الذي يصوركم في الارحام وقد يقال ان يقال امر ذلك الانظر للفظ
الانسان ويجمع ثانيا نظرا للمعنى او يطلق الارحام على الظلمات الثلاث
ظلمة الرحم والبطن والمشيمة كما في الاية يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد
خلق في ظلمات ثلاث والحكمة تطلق على العلم والاتقان والاصابة في القول
والشكر ويحتملها قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء واما كلام الناظم فيحتمل ان يراد به

فيه العلم من الاشياء على ما هي عليه بحيث لا يشوبه حكاية صورة علما بما يكون
عليه وسياسة المصنوع لكل شيء وقيل كونه الخ ويحتمل ان يراد به الاتقان والاحكام
فتكون اسم مصدر احكم ولا شك ان هذا الشكل الآدمي من احسن الاشكال
قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال تعالى وصوركم فاحسن
صوركم وبيان ذلك على سبيل الاشارة ان المولى سبحانه ركب بنية الانسان من اجزاء
خلقها من نطفة من ماء مهين وجعل في كل جزء من اجزائه منفعة خاصة به واودع
ما يحفظه عليه وهي العظم والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والشعر
والظفر والسمع والبصر والشم والذوق والنطق فانه كلها انما هي من هذا الماء
ولو ان جميع الخلائق ارادوا ان يسووا ذرات اشيا تكون ذاتها ماخوذة من جرم الماء
غير تراب وحجر وجير وخشب وغير ذلك لظهر عجزهم فسبحان الحكيم العليم ومن هو
على كل شيء قدير فمن ذلك ان العظم عمود البدن ولم يجعل الجسم عظما واحدا
لئلا يكون مثل الخشبة لا ينعطف ولا يتحرك ولا ينبسط وخلق المخ في العظم
في غاية الرطوبة لترطب يبس العظم فلا يتهشم وخلق العضلات والعصب وربط
بها كالحبال وخلق اللحم وغطاه على العظام ليستر به خلل الجسم كله حتى يصير
مستويا بالجملة واحدة وخلق العروق صغارا وكبارا في جميع الجسد ليجري ان
الغذاء في اركان الجسد فيأخذ الصغير من الغذاء حاجته والكبير حاجته وفي
العروق جملة ما في الانسان ثلاثمائة عرق وستون عرقا بين متحرك وساكن ووكل
الله بكل عرق جماعة من الملائكة يحفظونه فلو تحرك الساكن او سكن المتحرك لتأذى
الانسان بذلك وخلق الدم واجراه في العروق بين الاخلاط ولو كان لا يبلغ
او اكثر مما هو عليه لم يحمله ولو كان انقص مما هو عليه لم يحط بالغذاء وخلق
الجلد كسوة للحم لو غطاه لذو الثوب لك لهلك عادة وخلق الشعر وكسى به
الجلد زينة له في بعض المواضع ووقاية في بعضها وخلق الاظفار للاصابع والبر
لتشتد بها اطرافها لكثرة حركاتها والتصرف في الامور وهي كالحاشية للثوب
الثوب وليحك بها وينفع بها في موضع الحاجة وجعلها كلما قطعت نمت فتحتاج
اليه في بعض الاوقات لم تفعل كسائر الاعضاء في نيل الانسان بقطعه بالآلة
ثم انظر الى الراس وما جمع سبحانه فيه من الحواس فما نظر منفعة
العين مع صغر ناظرها وهي تحيط بالقمر وقد قيل انه قدر الدنيا ثمانين مرة
وبالشمس ومن قيل انها قدرها مائة مرة وستين وجعلها في اعلى الجسد
لتكون منفعتها اعم واتم وجعل عليها اجفانا كالاغطية تقيها
من الآفات لضعفها تنطبق بسهولة من رفعها ووضعها كلما احتاج الى
ذلك وجعل تلك الاجفان اهدابا زينة ووقاية لها من السقط والغبار
ووضع سبحانه بزاوية من العين ليمنع وصول الاذى اليها لرطوبتها وصفائها و

وجعل عظم الحاجب بارزا عليها تقيها لذلك ايضا وامدها بالماء المالح ملازم لها
يحفظها وباذنه من الدماغ تنصب اليه في عرق مجوف ارق من خيط العنكبوت
منعطفا منعوجا لتنصل الرائحة اليه على مهل بلا قوة انصباب وجعلها مع شدة
ضعفها لا تخشى حرا ولا بردا ليتمتع بها في سائر الاوقات وانظر الى
الفم وما فيه من المنافع جعل له شفتين ينطبقان عليه صونا له من الرياح
والغبار وزينة واسنانا مختلفة يتمكن ببعضها في القطع وببعضها من الطحن
عند الحاجة الى الاغذية الكثيفة ولسانا لذوق كل ماكول ومشروب وليترجم
به عن كل شيء وعينا نابعة على الدوام احلى من كل حلو واعذب من كل شيء عذب
ليحرك اللسان الغذاء الكثيف ويمزجه بذلك الماء فيعود لينا فينحدر في الحلق
بلا مؤنة ومن عجيب هذه العين انه مع عدم انقطاعها الجمت ان تتعدى وجه
منفعتها فلا تسيل الا قدرا وهذا الفم حتى تتكلم كرهه فتبارك الله احسن الخالقين
وانظر الى الانف وما فيه من منفعة الشم والى الاذن وما فيها من منفعة
السمع والنفع واذ ذاك اعمال اخبار الغيبية ولمسه وجمع في الراس انواع
المياه ماء العين مالح لانه شحمة وماء الاذن مر لئلا تدخلها الهوام لانه لا غطاء
لها وماء الفم عذب للاكل والشرب وماء الانف متناسب لها كلها وانظر
الى اليدين واطرافهما وما يحصل بهما من النفع ويدفع بهما من الضرر فهما كالجناح له
يدافعان عن الانسان وجعل فيهما الكف والاصابع بمعرفة ذات تقاطيع ينبسط ويقبضها
ويبسطها بحسب الحاجة تارة يجعلها مغرفة حاملة وتارة كالسراج للاشياء الطيبة
وتارة قاطعة للاشياء اللازجة وتارة جاذبة وتارة دافعة وتارة جامعة بين
الاطعمة المختلفة وتارة معرفة وانظر الى القدمين وقطع المعاء والعظيمة
والكبد والقلب بهما كالمركوب للانسان وانظر الى الانفاس الداخل على
القلب الهوى ويروح عليه والخارج يروح عند الهم والغم والضيق وهي
اربعة وعشرون الف نفس على ما قيل وفي كل نفس نعمتان دخوله نعمة وخروجه
نعمة ومن جهل كثير من الناس انهم لا يعرفون النعم العامة للخلق نعما فلا يشكرون على
روح الهواء والعشي من اخراج النفس وادخاله والفرح على طرح الاذى والتمكن
مما يقضي به مجرد الضروريات من غير توسع وقد نبهنا صلى الله عليه وسلم لهذا المعنى
بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها وفي رواية فعلى الدنيا العفا ثم هذا كله مما شارك فيه
الانسان غيره من الحيوان ويختص الانسان عن سائر الحيوان بالعلم والعقل والنطق وتحسين
الصور وانه ينشا صورها واخطار الموجودات في ذهنه وارتباط المسموعات في فواده ويرى
في نومه ما يكون في يومه ضحك عن سرور وبكاء عن حزن كانت ذو حيل طالب الحكمة
يخبر عن كل محسوس يعبر عن نفسه وعن جميع المخلوقات فانا للوهم واع للعالم يجمع

ما يضره وما ينفعه ثم ألهم نفسه على مغرمه ووضعه نسخة من العالم العلوي
والسفلي ولذلك يقال له العالم الأصغر فرأسه كهيئة الفلك في شكله واستدارته
واجتماع اللطائف والأنوار فيه وفيه سبعة أعضاء كأيام الجمعة وأذناه كالمشرق
والمغرب وأعضاؤه سبعة كالكواكب وفي ظهره أربع وعشرون فقرة كساعات الليل
والنهار وثمانية وعشرون مفصلا عدد منازل القمر وفي بطنه من الأمعاء عدد أيام الأفلاك
والنهار وثلاثمائة وستون عرقا عدد أيام السنة ولياليها وقوائمه كالأنهار وضلعه كالليل
وعروقه المتحركة كالفلك عدد أيام السنة وروحه من عالم الملكوت وصورته المشروح
وكتابته أربع عرض فصول السنة وضوء بصره من نور كواكب السماء وضحكه من
هو موضع العلم من اللوح المحفوظ وضوء بصره كالبرق وبكاؤه كالمطر ونفسه من الريح ومنخراه كالنجم
صولة الرعد وتبسمه من البرق وبكاؤه كالمطر ونفسه من الريح ومنخراه كالتجمر
وبارد وشعره من نبات الأرض وسواده من الليل وعظامه من الجبال ودمه من البحار
وجسمه من التراب فمن ولد في هذه العوالم المطبع منها للطاعة لتهذيب العوالم
كلها ولذلك عظمت الطاعة منا فوعدنا عليها بالثواب العظيم ومن عصى منا
عاصيا بكلها ولذلك توعدنا عليه بالعذاب الأليم ولذلك قال الحكيم أبا حفص
• أتحسب فيك العرش والكرسي • واللوح والقلوب من الشهادتين • وقال
بعضهم • دواؤك فيك ولا تشعر • وداؤك منك ولا تنظر •
• وتزعم أنك جرم صغير • وفيك انطوى العالم الأكبر •
قال بعضهم فما فيه من العجائب وأما الروح التي هي غيب عنا ما نظر
ما أودع فيه من الأوصاف المشاركة للأوصاف في التسمية من علم وقدرة وإرادة وسمع
وبصر وكلام ومن الأخلاق المحمودة والمذمومة كالرضى والغضب والكرم والبخل
والصبر والجزع والذكر والغفلة والحب والمعرفة والشوق والأصالة بالإكرام
والأغراض المتقطعة بدونه وغير ذلك من الخصوصيات قال شيخنا المحقق في شرح الهمزية
وتقطيل ذلك أن فيه من معاني الملائكة العقل والمعرفة والعبادة ومن معاني
الشياطين الإغواء والإغراء والتمرد والطغيان والفساد في الأرض ومن معاني
التشكل والتصور فيه حالة الغضب والرقاعة يكون أسدا مفترسا وفي حالة
الفاقة والمرض يكون هزالا أبدا ملتمسا وفي غلبة الشهوة يكون خنزيرا
لا يبالي أن يلقي نفسه ويرمي كل من قابله وفي حالة الحرص والشره يكون كلبا
عقورا ينبح كل من ينط به ويجرح بفعله وكلامه وفي حالة الاحتيال والخداع
يكون ذئبا وفي حالة الغضب واللين والمحبة يكون أمانا وأمينا وفي البغض يكون
عقربا وفيه من طباع الحشرات وغيرها من الحيوانات وفيه من الجنة نعمة
الصور والأخلاق الطيبة فينتفع به كل من خالطه ولقيه وفيه من النار أضداد
ذلك فيحترق به من كانت بينه وبينه أدنى ملابسة وفيه من العرش أنه محل التجلي
الأكبر والاستواء الأعظم وسعته فلك عرش الرحمن ومن اللوح أنه خزانة

[illegible] الاطلاع على ما بين الرحمن من علم القوم وأهل
صلى الله عليه وسلم ومن السماء أنه محل الأسرار والأنوار ومجمع الملائكة العظام والعلماء
والفقهاء للأمانة وبشير ملكا وغيرهم ومن الأرض أنه محل النبات الأخلاق والطباع
ولنزول أمطار الرحمة وصواعق النقمة ومنه البر والبحر ومن معاني النبات والأشجار
أنه يكون في صورة غضاض بإثمار غرائبا وفيه أخرى غثاء أحوى بأثبات السوء
ومنه كشجر الياسمين اللطافة والطيب وفيه كشجر الصبر المر والشوك وقلة المنفعة
وكالعوسج الشوك وقبح الرائحة وكالحنظل المنظر الحسن والمذاق البشيع
وكشجر العنب كثرة النفع وسهولة التناول وكالبقل والأعشاب الرقة
والنعومة ومن عجيب أمر الإنسان أنه قوي ضعيف فاد عاجز رفيع
وضيع عزيز ذليل عالم جاهل كأن الأضداد تجتمع فيه بحسب الاعتبارات المختلفة
وفيه من الجمادات الأرض والعيون والأنهار والنبات والمشاكل والمتحرك فانظر الحكمة ما
هذا الصنع الجليل فسبحان خالقه وجعل الخلق من نطفة وعلقة وهذا أن يعتبر بين
عجائب الصنع في هذا الإنسان وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فلو تتبعت
عجائب الأرض وبحارها وحيواناتها وأشجارها ونباتها ثم عجائب الملكوت في
السماوات وما بينها وعرشه وكرسيه ثم عجائب الجنة وسكانها ثم أحوال النار وعظم
زبانيتها واختلاف أنواع أعداء الله لانعطفت على ما ننتهي فيه العقول وتدهش
الجماعة من الألباب فسبحان من في العالم وأظهر ما في الكبير والوضيع والنبات وقوله
بحكمته المطابقة للدلالة حتى يوجد تفاضل مع أنه كان من هو المراد بقول بقدرته
إلا القدرة هي الصفة التي تتأتى بها الإيجاد والإعدام ولا تكون القدرة هي صفة الإرادة
أمر يتعلق ومقصود أنه القسمة علمنا أن الله سبحانه في هذا الخلوق الصنع العجيب
وكذا في الحكمة فلذلك قال بحكمته وقوله وأبرزه أي أخرجه من العدم إلى
الوجود أو من ضيق البطن إلى سعة الفضاء وعلى هذا المعنى للإنسان فقد روي في
أنه إذا جاء أجل الوضع بعث الله ملكا فقال له ازجر فيزجر الولد زجرا فيخرج
وقد نسي الميثاق وفي رواية أنه يزجر الجنين زجرة فيفزع فينقلب فيصير رأسه إلى
أسفل البطن فيسهل الله على المرأة والولد الخروج ثم يزجره زجرة أخرى فيخرج الولد
باكيا من الزجرة فينسى الميثاق نقله الصفاقسي عن الحسن بن الجهم
عن بعضهم قوله الرفقة أي الرشيد بقوله ينتفع به ومن أعوان الإنسان
منافعه قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم من أوجد من رفقاء الرضى
وإن كان مصرا على المراد به جميع الأشياء أنه يحصل له الانتفاع أي انتفاع من مطاعمه
ومشاربه وملابسه ومساكنه ومراكبه وغير ذلك من نيل ملذاته ومنافعه ومصالحه
ويحتمل أن يكون مراده بالرفق شيئا خاصا وهو ما يترفق به الولد في صغره
من الأمور التي تناسب ضعفه وعجز قدرته على القيام بمطالح نفسه وذلك كاللبن الذي هو غذاؤه

ذاك لا يستطيع خشونات المطاعم
لطيف كاف عن الطعام والشراب لان الولد اذ وكل بهما متحتم الرحمة في قلب الام وعطف وفق
ما اجراه الله سبحانه في التربيين وكل بهما تستحثه الابوة ومستحثها الانفع
اللذان سخرتهما الرحمة التي جعلها الله لهما في الطفل والرافة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه
وكانشغال الاب والام بتحصيل مصالحه والرافة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه
فان في التسوية وما هي الا رافة منه سبحانه ساقها للعبد في مظاهر الاباء والامهات
تعريفا بالمودة وحقيقة الامر ما كان الا من ربوبيته وما حضنهم الا نعمته اهو
الى على بابه لا يعني مع دليل ما بعد قوله وما بشر له من رزقه عظمت
تبسيرا وتعميم بغير تخصيص وفي قوله تنبيه على انه تعالى قد تكفل برزق
الانسان وانه مقدر مقسوم قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وقال
تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما كتب منه لكل احد لا بد ان يصل اليه
للامور من صغير وكبير وقوي وضعيف وشريف وحقير ولا يزاد له بحرص وطلب ولا ينقص
في تعاطي الاسباب كما لا ينقص له منه بتكاسله وعجزه وقعوده عن الاسباب نعم
ما ربط تقديره بسبب لا يتوصل اليه الا بذلك السبب كما تمليه بسطه في تفصيل
لو كان عن قلق او عن مغالبة • كان الذين بالرزق العشاق فيه
ولبعضهم في المعنى
يا طالب الرزق الذي ما زال مرتقيا • بين الخلائق لم تنقص ولم تزد
اتعبت نفسك فيما انت مدركه • وضاع عمرك في هم وفي نكد
لو طرت بين السما والارض مجتهدا • في شربة الماء فوق الرزق لم تزد
هون عليك فان الرزق عن قدر • يأتي ولو انه في جبهة الاسد
ومما يوضح لك امر القسمة الالهية ونفوذ الارادة الازلية حرمان كثير من الاقوياء
الاذكياء وسعة وافاضة على كثير من الضعفاء والاغبياء ليعلم ان ذلك تقدير العزيز
العليم وتدبير الملك الحكيم وفي ذلك قيل
كم من قوي قوي في تقلبه • مهذب الراي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه • كانه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على ان الاله له • في الخلق سر خفي ليس ينكشف
وللامام الشافعي رضي الله عنه
ومن الدليل على القضاء وكونه • بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
او هو الله الذي هو ... عنه ... التربية لما ذاق فقد الاحمق فان الانسان قال
ليعلم العاقل ان طلب الرزق يتيسر بالاحتيال وقيل لو ان ... من اتقى ... ما اشار اليه
فيه وقال الزهلول التوصي بانها بالطبع وقد قيل من حلوا التربيب في العمر ...
قيل انما هو ظهور فهم الفقهاء حتى يظهر ما بين العمر من سر ... جاء خلق
لك الارادة لتكون لك الارادة لا لكي تستقل منها انى ارادة كاملة لا تراجع وهي

١٠

الحق تعالى وهو شر من ... قيل لبعض العارفين بالله من اين تأكل فقال لبعض العارفين
واذا علمت ان رزقك مقسوم مضمون لك فلا تتهم سببك ولا تهتم لرزقك ولا تتعب في
السعي فيه وتدع ما هو مطلوب منك من العمل الذي تتوصل به الى سعادة الاجل فانه
موكول الى الكفيل به لك واجتهادك فيه ومراعاة شروطه واسبابه وادابه وفوائده وبذلك
جرت سنة الله في عباده قال الله عز وجل فيما كلفه من العمل وان ليس للانسان الا ما سعى
وتزودوا فان خير الزاد التقوى في ايات كثيرة وقال فيما ضمنه له وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الاية وفي
جميع فحوى هذه الاية بين الاعبادة وهو العبودية لله فيشغلهم التفكر بحول الله عن
كل ما سواه وقال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ويستفاد منه ان الرزق كالخلق
مما انفرد تعالى بالخلق والايجاد كذلك هو المنفرد بالرزق والامداد ففيه الاحتجاج
على العباد ونفي لهم ان يشهدوا رازقا غيره واحسانه من خلقه وبالجملة فشهود الرزق
من الله يورث محبته ما من ان المطعم هو الله تفرد من بين محبته تتجرد نعم الله
ويورث رجوع الهمة الى الله وقصر المحبة عليه وقال تعالى وتأمر دابته على الارض الا
على الله رزقها ويستفاد منه سعة كفالته وان شيئا لا يخرج عن طاقته ورعايته
والتوكل على الله في الرتبة وقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون الاية وفي تبيين محل الرزق
رفع لهمم الخلق والاصل هو ما سمع بعض الاعراب هذه الاية نحر ناقته وخرج
مائة الى الله وهو يقول سبحان الله رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فيهم عن الله ان مراد
بهذه الايات رفع همم عباده الى الله وان تكون رغبتهم فيه لا فيه كما قال في الاية الاخرى
وان من شيء الا عندنا خزائنه لتنقطع اليهم الى بابه ولتمتنع القلوب الى جنابه
ومعنى في السماء رزقكم انه مكتوب في اللوح المحفوظ او المراد الشيء الذي منه اصل
رزقكم وهو المطر من السماء كما قال في الاية الاخرى وجعلنا من الماء كل شيء حي قال
بعض الشيوخ ويجوز ان يكون المراد تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الرزق بالاسباب
لانه تعالى لو امسك المطر من السماء عن الارض لتعطل سبب كل ذي سبب من حارث وتاجر وضابط
وكاتب وغير ذلك فكانه يقول ليست اسبابكم هي التي رزقتكم ولكن انا الذي رزقتكم
وبيدي تسبيب اسبابكم فاشتغلوا بي فانا المنزل الذي به كانت اسبابكم وتمت لكم
وقال تعالى وأمر اهلك بالصلاة الاية قال في التنوير اي قم بخدمتنا ونحن نقوم
لك بقسمتنا وهما شيئان شيء ضمنه الله لك فلا تتهمه وشيء طلبه منك فلا
تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقلما تنبه
لمن يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان سبحانه
قد رزق اهل الجحود كيف لا يرزق اهل الشهود اذا كان سبحانه قد اجرى رزقه
على اهل الكفران كيف لا يجري رزقه على اهل الايمان فقد علمت ايها العبد ان الرزق
مضمون لك اي منه ما يقوم بأودك والاخرة مطلوبة منك اي

العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وكيف يثبت لك
عقل او بصيرة واهتمامك بما ضمن لك فتضعف عن اهتمامك بما كلفت به من امور الاخرة
حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الاخرة فليته ضمن لنا الاخرة وطلب
منا الدنيا اهـ وقال في الفتوحات كتب بعض السلف الى بعض اخوانه من اهل
الدنيا يعظه اعجب شيء عن هذا الذي تكدح فيه وتحرص عليه من امور الدنيا هل بلغت منه
ما تريد او ادركت ما تتمنى فقال لا والله فقال ارايت هذا الذي انت حريص عليه
لم تنل منه ما تريد فكيف تنال من الاخرة ومن اعرضت وصرفت عنها همك اراك تضيع
الاخرة وتاركه والى هذا اشار في الحكم بقوله اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما
طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك وفي بعض الاثار عن الله تعالى عبدي اطعني
فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك وقال ابراهيم الخواص العلم كله في كلمتين لا تتكلف
ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت ومن هذا الباب اذا اتى الانسان على ذنبه فيقول
ان الله غفور رحيم واذا سمع ان فلانا ربح بفلس كذا سعى اليه بكل ما يمكنه وارتكب
المخاطرات العظيمة من غير مبالات بما يلقاه في ذلك ويحصل له من عظيم المشقات
كما اشار اليه قول القائل

تقول مع العصيان ربي غافر • صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر • فلم لا تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من غير توبة • ولست ترجو الرزق الا بحيلة
على انه بالرزق كفل نفسه • لكل ولم يكفل لكل بجنة
فلم ترض الا السعي فيما كفيته • واهملت ما كلفته من وظيفة
تسيء به ظنا وتحسن تارة • على فرط ما يقضي الهوى في القضية

وسيأتي تتمة هذا عند قول المصنف في العبادة وفي احكامها وقد اشبع الكلام على
هذه الايات في التنوير وانما نقلنا منه النزر اليسير وقد علمت من هذه الايات دليل
ما ذكره المصنف من ان المولى سبحانه هو المتكفل برزق عباده فان قلت ان
اذا باشرت الاسباب تيسر لي الرزق وحصل لي ما احتاجه وان اعرضت عنها وتركت
ذلك لم اتوصل اليه قلت هذا صحيح في حقك وهو اشارة الى ان اقامك
الله في الاسباب وايضاح ذلك وكشف الغطاء عنه ان الله تعالى قد وصل
العبد الى الاشياء بغير كلفة ومن اوصله اليه دونه ومن اوصله الى الاشياء اخرى بعد
الكلفة فلا يصل اليه الا بعد حصول الكلفة من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين
الكلفة في انهما مقدوران فلا تنافيا وكذا التوكل مع الكسب لا منافاة بينهما
لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا تضاد مع اختلاف المحل
فليلزم الكسب اعتمادا على القدر ولا حجة فيه مع الغفلة عنه ولهذا يقولون
لا بد من الاسباب وجودا والغيبة عنها شهودا وقد علمت مما تقدم ان ارتباط

من الرزق

١٦

الرزق بالسبب ليس عقليا [illegible] ولا عاديا بل الاهل الصرح
تخلفه وقد اطرد في البله والصبيان وذي التجريد وانما هو تشريع لان الله امر بعمارة
هذه الدار عبودية وعبادة لينظر كيف يعملون وكان منهم المهتم الذي يخفو بامر
مولاه وانه الفاعل لما يشاء والحاكم بما يريد وان ما عند الله لا ينال بحيلة ولا سبب وانه
الرزاق ذو القوة المتين فلا يلاحظ ما افاته فيه من الاسباب مفتاحا الى عبودية وامتثال
واجمال في الطلب او يخبر به فلا يعتنى وفقه وعمره بطاعة مولاه ثابت القلب مطمئن
النفس واثقا بضمان الله حيث قال وامر اهلك بالصلاة الاية ومنهم المطالب الذي لا يستحضر
ذلك وغلبت عليه الغفلة والشهوة بطلب الرزق من غير وجهه واستغرق في ذلك
اوقاته مضيعا للعوائد متعرضا للمحن وكأنه لم يخلق الا لذلك قال شيخنا المحقق
في شرح الحكم وبما قررناه من ان طلب الرزق مقدور كالرزق وانه لا منافاة بين التوكل والسبب
تعلم انه لا منافاة بين كون الرزق مقسوما مقدورا وان منه ما لا يتوصل اليه الا بالسبب
واعلم ان الرزق وان كان منه لا يبشر ولا كما المولى سبحانه انعم وفقه وسببه و[illegible]
يستحقه لعبده ابدا وحكمة عجيبة تفهم من النشر في الحظ الذي عقده للتدبير في شان الرزق
فعليك به فانه مهم وفيما هو هذه كلام المصنف تعارض الى نعمتي الايجاد والامداد
وان اطرد وجود الانسان من الله واستمرار وجوده من الله فانت عبد مملوك لا تملك من
نفسك ولا لنفسك شيئا وهذه نعمة لا تختص بالانسان بل تعم سائر الموجودات قال
في الحكم نعمتان ما خلا موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد
انعم عليك اولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد وقد قال الشيخ احمد بن زروق رضي الله عنه
الحق تعالى مستمر والوجود مستمر والمادة من عين الجود فلو انقطعت المادة
لانهد الوجود اهـ فانت مفتقر اليه تعالى ابتداء ودواما اذ لولاه ما وجدت وما
استمر وجودك في مدة وجودك وكل منهما موجب عليك الاعراض عما سواه و
دوام الاقبال عليه وان تكون مع المولى بين يديه بالذل عندك والفقر مرة وبالتسليم
والرضى مرة سيما عند ورود الاسباب المذكرة لك بالفاقة التي هي الضعف والاحتياج
والذلة والمسكنة والعجز والضعف وعلى قدر تحققك بفاقتك يكون التجاؤك
الى الله وانتصارك بالله واعتمادك على الله وحده يمدك ويعينك وينصرك فشهود
الفاقة ينتج الغنى بالله وهو الغنى الحقيقي الذي لا غنى بعده وشهود الغنا بغير
الله ينتج الفاقة الى النفس والخلق ويصير اعتمادك على نفسك ونظرك اليها
فيتكل اليها وعند ذلك تفتضح اسرارك وتظهر عوارك وهذه هي الفاقة الحقيقية
التي لا فاقة بعدها وحاصل الامر المستخلص لفاقته هو به والغافل عنه
بنفسه ومن كان بالله فهو غني ومن كان بنفسه فلا غنى عنده وبقدر تحققك بفاقتك
يكون تحققك بفاقة الخلائق لانهم امثالك فما وجب لك وجب لهم وبقدر تحققك
بفاقتهم تستوحش منهم ولا ينبغي لك حاجة عندهم اذ لا معنى لاعتمادك على العاجز

وبعد ان استعمل شيئا منهم يكون انسك بالله تعالى مشهودا لهاتفه فتح ابواب الا
كما انه فتح ابواب الغنى بالله قال شيخنا في قوله في الحكم حيثما اوقفك وقتا تنشهد
فيه فاقتك فرحه البر وهو عندك ورحم الله القائل في الغنى بالله

• تبارك الله وسبحانه • من جعل الله عزاك القفير •
• من ذا الذي نال منه فاقة • وقد عز الله العلي الكبير •

وانظر قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ثم ان كل ما ذكره العلماء من جملة الارزاق
ولولا ذلك لهان على المرء ما يخشى من رزقه بل هو افضل ما رزقه الانسان لانه به يتوكل
والمعرفة بالله وصالحه عصمته وبه يتوسل الى عبادته التي هي عنوان رضوانه ومحبته
للعبد لان الله اذا احب عبدا استعمله كما في الحديث عصمه المصطفى على ما تفرع عطف
خاص على عام اشارة الى مزية هذا العبد من الرزق فقال **وعلمه ما لم يكن يعلم**
ومزية العلم وفضيلته مما لا يحتاج الى اقامة الدليل قال الحسن رضي الله عنه لولا
العلم لكان الناس مثل البهائم اي بالعلم خرج من حد البهيمية الى حد الانسانية وقد
امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم في قوله وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى
ازواجه في قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وعلى المومنين في قوله
لقد من الله على المومنين الاية وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون هل يستوي الاعمى
والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك مما ورد في العلماء
والمتعلمين في قوله وقد فنيوا عن [illegible] وشمل كلام الشيخ العلوم الضرورية
والنظرية في قوله ما لم يكن يعلم الذي من العلوم الضرورية اولا ثم النظرية ثانيا ثم
العلوم النظرية يتوقف بعضها على بعض كما ان الضرورية تتوقف عليها النظرية الى
ان تتوصل بذلك لمعرفة من اثمر واهتدى به جميع مصالحه الدنيوية والاخروية
التي اعظمها معرفة خالقه وما يجب له من الكمالات فالعلم بجميع انواعه منة
ونعمة من الله لعبده فلا ينبغي له ان يزهو بعلمه وان بلغ فيه ما بلغ كما انه
لا ينبغي له ان يحتقر شيئا مما علمه الله اذ كثير من اشياء الخ ذلك وكان الشيخ
رحمه الله نبه على قوت الاشباح الذي هو قدر مشترك بين سائر الحيوانات
على القوت الحقيقي الذي هو قوت الارواح وهو المعارف والعلوم التي امتاز بها
الانسان عن غيره من سائر انواع الحيوان ولذلك كان السعي في تحصيل علوم تكميل
النفس وتهذيبها من النقائص من اسباب الفلاح وهو الفوز بكل خير كما قال
تعالى قد افلح من زكاها وفي هذا اشار القائل

• يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته • وتطلب الربح مما فيه خسران •
• عليك بالنفس فاستكمل فضائلها • فانت بالنفس لا بالجسم انسان •

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بقول القائل

• نهارك يا مغرور سهو وغفلة • وليلك نوم والردى لك لازم •

يغرك

17

• يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى • كما غر باللذات في النوم حالم •
• وشغلك فيما سوف تكره غبه • كذلك في الدنيا تعيش البهائم •

وقد سال رجل سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقال
انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل سالناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر
قال انما سالناك عن طعمة الجسم فقال ما لك وللجسم دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت
عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها اه
ثم لما ذكر المص رحمه الله جملة من النعم وكان تتبع النعم واحصاؤها غير ممكن كما قال تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اتى بعبارة جامعة فقال **وكان فضل الله عليه
عظيما** ثم هذا امر واضح وضوح الشمس ودلت عليه الادلة من الكتاب والسنة
فان جميع الكائنات مسخرة وخادمة للانسان قال تعالى وسخر لكم ما في السماوات وما في
الارض جميعا منه فهذه الحيوانات العجم على جفاوتها وغلظتها وقوتها وشدة شكيمتها خلقها
الله تعالى ورزقها من اجل الانسان وذللها له ومكنه منها وملكها له حتى يركبها
ويحمل عليها وياكل منها من غير قدرة منه عليها ولو شاء تعالى لعكس قال تعالى اولم يروا انا
خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون الى يشكرون وقال والانعام خلقها لكم فيها
دفء الى وما لا تعلمون والى هذا اشار سيدي عبد الوارث في قصيدته على الحقيقة

• فما سوفكم مخلوق او هو تحتكم • عبيد لكم سخرتهم فتسخروا •

قال ابن العربي سمعت بعض العلماء يقول لا توضع اللقمة في الفم حتى توضع على ايدي ثلاث مائة
وستين ملكا فالاكوان كلها عبيد مسخرة لك ومخلوقة من اجلك اما انتفاعا كما في الايات المنتفع
واما اعتبارا كما اشار اليه تعالى بقوله الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن الى لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير فالسماوات والارض مخلوقة من اجل ان تعلم ايها الانسان كمال قدرة خالقها واحاطة علمه
جميعها وقال في الايات الاولى اشارة الى الاقوات الحسية وفي هذه الاية وتلك التي بعدها اشارة
الى الاقوات المعنوية التي هي غذاء الارواح وبالجملة اذا تاملت رايت ان الانسان هو
الكون معنى ومعنى ان السماء تظل والارض تقل والسحاب تكنف والحيوانات تنفع
والجمادات تروع وانت في وسط الجميع جوهرة تطوى عليك اطراف مكوناته واما معنى
فانت عبد الحضرة والاكوان كلها عبيد مسخرة لانه لا تقابله سواك ولا ينظر الى غيرك قال
تعالى ولقد كرمنا بني آدم الاية قال ابو الحسن في الاية سخر لهم الكون وما فيه لئلا يكون لهم
تسخير لشيء ويتعبدوا الى عبادته ثم قال الغزالي رحمه الله في الروض المعنون مما اشتهر
من الحكايات عن بعضهم وهو العباس احمد بن يحيى بن عبد المنان انه عرض له الشيطان
فيما بين ما بين ومكث فيه نحو سنة فقال

• اضغث السلاح في بحره • ولم تغتك ذوات الخلاخ •
• هذا وقد نشبتم الحجة • فكيف لو خلقتم بالفلاح •

فاجابه عبد المنان واحسن

بالعقل منّ وفضّلنا ربنا • وسخّر الفلك لنا والبرّ لج
الحوت والطير وطال الثنا • فما علينا فيهم من حرج

مما اكرم الله به الانسان وميزه به عن غيره من الحيوان العقل فالعقل [illegible] والعقل افضل ما منّ الله به على عباده فانه سبحانه لما شرّك جميع الموجودات في نعمتي الايجاد و الامداد كما منّ عليهم من مولده وحنّه وسعته كل شيء • اراد ان يميز بعضهم عن بعض ليظهر نعمة تعلقات ارادته واتساع مشيئته فميز بعض الموجودات بالنمو كالنبات وسائر الحيوان فظهرت الفرقة فيه ظهورا اجلى من ظهورها فيما لا ينمو من الكائنات ولما اشترك النبات في النمو مع سائر الحيوانات امدّ الحيوانات بوجود الحياة فظهرت الفرقة فيه ظهورا اجلى من ظهورها في النباتات فاراد ان يميز الآدمي عن سائر الحيوانات فاعطاه العقل فعظمت مزيته على الحيوان وكمل به نعمته على الانسان وبالعقل وفوره ونوره واشراقه وظهوره تتم مصالح الدنيا والآخرة انتهى ببعض اختصار ويكفي في فضل الانسان وشرفه انه سبحانه امر ملائكته المكرمين بالسجود لآدم تعظيما له واكراما وطرد اللعين عن الرحمة لما لم يسجد له ولم يترك فيما قيل موضع قدم الا سجد لله تعالى فيه حيث تكبر عن ذلك كما اخبر تبارك سبحانه في غير ما آية ومن فضله وشرفه ان الله سبحانه جعل الآدمي خليفته في ارضه مسخرا له الاملاك [illegible] مما اهبطه من الجنة الا لفظ [illegible] وكذا ترى الآدمي يحكم بعقله ان [illegible] شيء ما في الاشياء بالاحتيال حتى كانه يقول للشيء كن فيكون ومن فضله ان جعله [illegible] وتصرّف منه امور غريبة وصنائع عجيبة يتعجب منها ومن فضله عليه هذا اللسان الفصيح الذي يعبر به عما في الضمير ويتلو به كلام ربه المولى القدير هذا بعض ما كرمه الله به في الدنيا واما ما اعدّه له في الجنة فيكفي في ذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد [illegible] رضي الله عنه في شرح الحكم ما نصه وناهيك به شرفا لنعيمه الباقي بانه الكريم وهو الحمد الذي لا يموت جاء في التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا انه يرسل الله الملك اليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن لك والا فارجع فيستاذن عليه مرارا فيعبر حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله تعالى مكتوب على عنوانه من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد فيه مكتوب عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جنّتي بالنداء فيقول نعم فيركب النداء فيقلع الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى النداء انت بطالب بسلطان الشفاء انتهى والمقصود من هذا كله تعريفك جلالتك ورفعة قدرك عند سيدك واذا انت من جلالة هذا المحل فيجب بك ان يكون اكرمك مولاك بهذه الكرامات واهلك للموقوف ببابه والاشتغال بتحصيل مرضاته ومحبتك من حبائه وذكره ونجاه كتابه وانت من لا يصير قراءه وكبراه تتعلق همتك بغيره وان ترضى لنفسك بالدناءة وكل شيء من الدنيا دنيء فلا تبع نفيسك بها وقد قال المحقق الحنفية رضي الله عنه

١٨

ليس لا بدانكم قيمة الا الجنة فلا تبيعوها الا بها •
فمن شكوى الامر لو وهبت له • فارضا بنفسك ان تجمع مع الهمل •
وكيف يجمل بالانسان ان يترك ما لا غنى له عنه ويختار ما لا بقاء له معه وفي الحكم العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له منه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولذا كان سيدي عبد الوارث

ممن راح ما يبقى بما هو للفنا • فذاك به حمق وقلبه اعور

وقال صلى الله عليه وسلم للضحاك ما طعامك قال اللحم واللبن يا رسول الله قال ثم يعود الى ماذا قال الى ما قد عرفت يا رسول الله قال فان الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وفي الحديث لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى وقد قيل [illegible] همتك حتى لا ترضى بدون سيدك بدلا فانه لم يرض لك ان يلقيك بشيء لك الا نفسه ولا يغني غيره والا نعم سواه الا بحبه حتى بقيت ان انه يرضيك فانه الحسير اولى او احب الجميل الذي لا يعلو بغيره الا خسيس الهمة قليل الفهم وفي التوراة يقول الله تعالى انا ما خلقت لك شيئا الا تحبه فحق عليك كن محبا لي اذ خلقت الاشياء من اجلك وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عما انت له ومصداق ذلك من القرآن العظيم ما تقدم من الآيات الدالة على تسخير الكائنات ومن قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية وفي الحكم ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا الذي [illegible] عبد الوارث

فيا ويح من تم عيش عيشكم • ويلني عن المولى الذي هو اكرم • •

ما انظر سحرة فرعون لما استنارت قلوبهم واستضاءت بصائرهم وعرفوا الحق الذي علمه لم يعقلوا اباء ما توعدهم به من عذاب من التقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل وقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ثم قالوا والله خير وابقى فقوله رحمه الله ونبهه

بنا آثار صنعته

هذا من اعظم نعم الله على الانسان وهو انه تعالى نبهه الى النظر بآثار صنعته على الوحدانية واوصاف ربوبيته فجعل له هذه المخلوقات دالة على كمال قدرته على كل شيء واحاطة علمه بكل شيء ونفوذ ارادته في كل شيء ومن تفكر في كل ذرة من ذرات الوجود دلت على ذلك فالوجود مملوء بادلة ربوبيته وشواهد الوهيته فلا يقع بصر على شيء من الاشياء كائنا ما كان الا وهو يشهد بالله تعالى ويدل على صفات كماله ويظهرها ويكشف عنها ولذلك كان له كمال الظهور وفي كلام الشيخ الشاذلي المولى جل جلاله ما حجب خلقه في هذه الدار الى روية تعالى بابصارهم لما اقتضته حكمته من الترتيب على الاطلاق لا يكون الترتيب على الاطلاق فما انعم به عليهم ستر ابصارهم فانه سبحانه نصب لهم من الدلائل والآيات ما ينقطعون به الى معرفته وما يجب له من الصفات كعلمه بانهم اذا عرفوا اسماءه اليهم وفعل الجميل بهم تشوقوا الى النظر اليه بابصارهم ولا يصبرون عنه فلطف بعباده عن النظر بالبصر برؤية الآثار الدالة على صفات كماله ويكشف عنها ولله در القائل • •

وقائلة ماذا الغرام بهم وقد • حموا حسنهم صونا بادنية الستر •

فقلت دعني واشتغل بجيمه • فان حيوا عني فما حيوا او كرج •
وفي العلم امرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته
علم منه انك لا تصبر عنه ما شهدك فان من شهد ابتداء البصيرة ولا شك ان من فتح الله
بصيرته ونظر في هذه المكونات باد جعل الكون كله بين عينيه من العرش الى الفرش نم طال
بفكره فيه جملة وتفصيلا وقلبه ظهرا لبطن وبانه يعلم ان من النظم العجيب والاسلوب الغريب
لا يستغني عن طابع يصنعه ومدبر يدبره ومالك يحكمه ويقدره وفي الحقيقة كل ذلك
طريق نوصل الى الصانع وتنادي بلسان الحال او المقال معترفا بالطابع الجليل
في اثره ومصنوعه والاثار تعرف بالمؤثر والصنعة تشهد بالصانع فما الوجود كله مخلوق
باجلة ربوبيته وشواهد وحدانيته وعظيم قدرته ومما يرشدك الى ذلك تغير الاحوال
قانه تعالى تارة يحيي الارض وتارة يقبضها وتارة يحيي الخلق وتارة يغنيه وصور الكبير
الاشجار وصور الصغير وحالة بين الرياح وحالة يمسكها وزمنا اشتد الحر وزمانا
يتبع البرد الى غير ذلك من عجائب افعاله واما ظاهره فما يستطيع احد احصاؤه وهذا في
خصوص نفسه فضلا عن غيره اذ ما من نفس تبرية الا وله فيك فنون بعضها
• فتحير من صور الجمال العجيب • وعبر الى منهج فصيح ذاك
• فتحير من ما الوجود ادلة • لبلوح ما اخفى بما انعم الله
وتذكر هنا ما نقلناه من كلام العصر فيما قول الم الذي ينتقل الانتقال بعظمته واعلم
ان النظر المكتسبة لا يفيد الصواب لا يكون الا على طريقة المتكلم لا المطلوب اعلم معرفة
الله بأي وجه كان وعلى ذلك كان السلف الصالح رضي الله عنهم الى ان ظهرت البدع وفي قيل
لطبيب بم عرفت ربك فقال بالاهليلج يجفف الحلق ويلين البطن وقيل لابن بم عرفت
ربك فقال بنحلة في اصرمي في عنق وفي الاخر لسع وعسل بعلو لسع واسال الكر
يعي عن دليل الطابع فقال ورقة الفرصاد تاكله دودة القز فيخرج منه الا بريسم والنحل
فيكون منها العسل والظبا فيكون في نوافجها المسك والشاة فيكون منها البعر
فامنوا كلهم وكانوا سبعة عشر وقيل لاعرابي بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير
والروث يدل على الحمير واثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات ابراج وبحار ذات
امواج اما يدل ذلك على العليم القدير بعضهم نظر الامور على عقله في الالة حيفه لا تكون
هذه المخلوقات العظيمة دالة على خالقها •
• فمن يستدل بظاهر على باطن • حيث الدخان يكون موقد نار
وتشعر ذلك انظر من تحرك عن امورك المهمة انها هم في طرفك مع تضييعك
وفوتك عن مدلك فقد قيل لبعضهم بما ذا عرفت الله قال بنقض العزائم ونسوق الاختيار
الى حبائل المقدور وقال في الحكم ذل بوجود اثاره على وجود اسمائه وبوجود اسمائه
على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه اهـ
قال الشيخ زروق في شرحه والاثار ما يبدو في الخلق من نتائج الاعمال كالراحة لفقد

من الغرائب والعجائب لعقول والكرم والاخرى الى غير ذلك مما يدل على وجود الاسماء والاسماء
هي تفاصيل معاني الصفات والصفات انها ترجع معاني الاسماء اذا رجع والمنتقم انما يشهد
اثرها بوجود القدرة والارادة على وجود العلم وكذلك اسمه الضار والنافع والمعطي والمانع
والملك وغير ذلك فهي دالة للفاعل بها كما ان الاوصاف دالة على الذات من حيث ان الصفة لا تقوم
بنفسها وفيتظهر في اهل العزة كونه معزا ومن ضربت عليهم الذلة والمسكنة كونه مذلا وفي
الاحياء معنى اسمه المحيي وعن سلب الارواح معنى اسمه المميت وعن العطاء معنى اسمه
المعطي وعن المنع معنى اسمه المانع وعن افاضة الفضل معنى اسمه الكريم وعن اجابة
الدعاء معنى اسمه المجيب وعن تسليط الضار وطلب المنافع معنى اسمه الضار النافع الى
غير ذلك وللاشتغال بالنظر في الاكوان توصل الى معرفة المكون جاء الحث على النظر فيها في
نحو من سبعمائة اية ولما نزل قوله تعالى ان في خلق السماوات والارض الاية
قال عليه الصلاة والسلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ونعى على التاركين للتفكر والوعيد يقتضي
الوجوب من الايات قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل الاية وقوله اولم ينظروا في ملكوت السماوات
والارض وقوله الذي خلق سبع سماوات الاية وقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم الاية وقوله
تعالى في البقرة ان في خلق السماوات والارض الاية وقوله قل انظروا ماذا في السماوات والارض وغير ذلك من
العبر ماذا انظرت الى السماء وارتفاعها على الارض كانها خيمة عظيمة فيها سراج منير يضيء بالنهار
على اهل الغبراء وسرج كبيرة وصغيرة تضيء بالليل على اهلها وتاملت في عظمتها وعلو سمكها
واستوائها على المشارق والمغارب وفي حصول جميع المخلوقات في جوفها وسواء شيئهم وجميع
ما يحتاجون اليه من حيوان ونحو وغير ذلك علمت يقينا انها ما تكون الا عن حكيم وكذا اذا انظرت
في عجائب الارض وما فيها من بر وبحر وما في كل منهما من الحيوانات التي لا يحيط بعلمها الا الله عز وجل
على ان نظر الانسان في نفسه كاف قال تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا
في القصري الى شيء يخرجك عن التقليد بعون الله ان تنظر الى اقرب الاشياء اليك وذلك
نفسك فتعلم بالضرورة انك لم تكن ثم كنت فتعلم ان لك موجدا اوجدك لاستحالة ان توجد
نفسك والا لما كان الله قد مر بما هو اهون عليك من نفسك وعموم ذات غيرك سماء وانوارك
في الامكان انتهى كلامه ولا نظرك فان تعالى اني خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون اورايتم ما تمنون انتم
تخلقونه ام نحن الخالقون افرايتم النار التي تورون فقال بعض العلماء ان الدليل وكذا الدليل من
خارج فتعظم الى المعارج والطلب الحق من ذاتك لذاتك تجد الحق اقرب اليك من ذاتك
امورها بوضع لك انه تعالى اقرب اليك من ذاتك الى ذاتك وكذلك سائر الذوات محل التصرف وانه
ظرف للافعال فهو يقلبك من حال الى حال وينقلك من طور الى طور لا تخلو عن تقلبها في وقت
من الاوقات ولا تنفك عن فعله في لحظة من اللحظات ثم من نفس تبريه الا وله فيك
فنون بعضها يقبض ويبسط ويغني ويفقر ويعز ويذل ويعلي ويعزل ويمنع ويعطي
ويصبر ويعفو ويشبع ويجوع ويروي ويظمئ ويمرض ويشفي ويحركك ويسكنك الى
غير ذلك مما لا يحصى ولا تنفك عنه المخلوق ومن يفعل بك هذا وتستغرق

ولا تعزب عن علمه ولا تغيب عن سمعه وبصره وما عين
تضر وما تم الافكار غيبته ولا تتصور غفلته بل لا تعزب عن علمه عين عمله دون ما قال في الحكم
ايقظ الذين شواهد كونه تعالى رقيبا عليك مع استغاضتها عن عمله في الاصلح بحكمته جملة
عميت عين لا تراك عليها رقيبا ومن تقدم عن قول المصنف وصوره في الاكوان وكذلك جميع اجناس الكائنات وانواعها
ما فيه من عجائب خلق الانسان وانه نسخة من الاكوان وكذلك من انواع الحكم واللطائف وبيوت مغلقة على ضروب العلوم
واصنافه والقطع او عينه مملوءة بانواع الحكم واللطائف لحكمته ولا غاية لعجائبه
وصنوف المعارف وكيف لا وهي صنع العليم الحكيم الذي لا نهاية لحكمته ولا غاية لعجائب
قدرته ونقدم قول الصحابي لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الطير ليقلب في السماء جناحيه
منه علما ما ذا انتهى العمر وانقضى الا شهر يشتغل او يرى بما بين الترع الايقظ فيه من الاشياء
من حيث وان الا بل من حيث انطوى بالمصنوعية ما ذا وقع بصره على شيء تذكر انه مصنوع
الى النعم الوفات به الصنعة من غير التزول معالجة فيه عطائل مرتبة على هيئات ضمنها حلو
ثم انه تحرك وتسكن وتمشي وتحمل الاثقال وتتكلم وتفهم الى غير ذلك من شانه فما ذا انقطع المتدع
عنه طارت جماد او زالت عنه تلك الاحوال كلها وفرق فرق عن هذا امتشهد الطالع بصنع
مع الذين يشهدون الله قبل الاشياء ثم اعلم ان وان كان النظر في ؤ اهم المخلوقات من طلاب
المعرفة بالغائب تعالى الا على قدر ما يتسع نظر العبد في هذه المكونات فمن ما عطل لدين
المعرفة والتعظيم لخالقها المتصرف فيها والهيبة لديه والحياء منه ولما ذكر الخليل انزل على
عظمة الملك وابهم هاهنا قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض وقوله
مجمل الذي اسرى بعبده الاية وقوله لنريه من اياتنا الكبرى ونحو ما يدل الاشارة والاكلام على
الايات وما زاد به نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء حين اسري به الى ما لا نهاية
اليه اصر صفوة الله تعالى الى بحضرته راسه وقلبه وكلمه وتردد اليه واوصى الله بعدم
الصون والشوق في قلبه من علمه المكنون وتعرف ما حصل له في ذلك من التجليات وما جمع له من
انواع المكرمات صلى الله عليه وعلى اله صلاة لا نفود في حدها الا عائد المخلوقات فقدها بين من شعة
وبين من رآ وصدق بين من راى السلطانة على نعم ومن خلص قدمه من رد الجنة كان اتقى
لها من رد النار كان اشد من اربه وابهم هاهنا قول الله تبارك وتعالى للملائكة
بالتمسون جلوا الذكر كيف لو رأوا الجنة كيف لو رأوا النار تنبيه
فالى عالطابعة المنير واعلم ان الا دلة انما نصبت لمن يطلب الحق للحكم شهيد ما العاقل
غني بوضوح الشهود عن ان يحتاج الى دليل وان كان من الكائنات ما هو غني بوضوحه
عن افتقاره الى دليل ما يكون اولى بغناه عن الدليل عنه ام قال في الحكم ما كيف
يستدل عليه بما هو مفتقر في وجوده اليه متى غاب حتى يحتاج الى دليل عليه ومتى بعد
حتى تكون الاثار هي التي توصل اليه انظره لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون هو
له كيف يعرف المعارف من به عرفت المعارف ام كيف يتوسل اليه من تتوسل بعين وهو الذي
جعل الوجود به واول يكفيك بربك انه على كل شيء شهيد او وغيره في مثل هذا الحكم وقال
ابو الحسن انك لتستطل الى الله بسبب الايمان والايقان ما اغنانا بذلك عن ما فاته ابي الابل

اهو

اهو لولك والله اعلم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
ثم اعلم ان النظر في الكون جهات من نظر فيه من جهة انه لم يكن ثم كان حظ على مقام
الايمان لان العقل لا يدرك من فاعل ومن نظر فيه من جهة نسبته الى الله والنسبة حكمه فيه
وان جميعه ممتثل من الغيرة اللاهية واعلم الله وقدرته وارادته وحكمته محيطة بكل ذرة من
ذراته وان الانسان من جملة هذا الكون واستحضر كيف هو واقف بين يدي الله تعالى وقدرته
وارادته وعلمه وسمعه وبصره محيطة به ظاهرا وباطنا في كل وقت حظ على مقام الاحسان
لانه يكتسب بهذا النظر معرفة جلال الله وعظمته وانتفاع ملكه وجبروته ورعاية فيقف
ببابه ويراقبه في جميع احواله ومن نظر فيه من جهة ما يؤول اليه امر هذا الكون وما يكون بعد
من الدار من ثواب وعقاب واي شيء حلوا الله هذا الخلق حظ على مقام الاستعداد بالتفكر في
الموت وسرعة حلوله وفيه يراه الانسان بعد من كل الاعمال ونقصوا الاحوال وقصر
الامال وعطل الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة ويرى الانسان ان السعي في تحصيل الدنيا
الحرص عليها سعي بالاطل وتضييع لنفيس العمر من غير طائل وقد قال المصنف باب جمل من الفوائد
والفكر في امر الموت مفتاح العبادة اذ كل شيء مصيره الى الزوال لغيره وطالع الاعمال في
قصر على توقع وذكر الموت وتوقع نزوله بغتة النظر في موت الاقارب والاصحاب والجيران والاخوان
وتقاهر المعاصي والحياة وتذكر الايات والحكم والمواعظ الواردة في شان الموت وسرعة انقلاب
الدنيا باهلها قد قال تعالى يقول انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة الاية وقال كل نفس ذائقة
الموت الى الغرور وقال ما لنا من صغير ولا كبير الاية وقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو الاية وقال
الاستاذ ابو بكر الطرطوشي اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للاخرة بقدر مقامك فيها
واستحي من الله بقدر قربه منك واطعه بقدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه
بقدر صبرك على النار اليه وقال ابو علي التنوخي في قصيدة له رثى بها بعض اولاد الملوك

حكم المنية في البرية جار	ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا	امسى يخبر من الاخبار
يتسفك كدر وانت تريدها	صفوا من الاقذار والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها	متطلب في الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما	تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة	والمرء بينهما خيال سار

ومما اشتهر من الحكايات ان سليمان بن عبد الملك لما حضرت الجمعة لبس احسن ثيابه
ومس الطيب ونظر في المرآة فاعجبته نفسه وقال انا الملك الشاب وخرج الى
الجمعة وقال لجارية في الدار كيف ترين فقالت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى	غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب	عابه الناس غير انك فان

فما رجع لمنزله بعد الجمعة الا محموما ورحاله تخطان الارض فسال الجارية عما قالت فقالت

ما رأيتك وما قلت لك شيئا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون نعيت إلي نفسي فعهد عهدك
وأوصى وصيته فلم تأت عليه الجمعة الأخرى إلا وهو في قبره ومن قصيدة للشيخ إسماعيل
المقري اليمني مؤلف الروض في التحذير من الركون إلى الدنيا والتوثق بها

أقبان بياقي تشتري به سفاهة وتمكنا بضواه ونار الجنة
كلفت بها دنيا كثير غرورها ... تعاملنا في نصحها بالخديعة
إذا أقبلت ولت وإن هي أحسنت ... أساءت وإن صفت فشوب بالكدورة
ولو نلت منها ما أفارون لم تنل ... سوى لقمة في فيك وخرقة
وهبك بلغت الملك فيها ألم تكن ... لتنزع منه من فيك أيام المنية
فعيشك فيها ألف عام وتنقضي ... كعيشك فيها بعض يوم وليلة

وفيما كتب به علي كرم الله وجهه لسلمان رضي الله عنه إنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصه عنها إلى مكروه اهـ وسماه بهذا المعنى تهنئة وتسلية عن قول المصنف وإن الشفاعة ثابتة لا ريب فيها وقول المص حمدا لله ونبهه إلى عظم نص على مولده ومنه الشامل له ولغيره من العلوم عطفا خاص على عام وإنما خصه بالذكر لشرف هذا العلم على غيره من سائر العلوم لأن مرجعه إلى معرفة الله تعالى وما يجب له من على الصفات وشرف كل علم بحسب متعلقه ومن علمت أنه تحط به المقامات الثلاث التي هي علماء الدين والشهادة للألفاظ تقول نبهت الغافل أو الغافل أو الجاهل إذا أيقظته من سنة النوم أو الغفلة أو الجهل والمقصود هنا هو الثالث بمعنى ونبهه أيقظه من سنة الجهل إلى آخره من ظلمة الجهل إلى نور العلم وهذا لا يفعله إلا بمجموع أمرين أحدهما العقل الذي ركبه سبحانه في الإنسان والثاني ما نصبه من هذه الدلائل التي توصله إلى معرفة خالقه وصرف المص الأمر الأول المحل به شيء أن التنبيه يتوقف على منبه بكسر الباء ومنبه بفتحها ومنبه به وهذه الثلاثة مذكورة في المص ويتوقف أيضا على منبه عليه وصرح المص العلم به من السياق وهو معرفة الله والوحدانية والربوبية كما سبق وقوله بآثار الآثار ما ينشأ عن الشيء قال تعالى فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها والمراد رحمة الله المطر وقوله صنعته يحتمل أن يكون المراد بالصنعة المصنوع كما هو المتبادر الكثير فتكون اللام للاختصاص بالنسبة إلى الآثار التي هي مصنوعاته ويحتمل أن يكون المراد بالصنعة المعنى المصدري بمعنى الصنع أي الفعل فيكون من إضافة أحد المتقاربين للآخر وإن شئت قلت من إضافة المسبب إلى السبب لأن الآثار الظاهرة من فعله فقوله رحمه الله **واعتبار النعم** مع ابتداء من أكمل النعم وأعمها وأنفعها وهي نعمة بعث الله رسله ورحمته بهم الخلق دنيا و

وأخرى وذلك أنه تعالى بعد أن تعرف لعباده بما نصب لهم من الآيات التي تدل على ربانيته وتاهم فقد زند لم يقتصر على ذلك بل كمل تعالى رحمته عليهم ببعث رسله إليهم ليعرفوهم بالله ويدلوهم عليه ويدعوهم إليه وينقذوهم من عذابه ويبلغوهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفوهم بما لا يعلمونه من صفته وجلاله وعظيم نواله ويبشروهم وينذروهم وينقذوهم مما كانوا فيه من الجهالات والعمايات والضلالات وقد كانوا يعبدون غير الله تعالى من الأصنام وغيرها من الجمادات مما هو مخلوق مثلهم ولم يخلقهم ولم يرزقهم ويضيعون نعمته إلى غيره ويعتقدون في صفته ما لا يجوز عليه ويسبون البنات ويكشفون العورات ويحرمون ما لم يحرمه الله عليهم وغير ذلك من الأمور الشنيعة والأحوال البشيعة والأحوال الفضيعة وهذا يسير بالنسبة إلى جهالات العرب التي لا مدخل فيها عقل ولا من جنس الشرع في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام الآيات وبيان ذلك أن الجاهل بمنزلة الأعمى ما دام لم يجد من يقوده في طريقه هلك وقد يكون من يسلك الطريق بالأمارات والعلامات ومن يسلكه مع الخبير به ما أشد الحاجة إلى الرسل وقد امتن الله سبحانه على المؤمنين بذلك في غير ما آية قال الله تعالى لقد من الله على المؤمنين الآية وقال إنا كنا مرسلين رحمة من ربك وقال سبحانه إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية وقال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام هل نالك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخاف العاقبة فأمنت لأن الله تعالى أثنى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين الأمين واعلم أن النذارة نعمة عظيمة على الخلق كالبشارة لأن من بالغ في نصحك وعرفك وخوفك من ارتكاب ما يسوءك عاقبته فقد أعظم عليك المنة وذلك كرجل أعمى وقد أشرف على السقوط في بئر أو نار فأعلمته بذلك فحذرته وأخذت بيده وقدته إلى طريق النجاة وقد جعل الله سبحانه التحذير من النار نعمة بقوله ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد وبهذا النهي يقع الغضب في قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين مع ما علم من أنه صلى الله عليه وسلم بشير لمن آمن ونذير لمن كفر وقد كان صلى الله عليه وسلم معتنيا بإرشادهم حريصا على هداهم حتى قيل له لعلك باخع نفسك أن يحرص على هداهم الآية وانتظارا بوجوده بين أظهرهم سبب في عدم تعجيل عقوبتهم وأمانا من المثلات التي كانت تنزل بغيرهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وبذلك نعم الخاص والعام ذكره قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد قوله يرسل عليكما شواظ من نار الخ مع أن الآلاء هي النعم فيتجه على غير المتأمل وجه ذكرها بعد ما ليس بنعمة في الظاهر والإشكال أن الله سبحانه قد امتن بنعمة بعثته إلى سائر الخلائق مما لا يأتي عليه الحصر وقد جعل الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر وبذلك نعم عظيم من لقد عظم ربه سبحانه وجزيل ثوابه وكرامته عليه لا يقدر أحد الأمم وقد أحسن الأبوصيري صلى الله عليه وسلم الخلوص للا يفي غرمهم الأ الله

والمسوه في سبيل الله النشاعة ... فاقعد ولا أفرد النبي محمد

فالبد شرح صغرى الصغرى فببركة بعثة البشير وطلوع طلعته البهية
السعيدة على اهل الارض انكشفت عنهم ظلمات الجهالات التي عمت وانتشرت وتمكنت
غاية التمكن في جميع الاديان والقلوب وتشعشعت انوار الايمان بالله ورسله وكتبه
وملائكته واخرجت لهم ذخائر المعارف الربانية ونفائس الحكم والعلوم وحلوا غوامض
الاسرار التي خبئت لهم في خزائن الغيوب حتى كثرت منهم في كل جيل الاقطاب والاوتاد
والنقباء والاخيار والابدال وعمت الارض سهلها وجبلها برها وبحرها بانوار هير
الموالي والنجع بشكره وذكره وحمده على كل حال وانتشرت امته صلى الله عليه وسلم وكثرت
ازمنتها التي هي اوقات الفترة وحفظ الله سبحانه عليهم الايمان مع اختلاف الدهور
وانتشار البحور وبعد العهد بين مشاهدة اهل الغي والشر والاستغفار وزيني سبحانه
انوار نعم الغشوية والغيبية دنيا واخرى حتى كادوا المعرفة منهم بالعيان يكونوا انبياء
واكثر سبحانه عددهم كثرة عظيمة تخرج عن الحصر حتى جعلهم بفضله ثلثي جميع من
يدخل الجنة من الشهداء والاتقياء وقد ورد ان صفوف اهل الجنة مائة وعشرون صفا
ثمانون صفا منها من هذه الامة ولعلهم وان كانوا ثلثي اهل الجنة يكون لهم من الجنة ونعيمها
اكثر من الثلثين كثلاثة ارباع او تسعة اعشار او نحو ذلك لما علم من تخصيص المولى لهم
بكرامة تضعيف الثواب والعمل والزمان والمكان والحال وبالجملة لا ينال نعيم
من الجنة الا اليسير بمكانه انما خلقت من اجلهم ولهم ابو باخطار وقد قال العز رحمه الله
من ان هذه الامة خصوصية على غيرها من الامم والله تعالى اعلم وقد قال الشيخ ابو العباس
المرسي رضي الله عنه في قوله عليه الصلاة والسلام انا رحمة مهداة: الانبياء كلهم
عطية ونبينا لنا هدية والعطية للمحتاجين والهدية للمحبين اهـ ومعنى اعتذر
اليه قطع عذره لمبالغته تعالى في نصحه ووصيته على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام
المسلسلة الى الفترة عذرت البداية بالغت في العقوبة اليه والعطية اهـ وقالت
العرب من انذر فقد اعذر وفي تفسير النصر رحمه الله لقوله اعذر اليه تقسيم على انه سبحانه
ندبهم الى مصالح العباد طرق النجاة والسعادة غاية الايضاح وبين لهم بفضله
جميع اسباب الخير والفلاح حتى لم يبق لهم علي حجة بعد لا اعتبار عليها كما قال تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقال تعالى
قد تبين الرشد من الغي وقال تعالى وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
اي ضمن الحق واستقلال وليختر كل احد لنفسه ما شاء وقال تعالى فمنهم من امن وعبارته
بعلوم في هذه الاية شاهد على انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ العباد جميع ما امر بتبليغهم
فقد بر الله ذمته بمنزلة الاية بعد ان تحمل بها بقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك فقد بالغ سبحانه في الاعذار حتى انقطع بالبشارة والنذارة وبيان
الحجة كل اعتذار ولم يبق لاحد حجة على الله اذا اهلك عليه لكفره او عصيانه
بالنار ولذلك قال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل

ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وقال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل اي فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
ونكون من المومنين علم ان الحجة انما هي لله على كل حال قل فلله الحجة البالغة اذ لا حق
لاحد عليه كيفما فعل او حكم ولو شاء تعالى لكلف العباد بما لا يطيقونه ولو شاء ما
بعث اليهم رسولا ولو شاء لعذب جميع خلقه ولا يكون لاحد عليه حجة لان الجميع خلقه
وملكه وعبيده وللمالك ان يتصرف في ملكه كيف يشاء كما قال عيسى عليه السلام ان تعذبهم
فانهم عبادك اي ملك السيد عليهم ولذلك قال تعالى قل من يملك عليكم من الله شيئا الاية ولان
الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير اذنه او التصرف على خلاف الامر ولا امر يتوجه اليه
تعالى من قبل غيره ولكنه سبحانه بمحض فضله اجرى احكام المعاد على نهج احكامه الدنيوية
بين العباد فلم يتجمل على احد الحكم بالنار الا بعد الانذار الذي يقطع كل اعتذار كما قال تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما ان القاضي لا يحكم على احد يحق الا بعد الاعذار اليه
وقطع حجته قال في المختصر واعذر بابقيت لك حجة وبانه ان شاء اسعر الكلام
على اهل الفترة في فوات الفصل لعدم بعث الرسل اليهم لا فائدة الحجة عليهم وقوله على
السنة المرسلين يحتمل وهو الظاهر ان المراد بالالسنة الجوارح وهي الات الكلام
ويحتمل اللغات كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقد قيل ان
الرسل كلهم من العجم الا خمسة شعيب وهود وصالح واسماعيل والنبي صلى الله عليه
وسلم ورمز لهم بهذا اللفظ شهص وقيل ستة بزيادة ادم حكاه ابن العربي في
شرح الاربعين والعجم منهم سريانيون ومنهم عبرانيون والسريانيون خمسة ادريس وشيث
ونوح ولوط وابراهيم عليهم الصلاة والسلام وعلى هذا فالانبياء كلهم من بني اسرائيل الا عشرة
وقد اخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال كانت الانبياء وفي رواية كل الانبياء من بني اسرائيل
الا عشرة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب و
محمد صلى الله عليه وسلم والالسنة جمع قلة وهو في محله ان قلنا المراد انواع اللسان
لا الاجرام وهي العربية والعبرانية والسريانية فان الرسل وان كثروا لكنهم باعتبار اللغات
نهم منحصرون في تلك الانواع الثلاثة وان قلنا انه اراد بالالسنة الجوارح فيكون
الكلام فيه استعمل جمع القلة استعمال جمع الكثرة سواء قلنا انهما مشتركان في القلة
دون النهاية وهو قول المحققين او قلنا بافتراقهما فيهما لما ورد ان عدد الانبياء مائة
الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية خمسة عشر
وقيل اربعة عشر وقال شيخ الحجي في شرح الشفاء وروي انهم مائتا الف واربعة
وعشرون الفا الاكثر قال الحلبي شريف لم افق على رواية مائتي الف في شيء من كتب الحديث وقال
الكلاوي الحنبلي في تفسير سورة غافر روي ان الله تعالى بعث ثمانية الاف نبي اربعة الاف
من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس اهـ ولعله صلى الله عليه وسلم اعني بهذا الاختلاف
انه على ما اخبر به في الحديث الصحيح وانكر قوله واربعة الاف من سائر الناس مع ما تقرر

الرسل كلهم عجم الا خمسة

في حصر اسماء كل الانبياء من بني اسرائيل الخ وقال المحققون الاولى ان لا يقتصر على عدد في
التسمية فقد قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يوقف عند حد في
العدد ان يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو منهم ان ذكر عدد اقل من عددهم
بل نؤمن بما علم منهم تفصيلا على سبيل التعيين وبما لم يعلم على سبيل الاجمال فقال الله فهو نبي
والوصف الى جميع المرسلين كان في الثناء اولو العزم لما في الخبر واثباته ومن نصهم
القرآن في قوله محمد ابراهيم موسى كليمه فنوح وعيسى هم اولو العزم فاعرف
• وداود ايوب ويعقوب يوسف • واسحاق ذو صبر على الذبح قد كفى •
وفي قوله ان الذبيح هو اسحاق نظر لانه وان كان قولا قويا فهو غير صحيح فقد قال المنوفي في
شرح الجامع ما نصه قال ابن القيم الصواب ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام والقول
بانه اسحاق باطل باكثر من عشرين وجها وقال ابن تيمية هو انما يتلقى من اهل الكتاب
وهو باطل بنص كتابهم وقال بعض المعاصرين واحسن ما قاله الثناء وغيره هنا
مستنبط له من كلام ابن عمر في مائة وضبع مستنبط لما فيه من التنصيص على ان الاستغراق
والاستغراق في جانب الانبياء الكرام وفي شرح ابن الفرنسي انه احفظ تعيين
العزم بعد ان ذكر القول بان اولي العزم ستة قال واقول كل الرسل اولو العزم
ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وحزم وكمال عقل ومن على هذا بيان الجنس ويتبت
للتبعيض اي وبعضه من النسبة في قوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فانهم ذلك في
قلت ومن يقال مراده ان هؤلاء الرسل بلغوا في هذا المعنى بلغا لم يبلغه غيرهم
من الرسل وان كان جميعهم من اولي العزم والصبر لانهم متفاوتون تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض والله اعلم والرسول انسان اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه وهو اخص
من النبي فانه يختص بالعيب فقط فكل رسول نبي ولا عكس كذا في الشفاء وغيره
هنا وقال ابن الشاط في تفسيره ان الرسول اعم من النبي لان الرسول يصدق على الملك
ولا يصدق عليه النبي والنبي اعم من الرسول من الرسول والنبي كل واحد منهما اعم
من وجه واخص من وجه اي وهذا وقع هذا الخلاف باعتبار ان المقام لم يقع به الا عن
وهو البشر والله اعلم قاله الشيخ عبد الرحمن الفاسي وقوله • ثم الخيرة من
خلقه الخيرة بكسر الخاء مع فتح الياء وسكونها اسم مصدر اختار وصفا به المرسلين
كالوصف بالمصدر وقد يجمع رجل عدل وهو اسم مصدر اعطى كما في الصحاح وغيره
فيه الخلاف الذي في الوصف بالمصدر كما في قولك رجل عدل فيكون على حذف مضاف
على قول البصريين او موولا بالمشتق ابن المختار على قول الكوفيين او لا تاويل ولا
حذف بل على جعل العين نفس المعنى مبالغة مجازا او ادعاء ويصح ان يضبط خيرة
بفتح الخاء والياء جمع خير على غير قياس كجمع بر والقياس فعل وفعله
وشاع نحو كامل وكملة وقوله من خلقه العلوي مصدر بمعنى اسم المفعول اي
مخلوقاته كقوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ثم هو على عمومه ان قلنا ان الانبياء افضل

من الملائكة وهو مذهب جمهور اهل السنة ويدل له قوله تعالى ان الله اصطفى آدم الى العالمين
ومما استدل به على القول المقابل انه قد اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبياء
ولا ذاك لتقدمهم في الشرف وان رتبة مجموعه كما في الشعراء ذلك لتقدمهم في الوجود او لان
وجودهم اخفى فالايمان بهم اقوى وبالتقديم اولى وهو عام اريد به الخصوص ان قلنا بان الملا
ئكة افضل وهو قول المعتزلة وقال به بعض اهل السنة وتبع القاضي حدث الشيخ ابو العباس
قال كنت بمجاية بمجلس الامام ناصر الدين المشدالي ايام قراءتي عليه وقد اعاض طلبة مجلسه
في تربيته على الملائكة افضل من الانبياء فقلت ان قلنا الملائكة افضل لانهم امرهم بالسجود لادم
قال فجعل الطلبة ينظر بعضهم الى بعض حتى قال لي بعضهم اشتريه باشياء كانه يقول استصغر
الحكاية يبدو لهم مثل راسك وكانت على راسه ... وكل منهم حفظه نحو من خمس وعشرين وقال
الامام ناصر الدين الهم ما لهم يقولون لك الحق وكانت لغته ان يقول ابني فقال فقلت انهم
ان امر الله للملائكة بالسجود لادم امر ابتلاء واختبار فقالوا نعم فقلت احسنتم الغير يتفضل
سبحانه فيتواضع فقالوا الاجابة ذلك من شان العبد فقال وهو من شان من شيء تواضع
سجد بالسجود الغير فقلت وكذا الملائكة لو امرت بالسجود للافضل منهم لكان بمنزلة تعبد
لا الامر بالسجود لغير فقال وكذا اذا التفصيل حجة ابن عمر والذي اختاره كثير من العلماء الوقف
في هذه المسالة لتعارض الادلة فيها والقطع بافضلية العزيز مثل ... ولا يعول بالكلية
وتعمد بما رواه عن عبد الله وقد كانه سئل عن ذلك في مجلسه فاخذ نعله وخرج وقال
فضل الله يوتيه من يشاء والمسالة ابداها الشيخ موسى على ان جماعة من حملة بعض الطلبة ابتداء
من بلاد عقائدهم من باب ما ينفع علمه ولا يضر جهله وصرح السبكي بانه علمية اعتقادية
مطلوب فيها القطع ثم هذا الخلاف انما هو في غير نبينا صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة
وقد انعقد الاجماع على ان الله تعالى لم يخلق مثل النبي صلى الله عليه وسلم فهو اشرف المخلوقات
وافضلها على الاطلاق نقله الفخر والابي ومدامه في الكشاف خرق للاجماع قال المقري

• وانعقد الاجماع ان المصطفى • افضل خلق الله والخلف انتفى •
• وما انتحى الكشاف في التكوير • خلاف اجماع ذوي التنوير •

ثم المعروف ان من الواقعة بعد التفضيل للابتداء مجازا او للابتداء ويحتمل ان تكون هنا
بمعنى على النظر العربية معنى المقطر اي المقطر على خلقه ونظيره قوله تعالى ونصرناه من
القوم اي عليهم واما ما قيل من انها هنا للتبعيض او لبيان الجنس فغير معروف وقوله
فهدى من وفقه بفضله واضل من خذله بعدله لما اخبر ان الله تعالى بين عباده بالانذار
وارسل اليهم رسلا للاعذار اخبر انهم انقسموا بعد ذلك الى قسمين منهم من وفقه وهداه فما
اهتدى ومنهم من خذله واضله فضل وان هدايته من اهتدى فضل من الله عليه وفي الحديث
ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ذلك
النور ضل والفضل اعطاء الشيء بغير عوض وليس في ذلك الالية وان ضلال من ضل عدل
من الله فيه والعدل تصرف المالك في ملكه او ما للفاعل ان يفعله من غير حجر عليه في الصحاح

القادر الذي لا يميل به الهوى فيجعل ما لا يجوز ولا شك انه لا يجب على الله تعالى في شيء كيف
يفعل او يحكم لانه سبحانه المالك لجميع الاشياء اسعد من شاء لا بوسيلة سبقت واشقى
من شاء لا بجريرة تقدمت لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويظهر ذلك في الشاهد ولله المثل
الاعلى بصير واحد يصنع منه طائفة اواني للعسل والتمر والزيت والحبر واواني للعذرات والبول
وغير ذلك ونقطة واحدة من المداد يكتب الكاتب بها اسماء الله تعالى واسماء رسله عليهم
الصلاة والسلام مع عموم القرآن وغيرها افترى ما على ذلك من يلوم على فعله او يعترض في ترتيبه
وسيأتي هذا المعنى في قوله يضل من يشاء فيخذله بعدله الخ قال تعالى من يشإ الله يضلله الاية
واما قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا الخ ففي
باب الطاعة الشرعية من نسبة الاشياء الحسنة الى الله ونسبة الخسيسة الخبيثة الى غيره
كالشيطان تعليما للادب مع الله تعالى اذ لا فاعل الا الله ثم الهداية تطلق على معنيين
احدهما الارشاد والبيان ومنه قوله تعالى انا هديناه السبيل وقوله وانك لتهدي الى صراط
مستقيم اي تدعو وقوله ولكل قوم هاد وهي بهذا المعنى تعم كل مؤمن وكافر قال تعالى
والله يدعو الى دار السلام اي كل احد الثاني خلق الاهتداء في القلب وهذه خاصة
بالمومن وهي المرادة بقوله ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقوله ولو شاء الله لهدى
الناس جميعا فلو شاء لهداكم اجمعين وقوله بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان الخ فقد
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لانه قد بين الطريق ودعا
الى الاهتداء وهو من فعل الله وكذلك نفاها الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي
من يشاء والى هذا المعنى الثاني اشار في المراصد بقوله

هدى الاله لنا ايجاده ... الايمان فينا انه قد مراده

وضده الاضلال والاغواء ... والختم والطبع معا سواء

وهذا المعنى الثاني هو المتعين في كلام المص والمعنى الاول هو نصب الادلة وبث
الايات صنعته وقوله واعز [illegible] الصفة المرسلين وعلى هذا فيحمل قوله من وفقه على معنى
من اراد توفيقه اي من سبق ذلك له في ام الكتاب ونظيره وكم من قرية اهلكناها
اي اردنا اهلاكها فمعنى هدى من وفقه خلق الاهتداء اي الايمان في قلب من سبق
في ازله الاهتداء وحملنا على معنى الارادة ليحصل التغاير بينهما وهذا اولى مما تكلفه
من حمل الهداية في كلام المص على معنى البيان والارشاد فقط [illegible]
تخصيص المص المومن به بان المومن لما انتفع بالهداية [illegible] وما الضال
الضال كل بعد او ابطاعات معنى قوله واضل من خذله بعدله خلق الضلال اي الزيغ
في قلب من اراد خذلانه في ازله فيناسب ان يكون معنى هدى خلق الاهتداء ويحتمل
ان يكون معنى هدى من وفقه اراد هدايته من خلق في قلبه التوفيق ومعنى
اضل من خذله اراد اضلال من خلق في قلبه الخذلان والله اعلم وفي قوله بعدله

اشارة

فصل على مناظرة الاشعري مع الجبائي

اشارة الى انه تعالى لا يجب عليه شيء وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيه رد على اهل الزيغ
والضلال القائلين بانه يجب عليه تعالى رعاية الصلاح والاصلح تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
وبطلان مذهبهم في غاية الوضوح وقد حكى الفخر وسعد الدين وغيرهما مناظرة حصلت بين
وهو ابو علي الجبائي من المعتزلة قال له الشيخ ابو الحسن الاشعري يوما ما تقول في ثلاثة اخوة
مات احدهم مطيعا والثاني عاصيا والثالث صغيرا فقال ان الاول يثاب بالجنة والثاني
يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب فقال الاشعري فان قال الثالث يا رب لم امتني صغيرا
وما ابقيتني الى ان اكبر واومن بك واطيعك فادخل الجنة فقال يقول الرب تعالى اني اعلم
منك انك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الاصلح لك ان تموت صغيرا فقال الاشعري
فان قال الثاني يا رب لم لم تمتني صغيرا لئلا اعصي فلا ادخل النار فماذا يقول الرب تعالى
فبهت الجبائي وقال انك مجنون فقال لا بل وقف حمار الشيخ في العقبة انتهى
بلفظ سعد الدين في شرح العقائد وفي قوله ايضا بفضله اشارة الى ان نعمه تعالى
على عبده انما هي محض تفضل لا يتوقف على استحقاق بالاعمال ولا على طلب وسؤال وقد تقدم
ذلك في قوله اخرج الانسان بنعمته وفي قوله بعدله اشارة الى انه تعالى عدل في احكامه
وان الظلم عليه مستحيل وقد تقدم ذلك وفيما ذكر المص تعليم محبة الطاعات وان الايمان
وكراهية الكفر والفسوق والعصيان ليس بحول العبد وقوته انما ذلك بمحض فضله
وسابق ارادته ومشيئته واياك ان تعتمد في ذلك على علمك وعقلك او تركن الى
قوتك وحولك فتكون ممن جحد نعمة الايمان وبدل شكرها بالكفران فلو قلب قلوبنا
عن التوحيد كما قلب جوارح صاحب الذنوب ولو قلب قلوبنا عن التوحيد والانصاف كما قلب
نياتنا في الاعمال اي شيء كنا نصنع وعلى اي شيء كنا نعول ومن فكر في صنوف الضلال
وكثرة الاراء وطرق الجهال ثم نظر في ضعف ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور
وشدة جهله تحقق ان ليس ثم الا كرم مفضله وسابغ نعمته وطوله ولولا فضل
الله عليكم ورحمته الاية واذا علمت انه سبحانه اكرمك بكرامة الايمان وكره اليك الكفر
والفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة وخصك بهذه المنة من بين كثير من امثالك
عناية منه بك ورحمة وجب عليك ان تقدرها حق قدرها وان تقوم لله بواجبها شكرا
فانها النعمة الكبرى والمنة العظمى فان نعمة الايمان هي اصل جميع النعم التي لا
حصر لها ولا نهاية فان النعم لا تبلغ الشيء من السلامة والنجاة من اهوال القبر والفتنة
والعذاب والصراط والميزان والنار والكرب والنعم والغضب الاية وما يصل الى
نوع من انواع الثواب الابدية كنعيم القبر من اتساعه والانس [illegible] وفتح
باب الى الجنة للدخول روحه عليها وكنعيم القيامة من الاستظلال بظل العرش والجلوس
على المنابر والدخول تحت لواء الحمد والشرب من الحوض واعطاء الكتاب باليمين وثقل
الميزان وسرعة المرور على الصراط وحصول الشفاعة [illegible] والشفاعة فيه لغيره
وشفاعة الشافعين له والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم والحظوة عنده والنعيم

العنى

الجنة من الحور والقصور وانواع الملابس والمآكل والمشارب الى غير ذلك مما لا تسع
الزمان والعيض لمقاصد ما الايمان هو الكنز الذي لا نفاد له وهو الغنى الذي لا فقر معه وقد
سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام فقال انك تحمد الله على نعمة
عظيمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول العبد الحمد لله
الذي انعم علينا وهدانا للاسلام وقال ابراهيم الخليل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقال
يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين ولو لم يكن من فضله الا النجاة من العذاب
الاليم ومن اهوال القيامة وشدائدها حتى انه بحيث يصرخ فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي
لا املك اليوم الا نفسي وانه لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو كما قال كعب
الاحبار لكان ذلك كافيا كيف وهو بفضل الله الموجب للنعيم الابدي والنظر الى وجه الله الكريم
والفوز العظيم الذي لا يكيف وكيف يكيف وربنا سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين اعترت العبادة الطالبين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

سبحان من لو سجدنا بالعيون له • على شبا الشوك والمحمي من الابر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته • ولا العشير ولا عشرا من العشر

قوله ويسر المؤمنين لليسرى الظاهر ان هذا وما بعده اشارة الى بيان حال الموقنين
وتفسير صفاتهم وشرح احوالهم الا انه ذكر من الاوصاف ما يشترك فيه جميع المؤمنين
وما يختص به الكمل منهم ثم يحتمل ان يكون المراد باليسرى نفس الجنة كما هو اظهر احتمالي
في قوله تعالى فاما من اعطى واتقى الاية وعليه فمعنى تيسيرهم للجنة تاهيلهم لها وتيسير
اسبابهم الموطئة لها عليهم بفضل الله ويحتمل ان المراد الشريعة السمحة الحنيفية السهلة
من قولهم شيء يسير قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وهو احد احتمالات الاية
وعليه فيحتمل ان معنى تيسيرهم لها ما اشار اليه في الاحتمال الاول والمعنى انه تعالى جعل
المؤمنين محبين للطاعة مؤهلين لها فاجراها على ايديهم وحببها اليهم وزينها في قلوبهم
حتى صارت احب شيء اليهم كما قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الاية ويحكى
عن ابي سليمان الداراني رضي الله عنه انه قال لو خيرت بين ركعتين ودخول الجنة
لاخترت الركعتين وقال صلى الله عليه وسلم ارحنا بها يا بلال وقال وجعلت قرة عيني
في الصلاة ويحتمل ان المراد يسرها وخفف عليهم فعل الطاعات ويناسب
هذا الاحتمال ما في بعض النسخ ويسر للمؤمنين اليسرى والتفريج وهون الطاعات للموفقين
اعلى وفي شرح الحكم للعارف بالله سيدي محمد بن عباد نفعنا الله به يقال من علامة
التوفيق ثلاث دخول اعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصي ١٥
عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجاء والافتقار الى الله تعالى في كل الاحوال
ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعي فيها ودخول
المعاصي عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجاء الى الله تعالى وترك الدعاء في
الاحوال اهـ وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول

الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل راكب فلما دنا منا ورآه اجتمعنا اناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا واسهرت
ليلي واظمأت نهاري وانضيت راحلتي لاسالك عن خصلتين اسهرتاني فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم من انت قال انا زيد الخيل قال بل انت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئل عنها قال
جئت اسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف
اصبحت يا زيد فقال اصبحت احب الخير واهله ومن يعمل به واذا فاتني حننت اليه
واذا عملت عملا قل او كثر ايقنت بثوابه فقال هي هي بعينها يا زيد ولو اراد لك الاخرى
هيأك لها قال ابن حبيب ثم ولى ولم يلبث ان هلك قوله وشرح صدورهم للذكرى
هو كعطف المسبب على السبب والله اعلم ومعنى شرح صدورهم نورها بنور الايمان واليقين
والذكرى الموعظة والاعتبار وهذا الشرح هو المشار اليه بقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه والمقابل في الاية محذوف وهو كمن قسا قلبه بدليل فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله وبقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الاية وعلامة انشراح الصدر
وتنويره بنور الايمان واليقين ان تتراءى له حقائق الامور على ما هي عليه فيعرف ان ما قاله الله
كما قال الله وما قاله رسول الله كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى الحق حقا والباطل
باطلا فيحق عنده الحق ويبطل عنده الباطل ويتبين عنده اصدق من الاخبار فيتخلى عن الباطل
ويقبل على الحق والاخرة حق والدنيا باطل فلا يشتغل بالدنيا لما عرف من فنائها وتعاقب فتنها
لقاؤها عن دوام منفعتها ولا يترك الاخرة لما ان الاخرة يدوم نعيمها ويتابد نفعها ولا ينقطع
سرورها وامثال استبدال الباقي بالفاني والكثير بالقليل من عمى البصيرة وانطماس السريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل
لذلك من علامة يعرف بها فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزول الموت وذلك بان تكون الهمة مصروفة للعمل للاخرة لان الانسان عند حصول
ذلك النور تموت شهواته وتنزعه دواعي نفسه فلا تامره بسوء ولا تكون له همة الا
المسارعة الى الخيرات لاستشعاره ما عنده من طول الاجل وفوات طلب العمل وهذا النور
انما هو محض موهبة من الله تعالى ويقوى وينمو بمخالطة اهل اليقين وسماع اقوالهم وهو
العلم الحقيقي المشار اليه بقول الامام مالك رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما
العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب وهو المشار اليه بقوله في الحكم لو اشرق نور اليقين
لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها
والى هذا المعنى الاشارة بحديث حارثة ومعاذ رضي الله عنهما انظرهما في شرح هذه الحكمة
لابن عباد رضي الله عنه قوله فآمنوا بالله بالسنتهم ناطقين وقلوبهم مخلصين
وبما اتاهم به رسله وكتبه عاملين عطفه بالفاء اشارة الى ان ما بعدها مسبب عما
قبله وهو شرح صدورهم اي فبسبب ان الله شرح صدورهم ونور قلوبهم حصل لهم الايمان
الكامل فامنوا مخلصين بقلوبهم ناطقين بالسنتهم عاملين بجوارحهم وقدم المجرور على متعلقه

لتنقيح القواطع انتهى هي حلية الكلام ومن جمع الله هنا بين ثلاثة امور الاخلاص
بالقلب والنطق باللسان اي النطق بالشهادتين وبعض ثم كان فان الاعتقاد والاعمال
بالجوارح اما الاول فلا نفاق على ان الايمان لا يكفي بدونه والثاني فالصحيح انه
شرط في الايمان وقيل شطر واما الثالث فهو شرط كمال فقط وقد قال المص فيما
ياتي ولا نكفر احدا بذنب من اهل القبلة وسياتي الكلام على هذه المسئلة ان شاء الله وقوله
المص من ذلك الايمان بالقلب والنطق باللسان الخ وكما لا بد من الاخلاص في الايمان لا بد
منه في الاعمال ايضا فاما الاخلاص في الايمان فهو من مواطاة القلب للسان وهو عدم الشك والتردد
والنفاق فالمراد بالاخلاص في كلام المص التصديق بالقلب واما الاخلاص في الاعمال فهو على ثلاثة
اقسام لان اخلاص كل احد في اعماله على حسب مقامه وحاله الاول اخلاص الابرار وهو ان
يكون الباعث على العمل طلب ما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن الثناء
وخوف ما اوعد به المخلصين من اليم العقاب وسوء الحساب الثاني اخلاص المحبين وهو
ان يكون الباعث على العمل اجلال الله وتعظيمه ومحبته والحياء منه لا انه تعالى اهل
لذلك ولو لم تكن نار ولا جنة كما قيل لو لم تكن نار ولا جنة ولا وعيد ولا موعد الم
يكن حقا على العبد ان يشكر بالطاعة من اوجده الثالث اخلاص العارفين وهو ان
يكون الباعث على العمل ما تقدم في القسم الثاني لاكن مع الفناء عن رؤية النفس والعمل
بها وشهودهم ان الله تعالى يحركهم ويسكنهم فهم لا يرون انفسهم عملا ولا يغيبون
عن هذا القسم بسر الاخلاص فان في الجملة الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص
فيها ويعبر عنه بالصدق في الاخلاص وصاحبه مسلوك به سبيل التوحيد والتفريق
فهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين اي لا نستعين الا بك لا بانفسنا و
حولنا وقوتنا واما القسمان الاولان فمن التحقق بمعنى قولك اياك نعبد اي لا نعبد
الا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك والله اعلم وقد قال بعض المشايخ صحح عملك
بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة وهذا المعنى الثالث هو المراد
في قول من قال ان الاخلاص سر بين العبد وربه لا يطلع به ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده
ولا النفس فتعجب به وقد قال القشيري معناه انقطاع العبد الى الله والرجوع
اليه من فعله قال القونوي انه اذا كمل انقطاع العبد الى الله وفناؤه عن فعله صير
فعله كلا فعل فكانه لم يفعل شيئا فلا الملك يكتبه ولا العدو يفسده ولا النفس تعجب
به اي على سبيل التشبيه والتقدير لان التقدير اعطاء الموجود حكم المعدوم او بالعكس
واكثر ما يقع في كلام هذه الطائفة من الاشارات محمول على هذا النوع من الاستعارات
ومن حملها على ظواهرها اشكلت عليه معانيها فما اساء الظن بهم اهـ واعلم ان عمل
العاملين رجاء الثواب او خوف العقاب عمل صحيح مقبول وهو اخلاص عامة المؤمنين
خلافا لمن قال انه معلول عند العارفين والمحققين لانه ينبغي للعبد ان يعبد الله تعالى ويعرفه
لانه تعالى غني عن خلقه كريم في حقه وفضله عظيم وهو اكرم من ان يحتاج الى علة

في فعله قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله فليس كرمك مخصوصا بمن اطاعك الخ وهو تعالى
اهل لان يطاع ولو لم تكن جنة ولا نار قال في الحكم من عبد الله لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته
ورود العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه وفي الحديث لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف
عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال عليه السلام نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه وقال الشيخ ابو عمرو رضي الله عنه شتان بين من همته الحور والقصور
وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور وقد صرح جماعة من ائمتنا بعدم وغيرهم بانهم ما
عبدوا الله خوفا من ناره ولا طمعا في جنته بل محبة له وشوقا اليه منهم رابعة العدوية رضي الله
عنها وابو حازم المدني ومعروف الكرخي وقد نقل كلامهم ابو عبد الله سيدي محمد بن عباد في شرح
الحكم العطائية والمراد بذلك انهم يعملون لله لا لشيء ولا يطلبون من الله الا الشيء وقد بسط
ذلك الشيخ زروق في احد شروحه على الحكم فانظره قوله وتعلموا ما علمهم هذا ايضا
وما بعده من نتائج شرح صدور المومنين فكانه يقول بسبب شرح صدورهم وتنوير قلوبهم
بنور الايمان واليقين امنوا ايمان الطائفة في التوحيد وكانوا من العلماء العاملين فتعلموا
وعملوا بما علموا وعطف على ما قبله وهو قوله فقالوا امنوا الخ مع انه من جملة ما يشمله عموم
قوله وبالاخلاص به كتبه ورسله عاملين من عطف الخاص على العام اهتماما به وتنبيها على
شرفه لانه تضمن الحض على تعلم العلم وتعليمه وهذا المعطوف مع ما بعده كالتفسير لما
قبله وفيه اشارة الى ان من شان المومنين مع اخلاصهم ان يكونوا على بصيرة في امور دينهم
وذلك بتعليم جميع ما يكون به الاعتقادات والعبادات والمعاملات على الوجه الصحيح
وانما يحصل العلم بالتعلم من اخذ العلم عن اهله وقد قال لقمان لابنه يا بني خالط العلماء وزاحمهم
بركبتيك فان الله تعالى يحيي بهم القلوب الميتة كما يحيي الارض بوابل المطر وفي البخاري من
حديث ابي واقد الليثي قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد والناس معه
اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد فوقفا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فراى فرجة في الحلقة فجلس فيها واما الاخر
فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فاواه الله واما الاخر فاستحيا فاستحيا الله
منه واما الاخر فاعرض فاعرض الله عنه وقد قسم العلماء العلوم المطلوبة الى
ثلاثة اقسام منها ما هو فرض عين وهو علم المكلف بما لا يتاتى له تادية ما وجب
عليه الا به وهو علم العقيدة في حق الله تعالى وفي حق الرسل عليهم الصلاة والسلام و
كيفية الوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة لمن وجبت عليه والحج لمن كان مستطيعا
وكذا البيع والقراض والشركة والاجارة ونحوها لمن يتعاطى شيئا من ذلك لقوله صلى الله عليه
وسلم لا يحل لامرئ ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه وقد حكى الغزالي والشافعي
الاجماع على ذلك ونقله القرافي لا خلاف في تعيينه في غير العبادات ان تعلم الحكم بوجه اجمالي
يريد به من الجمال باصل حكمه على قدر وسعه ولا يجب عليه تتبع المسائل الا عند النازلة

ومنها ما هو فرض كفاية وهو ما عدا ذلك من مقاصد العلوم الشرعية ووسائلها
والمقاصد ستة أصول الدين وأصول الفقه والفقه والحديث والتفسير والتصوف
الا انه اختلف فيه هل هو فرض عين او كفاية فقال الغزالي ومعرفة امراض القلوب واسبابها
وعلاجها فرض عين الى ان قال الغزالي فالانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيجب عليه
ان يتعلم فيما يخلصه من مصائب ... ومكايد الشيطان وامراض القلب واما ... فذلك على
الوجه الاكمل يحتاج لطب اطباء القلوب رضي الله عنهم الذين سلكوا الطريق وجربوا ذلك
في انفسهم ومما يؤيده قول الامام مالك رضي الله عنه من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق
ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق وقول ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنه من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر وقال
غيره ان رزق الانسان قلبا سليما من الامراض الباطنة ... لا كمال
... قال ... في شرح قوله في الحكم العطاء ... الخشية ... ملك
والاصطلاح ما معناه من ادعى انه على حال للرب عليه فيه حكم يحتاج الى تعرفه
والقيام به فهو مخدوع ومراد به ذلك والعلم به لا يحصل الا ...
اه والوسائل العربية بانواعها النحو والتصريف واللغة والحساب والمنطق والبيان
والمعاني والمنطق ومنه ما هو نافلة وهو ما وراء القدر الذي يحصل به فرض الكفاية
كالتبحر في اصول الادلة وغوامض الفرائض والتدقيق في فروع العربية ... وشواذ
اللغة وقد اختلف في حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم فحمله بعض على القسم الاول
وبعض على الثاني وقول المص ما علمه يحتمل ... الظاهر مما هو فرض عين ويحتمل ما هو اعم
وقول المص فيما ... وكذلك طلب العلم فريضة عامة تحمله من قال بها الا ...
في خاصة ... انه فرض عين وفي كلام المص اشارة الى انه ينبغي على من اشتغل من العلم
الا ما هو ادعى له في تعلمه ... كالهندسة والموسيقى والزائد على القدر المحتاج اليه من
علم النجوم وغير ذلك قوله **ووقفوا عند ما حد لهم** يعني الظاهر ان ... عن تقحم
البوادر من اخلاق المؤمنين الذين تنورت قلوبهم بالعلم الوقوف عند الحدود ... عنه
والانتهاء عما نهى الله عنه واعلم ان العلم نعمة والعمل به نعمة اخرى يسالهما العبد
من ربه ... فيقول اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني
اجتنابه وقال الامام شهاب الدين القرافي من عمل بما علم فقد اطاع الله ... ومن لم
يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين ومن علم ولم يعمل فقد اطاع الله سبحانه طاعة وعصاه
معصية اه وانما يكون العلم بالاعمال نعمة ورحمة لمن لم يقرأه بنية فاسدة بل قرأه
بنية صحيحة كاملة او بنية خير ناقصة عن ... قرأه ليتعلم
من ... ويكتسب جاها ... لاعلاء له ما هو مشتغل عنه
او قرأه بالنية اصلا واما من قرأه بنية الجمع والادخار وكان ... الحكم
لا ... الرضاه عن نفسه ... حجة فليس له رحمة الا ان يتداركه

ومن

التعلم

توبة

٢٦

توبة كما سيأتي قريبا قاله شيخنا المحقق في شرح الحكم قال وبه يخص عموم قول الواعظ
من علم ولم يعمل الخ والوقوف عند الحدود بالنسبة لاهل العصمة بعدم الوقوع في الذنب
مطلقا وبالنسبة لغيرهم بعدم الاصرار على الذنب وهو نتيجة نفع العلم وثمرته فلا يكون
نفعه ... بين العموم ... كاملا وبه يحصل للعالم شرف
العلم في الدنيا والاخرة كما قيل

العلم لا يصلح الا اخا • به عملت ... كلام العمش (?)
لو كان بالعلم طالع الغنى (?) • لكان ابليس نظير الجنيد (?)

وبه يصح علم العالم ويدوم له كما قيل العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل وبه يزكوا
علمه وينمو ويطلع على اسراره وخفيه وعلومه لدرجة لا يتوصل اليها الا بالعمل قال تعالى واتقوا
الله ويعلمكم الله وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال تعالى
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا
زادهم هدى قال احمد بن ... اجتمع احمد بن حنبل واحمد بن ابي الحواري فقال احمد بن حنبل
لابن ابي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك ابي سليمان فقال يا احمد قل
سبحان الله بلا عجب فقال احمد سبحان الله ... بلا عجب فقال ابن ابي الحواري سمعت ابا
سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك المعاصي جالت في الملكوت وعادت الى
ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس
ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر حديث من عمل بما علم ... وقال
لابن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق شيخك وبه يعرف ان العلم النافع الذي ورد من فضل
اهله في الكتاب ايات كثيرة وفي السنة ما لا يحصى كثرة والعلم الغير النافع الذي استعاذ
منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد في اهله الوعيد ... ورجح الاول
قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء الاية على ان المراد بالحكمة العلم وقوله شهد الله انه لا
اله الا هو والملائكة واولوا العلم فبدأ بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بالعلماء ...
وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر الخشية فيهم وقصرها عليهم ...
شفعاء الانبياء وملائكة السماء وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم الاية وقوله يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ... طاعتهم كما امر
بطاعته وطاعة رسوله على احد الوجهين في الاية وفي الحديث افضل الاعمال طلب العلم
وفيه عالم واحد اشد على الشيطان من الف عابد وفيه قال بعضهم

وان فقيها واحدا متورعا • اشد على الشيطان من الف عابد

وورد فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب
العلم رضا بما يطلب وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه كن عالما او متعلما
او مستمعا او محبا ولا تكن خامسا فتهلك وهو المبغض للعلماء وقال له ايضا
لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان تكون لك حمر النعم ولمعاذ ...

الدنيا وما فيها وقال إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الخ وقال لا حسد
إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة
فهو يقضي بها ويعلمها وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مسجدا فوجد مجلسين
أحدهما يذكرون الله تعالى والآخرون يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا
المجلسين على خير وأحدهما أحب إلي من صاحبه أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه
ما شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما المجلس الآخر فيتعلمون العلم ويعلمون الجاهل وإنما بعثت
معلما فجلس إلى أهل العلم وفيه لو جمع الثلاثة أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم
لم ينفعه الله بعلمه وورد ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل ألف مرة وعن فضيل بن عياض
وأشير مرات قال بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة
قبل عبدة الأوثان قال فضيل بن عياض رحمه الله من تعلم لغير الله لم يعلم وقال عليه السلام أوحى الله إلى
بعض أنبيائه قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل
الآخرة يلبسون للناس جلود الكباش من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر
من الصبر إياي يخادعون أو علي يجترئون فبي حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانا
وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه
قلوبهم خربة من الهدى مساجدهم عامرة بأبدانهم شر من تحت أديم السماء علماؤهم منهم
تخرج الفتنة وإليهم تعود وقال عليه السلام القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة
فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به وأما اللذان في النار فرجل عرف الحق فجار في
الحكم متعمدا أو رجل قضى بغير علم واستحيا أن يقول إني لا أعلم وقال صلى الله عليه وسلم
إن القاضي يأتي يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فيطلقه عمله أو يوبقه جوره
وقال عليه الصلاة والسلام إن أعتى الناس على الله وأبغض الناس إلى الله وأبعد
الناس من الله رجل ولاه الله من أمة محمد شيئا ثم لم يعدل بينهم وفي بعض الكتب إن أهون
ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي وههنا تنبيهات
ثلاثة الأول فرق بين العلماء رضي الله عنهم الفرق بينهما أعني علماء الدنيا
وعلماء الآخرة بنعوت وعلامات والطالع في ذلك النصيحة لما نشأ عن أمر انتشار الفساد
في الأرض بجهل الناس بالعلم النافع أي شيء هو قال الغزالي عند قول المص وأول العلوم
وأعظمها وأقربها إلى الله علم الدين وشر العلم أعظم بالأخرى وفقني الله وإياك لما عنه
لا غنى منه فيه كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة التشريف فأقول
المراد به العلم النافع المخالف للهوى الغالب ومثال من العلم الذي هو مطلوب الشرع الخشية
لله وثمرة الخشية موافقة الأمر ومن علاماتها أن تكون فيه أن يعرض عن الدنيا والتملق لأبنائها
وصرف الهمة إلى الاكتساب والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وفضول النظر
والرياسة ومباهاة الأقران والتعاظم وطول الأمل وفساد العمل وقسوة القلب
والوقوع فيما يسخط الرب وإيثار الدنيا ونسيان الآخرة قال البصري من بقربه صفته

عن العلم له بكونه موروثا من الأنبياء وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة
التي كان بها عند الموروث وقال من نعت الأوصاف أو طرفة من العلماء فمثل الشمعة
تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا
في تكثير العقوبة لديه ولا يغرنك ما تسمع به من انتفاع العباد وكلام غيره قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وقال من تعلم العلم لا للعمل
الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوتة فما أشرف الوسيلة
وما أخس المتوسل إليه ومثل من طلب الآخرة فاتته طلبة العلم مكث أربعين سنة أو خمسين
سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد يغتسل الدهر يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة
إذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة الصلاة انتهى ونقله سيدي ابن عباد عن كتاب
المصر والتنوير وكذا الشيخ زروق وقال إثر قوله وهل ينتقل الشيء الموروث الخ ما نصه
فيه إشعار بأن العالم الغير المتقي ليس بوارث وفيه نظر لأن إفساد الموروث والعمل به في غير
حق لا يخرجه عن كون الوارث وارثا والعقوق لا ينفي من النسب لكن يقال فيه وارث سوء
أو عقوق وقد يثبت الله تعالى العلم بخلافه ولا يبقى العالم عن بغيته ما عليه انتهى كلام
الشيخ زروق في ظاهر عشر من شروحه للحكم وصواب قوله العقوق لا ينفي النسب
أن ينقص ثم نسب عام وهو العلم يورث به أمر عام وهو الكون من أمة الإجابة
يتوقف على أمر عام ويقول التصديق والنطق ونسب خاص وهو نسب القرب والخصوصية
يورث به أمر خاص وهو الكون من أصفياء الأنبياء وخلفاء الرسل يتوقف على أمر خاص
ويقول البرور وينتفي بالعقوق لأن لا ينتفي إلا القرب والخصوصية بطل العقوق
إن انتفى مع العقوق وينتفي يبطل العقوق كأنه وكلام الشيوخ بني على المنقطع منه
العقوق لقوله أما على أن يكون معه الخ وهذا كما قال والعلماء الآخرة بعضه وكل شيء
إنه لا يخرج عن الحق معه إلى حيث يكون صاحبه كالأمي من الملك لا إبليس بما فعل كان التطاول
تحصل العلم كما في حقه لا يحتاج معه إلى الاكتساب ولا اضطراب والنار بالنسبة العمل كالبغ
والغنم بالنسبة التي يجانبه كأنهم لم يعلموا الأخرة امتثالهم والخضوع لا شك أنه ونرى مع ذلك
أنه شيء نعد وأن بوجوده صلاح العالم وأنه من الأئمة والعلماء ويعجز عن التفريق أنه حسنات
جم كان بهذه المثابة فليعتقد عند الأشرو عامة وليأت عليه وسبب لتكثير الفتنة لديه وهذا
معنى قول الحكم إن علم العالم يرضى عن نفسه وعلى مثل هذا ينبغي أن كلام الشيوخ كما قال
والله أعلم وعلى مثله ينبغي أن يحمل ما ورد في علماء السوء من الوعيد الشديد مما تقدم وغيره
وقال في التنوير العلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من
الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله وسئل العلم النافع العلم بالله وعلم
عبادة أمر الله إذا كان تعلمه لله وقال سيدي ابن عباد رضي الله عنه واعلم أن العلم النافع المتفق
عليه فيما سلف وخلف إنما هو العلم الذي يصحبه الخوف والخشية وملازمة
التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الإيمان وتوابع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها ذلك

منّ به عليه ومنته تعليمه الله منه للابل وان يغار عليه فيها غيره وذلك بمثابة من بيده
مرض مزمن في الفعال العتيا ملاحه وظن عليه حلفه فاخذ خنجرا او ضربه به ليقتل نفسه
وضادّ مقصد ذلك المعنى فيقطعه فيخرج الراي منه عن هذا الاستيضوح العقلاء فعله وان
يحمث على عافيته ولبست سامة العوافي راجعة للعقبة عن الملقب القسيم ابي الشملكة
البشر المغر محجوة او انه تعلما اهو وما قاله في معنى قول بعض الفاضل غير متعين قال العلماء
على قوله في الرسالة والعلم دليل الى الخيرات وقائد اليها ما نصه هذا اشارة الى انه يطلب
من الانسان ان اجتهد في طلب العلم ولعله يحسن نيته قبلة العلم يجره الى الخير وقد روي عن
بعض المتقدمين انه قال طلبنا العلم لغير الله فجرنا الى الله او ابى ان لا يكون الا لله على قطر
اصلاح النية وعضويته واجتهادها على عظمة المقصود بالعلم وحاله روى الدارمي عن
الحسن لقد طلب اقوام العلم ما ارادوا به الله ولا ما عنده فما زال بهم العلم حتى ارادوا به
الله وما عنده وروى ابن ابي الطايع مجاهد قال طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ثم رزق الله
بعد فيه النية وقال الحسن ايضا كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا الى الاخرة وقال سفيان الثوري
لا اعلم قال المباعي في شرح الطبري في باب العلم اعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان بن عيينة
بقوله تعلمنا العلم لغير الله الخ هو علم الحديث والتفسير وسير الانبياء والصالحين فانه فيه
التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله تعالى فان لم يؤثر في الحال اثر في المال
واما الكلام والفقه المجرد المتعلق بتعارف المعاملات وفصل الخصومات فانه لا يزيد
الراغب في الدنيا وتمادى في الحرص الخ العمر ثم قال وانظر الى اواخر اعمار اكثر من الفقهاء
الذين تعلموا لغير الله واعتبر بهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها وليس
الخبر كالمعاينة لعبر لبعض والعلم ان المعيار الطاهر والدال على صحة دعوى النفع والتقى
والتعليم لله ان يعود بنزول الموت به فان سره ان يكون مستغنيا اذ ذاك فهو على صواب
والا كان على باطل قال في لطايف المنن ومن تجارب الكلام انا وبعض من يشتغل
بالعلم انه ينبغي اخلاص النية فيه ولا يشتغل به الا لله فقلت الذي يقع العلم له هو
الذي اذا قلت له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده اه وقال سيدي ابن عباد قلت وهذا
هو محط الخطاب وغاية الصواب فان العبرة في هذه الحالة لا ينضبط الا العمل الطاهر
الخالص من شوائب الرياء ومنازعة حظ النفس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب
من العبد ولا يستشف له ذلك الا ان يتحقق بما يفرق من حلول الموت وحصول الفوت وهذا
هو معنى قصر الامل الذي هو اصل حسن العمل ومعناه ان يقدر لنفسه وقتا ما يكون فيه
حيا وعند ذلك يغلب عليه من الامارات وينتظر من انواع الرعونات لا توقع الموت
في كل نفس ولحظة فيهون عليه جميع ذلك وكل ما يحمل البشر ما فيه طاعته عاجلا عن نفوسهم
وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لا يبلغ ما ذكرناه فاذا تعين من الله له ممن يأخذ
في عمل غير متعين عليه الا فرض الجنسي ثم ثنى الله ثلاث حال ويكون في حالة الراحة
متمكنا من ايقاع طاعة تزيد في منطقته على منطقة ما هو فاخذ فيه من العلم يوم ثوابه

ويحصل له حصول النفع بها لان في ذلك فوت نفسه وفوات حظه واية ذلك انه قد
يعرض له في حال اخرى فيه غرض دنيوي فيتبادر نحوه احتظاء نفسه به اكثر فيغرن به على
ما كان هو اخرا فيه ويشتغل به عن غيره من اللات بما يفوته من ذلك او الموافق فيه و كلامه
مع اهل المرتبة العليا في طلب العلم قال المواق في شرح المختصر بعد كلام وقد
تبين ان العالم يكون من الشاكرين بنسبة ومن المقتصدين بنسبة ومن الظالمين لانفسهم
بنسبة فالذي هو من الشاكرين فكما قالوا هو الذي لو قيل له غدا تموت لم يضع الكتاب
من يده والذي هو من المقتصدين من جعله سببا للدنيا التي اخر كتابه المتقدم والتنبيه
الثالث في بيان بعض مفاسد الجهل وبيان ما يستعان به على تحسين النية في طلب
العلم فـ اعلم ان الاشتغال بالعلم افضل من البطالة والجهل على كل حال لكثرة مفاسد
الجهل لان الجاهل لا يطلع على حقايق ما هو متلبس به من المساوي ولا يعرف ما هو منغمس
فيه من الرعونات فيرى المعاصي طاعات ويغلط باعتقادها مباحات او قربات وتلك
داهية كبرى موجبة للهلاك دنيا واخرى ليسرها عن من اتصف به باب التوبة اذ لمن
من اتى به في نظره خوبة وذلك ان ايا من العلماء سيما علم التصوف وصحا لا زنه وعلم
مرتبط كلازمه وذلك لان ... النفس وتلبيسها على العاقل والا ازها العمل المرضول في
صورة الصالح الكامل وقد تقرر قول الشيخ ابي الحسن من لم يتغلغل في علومنا هذه مات
مصرا على الكبائر وهو لا يشعر قاله بمعناه شيخنا المحقق في شرح النصيحة وقال
في شرحه للجمع وكل ما ذكره الشيوخ في النهي عن قراءة العلم بالنيات الفاسدة والتحذير
من ذلك فليس مرادهم به ترك قراءته ولا الاعراض عنه كيف وهو مطلوب على جهة العين
او الكفاية وانما مرادهم ترك التنبيه والايقاظ لاصلاح النية في قراءته والاجتهاد
والاجتهاد في تحصيل الاخلاص فيه وازالة الامر الذي تركه الذي هو غير الجهل واصل
الفساد وذلك بقراءة ... ولا الشاذات ومطالعة كتبهم والنظر في الاحاديث
والاثار المخوفة من الرياء والعجب والرضى عن النفس والتنافس في الدنيا ونحو ذلك
والترغيب في ضد ذلك ومجالسة اهل الخير والدين فبهذه الامور يستعان على اصلاح
النية وتصحيحها ثم نقل ما يشهد لما ذكره من ان مرادهم الترغيب في اخلاص العمل
لا ترك العمل وسياقه ان شاء الله الكلام على ما يتعلق بتعليم من لا يضر به الاخلاص
في طلب العلم وما في ذلك للعلماء عند قول المصنف رحمه الله قوله المهم عين
ما حصل لهم ان ينبني للعامل الفقيه له او العامل قال الشيخ زروق والحكمة في المنع
في الشرع ما منع من الزيادة عليه ونقص به الى غيره كعدد الركعات في الصلاة و
الرجعات في الطلاق والحدود الشرعية موضوعة للامتناع من العود دنيا وعقبى
فيه تبع انداز دعليه قوله واستغنوا بالحلال عما حرم عليهم هو
من معنى ما قبله وهو الوقوف عند الحدود الشرعية قال الشيخ زروق والاستغناء الاكتفاء
والحلال ما اطلق عنه القناعات وما حوفيه الخلو ولا منع فيه من الحق والحرام ما اوجب

لانفسهم صح

الشرع احترامه اي تجنبه واتقاؤه وما من حلال الا ويقابله حرام ومن العكس كالبيع
يقابله الربا والنكاح يقابله الزنا فمن استغنى بالحلال عن الحرام كان مهديا ومن لم
يفعل كان على وجه من الضلالة وان لم ينته الى الكفر فيخشى عليه من خاتمة السوء الا ان العفو
من الله الكريم مرجو قوله **أما بعد** هي كلمة يؤتى بها غالبا للانتقال من غرض لآخر قيل وهي
فصل الخطاب الذي اوتيه داود عليه السلام وانه اول من نطق بها وقيل اول من نطق بها
قس بن ساعدة وقيل كعب بن لؤي وكان صلى الله عليه وسلم يقولها في خطبه كما في قضية
في الصحيحين وغيرهما والمختار ان فصل الخطاب بمعنى الخطاب المفصول اي الذي تبينه
المخاطب ولا يلتبس عليه ويحتمل ان معناه الخطاب الفاصل بين الحق والباطل فالفصل مصدر
بمعنى اسم المفعول او اسم الفاعل ثم هي مركبة من أما وبعد أما أما فهي حرف شرط
وتوكيد ابدا وتفصيل غالبا واما بعد فظرف زمان او مكان باعتبار الرقم معمول
لأما او لفعل الشرط الذي نابت عنه على الخلاف وهي هنا مبنية على الضم لقطعها
عن الاضافة لفظا لا معنى والصواب ان أما مقولة فاذا كان شيء فنقول ما هو مقول لكل
لا جواب الشرط لا يكون الا مستقبلا واما اعرابه مبتدأ ومقول لحذف لمثل خبر او محل الجملة
نصب به نحو اذا لا تحقيق لها وجملة **اعاننا الله واياك على رعاية وفي ابعد**
وحفظ ما اودع عندنا من شرائعه معترضة بين الشرط وجوابه كقوله تعالى
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ولا يصح ان تكون حالية لانها طلبية في المعنى
وان كانت خبرية لفظا والمعنى اللهم اعنا على ديننا كما تحب وتطلبه منا وفي هذه الجملة ابتهال
وتضرع الى الله تعالى وطلب للاعانة على القيام بوظائف الدين والعجز عن تبليغ ذلك
بنفسه قال الشيخ ابو عبد الله عياض رضي الله عنه في شرح الحكم مما هو معلوم على
القطع من نصوص الشريعة وانواع التجارب ان من انزل حوائجه بالله تعالى والتجأ
اليه وتوكل في امره عليه كفاه كل مؤونة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن
الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله تعالى الى نفسه وخذله وحرمه
توفيقه واهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معنى قوله في الحكم ما توقف
مطلب انت طالبه بربك وما تيسر مطلب انت طالبه بنفسك وفي ذلك قيل

اذا لم يعنك الله فيما تريده • فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فيما قصدته • ضللت ولو ان السماك دليل

وقيل

اذا كان عون الله للمرء ناصرا • تهيا له من كل صعب مراده
وان لم يكن عون من الله للفتى • فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

والضمير المتصل بالحال قيل انه خاص بالمصنف فهو المعظم نفسه بل لعله عمم لنا واياك عليه و
بذلك اظهار لملزومه الذي هو الزهد فقضى الله له بنا بقبوله للتأليف فيكون من
التحدث بالنعم وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالعلم قال الاجهوري ومعناه ليس
منا من لم يغتبط ... انه جعله غنيا بالعلم حيث جعله محاله وموضوعا به وابيل البراءة

عش

بتعاطم

شبه

يتعاطمه اغتفارا عيبك فانه مهني عنه انه والظاهر ان الضمير للجماعة لان المقام مقام
الدعاء فيكون المصنف دعا بهذا الدعاء لنفسه ولسائر المسلمين ولما كان الدعاء اعم كان انفع واقرب
للاجابة والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الاية والمقصود من الدعاء هو اظهار
الفقر والفاقة والتذلل والخضوع فان العبد لا يستغني عن سيده طرفة عين فيعفو المولى ويعطي كما تقرر
كما قال ابو حفص الفاسي رضي الله عنه ولا يبعد قوله واياك انه شرع الخاص بعد العام تنبيها
على انه هو المقصود الاعظم والمخاطب بقوله واياك وبيانه من كلمات المختصر هو الشيخ
الصالح الفقيه المؤدب ابو محفوظ محرز بفتح الراء ابن خلف البكري التونسي المعروف
بالعابد وكان مجاب الدعوة وحفظه بعض تلامذة ابي زيد يروي ذكرا والله وعا الله
تعالى لابنة ابي زيد التي كانت تقعد فمر به من جنبها وكان يقف لها محرز بتسبيحه قيل
المخاطب هو الشيخ الصالح ابو اسحاق ابراهيم بن محمد السبائي بفتح السين المهملة والباء وهمزة
مكسورة مقصورة كاهر الوصفين في البيضاوي وضعفه هذا بانه لم يكن موجودا وعلى الاول والثاني فالعام
الغائبين وعلى الثالث الموجودين ويحتمل الفاء فيه الجمع والاصل والاول ارجح وان الخطاب العام
يأبى احتمال الفاء فيه الجمع فالاظهر ما قلنا وقدم نفسه في الدعاء اظهارا للفاقة والافتقار
والاستعداد للاجابة وانه من القرب الربانية انه لا ينبغي الا بما يحب اخذا من قول الصحابة
او ثم نصيحة منك اجل او في الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا بدأ بنفسه وفي القرآن
اغفر لي ولوالدي والنادر الصغيرة عائشة رضي الله عنها العمرة الدعوة حين قال من باب
الا ثنا بل من باب تنويل عربية بعربية وبعد الادب مع خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ارقا ان يختص بذلك من بين سائر امهات المومنين تواضعا والرعاية الحفظ والوديعة الجوارح
السبعة البطن والفرج واللسان والعين والاذن واليد والرجل فانها امانات عند
العبد يحفظها وينتفع بها ويثاب عليها ومن عصى الله بعضو منها فتح له باب من ابواب
جهنم ومن حفظ سبعة منها غلق عنه باب وبالجميع تغلق الابواب كلها او الاهل والمال
او الامانات التكاليف الشرعية قال تعالى انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال
فابين ان يحملنها اي امتنعن من حملها امتناع اشفاق وخوف من عدم القيام بواجب حقها لا امتناع
عصيان او الجميع لان الانسان راع على جوارحه واهله وماله وعباد الله وكل راع مسؤول فانه كل
راع وكلكم مسؤول عن رعيته وعلى الاحتمال الاول من عادة الوداع اشارة الى رعاية
من المنافع وحفظ الشرائع اي ما جاءت به الرسل من عبادات ونحوها فالظاهر انه التقليل
الاول ومحموه هو التقوى والاستغفار من المشي رضي الله عنه علما ... وهو التقوى
قال في الحكم خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك ومن اهتمام الفتح ... من الدنيا فلا بل ... يطلبه
من الله الا كونها على وجه مجرد فضل الشهوة والوصول الى الحقيقة فانه مذموم بل ليستعين
بذلك على اداء الحقوق وفعل الخير ونحو ذلك من المقاصد الحسنة من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اي فليسأله منه جميعا وعلى الاخير فقوله وحفظ ما اودع
من شرائعه من عطف التفسير وعلى الثالث من عطف العام على الخاص والله اعلم ويحتمل

ان يكون المراد بمعظم الشرائع تفصيلها فيكون المراد من هذا الكلام طلب العلم والعمل
به ومراده بذلك الحث على الاهتمام بامر الدين والابتهال اليه تعالى في القيام بذلك وقد قال نحو ذلك
في اخر الكتاب حيث قال وانا اسأل الله تعالى ان ينفعنا واياك بما علمنا ويعيننا واياك
على القيام بحقه فيما كلفنا وطلب ان يجعل الله سبحانه ولصاحبه من العلماء العاملين وان يعين
كلا منهما على القيام بالحقوق والتكاليف الشرعية قوله **فانك سألتني** اي طلبت
منه وقد علمت ان السؤال دون المسؤول في الرتبة فالتعبير بالسؤال في محله وغرض المصنف بهذا
الكلام بيان سبب تأليفه لهذا الكتاب وفي ضمن ذلك بيان جملة ما اشتمل عليه من العلوم قوله
ان اكتب لك فيه سؤال كتابة العلم والاجابة له وقد اختلف فيها والصحيح اذ ذاك الجواز
لامره عليه الصلاة والسلام بالكتابة في قوله اكتبوا لابي شاه واذنه لعبد الله بن عمرو بن العاص وانس بن مالك في كتابة
ما سمع منه في الغضب والرضى قائلا لا اقول الا حقا وكراهة من كره من السلف من يقول بالكتابة
انما هي في ابتداء الامر لئلا يتكل على الكتابة قال اللخمي ولا يختلف في الجواز اليوم لقصور الهمم
وقلة حفظ الناس بل الكتابة اليوم مرغوب اذ لولا تدوينها ما وصل من السلف الى الخلف
وقوله **جملة** هي عبارة عن المسائل المضموم بعضها الى بعض سواء كانت معرفة او غيرها
اجملت المسائل اذا جمعت بعضها الى بعض وقوله **مختصرة** اي قليلة الالفاظ كثيرة المعاني
وانما سأله الاختصار لانه اسهل للحفظ واقرب للضبط ومع اختصارها فاقت الزيادة
فيها اربعة الاف مسألة وهي مأخوذة من اربعة الاف حديث كما في الاقفهسي والشيخ
زروق وابن ناجي ونقله الحطاب فكانها الاجزاء وقد اسقط المصنف اسنادها اختصارا وقد
الف الامام كتابا في اسنادها ونصوصها كلها للنبي صلى الله عليه وسلم سماه مسالك الدلالة
في مسائل الرسالة قال الاجهوري وليس المراد ان كل مسألة من الاربعة الالاف متصل فيها حديث من حديث مرفوع فيها
وانما هي ادلة مسائلها اغلب مسألة الا وهي مأخوذة من حديث وقد يقع ما يعرض
له وتسمى رسالة وجملة وباكورة المذهب لانه اول مختصر اختص بالمذهب ولم يكن قبلها
مختصر سوى الكتاب وتسمى باكورة السعد لانه يسعد بها من خلق ثم وتسمى زبدة المذهب
العطاب وقوله **من واجب امور الديانة** هذا وما بعده بيان لما اشتملت عليه هذه الجملة
والواجب احد الاحكام الخمسة ما يثاب فاعله امتثالا ويعاقب تاركه غالبا ويقابله
الحرام وهو ما يعاقب فاعله ويثاب تاركه امتثالا والمكروه وهو ما يثاب تاركه امتثالا
الثواب ولا يعاقب فاعله وبه لا يعاقب المطلوب طلبا غير جازم والنافلة
لا من الواجبات ما لا يثاب تاركه وهو شكر المنعم بنعمة معينة ما معين وجوبه كما قال الاجهوري
في شرح الشمائل لانه اذا اتى به في مقابلة النعمة يثاب عليه ثواب الواجب لا بمعنى
انه يثاب وان اتى به لا في مقابلة شيء اي لم يقصد المقابلة اثيب عليه ثواب المندوب
كما ان من الواجب ما لا يثاب على فعله وهو معرفة الله بمعنى النظر الاول فانه لا يثاب
عليه كما حققه القرافي فاطلاق الثواب يقتضي شمول معرفة المشيخة العرض كلامه
انظر حواشي شيخ الاسلام على المحلى ومما قال ابن حجر نظر اذ هي دعوى تحتاج الى دليل وقد

اكتب

يقال

يقال الحكمة الندب وان كان في مقابلة النعمة ويكون الاعتراف بالنعمة عند تذكرها
هو الفعل الواجب ويكون النطق بالحمد من العبد العاجز منه ندبا ويقبل اول وجه
على حقيقته من ترتب العقاب على تركه قاله شيخنا في شرحه للمختصر والنافلة الاستئناف في
الواجب والمندوب كقول القرافي نفقات الزوجات ورد المغصوب والقضاء والعواري ونحوها
اذا فعلها المكلف غافلا عن امتثال امر الله فيها وقعت واجبة مجزية للذمة ولا ثواب على
شيء من ذلك كله حتى ينوي امتثال الامر لله فيه والمحرم الذي لا يثاب على تركه كترك
شرب الخمر والزنى والسرقة وقتل النفس وما اشبه ذلك من المحرمات فانه يخرج من عهدة
تركه ولا يثاب على شيء من ذلك كله فعلا كان او تركا حتى يقترن بالنية ويقصد امتثال امر
الله تعالى في النهي الفعل والترك انتهى انظر الاجهوري وامور الديانة مسائلها والديانة
اسم لما يتدين به الطاعة وقال الخطابي الديانة المعاملة ومنه قولهم كما تدين تدان
والمراد ما يدان الله به او يعامل به ويتعبد به وهي شاملة للعقائد وفي نسخة الديانات
الانسب بقوله الدين القولية والفعلية وانما اتى بالجمع مع ان الدين واحد باعتبار انواع العبادات
وباعتبار التكليف ولما كان الواجب من امور الديانة لا يخرج عن ثلاثة اشياء افادها
بقوله **مما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح** هو تفصيل
لقوله واجب امور الديانة اذ الاول كالشهادتين ومن الثاني الايمان والثالث كالايمان بالله
وما يليق به وكتبه ورسله واليوم الاخر والثالث كالطهارة والصلاة وغيرهما وسائر افعال
العبادة لا تخرج عن هذه الثلاثة كما قال ابن ناجي قوله **وما يتصل بالواجب** عطف
على واجب ومعنى يتصل به يتبعه ويليه في درجة الطلب ولذلك بينه بقوله من
السنن الخ وليس المراد خصوص الرواتب التي تفعل قبل الصلاة او بعدها والاشارة
في قوله **من ذلك** عائدة على امور الديانات لا على ما تعمله الجوارح كما قيل وقوله
من السنن المراد بالسنة في كلام المصنف هنا المطلوب بغير الواجب لا السنة بالمعنى
المصطلح عليه بدليل انه فصلها بقوله **من مؤكدها ونوافلها ورغائبها** فهو بيان
السنن بدل مفصل من مجمل ثم ان مرتبة النافلة متأخرة عن مرتبة الرغيبة كما ان
الرغيبة متأخرة في الرتبة عن السنة اي باعتبار الثواب والطلب بدليل افتقارها
الى نية كالسنة وعليه فكان من حق المصنف تقديم الرغائب على النوافل وان كانت
النوافل والرغائب ثم ان السنة في نفسها متفاوتة كما ان النوافل كذلك متفاوتة
قال في المختصر ندب نفل وتأكد الخ ثم قال والوتر سنة آكد الخ وقد علمت ان ما دون
الواجب اما سنة او رغيبة او نفل والسنة اصطلاحا ما فعله النبي صلى الله عليه
وسلم واظهره في جماعة وداوم عليه ولم يدل الدليل على وجوبه كالعيد والكسوف والوتر
والرغيبة المتفرع غير دائم على الوتر والمراد ان لا العيد وقد صلى الله عليه وسلم
كان يفعل تهجده بالليل ولم يداوم صلى الله عليه وسلم على اظهاره في جماعة فاظهر
ذلك والرغيبة حدها بعضهم بما رغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالقول

يفعله في جماعة قال الاجهوري وهو غير مانع لان بعض المندوب رغب فيه كما يأتي في الرواتب
اللهم الا ان يراد وصل له بعينه في عدد مخصوص وقال الشيخ عبد الباقي في شرح المختصر والذي
ان يفسر الرغيبة بالفجر لانه ليس لنا فيه سوى ركعتي الفجر ابو الحسن على احد القولين فيها وهو
قول من يشترط الاظهار في تعريف السنة ولعل من لا يشترط ذلك لا يفرق بين السنة والرغيبة
والكل عنده سنة ولا يبعد ان يزاد بيوم وحرمه في تعريف السنة ليخرج ما داوم من انما قلنا
ما هو كذلك انظر الاجهوري وانما قلنا ما عدا السنة والرغيبة والفرض تسمى مستحبا
وفضيلة ومندوبا قال الحطاب وذلك كصلاة الضحى وقيام الليل الا ان صلاة الليل اظهرها
ولم يداوم على اظهارها وصلاة الضحى داوم عليها ولم يظهرها حتى قالت عائشة من حدثك
انه كان يصلي الضحى فقد كذب ومع نقلها عنه عليه السلام من غير وجه اه وفي عبارة ابن بشير
اطلاق اسم الفضيلة على الرغيبة انظر الحطاب قوله **وشيء من الآداب منه** هو ايضا من الثلاثة
مما عطفه الناظم على قوله واجب وهو الثالث من المسئول والمراد بالآداب في كلامه ما يستحسن
من الاحوال ويحسن حالة الانسان فيما بينه وبين ربه وما يتعلق بنفسه وبينه وبين الناس سواء
كان فعلا متعلقا بالظاهر او بالباطن فيتناول جميع ما ذكره المصنف في آخر الكتاب
من آداب الاكل والشرب والنوم واللباس والنوم وغير ذلك فالآداب كما تطلق على
ما كان منه كآداب الاكل والشرب ونحوهما من العادات تطلق على غير ذلك وعلى ما يشمل
هذا وغيره وقسمه بعضهم الى ثلاثة اقسام قال الشيخ زروق في العادة عشر من شروح
الحكم قال ابو نصر السراج والناس في الآداب على ثلاث طبقات اهل الدنيا واكثر
آدابهم في البلاغة واخبار الملوك واشعار العرب واهل الدين واكثر آدابهم في رياضة
النفوس وتاديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات
واجتناب الشبهات والمسارعة الى الخيرات واهل الخصوصية من اهل الدين واكثر آدابهم في
حفظ القلوب ومراعاة الاسرار واستواء السر والعلانية انتهى المراد منه ومن التصوف
على هذين القسمين الاخيرين فقد اشتملت ابياته على العقائد والفقه والتصوف
وهي الايمان والاسلام والاحسان التي هي اقسام الدين كما سيأتي في نظمه في قوله
منه راجع لامور الديانات لا للشيء للجملة كما قيل فقوله **وجمل من اصول الفقه**
وفنونه هذا هو الرابع من المسئول وفيه ثلاثة اوجه من جهة اللفظ احدها الجر
بالعطف على قوله واجب امور الديانة وهو الظاهر الوجه وعليه فالمراد بالواجب خصوص
الواجب من العبادات دون المعاملات لتقع المغايرة بين المعطوف والمعطوف
عليه لان في الجمل واجبات ايضا واكثرها من مسائل المعاملات وامتنع العطف على شيء
كما في التنافي فيقتضي اللبس في الجمل شيء من الواجبات للزائد تكون موصولة لغو
ينط بالواجب وليس كذلك الثاني النصب بالعطف على قوله جملة قال الحطاب
وهو اولى ولا سيما على ما روي ان الشيخ كتب لها وترجم باب العقيدة وجمل من الفرائض
مما يعرف من راهقه بعطف جمل من اصول الفقه وفنونه لهو يغاير بينهما بما يشهد

الثالث

الثالث الرفع ذكره الشيخ زروق وهو ابعدها لاحتياجه الى تقدير الخبر اي وفيه جمل
وهذا الاخير اعني الرفع مع امكانه غيره وقوله من اصول الفقه يحتمل احتمالات ثلاث احدها
ان يراد بها امهات المسائل التي ترجع اليها فروعه وبعض المراد بالفنون كمسئلة بيوع الآجال
فانها اصل بالنسبة لما يخرج منها وكمسئلة المكاتب وام الولد وامة الشركة بكمالها احد الشركاء
والرهن بالدين وبيع الغائب ونحو ذلك مما تتشعب فيه المسائل وعلى هذا الاحتمال
اقتصر الحطاب الثاني ان يراد بها ادلته من الكتاب والسنة وكلام السلف فمن الكتاب كقوله
واحل الله البيع وحرم الربا وقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ومن
السنة كقوله من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه ولا يخطب احد على
خطبة اخيه ولا يبع على بيع اخيه ومن الآثار عن السلف كقوله تحدث للناس اقضية بقدر
ما احدثوا من الفجور ومن ادلة الفروع ما استنبط من الكتاب والسنة وهو الكثير في كلامه
قال بعضهم وقد سئل الناظم عما اراد بالاصول والفنون فاجاب بان المراد بالاصول الآيات
وبالفنون الآراء الفقهية الثالث ان المراد بها ادلته على ما هو المصطلح عليه عند المتقدمين
وقد ذكر شيئا من ذلك في باب جمل من الفرائض والسنن واستعمل فيه طريق القياس المنطقي
عند الاصوليين من ذلك كقوله الخمر حرام وقال عليه السلام كل ما اسكر كثيره فقليله حرام وكل
ما خامر العقل فقليله وكثيره من كل شراب فهو خمر اي فهو حرام وهذا استعمال المقدمات والنتائج والفقه
لغة الفهم ويقال الفقه بكسر القاف بمعنى فهم وبفتحها سبق غيره للفهم وبضمها صار الفقه له سجية
واصطلاحا العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية قوله **على مذهب**
مالك بن انس رحمه الله تعالى وطريقته هذا هو الخامس من المسئول والجار
والمجرور في محل نصب على الحال من قوله جملة مختصرة والمذهب لغة موضع الذهاب وهو الطريق
والمختار ان المراد به هنا قول مالك وان المراد بطريقته قول اصحابه اتباعه على قواعده فهو
مصدر ميمي اريد به المفعول اي المذهوب اليه من الاحكام ولا شك يصح حمله على المكان الا انه يقتضي
ان الاحكام مذهوب اليه لا فيه كما قال اللقاني والفقهاء يطلقون المذهب على ما يجب به الفتوى
لكونه الراجح الاقوى واختار الشارح ان تكون هذه الجملة على مذهب مالك لامور احدها انه
مشهور اهل المغرب الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة كما جاء في الحديث وان اختلفوا
او بانه والشارح منهم والثاني انه عالم المدينة وامام دار الهجرة بشهادة الصادق وقد جاء في الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما
اعلم من عالم المدينة قال سفيان يرون ان المراد بهذا الحديث مالك بن انس وقال القاضي عبد الوهاب
ولم يشتهر بعالم المدينة من الائمة الاربعة غيره فهو لا نزاع يحمل على هذه المزية وحمل غير واحد
الحديث عليه كابن عيينة وامثاله ومن جرى له ذلك فعلا الا لم يرم لو ولم يشتهر به شهرته في
وصح يقينه رضي الله عنه مبني على السر الواضح والثالث انه اتبع السلف فهو اعلم المذاهب عن الشافعي
ومنعه الله تعالى في مذهبه من ان يكون فيه بدعة وهو موسوما بالامامة فلا تسمع ان احدا ممن
يقلده قال بشيء من هذه البدع وكل من يعتقد مذهبا من البدع منهم الخوارج والروافض الامر فيه

بعض

ومسلم صحيحيهما ولذلك نما البخاري والحديث
مالك الثالث أن مالكا جمع بين شرفي الفقه والحديث ولذلك لم يقع لهما ذكر على وضع الروايات عنهما في
بالرواية عنه بخلاف الشافعي وأبي حنيفة وبخلاف الإمام أحمد وإنما كان
الصحيح وإن كان الشافعي أقوى في الحديث من أبي حنيفة وفي الأنداد من أشياخه ما كفى بهم ○
الغالب عليه الحديث ولم يرو البخاري عنه إلا في موضع قيل إنه ليس عنه وأهم
الرابع أنه إمام الأئمة وشيخهم فأما أبو حنيفة فقد حكي عنه أنه لقي مالكا
وأخذ عنه وإن كان أبو حنيفة أكبر سنا منه وقد ألف الدارقطني كتابا جمع فيه ما
أخذه أبو حنيفة عن مالك والإغراب في أخذ الأكابر عن الأصاغر فقد أخذ عنه من هو
أكبر سنا من أبي حنيفة وأقدم كابن شهاب الزهري وربيعة وغيرهما ممن توفي قبله
الذين من أشياخه من كان يحتاج إليه قال مالك أما الزهري فقلت عنه بعض العلم إلا أنه
الرحمن سألته عن مسائل وأما الشافعي فقد قال رضي الله عنه مالك أستاذي وعنه
أخذت العلم وهو الحجة بيني وبين الله تعالى وما أحد أمن علي من مالك وإذا ذكر العلماء
فمالك النجم الثاقب وقال ابن الأثير كفى مالكا شرفا أن الشافعي رحمه الله تلميذه وكفى
الشافعي شرفا أن مالكا شيخه وأما الإمام أحمد فقد أخذ عن الشافعي فهو من تلامذة
مالك بواسطة قال الخامس وقد اجتمعت طوائف العلماء على إمامة مالك وجلالته
وعظيم سيادته وتبجيله وتوقيره والإذعان له في الحفظ والتثبت وتعظيم حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم أعلم وقال البخاري أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما
واعتماده رضي الله عنه على الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة وهم أعلم الناس بالناسخ
والمنسوخ إذ كانت الأحكام تتجدد بالوحي في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ رحمه
الله عن تسعمائة شيخ ثلاثمائة من التابعين وستمائة من تابعيهم ممن اختاره وارتضاه
لدينه وفقهه وتيقظه وقيامه بحق الرواية وابتدأ وعمره خمس عشرة سنة من العمر
ابن الزوال في علم قال مالك ثم في علم الكتابة أصح من ابن القاسم وقام بمذهبه بعده وانتفع
من أصحابه أشهب وعبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري وتوفي ابن القاسم عام إحدى
وتسعين ومائة وأخذ عن ابن القاسم جماعة منهم سحنون مؤلف المدونة والإمام عبد السلام
بن سعيد التنوخي توفي سنة أربعين ومائتين رحم الله الجميع ونفعنا بهم آمين ولمالك
رضي الله تعالى عنه تآليف كثيرة غير العطاء منها ثمانون من أوطئها كتاب الموطأ الذي يسبق إلى
فضله ولنسبي بعد الفراغ منه ومما نقله العلماء من كلامه رضي الله عنه أنه قال
العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع وقال ينبغي للعالم إذا كان يشار إليه
بالأصابع أن يضع التراب على رأسه ويعاتب نفسه إذا خلا بها ولا يفرح بالرياسة فإنه إذا
اضطجع في قبره وتوسد التراب ساءه ذلك كله وقال عليك بمجالسة من يزيد في
علمك قوله ويدعوك إلى الآخرة فعله وإياك ومجالسة من يعللك قوله ويدعوك إلى
الدنيا فعله وقال لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه ويشتغل بما يعنيه فإذا فعل ذلك
يوشك أن يفتح الله له قلبه وقال ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة وقال

من صدق في حديثه متع بعقله ولم يصبه ما يصيب الناس من الهرم والخرف وقال كطلب
الرزق في شبهة خير من الحاجة إلى الناس وقال كثرة الكلام تمج العالم وتذله وتنقصه
ومن عمل بقراءة ذهب بهاؤه وكان يقول نعم الرجل فلان لولا أنه يتكلم كلام شهر في يوم
وكان يقول في الورع والتثبت في الديانة أنظر العطاء وقد قال له يحيى بن يحيى في مرض موته
أوصني فقال أوصيك بثلاث الأولى أجمع لك فيها علم العلماء هي إذا سئلت عن شيء لا
تدري فقل لا أدري والثانية أجمع لك فيها طب الأطباء وهي أن ترفع يدك من الطعام
وأنت تشتهيه والثالثة أجمع لك فيها حكمة الحكماء وهي إذا كنت في قوم فكن أصمتهم
فإن أصابوا أصبت معهم وإن أخطؤوا سلمت منهم وفيه قال الإمام الجليل عبد الله بن
المبارك رحمه الله

صموت إذا ما الصمت زين أهله • وفتاق أبكار الكلام المختم •
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة • ونيطت له الآداب باللحم والدم •

وكان له في مجلسه سمت ووقار وهيبة وفيه قال عبد الله بن سالم الخياط

يأبى الجواب فما يراجع هيبة • والسائلون نواكس الأذقان •
أدب الوقار وعز سلطان التقى • فهو المهيب وليس ذا سلطان •

قال ابن المديني رحمه الله كان مالك يذهب لقول سليمان بن يسار وسليمان يذهب لقول عمر بن
الخطاب فمذهب مالك إنما مذهبه مذهب عمر رضي الله عنه وقال رحمه الله ليس كل من أحب أن
يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة
من المسجد فإن رآه أهلا لذلك جلس وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخا من أهل العلم
أني موضع لذلك وجلس للناس وهو ابن سبع عشرة سنة وكان شديد التعظيم لرواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلالا لجانبه الشريف قال مطرف كان إذا أتى الناس
مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا
المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا
جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج ويجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك رحمه الله
وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد
رأيت منك اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
يكره أن يحدث على الطريق أو هو قائم أو مستعجل وذكر أن هشام بن الغاز سأل مالكا عن
حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام
وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال الشافعي وكان ذا فطنة وذكاء وعقل

راجع حتى كان ربيعة إذا أتاه مالك يقول جاء العاقل وانفضوا الذي كان أعقل أهل زمانه
وقال أحمد بن حنبل قال مالك ما جالست سفيهاً قط وهذا أمر لم يسلم منه غيره ولا في
فضائل العلماء أجل من هذا وذكر يوماً شيئاً فقيل له من حدثك بهذا فقال إنا لم نجالس
السفهاء ومن اتفق في زمانه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان يقرأ الفقه على
شيوخه أن امرأة غسلت ميتة فلما وصلت إلى فرج الميتة ضربت بيدها على وجهه
وقالت يا فرج ما أكثر زناك فاستمسكت يدها على الفرج والتحمت به فجاء الشطاع
الصواب أن يدها فتستل منها المدينة فما الحكم في ذلك فمن قائل تقطع يدها ومن قائل يقطع
من بدن الميتة فربما تمسكت عليه اليد وكان الإمام في ذلك بين الفقهاء أن حرمة الحي
عليها حرمة الميت فلا يقطع منه شيء أو حرمة الحي فلا يقطع منه فبينهما هي كذلك
إذ دخل مالك في جملة الصبيان الطلبة فقال مالك أرى أن الحكم في ذلك أن تجلد الغا
سلة ثمانين جلدة حد الفرية ما كانت افترت ما يدها تخلص فجلدت الغاسلة حد الق
ذف وانطلقت يدها فتعجب الفقهاء من ذلك ونظروا إليه من ذلك الوقت بعين التعظيم
والتفضيل بالشيوخ كما كان عمر بن الخطاب يلحق عبد الله بن عباس بأهل بدر في التعظيم
لعظم قدره في العلم وكان رضي الله عنه في أول أمره يأتي المسجد ويشهد الصلاة والجما
عة ويعود المرضى ويقضي الحقوق ويجيب الدعوة ثم ترك ذلك كله فصار لا يشهد الصلاة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الجمعة ولا يأتي أحداً يعزيه ولا يقضي له حقاً ولا
يحتمل الناس له ذلك وكانوا أرغب فيه وأشد تعظيماً وكان ربما قيل له في ذلك فيقول
ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره فلما حضرته الوفاة سئل عن تخلفه عن المسجد
وكان تخلفه عنه سبع سنين قبل موته فقال لولا أني في آخر يوم من الدنيا وأول يوم
من الآخرة ما أخبرتكم سلس بولي فكرهت أن آتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي وقيل كان اعتزاله فتقوى من الضرب الذي ضربه
وكانت الريح تخرج منه فقال إني أوذي المسجد والناس والذي ضربه كان في
خلافة أبي جعفر المنصور من العباسيين لا في أيام الرشيد والأشهر أن جعفر بن سليمان
هو الذي ضربه في ولايته على المدينة واختلف في سبب ضربه فقيل إن أبا جعفر
المنصور أو جعفر بن سليمان نهاه عن حديث ليس على مستكره طلاق ثم دس إليه
من سأله فحدث به على رؤوس الناس وقيل إنه أفتى عند قيام محمد بن عبد الله العلوي
بأن بيعة أبي جعفر لا تلزم لأنها على الإكراه على نحو الكثير الرواة وقيل إنما ضربه
في تفريقه عثمان على علي رضي الله عنهما واختلف في مقدار ضربه من ثلاثين إلى مائة ومد
يداه حتى انخلعت كتفاه وبقي بعد ذلك مطلق اليدين لا يستطيع أن يرفعهما
ولا أن يسوي رداءه فلما حج المنصور أقاده من جعفر بن سليمان فقال أعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط على جسمي إلا وأنا أجعله في حل ذلك الوقت لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمل مغشياً عليه فلما أفاق دخل الناس عليه

فقال

قال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ثم قال في اليوم الثالث قد تخوفت أن أموت فألقى
النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي فما كان إلا مدة
حتى غضب المنصور على ضاربه فضربه ونيل منه أمر شديد قال الدراوردي سمعته يقول
حين ضرب اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون وكان ضربه في سنة ست وأربعين ومائة وقيل
سنة سبع وأربعين وكان يقول ضربت فيما ضرب فيه محمد بن المنكدر وربيعة وابن المسيب
ويذكر قول عمر بن عبد العزيز ما أغبط أحداً لم يصبه في هذا الأمر أذى قال العتبي ما زال مالك
بعد ذلك الضرب في رفعة من الناس وإعظام حتى كانت تلك الأسواط حلياً حلي
به رحمه الله انتهى الخطاب وتوفي رحمه الله مالك بن أنس وكان جده أبو مالك وكان من كبار التا
بعين وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان رضي الله عنه إلى قبره ليلاً وغسلوه ودفنوه أبو
أبي عامر الصحابي واسمه أنس شهد المغازي كلها إلا بدراً والأصبحي نسبة إلى ذي أصبح
بطن من حمير وهو من العرب حليف في بني تيم رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه
كان جده حالف طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو تيمي والصحيح
أنه من تابع التابعين وما قيل أنه من التابعين لأنه أدرك عائشة بنت سعد بن أبي وقاص فيه
نظر لأن عائشة على الصحيح أنها ليست بصحابية لأن الكلاباذي ذكرها في التابعيات ولم
يذكرها ابن عبد البر في الصحابيات واختلف في ولادته من ثلاث وتسعين إلى سبع
وتسعين قال التتائي وتوفي على الصحيح صبح الأحد لتمام اثني عشر يوماً من ربيع الأول
سنة ست وسبعين بتقديم السين على الباء ومائة اهـ والمعروف أنه توفي سنة تسع
وسبعين ومائة وقاله الداودي وغيره وقاله القلشاني والبرزلي الحكاية بين أحمد العزيزي
بقوله

فقد رمز الشيخ عياض في المدارك • وفاة مالك بقول كاع •
وذاك فعص عنه أن تؤرخه • فيه ولا انشائه تغمسه •
فقلت لها أن آتيت ذلك • تاريخه قولك فاز مالك •

ودفن رضي الله عنه بالبقيع وعليه قبة وإلى جانبه قبر لنافع قال الشيخ في أماليه أنه نافع
القارئ أو نافع مولى ابن عمر ولما مات رثاه الرجال والنساء فمن ذلك قول عثمان بن كنانة رحمه الله

ألا إن فقد العلم في فقد مالك • فلا زال فينا صالح الحال مالك •
فلولاه ما قامت حقوق كثيرة • ولولاه لانسدت علينا المسالك •

ومن ذلك ما حكاه أصبغ عن امرأة أنها رثته بقولها

بكيت بدمع واكف فقد مالك • ففي فقده ضاقت علينا المسالك •
وما لي لا أبكي عليه وقد بكت • عليه الثريا والنجوم الشوابك •
حلفت بما أهدت قريش وهللت • صبيحة عشر حين تقضى المناسك •
لنعم وعاء العلم والفقه مالك • إذا عد مفقود من الناس هالك •

ومناقبه وأحواله كثيرة وما ذكرناه منها قل من كثر انظر جملة منها في الحطاب
أي تشتت فقوله مع ما سهل سبيل ما أشكل من ذلك هذا هو السادس من

من المسئول ومع ضرو راجع لقوله جملة وتقرير الكلام ان اكتب لك جملة مطابقة
ما يسهل الله بعونه وتبين لك ما اشكل مما تفقه من امور الديانة واصول الفقه وفنونه
او من الجملة او من المذهب والاول اصوب لانه ربما يعرف انه واشار لبيان ما جهله
من تفسير الراسخين وبيان المتفقهين ذكر العلماء ما حاصله ان مرجع التفسير الى
تعيين المعنى المراد من اللفظ المحتمل للمعاني المتعددة وان مرجع البيان الى تبيين المعنى
الذي عنه المفسرون والظاهر ان المص اغا ظاهر ان الاول للراسخين دون الثاني لان الفضل
والمزية لكاشف المراد من اطيه دون المعبر عنه ويحتمل ان المص تفنن في العبارة فقط
ومثلوا للراسخين ابي ابن كعب وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن سلام وعبد
الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود وغيرهم ومثلوا للمتفقهين باصحاب مالك كعبد الرحمن
ابن القاسم واشهب وغيرهم ومثل الحطاب في حاشيته للاولين باصحاب مالك وللاخرين
بسحنون وابن حبيب ويحملون قولهم في حديث لا يخطب احدكم على خطبة اخيه اذا
محمل ذلك على ما اذا ركنا وتقاربا وقولهم في خبر النهي على البيع والنهي عن البيع وان كان
محل ذلك اذا ثبتت المخالطة او الظنة وغير ذلك قيل والفقيه هو العالم باحكام الافعال
بالقياس والاستنباط فقوله **لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان** لما وقع
من بيان الامور السنة ابتغى سأله الشيخ محرز ان يكتبها له من هذا سبب نزول هذه
تاليف هذه الجملة او سبب كتبها له مختصرة لما تقرر من ان الاختصار اقرب للحفظ
واسهل للضبط او بسبب كونها مشتملة على ما يسهل تحصيل ما اشكل وفي ذلك ملابسة
لحال الولدان لصغرهم والتشبيه في قوله **كما تعلمهم حروف القرءان** انما هو في الكيفية
بان يذكر لهم صغارا مشتبان العلم قبل كبارهم كما انه في تعليم القرءان اولا تابعهم
الحروف الدالة على معرفة قراءة كتاب الله حتى يدوم علمه ما قاله الاجهوري
مقتضى التشبيه ان تعليم حروف القرءان اكثر من تعليم العقائد والشرائع مع
انه انما يذكر عليه مقتضى القرءان والشريعة فقط وانما اضاف الحروف الى
القرءان لانه كما يطلق على المعنى الذي يطلق ايضا على الالفاظ المنزل للاعجاز بسورة
منه اطلاقا حقيقيا بل هو الاطلاق الكثير مستفيض قول الجمهور انظر كلام الشيخ
فالحروف القرءان والقرءان كلام الله القديم الذي هو صفة من صفاته ليس بحرف
ولا صوت اهو والنص غيبه في تعليم الولدان العلم وارد في الحديث ذكر ابن الجوزي في
باب ايثار الشبان على الاشياخ بالعلم بسنده عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم الاحداث اذا رضيتموهم ومن ابن نعيم في رياض
المتعلمين عن شيخ حوشب كنا ناتي ابا سعيد ونحن غلمان نسأله فكان يقول مرحبا
بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سياتيكم قوم يتفقهون
فتفهموهم واحسنوا تعليمهم ثم بين وجه تخصيص الولدان بالذكر بقوله **ليسبق
الى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته**

انه اكبر بالتعيين والتاويل
للايات الموهمات عارضة
التشبيه كالخبر في ايات محكمة
هي ام الكتاب وغيرها ايات
اخر متشابهات منها
ما يوهم الجارحة كالوجه
والعين واليد وبيقى وجه
ربك كل شيء هالك الا
وجهه تجري باعيننا واصنع
الفلك باعيننا فانك باعيننا لما
خلقت بيدي ومنها ما يوهم
الجهة وهو الفوق السماء الا
وفي الارض الذي ثم استوى على
العرش الرحمن على العرش
استوى اليه يصعد الكلم الطيب
وهو معكم اين ما كنتم ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد ونحن اقرب
اليه منكم وجاء ربك والملك
صفا صفا وفي الحديث من ذلك
كثير ينزل ربنا كل ليلة الى
السماء الدنيا فيقول هل من
داع فاستجيب له الحديث
وفيه عن العلماء النقل وبلغة الا
ويليق ما دام طريق التقريب
من فلا من المستحيل والاول
لعدم بيان ظواهرها توهم
نقصا يجب للانبياء بسلك
عليهم الصلاة والسلام وكذا
في حقهم الملائكة عليهم السلام

باعترافه وفي ذلك فراغ قلوبهم من الشرور والاشغال الدنياوية وفتنتها وفرصة
فراغهم بتعليمهم الخير الذي تحمد لهم عاقبته قبل ان يسبق اليه الشر فيشتغل قلبه منه
وبعض جهلها وفساد به وتسوء لهم عاقبته وفي تعبيره بالفهم الذي هو ادراك معاني
الاشياء دون العلم الذي هو ادراك حقائقها مناسبة لحال الولدان لقصور عقولهم
عن ادراك الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه والدين اسم لمجموع الاعمال القلبية والجوارحية
فهو اسم لما رجع الى الاعتقادات وهو المسمى بالايمان ولما رجع الى الاعمال وهو المسمى
بالاسلام ولما رجع للاداب اللائقة بين يدي الله تعالى من حال العبادة وهو المسمى بالاحسان
بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل عن الايمان والاسلام والاحسان الذي
قيل فيه انه صفوة السنة يعني ام السنة كما سميت الفاتحة ام القرءان هذا جبريل اتاكم
يعلمكم دينكم ما اطلق الدين على مجموع الثلاثة واما قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
فليس المراد به مقابل الايمان والاحسان بل الاستسلام والانقياد لله تعالى بالظاهر
والباطن الشامل للثلاثة فهو بمعنى الشرع المبعوث به الرسول المبني على التوحيد
فقوله على هذا او شرائعه من عطف الخاص على العام فان حمل الدين كلامه على الاعمال
القلبية والشرائع على الاعمال الظاهرة كان من عطف المتغايرين وثمرة قوله ما ترجى
الفاعل بفعله ليسبق وقوله من فهم الخ بيان لما تقدم من تقرير البيان على البين
وهو جائز خلافا لمن قال ان الجار والمجرور اعتراض بين الفعل وفاعله والرجاء تعلق القلب
بطموع حصوله في المستقبل مع الاخذ في عمل يحصل له ما يترجى على العمل به طمع وهو قبيح
وان لم يحصل في الحكم الرجاء ما افاد انه عمل والامتعه ما ضيعه والبركة الخير وزيادته وعاقبة
الشيء اخره وما اشار اليه من ان العلم اذا تمكن من قلوب الولدان قبل البلوغ ثبت فيه بعد
بلوغهم وسهل عليهم ما تعلموه من امور الدين وحصل لهم بركته في الدنيا والاخرة
لان اوقاتهم كلها في الطاعة انشئوا في عبادة الله ومن عده في الحديث الصحيح
من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله الشاب الذي نشا في عبادة الله
قال عبد الحق الغالب ان من كان على طاعة حسنة لا يموت له عند الموت وانما يموت من كان
على حالة سيئة اهو هنا انتهى سؤال محرز وسببه سؤاله ونص الشيخ على جوابه
على طبق سؤاله بقوله **فاجبتك** اي اسعفتك بمرادك وهذه الجملة معطوفة على
جملة السؤال في قوله سالتني فان العطف وافادته الحصول على جهة الاستيجاب لقوله يا حق
وانه لا يجب على احد بالبيع اذا سئل اليه وقد ذكر الجزولي انه يجب على العالم اذا سئل ان يجيب
بار بعة شروط الا وان يسال الطالب لما يجب عليه الثاني ان يخاف فوات النازلة الثالث
ان يكون المسئول عالما بحكم الله تعالى في تلك النازلة فان كان يحفظ الفتوى بما غلب على ظنه
وان كان مقلدا افتى بنص مقلده الرابع ان يكون الطالب والمسئول في الغير وقد نظم ذلك
بعض شيوخ شيوخنا فقال • وسائل عن مرضه مكلف • لتلبه يعجل ذاك يوصف •
• مطلبه يخشى عليه الفوت • جوابه حتم عليه بت • قال الشا

وإذا وجب عليه الجواب لم يجز له أن يأخذ عليه أجرة وإذا لم يجب فقال البرزلي يجوز له أخذ
اهـ وأجاز بعضهم أخذ الأجرة إذا كان الجواب بالكتابة لا باللفظ ولو وجب عليه الجواب
وإنما بحث الشارح في الشرط الرابع بقوله إن الصغير المأمور بالصلاة إذا تعلق علما لا
يعلمه لينتفع به وجب على المكلف تعليمه كفاية إن كان هناك غيره وإلا وجب عينا
فهو بحث ساقط كما لا يخفى لمن تأمل لأن من جملة الشروط كون المسؤول عنه واجبا والصبي
لا يجب عليه شيء لا التعلم ولا غيره فلا يجب تعليمه واعلم أن المراد على أنه لا يجب الجواب
إلا إذا كان تركه موقعا في حرج والله أعلم كما أنه لا يجب الجواب بالتأليف كما تقدم في
كلام ابن عمر خلافا لقول التتائي أنه يؤخذ وجوبه من كلام الجزولي في الشرط إذا احتاج إليه
والإشارة بقوله إليهم الذي ذلك عائد على المسؤول وهو كتب الجملة المشتملة على ما تقدم
وقوله لما رجوت لنفسي ولك فيه أي في الجواب من ثواب من علم دين الله أو دعا إليه
تعليل لقوله فأجبتك وفيه تنبيه على أنه لا ينبغي بل ولا يجوز للمعلم أن يقصد بتعليمه
إلا ما عند الله تعالى دون رياسة الدنيا والذكر والصيت واستمالة القلوب
والإكثار من الناس في تجارتهم قال عليه السلام إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ
ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى
دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه وقوله من ثواب بيان
لما الموصولة في قوله لما رجوت قال الشيخ زروق والثواب الوارد فيما أشار
إليه يعز بقوله فإنه روي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله اهـ وقد
ورد في ثواب التعليم خير كثير ويكفي في ذلك أن التعليم حرفة النبيين والمرسلين
قال صلى الله عليه وسلم إنما بعثت معلما ومما ورد إن الله وملائكته وأهل السماوات
والأرض حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وورد
من حديث جابر فلذلك شرح ذلك العمل وفي المستخرج عن ابن مسعود رضي الله
عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله تعالى أعطاه الله أجر سبعين
نبيا وفي المدخل أخرج القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس من
يمشي على وجه الأرض المعلمون كلما أخلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم
فتحرجوهم فإن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن
الرحيم كتب الله تعالى براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار وعن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الجنة شجرة تحمل ثمار الكثير النساء
يخرج من تحتها عين ماء يشرب منه العلماء والمتعلمون شراب ... والناس عطاش
وفيه أيضا سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال العلم بالله ثم أعاد
في حديثه وكرر عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال إن العلم
ينفعك معه قليل العمل والجهل لا ينفعك معه كثير العمل اهـ وقال عليه السلام
حضور مجلس العلم أفضل من صلاة ألف ركعة وورد في التعلم أيضا أحاديث منها

ما تقدم من جاء مسجدا لا يتعلم علما أو يعلمه رجع غانما كالمجاهد في سبيل الله ومن جاءه الموت
وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة وفي البخاري من سلك طريقا يطلب
به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة قال الحطاب في حواشيه وما أحسن قول المصنف لما رجوت
ولو كان ثواب العلم مع حسن النية محققا لأكثر زاد في نسبة التقصير إلى نفسه وكأنه
لم يأت بذلك العمل في جميع جهاته وما يستحقه وهكذا ينبغي لكل عامل أن يرى أنه لم يعبد
الله حق عبادته كما عرفه غيره ولو أفنى جميع عمره في عبادته اهـ وأو في قوله أو دعا إليه يحتمل
أن تكون على بابها ويكون معطوفا على قوله لنفسي ولك لفا ونشرا مرتبا ويحتمل أن تكون بمعنى الواو
لأن كلا منهما داع ومعلم أما الشيخ محرز فداع ومعلم حقيقة وأما المصنف فلأن التأليف
تعليم ودعاء إلى الخير من حيث المعنى وعلى هذا الاحتمال اقتصر الفاكهاني والضمير المجرور بإلى
يعود إلى التعليم المفهوم من قوله علم أو إلى دين الله أو إلى الله قال تعالى ومن أحسن قولا
ممن دعا إلى الله قوله واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير
ما لم يسبق الشر إليه توطئة لما ذكره بعد من الحث على تعليم أولاد المؤمنين وأنه أولى ما تعب
فيه الناصحون فهو خطاب للشيخ محرز وتغبيط له في تعليمه للأولاد وإرشادهم وخير الأول
اسم تفضيل لا أصله أخير • وغالبا أغناهم خير وشر • عن قولهم أخير منه وأشر •
وأما الثاني والثالث فمقابل الشر وأوعى بمعنى أحفظ وذلك بأن يتأثر بما يلقى إليه من العلم
وينتقش فيه وينصبغ به حتى تجري الجوارح على مقتضاه وقوله أرجى بمعنى أقرب وقوله
للخير على حذف مضاف أي لوعي الخير وما واقعة على القلب أي قلب لم يسبق الشر إليه وهو
قلب الصبي وإنما كانت القلوب التي لم تتلبس بشر أرجى القلوب لقبول الخير لأن القلب إذا
سبق إليه شر قسى ولم يتأثر بالموعظة وحكمة الحيلة في أن النشء كالأبنية البرية يجعل فيها
الفطرة ما شاء وإنها لا تحبسه إلا بعد تعب ومشقة ولذلك قال العلماء أهم ما على الولي
أن يجنب الصبي أقران السوء لأن الطبع يسرق من الطبع والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم
من يخالل ولأن من خالط العلماء حسب منهم ومن خالط السفهاء حسب منهم وقد أوضح الشيخ
أبو إسحاق البلفيقي ذلك بقوله •

• إذا شئت أن تحظى بوصلي وقربتي • فجانب قرين السوء واصرم حباله •
• وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها • وحط علوم الدين واعرف رجاله •

بخلاف ما إذا لم يسبق الشر إليه فإنه يقبل ما يرد عليه من الخير أسرع قبول إذ ليس هناك
مانع ولا قاطع وما أحسن قول القائل •

• أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى • فصادف قلبا فارغا فتمكنا •

ولعل هذا هو السر في قوله صلى الله عليه وسلم مروا أولادكم بالصلاة لسبع الحديث حتى تتمكن
محبة الدين في قلوبهم ويرسخ الخير فيه أكبر ثم يجزي الله عنا نبينا صلى الله عليه وسلم خيرا
قوله وأولى أي أحق وأفضل ويعني بعبادة الفرائض والحقوق الواجبة وما لا بد
منه من نوافل الخيرات وما يجمع ما تفرع عن العز الحي آخر التنبيه ألا وأعز قول ... فضوا

معطوف على خير مضمون قول أن



وقوله **ما** ابتدا لانه موصول وهو خير القلوب على قوله وأولى عطفه على وقوله صرفهم عنوا ما
عني به بالبناء للمفعول بمعنى شغل وفي نسخة عني به بالبناء للفاعل يعني تعب كما في
الغزو ولي وقوله **الناصحون** أي المرشدون للخير المحذرون من الشر نائب او فاعل والله
والنصيحة شأن كل مؤمن وقد قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة الحديث وقوله
ورغب في أجره عطفه على عنا وقوله **الراغبون** فاعل رغب أي الطالبون للخير وقوله
إيصال الخير خبر أي بليغه وقوله **إلى قلوب أولاد المؤمنين** الشيخ زروق وكونه
إلى قلوب أولاد المؤمنين لكونه مقابلة بقلامة أولاد الكفار لسبقية الشر إلى قلوبهم ولعدم
إمكانه ذلك في أولاد الكفار ولو امكن لوجب اهـ ومراده أنه يجب أن يلقي إليهم ما يجب به
إسلامهم ويلقى إليهم محاسن الشريعة ويبين لهم بطلان ما هم عليه ولا يمكنون من تعلم القرآن
لانه ربما أدى إلى ممتهنة إهانتهم له وقد روى العاصي منفرح ولذلك لا يسافر بالمصحف إلى أرض
العدو خشية أن يصله مبتذلا لهم العدو وهم نجس ولا يمسه إلا المطهرون قال مالك
ومن علمهم القرآن من ذلك جرحته في حقه وشهادته وإمامته وأجاز ذلك أبو حنيفة وروي عن
الشافعي واعلم أنه قد يجوز أن يريد بقوله هنا وأولى ما عني به الخ وقوله في آخر الكتاب
ما عمل أحد من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله واجب بيان ذلك يختلف باختلاف
الأشخاص فإن ما باب أولى بالنسبة لمن فتح له في باب الذكر وتيسرت عليه أسبابه وكان
عمل البر الثاني أيسر عليه من عمل الجهد وما هنا أولى بالنسبة لمن كان قويا وفتح له في باب
التعليم ولم يفتح له في غيره وزاد نيته خالصة لله في هذا الزمان الذي قل فيه العلم
وكثر فيه الجهل وصار الشر بدعا والورع نسأل الله السلامة والعافية ونظير هذا
ما قيل في اختلاف أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل أي العمل أفضل من أنه صلى الله عليه وسلم
طبيب القلوب وكان يجيب كل أحد بما يناسب حاله فقال لبعض الصلاة لوقتها لما
رآه فيه من التقصير وقال لآخر بر الوالدين وقال لآخر الجهاد في سبيل الله وقد نقل
الحطاب في بيان شرح المختصر عن السيوطي في حاشية الموطأ في كتاب الجهاد أن عبد
الله العمري كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل وترك اجتماع الناس عليه في العلم
فكتب إليه مالك إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في الصلاة ولم
يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الجهاد
ولم يفتح له في الصلاة ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح الله
لي من ذلك وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير ويجب
على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام اهـ وقوله **ليرسخ فيها** تعليل
لقوله إيصال الخير أو لقوله أولى والفاعل وضمير ذلك وإيصال العلم نفيس ولا ينبغي
أن يوضع إلا في محل نظيف لم يتنجس بدنس المخالفات وليس إلا قلوب أولاد المؤمنين
أو من عرف بالخير والدين ولهذا قال الشيخ أبو عبد الله ابن عباد رحمه الله في شرح الحكم وعلى
المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه إلا لمن توسم فيه الخير والصلاح إذ ذلك

تستفيض

تستفيض له النيات والمقاصد التي ذكرناها ولا يبذلوا لمن سوى هذا من علم حالته أو جهله
ثم قال وفي قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن أحفظ العلم ممن يفسده
ويستضر به أولى كما قيل ● ومن منح الجهال علما أضاعه ● ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وقد حكي عن بعض الأئمة السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مرة في أخلاقه فإن وجدوا فيه
خلاف ذلك منعوه التعلم أشد المنع وقالوا إنه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردي
فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء
في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب ثم قال الغزالي وقال بعضهم
رأيت سفيان الثوري حزينا فقلت ما لك فقال وهو يترنم ما صرنا إلا متجرا لأبناء الدنيا قلت وكيف
ذلك قال يلزمنا أحدهم حتى إذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا أو صاحبا أو قهرمانا أو حاجبا
فيقول حدثنا سفيان الثوري اهـ وقد ورد لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها
أهلها فتظلموهم ثم ذكر رحمه الله أن في تعليمهم مفاسد تختص بهم ومفاسد تتعدى منهم
إلى غيرهم وأن من الأولى تفويتهم صيانتهم الزهية لاستشعارهم التوصل بعلمهم إلى جميع
المطالب الدنيا وبقي على الكمال فتشتغل نفوسهم حتى يظهر آثار ذلك على ظواهرهم
من التكالب على الدنيا والركون التي هي عندهم من أنفاسهم المنزهين فيتوسلون بذلك إليهم
ويحتالون على تحصيل إقبالهم عليهم بأنواع من الحيل ولا يتعلمون في ذلك من الرياء والتصنع
والنفاق والدهان ونحو ذلك من ضروب العصيان وأنواع الذل والهوان ومن المفاسد
الثانية وقوع الاغترار للجهلة بهم لأنهم يشاهدونهم قد حازوا من زينة الدنيا ما أرادوا
ويتوهمون أنهم نالوا شرف الآخرة بما أحرزوه واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم
في طلب العلم ليفعلوا فعلهم أو يؤديهم ذلك إلى محبتهم واستحسان حالهم فيخرج
بهم ذلك إلى الداء الوبي وهو متابعة طباعهم الدنية ويتمكن في صدورهم ما هو نقيض
بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وحب الفقر والمسكنة وإيثار التواضع
والذلة والتخلق بأخلاق الأبرار والأخيار ونشوء العز من أن يكون المنافع والأتباع ثم
تؤول بهم ذلك إلى الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم المكر السيئ ونحو ذلك وبال ذلك راجع
إلى العلم المنتشر أسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك رحمه الله حيث يقول

وهل أفسد الدين إلا الملوك ● وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا ● ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة ● يبين لذي العقل إنتانها

اهـ بعض كلامه وقد أطال الغزالي في ذلك فانظره ونقل في تنبيه الغافلين عن العلماء
كذا في شرح الرسالة ما يخالف ذلك ونصه وينبغي للعالم أن لا يمتنع من تعليم
أحد لكونه غير صحيح النية فإنه يرجى له حسن النية وربما عسر في كثير من المبتدئين
الاشتغال بتصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة أنسهم بموجبات تصحيح النية
فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحها

ـراه علامة الله

اذا انتشر العلم ومن قالوا طلبنا العلم لغير الله فأبى ان يكون الا لله ومعناه انه لطلب لله او
قال شيخنا المحقق في شرح الحكم ما ذكره من انه لا يبذل العلم الا لاهل الخير والصلاح
مراده والله اعلم انه اذا علم من احد فساد النية وخبث الطوية وتمكن الفسق من قلبه و
انه لا ينفع فيه الموعظة والتقرير والتذكرة فالواجب عليه ان يقصيه ويجانبه ويجلسه
عند علمه وان كان من كان لانه لا يزداد به الا شرا ان امكنه ذلك من غير مفسدة تترتب
عليه والا فقد نصوا على انه لا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص نيته ثم نقل عن شرح المهذب
مثل ما تقدم عن الغزالي والله الموفق. قوله **وتفهيمهم** عطف على قوله ابطال الجهل
وكانه تفسير لمعنى ابطال الجهل ابدال فاطهم من سنة الغفلة والجهالة. قوله **على معالم**
الديانة هي مشاعر الدين ويحتمل ان يريد بالمعالم الاثار التي يستدل على العقلاء العالم
الاصل هو ما يجعل امارة على الطريق ثم صار يطلق على كل ما يستدل به على الشيء ممن ما يعلم به
الشيء فيكون كقوله فيما تقدم وتبصيرهم بما ان ضعفه والمراد بقوله **وحدود الشريعة**
الاحكام المتعلقة بافعال المكلفين وليس هو غير ما قبله وقال العطار المعنى تنبيههم
على مواضع الشريعة ونهي الابلاء وعلى حدود الشريعة اي الامور التي حدها الشارع وامر
بالوقوف عندها انتهى. وقوله **ليراضوا عليها** اي ليذللوا انفسهم وينقادوا ... من قولك
رضت الدابة للقتال حتى لينتها ... بما يراد منه والقته وصار طيعا انتهى. وقوله
وما عليهم ان تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم ما اسم موصول
عطف على معالم او على الضمير في قوله عليها خلافا لمن قال بانها استعملت مثبتة او ناهية وهو
كعطف التفسير على ما قبله فهو زيادة بيان وتقرير. وقوله **فانه روي ان تعليم**
الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله استدلال على قوله اولى ما عنى به الخ لان الحديث
الخ وما قيل من ان هذا الدليل اخص من الدعوى لان تعليم القرآن هو بعض مما انتم به
الاستدلال يجاب عنه بان المنصف ان تكتب هنا فيه احروية لانه اذا كان تعليم حروف
القرآن وبعضه دون احكامه ومعانيه موجبا لهذا الفضل فمن باب اولى ان يكون تعليم
شرائع الدين ومسائل الاعتقاد الذي هو اكثر من تعليم حروف القرآن موجبا لذلك
وهذا اولى ما يجاب به والمراد بالصغار اولاد المومنين فقط والاضافة للاطفال
والغضب لغة غليان الدم واستشاطة لارادة التشفي والانتقام قال العلقمي في شرح
الجامع قال بعض العلماء خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة في الانسان فمهما قصد
او امر ما اشتعلت نار الغضب حتى يحمر الوجه والعينان من الدم لان البشرة تحكي لون ما
وراءها وهذا اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه وان كان غضبه على من
فوقه فانه يتولد منه انقباض الدم من ظاهر الجسد الى جوف القلب فيصفر اللون
حزنا وان كان الغضب على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر
انتهى والغضب بهذا المعنى مستحيل في جانبه تعالى فيحمل على لازمه وهو نفس الانتقام
والعذاب لا ارادته كما قيل لانه لا يناسب قوله يطفئ لان الارادة صفة قديمة ويجوز

النفس

وقوله

وصفه تعالى بالرضى كما يجوز وصفه بالغضب وليس معناه في حقه سكون النفس
وميل الطبع بل الاثابة المرضي عليه او ارادتها ومعنى الحديث ان تعليم الصبيان في غزاة
الله عمن استحقه من ابائهم او عمن تسبب في تعليمهم او عنهم فيما يستقبل او المجموع او عن
المحل الذي هم به او قرية العزاء في عموما ولذلك قال الصبيان في المكاتب شفعاء الصادق
العقاب والمعذرة الله تعالى اذا نظر الى الصبيان في المكاتب رفع العذاب عمن استحقه
من اهل القرية فقال الجزولي والحديث موقوف على علي رضي الله عنه لكنه في حكم المرفوع لا مثله
لا يقال من قبل الراي. وقوله **وان تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر** استدلال
على قوله لترسخ فيها والحديث اخرجه الطبراني في الكبير بسند ضعيف مرفوعا بلفظ مثل الذي يتعلم
في صغره كالنقش في الحجر ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء والتشبيه في كلام المص يحتمل
ان يكون في مجرد الرسوخ ويحتمل ان يكون فيه وفيما يلحق فيكون في الحجر من العناء والتعب لان تعليم
الصبيان يلحقه فيه للعلم اليهم عناء ومشقة لعدم تمام عقولهم فاذا القي اليهم رسخ
في قلوبهم وثبت لفراغها من اشغال واعي النسيان الذي يعتادهم والكبار بعكس ذلك
وانهم لتمام عقولهم يفهمون ما يلقى اليهم سريعا لكنه لا يرسخ فيهم لانها معمورة بهموم الدنيا
واشغالها وما ان كان الغالب على الكبار ان يكونوا اولي الرعونة والبطالة والاستعطاء ولم الخ وقيل

علم بنيك صغارا قبل كبرهم	فليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت	ولن تلين اذا قومتها الخشب

وقيل

اراني انسى ما تعلمت في الكبر	ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلم الا بالتعلم في الصبا	وما الحلم الا بالتحلم في الكبر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا	لالفى فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب الا تعسف	اذا كل قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء الا اثنان عقل ومنطق	فمن فاته هذا وهذا فقد دمر

ولاجل فراغ قلوب الصغار ان اشتغال الدنيا وهم الرزق وخوف الخلق وجمع همهم
على الاخرة لما ينافي الذي يروى في الكتب انتفاء على حفظهم لرسوخ ما سمعوه في قلوبهم
وقد قال الشافعي رضي الله عنه لو كلفت شراء بصلة ما حفظت مسالة واحدا وقال
بعضهم لا يصلح العلم لمن يهتم بغسل ثوبه وما يأكل حتى يشبع والعرضيان يولد عملا وطال
تعليم الولدان الاول من جهة المعنى والثاني من جهة الحسن تنبيه تلقى الاول اذا ارادا
الشيخ الطالب للافادة بلبيته فيه وما ينبغي ان يشتغل به وليشتغل فيه فالبيه للان
الاشتغال بتعليم الاول تضييع وقت بغير فائدة انتشار قال المرابط مبني على صحة
الالحطة فان نحو الانكلوا الصرفة فيه ان الاحمال اذا نهوا عن شيء عن هوا الذي
شيء ونهوا عنه لسلطه واعلى الصلاح عليهم وقت التكليف وقع على علم من الشرعية
على انه ثما كان رضي الله عنه كره ان يعجل بتعليم الصغير القرآن وانكر ما قيل من كمل
جمع القرآن ابن سبع سنين ونحوها قال ابن المنير وكل ذلك والله اعلم كرهه ذلك الخ

القائل هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم
بن عرفة الازدي النحوي المشهور
بنفطويه و [redacted] نفطويه
بكسر [redacted] اوله افصح من فتحه حركة ...

خشية ان يلتبس به على خلاف ما ينبغي من الافادة بالحروف واخراجها عن مخارجها وان يعمل اعماله
لكن افعاله وتعزيزا بالملازمة ووضعا من حفظه الذي ينبغي ان يفتح له فيه من التلهي المغيرة
الا الاعمال المروح لا نفسهم ان المراد منه فينبغي ان يرفق بالصغير ولا يكلف من العمل الا ما يطيق
وفي الحديث ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله فقوله وقد مثلت لك اي صورت والمراد
انه صور مسائل هذا الكتاب في ذهنه ثم وضعه في الخارج ولذلك عبر بالمثال وعبر ايضا
بالماضي لوقوع التمثيل في ذهنه قبل الخارج ويدل لهذا قوله في باب جمل من جامع الطلاق شيء
من مسائل التهم وقوله في باب الاقضية شيء من هذا وما بعده من قوله وسأصف لك الآن
بالنسبة لما في الخارج واما الاشارة بقوله من ذلك عائدة على معالم الديانة وحدود الشريعة
هذا هو الظاهر او على الذي سأله اي يكتب له وعليه اقتصر العطار وقوله ما ينتفعون ان
شاء الله بحفظه ما موصولة او نكرة بمعنى شيء وذكر المشيئة تبركا لان كل شيء بمشيئة
الله او اشارة الى ان الانتفاع بالحفظ لا يسلم فقد يكون وقد لا يكون وانه لا ملازمة
بين الحفظ والانتفاع وقد تقدم اثناء التعريف بالمصنف قول الشيخ زروق وقد صحت كرامته
على العامل في ابي محمد مراجعته وتحقيق متعلق النفع الحفظ لان تحصيل العلم انما يكون بالحفظ
وهو تحصيل صورة المسئلة في الذهن وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة
ثلاثا لتعقل عنه ولذلك قال بعضهم

فانت مسائل سمعون لفظ بها • بالكبر يترك منا كل املا اشتغل
للابد كل العلم بحال ولا الكسل • ولا ملول ولا من يعرف البشر

ولابد مع الحفظ من المذاكرة حتى يحصل الفهم لان الفهم هو المقصود من الحفظ ولذلك ذم
العلم ويشرفون بعلمه وقد قيل فهم سطرين خير من حفظ وقرين ومذاكرة اثنين
خير من هذين وقيل

اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه • ولم يستفد علما نسي ما تعلما
فكم جامع للكتب في كل مذهب • يزيد مع الايام في جمعه عمى

وما احسن قول بعضهم في شروط تحصيل العلم وكذا آدابه

قل للمحاول رتبة من غير كد ذا بحال • ما تبلغ المعالي بلا عناء فمن ذاك تكتسب العلا
وادمن لتذكار بتبني • واعط الحفظ كل ارطال • وذو في الغناء فيطيعهم ما العلم من قبل الشغل
وعليك مال ثابتة به • بعمم منزلك خير حال • وتوق ما استطعت الغفل وان احببت ان
واعص من الناس الاولى • يبغون محمود الخصال • واذا تعزز هلو لا ماضي سلطنة الاعتزال
والخير اجمعه لدى • تقوى المهيمن ذي الجلال • تمت نصيحة ناصح • تحكي على الجيد اللآل

فقوله ويشرفون بعلمه اي بهم مكانه وشرف الانسان ورفع منزلته بالعلم امر معلوم
عند كل عاقل ولذلك يدعيه من لا يحسنه ويفرح به من ينسب اليه وذلك باعتبار الدنيا و
الدين اما فضيلته باعتبار الدنيا فهو ما هو مشاهد من انه يكبر به قدر الصغير ويرتفع
به شأن الحقير والجهل على العكس كما قيل

ج
ولا كسول
اشتقها بالتقي البشرا
وهذا حسن من جهة المعنى

تعلم فليس المرء يولد عالما • وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده • صغير اذا التفت عليه المحافل
وان صغير القوم ان كان عالما • كبير اذا ردت اليه المحافل

وفي الحديث العلم يزيد الشريف شرفا ويرفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك واما باعتبار
الدين فان بالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار ومرافقة الابرار وبه توصل الارحام وتعرف الاحكام
ويعرف الحلال والحرام وبه يعرف الله ويوحد ويطاع ويعبد قال بعضهم

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك • والعلم للمرء مثل التاج للملك
اشدد يديك بحبل العلم معتصما • فالعلم للقلب مثل الماء للسمك

والى فضيلته الاخروية اشار بقوله ويسعدون باعتقاده والعمل به تنبيه
من تعظيم شرف العلم ومرتبته انما تحصل لمن عرف حقه وانزله منزلته ولم يتخذه سلما يتوصل
به الى ابواب الظلمة وطريقا لحطام الدنيا والاحتيال في ذلك من الذل والهوان وغير ذلك من انواع المحظور
وضروب الفحشاء تأمل عن وصمة اللسان كما هو مشاهد من بعض العباد قال بعضهم العالم طبيب
هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء متى ينفع غيره الشفاء وقال وهب
ابن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا
لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فاصبح اهل
العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا
في علمهم لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال فضيل بن عياض لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم
وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة
وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا
بما نقص من دينهم اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس
فذلوا وهانوا على الناس ولله در القاضي العلامة ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما • راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى • ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي • لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ااشقى به غرسا واجنيه ذلة • اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم • ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا • محياه بالاطماع حتى تجهما

وما احسن قول القائل

لا تركنن الى اهل الامارة في • شيء تؤملوا واقطع دونهم املا
وان ترد ذلك يوما ما على عجل • كل التراب ولا تعمل لهم عملا

اللهم وفقنا يا مولانا للعمل بما يرضيك عنا يا ارحم الراحمين فقوله ويسعدون باعتقاده
اي يكونون من السعداء بالايمان به تعلق بهم وحذف المشيئة من الثانية والثالثة لدلالة الاولى

وقوله والعمل بدأ به لقوله رحمه الله والمراد اعتقاد ما هو من المعتقدات وعمل ما هو من العبادات
والشهادة لهم بالمنفعة الا ان فيه العقبى وهي دخول الجنة وما يكون بعد ذلك وقد تقدم
طرف من ذلك عند قوله و ... عنه ما من الله وما احسن قول بعضهم

العلم شيء حسن يحصله ذو الطلب • والمرء بالنحو وخذ من بعده في الادب •
فان اردت ان تحوز جاها وعز منصب • فاقرا اصول مالك • واحفظ فروع المذهب •
قبله قال مالك • سلسلة مذهب • واعمل بما حفظته • تحظى باعلى الرتب •

وقوله اي يؤمرون بالصلاة لسبع ويضربون عليها لعشر ويفرق بينهم في المضاجع والله
نص هذا اللفظ ابو داود والترمذي والنسائي عن سبرة بن معبد وقال حسن صحيح ولفظ ابي داود
مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع
ولابي داود ايضا اذا عرف الصبي يمينه من شماله فمروه بالصلاة ونقل ابن الجزري عن كتاب ابن السني
في عمل اليوم والليلة اضربوه على الصلاة لسبع وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك فليجلسه
ثم يقول لا جعلك الله علي فتنة قال واذا افصح الولد فليعلمه لا اله الا الله وكذا
اذا افصح الولد ... عليه ... وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية ثم اعلم ان في امر
الولي فالمشهور بالوجوب والندب ويبتنى على القولين ... قال الحطاب والمشهور
ان القول بالندب ... اللخمي وابن عمر وابن يونس وغيرهم ... امر الصغار فقال القرافي
ابن يونس وابن رشد على المشهور وقال ابن بطال على الوجوب اه وكتب عليه بعض ... ما نصه انظر
قول ابن بطال بالوجوب كيف ... حقيقة الواجب ثم وجدت نقلا عن الجزولي ما نصه وهل
هو واجب او مستحب والله اعلم خلاف الولي من قال بالوجوب يكون الاب او الوصي ...
بترك الامر بالصلاة وهو الذي قال ابن بطال ... العلماء ان يعلموا الصبيان ما يجب عليهم
من اعتقاداتهم التي ... من امور دينهم ومن قال انه غير واجب عليهم فكان عليهم ... بسبب
اخلال الامر بالامر ... هو امر او ليس بامر وكلام الحطاب انه ليس بواجب ... قوله فكذلك
ينبغي ان ... كانت ... العبارة هي معتمد ... الشيخ في النقل ... لا نظر لا مراد
ما يجب عليهم بعد البلوغ والله اعلم ولا يقال ... بل لان ... الواجب لا في ... عقابا
وقد يحصه بالضرب لانا نقول المراد بالعقاب في العموم ما نبينا على المعصية من الاثم من استحقاقه
في الاخرة ان لم يعف عنه كما هو ظاهر ... ابو بكر البعض المتقدم ... ذكار ...
... للقواعد وفي قوله بالصلاة اشارة الى ... بالصوم ... لضعفهم عنه
والعموم تكرر ... الصلاة وقوله لسبع قال الحطاب بعد ان جلب نصوصا ما نصه الذي يظهر
من هذه النصوص كلها ان المراد ببلوغه لسبع دخوله فيها وكذلك المراد بالعشر دخوله
فيها لا اكمال السبع والكمال العشر ونصوصهم المتقدمة كالصريحة في ذلك اه وقوله و
يضربون الخ وكذلك للزوج ضرب الزوجة على تركها والضرب غير محدود عند ابن القاسم وانما
هو للزجر غير مبرح وقيل ثلاثة اسواط ... على الظهر فوق الثياب او على باطن
القدمين مجردة ... ولا يزاد على ذلك ... عن الصفة ما القطاع في غير الابوين انظر الفقاء

واعلم

ولعلم ان ثواب اعمالهم لهم كما يدل له ما ورد من اختلاف مراتبهم في الجنة على حسب اختلافهم
في الاعمال وانما ... الامر ... عنهم فانما هو باعتبار ما عليهم لا باعتبار
ما لهم فالسيئات لا تكتب عليهم والحسنات تكتب لهم ويدل لذلك انه صلى الله عليه وسلم
لما سالته امراة عن الصبي ألهذا حج قال نعم ولك اجر وقول من قال ان ثواب لوالديه انظر ما او كان
الثلثان وللاب الثلث ... وان ليس للانسان الا ما سعى نعم لهما اجر التسبب لانه
... وقوله ويفرق بينهم الاصح ما قاله ابن وهب ان التفرقة اذا بلغوا عشر سنين
فيكون قوله في الحديث وفرقوا بينهم راجعا لقوله واضربوهم الخ خلافا لقول ابن القاسم
ان التفرقة اذا بلغوا سبع سنين والمراد بالتفريق هنا التفريق بالثياب وان كانوا في لحاف
واحد وما قاله الاجهوري ... خلافا للخمي في قوله ان المراد ان يكون لكل واحد فراش مخصوص
ثم التفرقة على سبيل الاستحباب ... قوله وكذلك ينبغي ان يعلموا ما فرض الله على
العباد الاشارة الى الامر بالصلاة قبل البلوغ اي كما امروا بالصلاة قبل البلوغ فكذلك
ينبغي ان يعلموا وكان المصنف رحمه الله ... هذا قياس ... الاحكام ... لا يجب ...
لان هذا من الامور التي لا ينبغي ان يقدم عليها الا بنص من الشارع والنص انما ورد في الصلاة
فقط فلا يقاس عليها غيرها ... بهذا القياس ان المصنف انما قال ينبغي ان يعلموا ... الفعل
ينبغي ان يصوموا رمضان او يحجوا او يجاهدوا ... في قياس ... ونقل ...
عن الشيخ ابي العرج ان الصبيان ... في الامر والنهي في الماكل والمشرب والملبس قال فيحرم عليهم
لباس الحرير والذهب والفضة واكل الحرام ونحوه قال ... الامر بالصلاة اصل في المامورات والامر
بالتفريق في المضاجع اصل في المنهيات ... قال ... اذا علمت ...
الضرفة ... ما ... اهل المذهب من كلام المدونة من ان ... تحلية الصغير
بالفضة وكره الذهب واستشكلوا التفرقة بين الذهب والفضة ... والمراد بالعباد المكلفون
لا فرق بين حر وعبد ومسلم وكافر على الاصح من ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كما يدل له
قوله تعالى ما سلككم في سقر الاية فهم مكلفون بتحصيل الفروع وبما تنبني عليه وهو الايمان
قوله من قول وعمل الكثير اطلاق العمل على ما يتناول عمل اللسان كحديث انما الاعمال
بالنيات وقد يستعمل في مقابلة النطق كما في حديث اللهم اني اسالك الجنة وما يقرب اليها
من قول او عمل واعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول او عمل فيحتمل ان يكون كلام المصنف
... على الاستعمال الكثير ويحتمل ان يكون من عطف المغاير بناء على ...
واما الفعل فلا يطلق الا ... لقولهم في ...
العمل على ما بيناه من عمل القلب واللسان وعمل الجوارح قوله ليأتي عليهم البلوغ
فيه حذف اي ليأتي عليهم اول البلوغ لقوله ليأتي عليهم ولم يقل ليأتيهم فضمنه معنى مر والمرور
يقتضي الانصرام والانقطاع وهو غير مناسب والبلوغ قال المازري قوة تحدث في الصبي
يخرج بها من حال الطفولية الى حال الرجولية وتلك القوة خفية الادراك ... فنصب
الشارع لها علامات تعرف بها ويستدل بها عليها وهي خمسة ثلاثة في الذكور والاناث

الانبيات والاضطجاع والسهو والنسيان في الاناث الحيض والحمل واعلم ان المكلفين باعتبار وقت
التكليف ثلاثة اقسام قسم كلف باول نشاته وهم الملائكة وادم وحواء واول ما كلف به عدم
الاكل من الشجرة وقسم لم يكلف الا بعد البلوغ وهم بنو ادم وقسم تردد فيه العلماء وهو الجن
واستظهر بعض العلماء انه كالقسم الاول وقوله وهو تمكن ذلك من قلوبهم جملة حالية وعبر
بمن دون في اشارة الى انه يصير كبعض قلوبهم اي كالجزء منها قوله ويكتنف اليه النفس
اي ارتاحت اليه والعقل والنفس هنا الروح وفي الكلام عليها اه نشاة الله قوله وانسقت
ما يعملون به من ذلك جوارحهم عطف كقوله فيما تقدم لم اضوا عليه اي لنقاده تولد طباعهم
كالبهيمة التي تراض للتعليم فيمرنون في جميع احوالهم لما يعتادون اليه من امور دينهم ودنياهم
هم مليسر ذلك لانهم يتكلفون بل للتمرين ويقال انسر انسقا بمعنى تانس ضد الوحشة وانسق
ايضا تتابع بمعنى ابصر ومنه قوله تعالى انس من جانب الطور نارا قوله وفرض الله سبحانه
على القلب عملا من الاعتقادات وعلى الجوارح الظاهرة عملا من الطاعات انما اتى به وان
كان يعلم مما تقدم في قوله وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح ليبين ان المراد بالعمل الذي جعله
في مقابلة القول عمل القلب والجوارح لا عمل الجوارح فقط كما قد يتوهم والعوارض المتعلقة
بالقلب عقائد الايمان وفي معناها مكائده وثمراته وهي قسمان اوامر ونواه فمن الاول
التحلي بالعظا بل كالخوف وسائر مقامات اليقين التي اشار اليها في المرشد المعين بقوله

خوف رجا شكر وصبر توبة • زهد توكل رضى محبة •
يصدق شاهده في المعاملة • يرضى بما قدره الاله له •

وقد تضمنه ربع المنجيات من كتاب الاحياء والتخلي عن الرذائل كالريا والعجب وغيرها
كما اشار اليه في المرشد بقوله • يطهر القلب من الرياء • وحسد عجب وكل داء • وقد تضمنه
ربع المهلكات من الاحياء وقد تعرض المصنف اخر باب جمل من الفرائض لبعض كل من هذين القسمين
كما تعرض لعقائد الايمان في اول الباب الاول كما ان العوارض المتعلقة بالظاهر قسمان ايضا وهما
والافعال الاربعة هي التقوى قال في المرشد • وحاصل التقوى اجتناب وامتثال •
في ظاهر وباطن بذا تنال • والجميع مندرج تحت عبارة المص واركانه المستفاد من كلام
خصوصا الماموراة لا الامر بالشيء نهي عن ضده وقد تعرض المص لما يجب على الجوارح وما لا
يجوز اخر باب جمل ايضا وفيما بعد الباب الاول قوله وسافصل لك ما شرطت
لك ذكره بابا بابا اشترطه التزامه لعمو ابن حبيب قال وافتك اتي ذلك وشار العمل
الفضل اذا وعدوا بشيء اي بعوا به لانه يصير بوعده كالدين عليهم كما قيل

• اذا قلت في شيء نعم فاتمه • فان نعم دين على الحر واجب •

كما ان الجماع الكريم التزام ولذلك قال ثواب لعل وعسى من الله تعالى للوجوب وبابا بابا
حال من المفصل الذي هو ما وعد بذكره وان كان جامدا لانه في معنى المشتق وحرف تفصيله
وترتيبه على ابواب بقوله ليقرب من فهم متعلميه اي وليسهل عليهم حفظه ويحصل لهم نشاط
في الحفظ والفهم كما هو مشاهد فيمن يكمل امر الطالب من باب واراد غيره وجد من نفسه

ونوى تعيينه على المقصود ولذلك والله اعلم جاء القران مفصلا بالسور وليسهل عليه
تناول ما يحتاج اليه من مسائل الفقه فاذا احتاج الى مسئلة في الصلاة مثلا نظر في بابها
وكذا النكاح وغيره بخلاف ما لو كان جملة واحدة مختلطا بعض مسائله ببعض فيما الكلام
في تعلم عناء ونعمته في تحصيل مطلوبه وعدة ابوابها اربعة واربعون بابا بعضها ملحق
ببعض وبعضها محذوف مقدر وبهذا يرد على من تعقبه بانه جمع ابوابا في باب واحد وقوله ان
شاء الله يحتمل ان يكون راجعا لقوله وسافصل او لقوله ليقرب او لهما معا قوله واياه
نستخير اي نخصه بالاستخارة وقال لطلب الخيرة الامر الان تعالى العالم بعواقب الامور
والحصر مستفاد من تقديم المعمول والاستخارة طلب العبد من ربه ان يقدر له ما هو خير في حقه
وقد اخرج الحاكم وصحح اسناده من سعادة ابن ادم استخارته الله تعالى ومن شقاوة ابن ادم
ترك الاستخارة وروي من سعادة المرء بن ادم واما كانت الاستخارة من السعادة لانها
تسليم لامر الله تعالى وخروج عن النفس التي هو اصل من اصول الشر لانه اعراض عن اوطان العبودية
وادعاء لاوطان الربوبية واما هي الاصطلاحية فطلب ذلك على كيفية مخصوصة ففي
البخاري عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها
كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل
اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسئلك من فضلك العظيم فانك تقدر
ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني
ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان
كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجل امري واجله
فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمي حاجته انتهى ولا
بد من المحافظة في الاستخارة على لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلم من قول جابر رضي الله عنه
كما يعلمنا السورة من القرآن قال الكرماني في شرحه ولا يكون الدعاء جازما الا اذا قاله
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات يعني فيقول مرة في ديني ومعاشي وعاقبة
امري ومرة في عاجل امري واجله ومرة في ديني وعاجل امري واجله ووجهه ان
قول الراوي او قال في عاجل امري واجله شك منه فيما قال عليه الصلاة والسلام من ذلك وهو
يحتمل الجمع بين ما هو ان يكون العاجل والاجل مذكورين بدل الالفاظ الثلاثة التي هي
ديني ومعاشي وعاقبة امري وعليه فلا يجمع بينهما بل يقتصر على احدهما اما الالفاظ
الثلاثة المذكورة او لا او الاثنان بعدها وهذا هو وجه وثانيهما ان يكونا مذكورين بدل
الاخير فقط الذي هو معاشي وعاقبة امري وعليه فيجمعان مع الاول بان يقال في ديني
وعاجل امري واجله وهذا وجه فيخرج من هذين الاحتمالين الروايات الثلاث التي
قال الكرماني ولا يحتمل ان يكون بدل الاخير فقط الذي هو عاقبة امري حتى يجمع مع اللفظين
قبله لان المعاش هو عاجل الامر فيقع بعضه عليه وجمعه معه قاله شيخنا محمد المسناوي
في جواب له على من يشير لا استخارة ثم بعد الاستخارة فليفعل ما انشرح له صدره وهو الاظهر

وعليه السنوسي وصاحب المدخل وابن معلى وابن جماعة وقد روى ابن السني عن انس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا هممت بامر فاستخر ربك سبع مرات ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك
فان الخير فيه اه وفيه دليل لما قاله السنوسي ومن تبعه لو ثبت لاكن سنده واه جدا فالذي
يجري في صفات الشيخ عز الدين ابن عبد السلام انه يفعل ما استخار فيه جاء فيه الخير انشرحت
له نفسه او لا ما قال وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس اه ونقل ابن حجر نحوه عن ابن عبد السلام
والزملكاني وابن نجيم في حديث ابن مسعود ونحوه للشيخ زروق ونصه في شرح الوغليسية ما يفعله بعض الناس من الخلوات والنظر للمنامات ربما كان من ابطال
ولا ينبغي ان يستخير على ما ورد في الصحيح وينظر للتيسير اه وهذا هو اللائق لان الاستخارة ما هو
بها على العموم وشرح الصدر انما كان معناه ان ينفرح في التيسير لا مراد لذا الشرع
يرجع امرى الجهتين اللتين كان يتردد فيهما بين تركه او كان معناه ان ينبسط نوع الفاعل
ويعمى عنه ما اراد وربما بها يكون شيئا خاطر المخصوص وامر اخفار فالعادة
كراهته فكيف ينتظر هاتف لتنبيه من اهله ويمكن الجمع بحمل حديث انس على من يميز الخواطر
ويعرف الشائب من اللائق وحمل الخبر الذي فيه ثم يعزم المسألة على من لا يضبط ذلك ومع
على المشروع في حاجته فان كان فيه خير يسره الله اسبابه واوان تعذرت الاسباب فيقال
ان الله قد اختار تركه فيما يتلو الذلك انظر شرح الحصن قوله **وبه نستعين** من معنى المعنى
اي لا نستعين على ذلك الجواب على الوجه المطلوب الا بالله لا بطاقتنا وحيلتنا وحولنا وقوتنا اذ
اصل كل خير توفيق الله تعالى وهذا اشبه فيه كقوله واياه نستعين وبه نستعين بعد قوله
وتعاقبت نظير قوله تعالى واياك نستعين بعد قوله اياك نعبد ولذلك عقبه بما هو
صريح في مراده من الاظهار بعجز نفسه وتبريه من الحول والقوة فقال **ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم** وهو كالتوضيح لقوله وبه نستعين اذ معناه كما فسره النبي صلى الله
عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه لا حول عن معصية الله الا بعصمته ولا قوة على طاعة
الله الا باعانته ومعناها عام اذ كل شيء بقضاء الله وقدره ومشيئته واعانته ومن علم ان
امور كلها بيد الله تعالى توكل عليه وفوض جميع اموره اليه وفي الحديث اذا قال العبد
لا حول ولا قوة الا بالله قال الله اسلم عبدي واستسلم فهذه الكلمة تفويض الى الله تعالى
وهو عنوان الرضى بالقضاء قال عبد الواحد بن زيد الرضى باب الله الاعظم ومستراح
العابدين وجنة الدنيا اه ومن ثم كانت كنزا من كنوز الجنة لانه نوع من راحة الابد
وفي البخاري قال عليه السلام لابي موسى الاشعري الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال
بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي رواية كنز من كنوز تحت العرش قال
بعض الشراح والنرجسية كنا عن الكنز والمكنوز فهو صون التبري من الحول والقوة اه ومن
ورد الكنز وامن قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانه يدفع تسعة وتسعين
داء ادناها الهم واللمم ضرب من الجنون وذكر ابن الجزري في الحصن الحصين لفظ ادنا
ناها الهم وعزاه للنسائي في الصالح والطبراني في الكبير ونبه على اي واية الفاكهاني

ولعله حديث الحسلة في عمل اليوم والليلة لابن السني عن ابي الدرداء اعراب الدرداء

ولعله حديث الحسلة في عمل اليوم والليلة لابن السني عن ابي الدرداء
رضي الله عنه قال من قال اذا اصبح واذا امسى حسبي الله لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما اهمه
صادقا كان او كاذبا قال المنذري رواه ابو داود ووجدها كذا موقوفا
رفعه ابن السني وقد يقال ان هذا لا يقال
من قبل الرأي فسبيله سبيل المرفوع ذكر
الشيخ زروق في شرح الوغليسية عن
شيخه عقبة انه قال لصاحب له ملازمة
وردا يقفه عن جميع الاوراد قل حسبي
الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم عشرا بعد صلاة الصبح وعشرا
بعد صلاة المغرب قال الشيخ زروق قلت
وكذلك رويناه في بعض الاحاديث بكفاية
الشر والدعاء

٤٣

وعن مكحول من قاله كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناها الفقر واعلم ان ما ورد
من الفضل في قول هذه الكلمة انما هو لمن قالها متدبرا لمعناها بان يكون ممن يشهد الحول او
القوة لله حقيقة ولا يغيب عنه العلم بذلك في كل الاوقات او جلها ويصير معنى هذه
الكلمة وصفا لازما لقلبه غالبا عليه وانه لا تتحرك ذرة الا باذن ربكم تعالى فانه اذا
قالها عن حال صحيحة فيفتح له ابواب الراحة وتشهد بعجز الخلق وسقوط
حولهم وقوتهم فيخلص رجاؤه وخوفه في الله تعالى لاكن ظاهر الحديث مطلق فيرجى
ان يكون المتكلم به مع استحضار معناها واعتقاده مثاب وان غلب عليه سهو الا انه واخذا
في عمومه لكثير ما ورد في حديث الحسبلة للاكتفية صادقا او كاذبا وهو الاظهر من حيث تعليق
اللفظ المذكور على القول قاله شيخنا في شرح الحصن وانا مراعيا عامة على انه
ان هو مع ذلك غير مخلوق ولا يستحضر معناها فلا يحط له هذا الفضل والله تعالى اعلم
قال الابي على حديث من قال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة بضم
الحاء وتخفيفه اي ذات سم ما نصه شرط نفع ذلك النية والحضور فلو قاله لا هو ولم ينو
اضر شيء حمل على انه لم يقله بنية ومعنى النية ان يستحضر ان النبي صلى الله عليه وسلم ارشد
الى التحصن به وانه الصادق المصدوق قوله **وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا** ختم رضي الله عنه خطبة الكتاب بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
كما ختم الكتاب بها قال الشيخ زروق وقد جاء حديث ضعيف بالنهي عن ذلك ذكره ابن
في ترجمة عمر بن عبد العزيز بن الحطيئة ولم يعرفه العلماء في المواضع المنهي عن الصلاة فيها وهي
سبعة عند العطاس وعند الذبح وعند البيع وفي الخلاء وفي الغناء وعند الجماع وفي المواضع
القذرة ونحوها ادرد اهل العلم التعجب والعطاس وذكر الاكل بدل شهرة البيع وزاد اذا طلع
ما يبصر من العوام في الاعراس وغيرها من اشهار سمع اجعلهم المنكر انها الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم زيادة عن الوقار والاحتياج الى الضحك واللعب وانما كرهت في هذه
المواضع لانها انما تفعل بنية العبادة والاحتساب وقصد التعظيم ورجاء الثواب وهذه المقاصد
غير موجودة في هذه الاحوال انظر الحطاب في اخر حل شبيبته ولعل المصنف انما ختم
الدعاء لما اخرجه ابو الشيخ والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدعاء محجوب عن الله تعالى حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته والمعنى كما قال
المناوي لانه لا يرفع الى الله رفع قبول حتى تصحبه الصلاة عليه لانه هو الوسيلة
الى الاجابة وقد ورد في الحديث اجعلوني اول الدعاء ووسطه واخر الدعاء وفي دلائل
الخيرات قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه من اراد ان يسال الله حاجته فليكثر بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال الله حاجته وليختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وقد تقدم الكلام على معنى كون
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا **تنبيه** اقتضى الكتاب ان من
كان من الصحابة على الاسلام بعد ردته غير صحابي وفيه نظر فقد نص غير واحد كابن حجر

على محمد

والعلقمي والجلال ان من مات على الاسلام عاصيا وان تخللته ردة فلا اه وانظر الابي وكذا
في المواهب اللدنية ونحوه جزم به الحطاب في اول شرح المختصر ايضا قوله باب
ما تنطق به الالسنة وتعتقد الافئدة من واجب امور الديانات لما اخبر بان الله
سبحانه فرض على القلب عملا من الاعتقادات وعلى الجوارح الظاهرة عملا من الطاعات اراد
ان يبين كلا من الامرين وبدا بالاول منهما لانه كالاصل للثاني لان صحة الاعمال كلها مشروطة
بالايمان ولذلك كانت المعتقدات كلها اول الواجبات جملة نعم وان اختلف البعض فقال في المراصد
• واول الواجب شرعا على الاصح • معرفة الله وذا قصرا وضح • وقال في المرشد المعين
• اول واجب على من كلفا • ممكنا من نظر ان يعرفا • الله والرسل بالصفات • مما عليه نصب الآيات •
والباب لغة الطريق الى الشيء والموصل اليه واصطلاحا اسم لطائفة من المسائل ترجع الى
شيء واحد ويحوه هنا ما يجب الايمان به وهو ثلاثة اقسام ما يعتقد من الالهيات وما يعتقد
من النبويات وما يعتقد من الاخرويات وان شئت قلت من السمعيات وقد ذكر المص هاذين في
الباب الاول والثالث وانما يؤخذ الثاني من كلامه بطريق اللزوم كما يأتي بيانه وبدا بالاول
لتوقف معرفة الثاني والثالث عليه واخر الثالث لانه متفرع عن الثاني وقوله ما تنطق
الخ على حذف مضاف اي باب بيان ما تنطق به الالسنة وهو هنا الاقرار بالله تعالى
بصفات الالوهية والالسنة جمع لسان بمعنى الجارحة واستعمله هنا للكثرة وقوله وتعتقد
اي وبيان ما تعتقده والاعتقاد هو الربط والجزم بالشيء والتصميم عليه فان كان لغير
موجب فهو التقليد وان كان لموجب سمي علما ويقينا ومعرفة والاعتقاد ان حصل عن
الثاني مجمع على صحته بخلاف ما اذا حصل عن الاول فعلى الاصح ان كان مطابقا ويسمى اعتقادا
صحيحا وعليه مشى المص لانه لم يذكر ادلة العقائد التي ذكرها فان كان غير مطابق سمي اعتقادا
فاسدا وجهلا مركبا كاعتقاد الكافر وصاحبه كافر اجماعا ككفر الظان والشاك والمتوهم
لانتفاء الجزم ثلاثتها كان فيها غير الجزم والافئدة جمع فؤاد بمعنى القلب كما يدل له
قوله فيما مر وتعتقده القلوب وفرق بعضهم بين القلب والفؤاد فقال الفؤاد مقدم
القلب وما استوى منه والقلب اصله وما انتسع منه وقال ان في القلب تجويفين فالتجويف
الظاهر هو الفؤاد وهو محل العقل والباطن هو القلب وعنه يكون الفهم والمشاهدة
نقل وهو محل الايمان اه ومما اخرج الترمذي انه عليه الصلاة والسلام قال ان في ابن ادم القلب بيتان
في احدهما الملك وفي الاخر الشيطان فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله وضع الشيطان
منقاره في قلبه ووسوس له اه وقوله من واجب امور الديانات الظاهر من جهة المعنى ان
من تبعيضية لان ما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب هو بعض واجب امور الديانات كما
يدل له قوله فيما مر مبينا لواجب امور الديانات مما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب
وتعمله الجوارح فان اراد الشيخ ما يجب اعتقادا او نطقا فقط كانت لبيان الجنس وهو
الظاهر من جهة الصناعة قوله من ذلك الاشارة الى واجب امور الديانات لا الى
ما تنطق به الالسنة وتعتقده الافئدة لفساده معنى فتامله وقوله

وهو ما تنطق به الالسنة وتعتقده الافئدة



الايمان بالقلب والنطق باللسان ان الله اله واحد؛ ذكر المتعلق في الموضعين زيادة
بيان فيه ونظير ذلك قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه اه وقال السعد
ان ذكر وصف الدابة والطائر بما هو من خصائص الجنس لبيان ان القصد منهما الى الجنس دون
الفرد وبهذا الاعتبار افاد هذا الوصف زيادة التعميم والاحاطة اه وقال البيضاوي توجيه ذلك
ان النكرة في سياق النفي تفيد العموم لكن يجوز ان يراد بها نفي افراد او اراد واحدا وصنف
صنف واحد فيكون استغراقا عرفيا فبذكر وصف نسبته الى جميع دواب الارض كان وصف
نسبته هو كان على السواء فانتفى ان الاستغراق حقيقي يتناول كل دابة من دواب الارض
السبع وكل طائر من طيور الآفاق والاقطار المختلفة وظهر بذلك معنى زيادة التعميم والاحاطة
اه والايمان هو التصديق والاذعان والانقياد بالقلب ثم اعلم ان هنا ثلاثة امور الاول
التصديق بالقلب وهو حقيقة الايمان فلا ايمان بدونه اجماعا والثاني النطق باللسان
وفيه ثلاثة اقوال واجب وجوب الفروع وليس بشرط وان تركه مكلفا او واجب ترك مكلفا
او واجب شرط في صحة ايمانه القلبي مع القدرة فان عجز عن النطق بعد حصول ايمانه القلبي
لمعاجلة الموت له ونحو ذلك سقط عنه الوجوب قال الشيخ السنوسي وهذا هو
المشهور من مذهب علماء اهل السنة اه وعلى الاول فالنطق انما هو شرط في اجراء الاحكام
الدنيوية عليه من غسل وصلاة ودفن في مقابر المسلمين ونكاح وتوارث وهو الذي يفهم من كلام
المدونة واشار اليه في المختصر بقوله وصح قبله وقد اجمع على الاسلام لا للاسلام وهذه الاقوال
الثلاثة في الكلام كلها في شرح الصغرى لمؤلفها واما من ولد في الاسلام فيجب ان يذكرها مرة في العمر
بنية في تلك المرة التي يذكرها الوجوب وان ترك ذلك فهو عاص وايمانه صحيح والله اعلم
اه وعلى هذا فقوله في المراصد • ومن يكن ذا النطق منه ما اتفق • فان يكن عجزا بكم مثلا
نطق • وان يكن ذلك عن اباء • فحكمه الكفر بلا امتراء • وان يكن لغفلة فكالابا •
وذا الذي حكى عياض مذهبا • وقيل كالنطق هو المجهور • نجيب والشيخ له منصور •
انما هو في الكافر ولكنه لم يحك القول بانه ان ترك مكلفا واما من ولد في الاسلام فهو على
الفطرة الاسلامية وانما تجب عليه كلمة الشهادة وجوب الفروع فاذا تركها مع الامكان
كان عاصيا لا كافرا او لا يجري فيه التفصيل الذي ذكر في المراصد وهذا كان شيخنا
المنا وغيره يقرره خلافا لما في شرح المرشد من ان تفصيل المراصد يجري في من الذي لم ينطق
له النطق بكلمة الشهادة والله اعلم بالصواب نعم ظاهر المراصد الاجماع انفاقا
والعاجز من انفاقا وان الخلاف انما هو في الغافل والفاسد وكذا في شرح الصغرى الخلاف
فيهما معا والله اعلم فلا يغتر بذلك ثم رايت في الشيخ زروق بعد ان حكى الاقوال الثلاثة
في النطق هل هو شرط او شطر او ليس بواحد منهما فيكفي مجرد الاعتقاد قال عقبه هذا
القول الثالث مال اليه المانع كبرا او عنادا ولا يختلف في كونه اه فغير كلامه في شرح الصغرى
تغيير الاب والله اعلم وهذا التفسير لا بد منه في حق من ولد في الاسلام انظر فاذا امتنع من النطق
في كبر او عنادا كان كافرا والله اعلم الثالث العمل بالجوارح وهو شرط كمال على المشهور

ويدل لم تعطف الاعمال على الايمان مع غير ما اتى من القرآن كما قيل •
فلا ترى فضل الاعمال في الايمان • لعطفها عليه في القرآن •

وذلك بغية الا انه فيه قول المص وانه لا يكفر احد بذنب من اهل القبلة واذا علمت هذا فاعلم
انه وقع في كلام المص ما يقتضي ان الايمان مركب من الثلاثة كما سبق في قوله فآمنوا بالله
بالسنتهم الخ ويأتي في قوله وان الايمان قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل بالجوارح وما
يقتضي ان الايمان هو التصديق فقط او مع النطق باللسان وهو قوله هنا الايمان بالقلب
والنطق باللسان فان قوله والنطق ان قرئ بالرفع اقتضى ان الايمان هو مجرد التصديق لان
عطفه على الايمان يقتضي مغايرته له وان قرئ بالجر عطفا على قوله بالقلب اقتضى انه مركب منهما
والله اعلم ولم يتعرض هنا لعمل الجوارح وظاهره انه ليس شرطا في الايمان وما يقتضي ان الاعمال
انما هي شرط كمال فقط كما ياتي في قوله ولا يكمل قول الايمان الا بالعمل وعلى ان العمل شرط كمال
ينبغي ان يحمل معنى كون العمل من الايمان ليتفق كلامه بعضه مع بعض ويوافق ما هو الحق
في المسألة عند العلماء ويدل له ايضا قوله ولا يكفر احد بذنب من اهل القبلة فافهمه ومن تفضل الكافي
على الايمان افضل النعم واعطاه كله ما انظره عند قوله فهديهم ووفقهم بفضله في اعلى الفضل
ان الايمان على اربع مراتب ايمان المنافقين وهم الذين يؤمنون بالسنتهم ويكفرون بقلوبهم وانما
ينفعهم في الدنيا العصمة في دمائهم واموالهم وهم في الآخرة كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وايمان عامة المؤمنين وهم الذين اعتقدوا الحق على ما هو عليه ولكن لم يتخلقوا بمقتضى
ولم تظهر عليهم ثمرات اهل اليقين ولذلك تحصل منهم الغفلة عن الله فيقع منهم المعصية ويبدو منهم
معه ويخافون غيره وايمان الموقنين وهم الذين غلب عليهم استحضار عقائد الايمان وادركوا
بنور يقينهم لا بطريق الاستدلال فقدان الاشياء كلها على كثرتها واستغراقها كادت تبين
عن القدرة الازلية وانه لا فاعل الا الله فظهرت عليهم ثمرات اهل اليقين وانتج لهم ذلك انهم
لا يخافون الا الله ولا يرجون الا الله لا يعلمون ان المخلوقين نفعا ولا ضرا فلم تتوقف لهم حاجة عند غيره وانهم
في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الامر فقطعوا الاسباب ونبذوا الارباب ولا يحبون الا الله لانه
لا محبوب سواه ولا يعبدون الا الله لانه الفاعل بامور العوالم كلها الكفيل بشانها ولا يعترضون شيئا
مما ظهر من احكام الله تعالى في انفسهم وفي غيرهم بل يستسلمون له لعلمهم بان ذلك صادر من حكيم
عليم قال الشيخ ابو الحسن وهب لنا حقيقة الايمان بك الخ وايمان اهل الفناء في التوحيد وهو ما
قال ابو سعيد بن الاعرابي رضي الله عنه ان تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا
والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه
وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق في التعظيم اه وفيه يرجع الوجود الاول واهل
ووجه ذلك ما اشار له القشيري في تفسيره بقوله اعلم ان علم العبد بنفسه ضروري وعلمه بربه
كل علم استدلالي فاذا غلب ذكر الله عليه تناقص علمه بنفسه وصار علمه بالله ضروريا لا انتهاء
لحال المشاهدة والاستيلاء سلطان الحقيقة عليه ونقل عند ذلك احساسه بنفسه حتى
يصير علمه بنفسه كالاستدلالي لما يصيبه من الغفلة عن نفسه والنسيان لها كالغريب

في الشيء لا اعتبار له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه ومستهلك ايوو الى هذا المعنى تشير حكاية
ابي يزيد حين سئل عن نفسه فقال انا افتش ابا يزيد فبلغ ذلك بعضهم فقال ذهب ابو يزيد في التراهين
البرانية اه ومن هنا قال سيدي عبد السلام رضي الله عنه في صلاته المشهورة واغرقني في عين بحر الوحدة
وقال واجمع بيني وبينك وحل بيني وبين غيرك فاشار الى ان الجمع يكون بغيبة العبد عن الوجود
واستغراقه في نور الشهود والحاصل ان التوحيد تارة يكون لسانيا فقط ولا عبرة به وتارة قلبيا
وهو ثلاث مراتب الاول عن اعتقاد جازم او عن كشف ومشاهدة من غير فناء او عن كشف مع الفناء
وهو الشاهد الغني لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تروق وتارة تظهر الكائنات في الفناء وهو الكثير
ومن تكلم في الاحياء على المراتب الاربع وشبهها بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وللب
دهن فانظر ذلك فيه ثم اعلم ان صفاته تعالى التي نبه عليها المص قسمان صفات وجودية وهي
صفات المعاني وصفات سلبية وهي على ترتيب المص الوحدانية والمخالفة للحوادث المشار اليها
بقوله ولا شبيه له ولا نظير له على ما يأتي فيه والقيام بالنفس والقدم والبقاء فجملتها خمسة والقدم
والبقاء يستلزمان وجوب الوجود الذي هو صفة نفسية فلذلك اسقطه المص وان الوجود هو
عين الموجود وليس بصفة وهو راي الامام الاشعري رحمه الله وانه اعلم لوجوده تعالى ادلة كثيرة
منها افتقار جميع الكائنات اليه في ابتدائها ووجودها وبقائها ولا يعدو كل شيء اثره ومصنوعه و
الاثر يعرف بالمؤثر والصنعة تشهد بالصانع ويستحيل عقلا فعل بلا فاعل ام خلقوا من غير شيء ام الوجود
كله مملوءا بالخلق يدبرونه افي الله شك فاطر السموات والارض ومنها تبدل الاحوال على الحوادث
كلها مجال للتصرفات الربانية ومطالع لها في جميع ازمنة وجودها من احياء واماتة واغناء وافقار
واعزاز واذلال وتولية وعزل وهداية وضلال وصحة ومرض الى غير ذلك من التصرفات الكائنة
والخاصة كل يوم هو في شان ومنها عموم القهر وظهور العجز في جميعها فان الحوادث كلها مقهورة تجري
عليها ما لا تحبه ويصيبها وان اجتهدت في التحفظ منه ويفوتها كثير مما تحبه وان بذلت في اسبابه غاية
وذلك دليل على وجود القاهر لها الغالب عليها وان القاهر فانه هو الذي يجري وهو القاهر فوق
عباده ومن تفرعت اشارة الى هذه الاوجه الثلاثة عند قوله وتنبيه الاثار صنعته فانظرها هنالك
ومنها اختلاف الموجودات بالقوة والضعف والكبر والصغر فان ذلك اقطع دليل على انها
تحت تصرف غيرها اذ لو وجدت بنفسها لما رضي الضعيف منها بالضعف ولم تقع غلبة بعض الحوادث لبعض
فتخصيص بعضها بالقوة وبعضها بالضعف وبعضها بالعظم والكبر وبعضها بالقلة والصغر
بل على انها مقهورة مخصصة وبدا المص رحمه الله بصفات السلوب مقدما صفة الوحدانية فقال
ان الله اله واحد فقوله ان الله اله الخ هو الذي ينفرد به الايمان والنطق والمعنى التصديق
بان الله اله الخ وامره بالنطق بذلك والاله هو المعبود بحق وان شئت قلت هو المستحق للعبادة
وان شئت قلت هو المستغني عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه قال الشيخ السنوسي وهذا
المعنى اظهر وبه يتجلى اندراج جميع عقائد الايمان تحت الكلمة المشرفة فمعنى لا اله الا الله لا
مستغني عن كل ما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه الا الله والواحد بمعنى المنفرد ثم اعلم
انه اختلف هنا في اربعة امور الاول والاهل الابرعن الوضوح في الاتكال من لفظ الشهد استفادة التقييد

النبي صلى الله عليه وسلم الا الصلاح في حديث جبريل بقوله شهادة ان لا اله الا الله وهو من الدين ضرورة
أو كادوا يعمهم من قول المصلي الله الذي وحد وصرح به الآبي وهو الراجح استشهادا لحديث امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله اشتملت على الابد من النفي والاثبات بان يقول لا اله الا الله ان
نفاه تعمد ان الشارع عبر هذه الكلمة فلا يعدل عنها فلا النفي يصح وهو الذي يعمهم من مولده في الصغر
يقبل من احد لا اله الا هو او يكفي ما اراد به وهو الراجح كما صرح به الآبي فاذا قال قوله الله واحد
رسوله كفى وقال المشذالي انه المنصوص عليه عندنا وهو الذي يعمهم من المتقدمين بعضهم واشترط بعض العلماء
انما يقع في الطلاق في الفاظ على النصوص والا فيكفي كما بين له حديث الفتح الذي قال فيه قال ابن ابي رضي الله
صبانا صبانا اليهم فجعل خالد يقتل ويأسر فقتلهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فعله فقال اللهم اني ابرأ اليك
من العذر ولا يعرف غيره وامر كلا منا بعلمه الكلمة الوحدانية اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله كفى في
عدم العذر الرابع يقال لا بد من ان يسبق كلمتي المخرج وهو الذي قاله القاضي الطيبي والآخر قال
اجمع انه يتابع عليه ثم اعلم ان الله سبحانه قد اثنى على نفسه بالوحدانية في غير ما آية فقال
والهكم اله واحد لا اله الا هو وقال فاعلم انه لا اله الا الله وارشد سبحانه في غير ما آية الى
دليل وحدانيته والبرهان الواضح على ذلك في عقول اربع آيات الاولى قوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا الآية وهي من تراجم الكلام في مسألة الكلام والامر
الامور على غيره وهم ولم تفسد السماوات والارض يدل ذلك على انه لا اله غيره الثانية قوله
تعالى قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا فان عدم النزاع
دليل على عدم المنازع وانظر قوله تعالى بعد ابطال الالهة الكاذبة فما اغنت عنهم آلهتهم التي
يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك الثالثة قوله تعالى ام اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون فان من صفات الاله كونه خالقا وانما قال لا يخلقون الا الله الذين يدعون
من دون الله لا يخلقون ذبابا الآية وكل ما سواه تعالى مخلوق ولا يكون المخلوق شريكا لخالقه افمن
يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون الرابعة قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله الآية فكون
الوجود كله مرتبطا بعضه ببعض دليل على انه مالكه واحد ولذلك قال علي كرم الله وجهه في
بعض خطاباته لولده واعلم يا بني لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه
ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده في ملكه احد ابدا ومما جلى انه يفهم دليل على ربوبيته
غير مولانا جل وعلا انه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فرام الخصم من دونه الهة قل هاتوا
برهانكم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه وكل من ادعي له الالوهية لم
يوجد فيه وصف من اوصاف الربوبية هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه فليأتوا افعال الاله
الا عليهم الا المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل انظر الآية بالتفسير في المشرق فانت في المعنى
وحاصل الادلة المتقدمة انه تعالى لو كان له شريك لكان له مقارن فيكون مقهورا والمقهور عاجز و
الوجود مملوء بآيات قدرته ولذلك قيل • وفي كل شيء له آية • تدل على انه الواحد •
اي وفي كل موجود حسا وجد وكان اذ لولا الوحدانية لما وجد وكان ومن ثم الشاعر قال

• تأمل في نبات الارض وانظر • الى آثار ما صنع المليك •
• عيون من لجين شاخصات • على اطرافها الذهب السبيك •
• على قضب الزبرجد شاهدات • بان الله ليس له شريك •

تنبيه قال الشعرى في شرح العقائد البرهانية انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا واردة على ما
هو اللائق بالخطابيات تقبل العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم في الحجة وبها قاطعة
والملازمة عادية بقوله لا ملازمة بين العادة والعقل او ضد وصحة عدم الانقطاع النشاهد بمجرد التعدد لا
يستلزمه لجواز الاتفاق على بعض الانقطاع وان بين امكانه العادة دليل على التغالب بل النصوص ظاهرة
في طي السماوات وقع هذا الانقطاع فيكون ممكنا للعقل انتهى قال الكمال قوله لجواز الاتفاق الخ يعني على
الاتفاق ونحوه التوالي على ايجاد هذا الانقطاع المشاهد واستمراره محال لانه يستلزم ان احد امور كل منهما
محال لانه اما ان يكون مع قدرة كل منهما على الامتناع عما يريد الآخر او مع قدرة احدهما على الامتناع دون الآخر او
مع قدرة كل واحد منهما على ذلك وكله محال اذ على الاول يلزم امكان تخلف مراد كل منهما عن تعلق ارادته فيكون
عاجزا مقهورا لما يكون الا واحد فرض انه فاد على الكمال ليصح كونه الها وعلى الثاني يلزم امكان عجز احدهما
المنافي للالوهية وعلى الثالث يلزم امكان عجز كل منهما المنافي للالوهية واعلم ان ظاهر الآية استدلال على نفي
تعدد الصانع الموثر في السماء والارض اذ المعنى لو وجد فيهما آلهة الا الله ولبين المعنى لو اشرك فيهما آلهة
الا الله فالمراد انشاء شيء معا لا بذلك قطعيته اه وانظر بقية كلامه واختار في شرح التفسير ان بره انتفى فعلا
وتفسير الفساد في الآية بالعرض الذي يقول له ويكون الدليل فيها برهانا قطعيا الا كثير واما من فسره
بالفساد بالعادة كالتي تكون بين الملوك المتعدد في محل واحد فيكون دليل الآية برهانيا خطابيا على
سبيل التقريب اذا التمانع وقضية عادية لا عقلية اه ونقله الامام المحقق في حواشيه على شرح الكبرى
واعلم ان الوجه في هذه الآية معنا بما فصل لزوم اثباته على الاول مع انتفاء اللازم المعلوم ليستدل به على
انتفاء الملزوم المجهول فهي للدلالة على ان العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الاول ضرورة انتفاء
الملزوم بانتفاء اللازم وهذا هو استعمالها عند اهل الصناعة وبقوا على معانيها الثلاثة الثالثة
ان تكون لبيان سببية الاول لانتفاء الثاني من تعلق معلوم لكامل بحسب الواقع دون العلم فلا يتصور فيه الاستدلال
وهذا الكثير المتعارف لا يتصور ان تكون انتفاء استمرار شيء من بعضها بعد انقضيتين كقوله لو
نجعل الله المعجم وليست اللام هذه الآية لعدم استثناء والا كان المعنى لو كان فيهما الهة
ليس فيهم الله لفسدتا اهـ الظرف المعموم على انه لو كانت فيهم الله لم تفسد اذ ذاك لا يصح بل هي
بمعنى غير صفة لا لهة وهي موكدة اذ تعلق ان المتعدد لا يكون واحدا اي لو كان فيهما متعدد
غير واحد فانه ابطل المعنى قوله لا اله غيره زيادة تاكيد وقطع لانه لما قال الله اله واحد
في موضع من قوله الله هو الاله المقصود من هذا الكلام الاخبار بانه تعالى واحد في الالوهية
موضوع الكلام هو الوحدانية نظير قوله تعالى انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
ثم اعلم ان ما يطلب الوحدانية ثلاثة الوحدانية في الذات والوحدانية في الصفات والوحدانية
في الافعال فوحدانية الذات لا تتجزأ ولا ثاني له ووحدانية الصفات لا يشاركه احد فيها فهو
تعالى متصف بصفات الالوهية ووحدانية الافعال كذلك فهو تعالى المنفرد بالايجاد والاختراع
ولا تاثير لقدرة الخلق كما بانه للمص في قوله والايمان بالقدر الى قوله رب العباد ورب اعمالهم كما انه

لا اثر لشيء من الاسباب العادية فيما تقارنه لا بطبعه ولا بقوة جعلت فيه كما تقول الحكماء فالشبع
والماء مروي والشمس مضية والسكين قاطعة ونحو ذلك مما يطول انظر شرح المقدمات للسنوسي
رحمه الله واذا علمت هذا فيحتمل ان المراد بالمطالب الثلاثة ما تقدم واما قوله لا اله غيره
ولا شبيه له ولا نظير له وقوله بعد لا شريك له فتأكيد فقط وزيادة ايضاح وبيان لان
الجهل في هذا العلم عظيم فينبغي الاعتناء فيه بمزيد الايضاح والبيان ويحتمل ويقوى ان
انه اشار للوحدانية في الذات بوجهيها بقوله الله احد لا اله غيره واشار الى نفيها في الصفات بقوله
لا شبيه له ولا نظير له وجمع بينهما لان الشبيه هو المشارك في اكثر الوجوه والنظير المشارك
في بعضها ولو وجها واحدا واما المثل فهو المشارك للشيء في جميع الوجوه والاحرى عند المعتزلة
من الثلاثة قاله السبكي في جواب له في الفرق بين هذه الثلاث والوحدانية في الافعال بقوله ولا
شريك له ويحتمل انه اشار بقوله ولا شبيه له ولا نظير له الى صفة المخالفة للحوادث في الذات والصفات
يعني ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات ولا تتكيف بشيء من الكيفيات التي تتعلقها الادراكات بل
كل ما تتخيله الافكار وتتعلق به الانظار يتنزه عن مماثلته الواحد الذي لكمال صفاته لا تشبه الصفات
فليس بجرم ولا عرض ولا هو المعنى القائم بالجرم موجود تعالى مخالف لوجود غيره وكذا الصفات
قال السنوسي في شرح الاسماء من عرف ان الله الواحد الاحد فليعبده وحده واحب الله وقد جاء في قوله
صلى الله عليه وسلم ان الله وتر يحب الوتر انه يحب القلب المنفرد له والتفرد بهذا الاسم تعلقا وتخلقا
ان ترى في الدارين الا هو وان لا تعرج على غيره وبذلك يصح لك التخلق فتكون واحدا في عصرك لا يدا
ركك من ابناء جنسك وقد انشدوا في معنى ذلك • اذا كان من تهواه في العصر واحدا
• فكن واحدا في الحب ان كنت تهواه • قوله ولا ولد له ولا والد ولا صاحبة له اشار به الى
الصفة الثانية من صفات السلوب وهي قيامه تعالى بنفسه ويعبر عنها ايضا بالغنى المطلق فكأنه
لما قال الله واحد غني قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وقال
والله الغني وانتم الفقراء وقال له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وقال وان
من شيء الا عندنا خزائنه وقال ولله ملك السماوات والارض وقال ان الله لغني عن العالمين وان الله
هو الغني الحميد والافتقار لا ينحصر في جهة من جهة وما احسن قول ابي العطاء الشيخ مما جاء من ان
الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني وقوله ايضا لا تنفعه طاعتي
ولا تضره معصيتي وانما امرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك وقال تعالى الله الصمد
لم يلد ولم يولد فاثبت تعالى بقوله الله الصمد افتقار كل ما سواه اليه جل وعلا اذ الصمد هو
الذي يصمد اليه في الحوائج اي يقصد فيها ومنه تعالى واثبت بقوله لم يلد ولم يولد وجوب الغنى
له جل وعلا عن الاثر والموثر فلا حاجة له تعالى الى الاثر اي الى كل حادث وهو قوله لم يلد اي
لم يتولد وجود شيء عن ذاته العلية بان يكون بعضا منه او ناشئا عنه من غير قصد او باستعانة
[illegible] على ذلك ولا حاجة له الى الموثر وهو قوله ولم يولد اي لم يتولد وجوده تعالى عن
شيء اي لا سبب لوجوده تعالى لوجوب قدمه وبقائه قيل وسبب نزول سورة الاخلاص
ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك ما هو فاهتز النبي صلى الله

تعالى

عليم

عليه وسلم الى ان عرق حتى غشي عليه فلما افاق من غشيته قال الله ربي ليس كمثله شيء ولا هو كشيء
والاشياء كلها له [illegible] فبهتوا فقالوا بل نريد الصفة فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم سورة الاخلاص
وقيل انهم قالوا صف لنا ربك وانسبه فاوحى [illegible] نسبه في السور التي نسبه فنزلت السورة بعد ان غشي عليه
صلى الله عليه وسلم وهذه السورة مبينة جميع العقائد الالهية ما فوقها اخر فتضمن المطالب الوصف
الثلاثة وقوله الصمد متضمن الغنى المتضمن لصفات المعاني السبعة وقوله لم يلد نفي البقاء لان الخلف
امر الوالد يخلف اباه ويقوم مقامه ولم يولد نفي للقدم ويقرانه مقام وجوب الوجود اذ البقاء
عدم اخريته والقدم عدم اوليته وبعض ينقصها من الفرع الغني لا للافتقار ملزوم للحدوث وقوله
ولم يكن له كفوا احد دال على المخالفة للحوادث قاله شيخنا الحموي في فصل تفسير سورة الاخلاص
وفيه وفي كلام المصرح على من كفر فقول القائل في الملائكة وعزير وعيسى زعمت النصارى انه
ابن الله وزعموا اليهود ان عزيرا ابن الله [illegible] وقد اشار بعضهم الى ما بين صحيحهم في ذلك
بقوله • عجبا للمسيح بين النصارى • والى الله والده نسبوه
• اسلموه الى اليهود وقالوا • انهم بعد قتله صلبوه
• فاذا كان ما يقولون حقا • فسلوهم فاين كان ابوه
• فاذا كان راضيا باذاهم • فاحمدوهم لاجل ما فعلوه
• واذا كان ساخطا لاذاهم • فاعبدوهم لانهم غلبوه •
وقد اشار سبحانه الى وجه استحالة الولدية عليه بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الى الطعام لا الحاجة الى الاكل وما يعقبه صفة الحدوث والعبودية لا الصفة
الربوبية وبقوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني الاية ان الغني المطلق لا يتخذ
الزوجة ولا الولد ولا الوالد لانه انما يتخذ للاستعانة به والتانس ويكون لولاده
وارثا من بعده والله تعالى غني عن كل شيء بان بعض من يقول وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الفرجية
الى [illegible] ما اشار سبحانه الى ان البنوة تنافي العبودية وفي نفح الطيب ان يهوديا من المشجر
فقال لي وصف محمد صلى الله عليه وسلم فاشاروا الى الصديق فقال الصديق [illegible] ايتها لا يعلم
الا النبي او وصي نبي فقال سل فقال اخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله
فقال هذه مسائل الزنادقة وهموا بقتله فقال ابن عباس ما انصفتموه اما ان تجيبوه واما
ان تصرفوه الى من يجيبه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي اللهم اهد قلبه
وثبت لسانه فقام ابو بكر معه الى علي فقال له اما ما لا يعلمه الله فقولكم في عزير انه ابن الله والله
عز وجل لا يعلم له ولدا فلا في التنزيل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الاية واما ما ليس
عند الله فالظلم واما ما ليس لله فالشريك فاسلم اليهودي فقبل ابو بكر راس علي وقال يا مفرج
الكربات قال السنوسي [illegible] ان الغني المستغني به عن كل شيء ويرجع اليه كل
شيء وكان له بالاستقلال في كل شيء اه وقوله ولا شريك له اغنى عنه ما قبله والله اعلم الى
هنا للناظم من معنى ما قبله وهو انه سبحانه غني عن كل شيء ومعنى لا شريك له انه سبحانه
منفرد بتدبير امور خلقه متصرف فيهم بما شاء غني في ذلك عن الوزير والمعين وعن [illegible]

والانصاب فلا تشبها في ما قبله على الصغر وما ابرزه بعثة الرسل الفاهي للخلق وكذلك
الملائكة الموكلين وتسخير الملائكة في تنفيذ الاوامر حسبما اقتضته حكمته فانه تعالى مستغن
في ذلك عن جميع ذلك وقوله ولولا دفاع الله الناس الخ هو مقتضى حكمته ولو شاء لرفع
بمحض قدرته من غير ان يظهر ذلك على ايديهم وفي ذلك قوله فهزموهم باذن الله وقوله كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقل هذه الاجزاء يبرزوه هاهنا من الخلق حتى قال
صلى الله عليه وسلم وهزم الاحزاب وحده وقوله وترى الارض هامدة الخ هو مقتضى حكمته ولو
شاء لاهتزت وربت وانبتت بدون انزال الماء في قوله فاخرجنا به ثمرات [illegible] متشابه
جنات وحب الحصيد للشبهة العادية لا العقلية وخلق الاولاد من الاباء والامهات
والثمار والاشجار هو مقتضى حكمته ولو شاء لخلق ذلك بدون ذلك كالديدان والبعوض
والناموس واي مناسبة بين الثمار والرطبة الحلوة والاعواد اليابسة المرة حتى تخرج
منها واي مناسبة بين الخبز والنطفة حتى يتكون منها واي مناسبة بينه وبين العرش والكرسي
حتى تنشأ بين حينهما [illegible] وعابهم [illegible] غني عن جميع الاسباب والظاهر وكونها اسبابا
ومظاهر انما هو بجعله وحكمته فانظر ارتفاع السماء مع عظمها بغير عمد واستواء الطير
في الهواء بغير مستند والجاء البحر عن الفيضان على الارض من غير حاجز وتكون عيسى
[illegible] من غير اب ولا ام وانعقاد الماء [illegible] السحاب [illegible]
اغراق فرعون واخراج الماء من الحجارة على مر العصر من غير مادة في جميع من هو على كل
من قوله ليس للاولية ابتداء ولا للاخرية انقضاء اشار به الى صفتي القدم والبقاء
فكان المصنف قال [illegible] وهو كالتفسير لقوله تعالى هو الاول والاخر اي السابق للاشياء
بلا ابتداء والباقي بعدها بلا نهاية واما قوله الظاهر والباطن فالمعنى انه تعالى الظاهر بالايات
المتلوة والعلامات المجلوة الباطن الذي لا يحاط به ولا يحيطون به علما ولا تدركه الابصار وان
شئت فقل الظاهر الباطن الواضح الربوبية بالدلائل المحتجب عن الكيفية والتمثيل فهو
الظاهر من جهة التعريف والباطن من جهة التكييف فالباطن بمعنى المحتجب عن الادراك مع
من العماء التنزيه وما نقضت به كلام المص من انه اثبت له اولية واخرية ثم نفاهما عنه وهو
تناقض فمبني على ان الاولية الابتداء والاخرية الانقضاء وليس كذلك بل الاولية السبق
على الاشياء والاخرية البقاء بعد فناء الخلق قاله الخطابي ونقله الثعالبي وكما يجب القدم
والبقاء لذاته يجب ذلك لصفاته كما افاده في قوله تعالى ان تكون صفاته مخلوقة واسماؤه
محدثة فليس وجوده تعالى اولا وله ولا ابتداء ولا اخر له ولا انتهاء كوجود غيره الذي
هو حال حادث وعرض زائل وكذا سائر صفاته تعالى قال شيخنا في الدر النفيس على
[illegible] الصغرى [illegible] انه تعالى قديم اي غني عن سواه ولم يسبقه لا بداية اذ لا معنى للافتتاح
على الحادث الا من طاله العدم [illegible] لا [illegible] الاشياء الحادث مع [illegible] وصف
القدم وقال من عرف [illegible] مولانا بالبقاء [illegible] بطلان الاغيار وفناء الاثار [illegible]
وفناية كل ما في حيز الامكان وهو معنى قوله كل من عليها فان [illegible] كلمة قالها الشاعر كلمة

ليس

ليس الا كل شيء ما خلا الله باطل في اعتقاده المكرر عن المص اعتماد دليل على ان واستناد المخلوق
الى المخلوق خروج عن مقتضى العبودية الغني [illegible] عن البال وهل فيها فضيلة انه واغ
لكل شيء اذا افتقد عوض وليس لله ان فقد من عوض [illegible] وقال الشيخ زروق من عرف
ان البالغ نظر لعقله [illegible] بكرة ونظرة ويبقى من لم يزل [illegible] وقال الناظم عرف انه الا
غاب عن كل شيء به ومن عرف انه الا [illegible] بكل شيء اليه وقوله لا يبلغ كنه صفته الوا
صفون لما كان مرجع الصفات الى امور ينفي النقائص عنه تعالى واثبات الكمالات له
[illegible] المص من صفات السلوب الدالة على الاولية [illegible] الكلام على صفات المعاني الدالة على
اثباته اتى بهذا الكلام كالمعترضة لما [illegible] وما اشار اليه ان غاية ما دلت عليه
افعاله تعالى انه موصوف بصفات بعضها للاثبات وبعضها للتخصيص وبعضها للتأثير
اما معرفة الصفات وادراك حقائقها على ما هي عليه فلا سبيل الى [illegible] لنا دليل عليه
والفرح والبقاء [illegible] العقول عاجزة [illegible] ادراك حقيقتها اذ كيفيتها [illegible]
الى غير [illegible] فكلما [illegible] نظر بها [illegible] فتلك [illegible] وكيف [illegible]
اخر ولا نهاية فكلما [illegible] ادراكها [illegible] وللعقول حد
ونهاية فلا تحيط بغير المتناهي [illegible] وجب عليه [illegible] بالعجز [illegible] بالعجز
ووضع [illegible] في محله فقوله كنه يحتمل ان المراد بالكنه الحقيقة اي لا يدرك حقيقة
صفته الواصفون ويحتمل ان المراد الكنه [illegible] على [illegible] الصفات
تعالى غاية [illegible] محال [illegible] الكمية والكيفية في حقه تعالى [illegible] على [illegible]
امر [illegible] لا يبقى [illegible] فيكون المعنى لا غاية لصفاته حتى يصل اليها الواصفون
وانما اقتصر المص على الصفة [illegible] الصفات [illegible] دلت عليه افعاله [illegible]
ادراكنا حقيقة ذاته تعالى [illegible] ذلك عليه صفاته [illegible] ادراك حقيقته
تعالى [illegible] ولا يتفكرون في ماهية ذاته خلافا
لمن قال [illegible] على الصفة بل على ان كنه ذاته تعالى [illegible] في المسألة [illegible] الاول
واليه ذهب [illegible] والامام [illegible] في اكثر كتبه [illegible] ذلك
[illegible] وبين [illegible] قوله تعالى ولا يحيطون به علما وقوله لا تدركه الابصار
ومن [illegible] اسم الجلالة مشتق من وله [illegible] ملحوظ فيه معنى [illegible] العقول [illegible]
في كنه جلاله تعالى وقال الواسطي [illegible] كلها [illegible] من هذه الاية ليس كمثله شيء لانه
ما عبر عن الحقيقة [illegible] العلة [illegible] والعبارة ناقصة [illegible] على [illegible]
كل [illegible] في [illegible] وجل [illegible] عليه [illegible] وبالجملة [illegible] العقول
عن الاحاطة [illegible] وباهر جلاله [illegible] عجائب صنعه في مخلوقاته
[illegible] ان يكون معلوما [illegible] ما [illegible] الا الله كما قاله سحبان
وقاله [illegible] ومضى عليه [illegible] في شرح الكبرى [illegible] عليه في شرح الصغرى
[illegible] هذه الصفة [illegible] صفاته تعالى محجوب عن العقل [illegible]

اي يخوض في الكنه بعد معرفة ما يجب لذاته تعالى ولصفاته وقال في المراصد

ولست بعارف حقيقة الاله ... على ما هي دون تقييد سواه

الا ادراك الحقيقة معجز ... وادراك بقصر العجز عن الحقيقة

كما قاله الصديق او قائل ... بعكس صحيح او بعكس بدونه

وقال ابن عربي

اشار الى قول الصديق رضي الله عنه العجز عن الادراك ادراك وقال سهل بن عبد الله المعرفة غايته الدهش والحيرة وقال ذو النون المصري اعرف الناس بالله اشدهم تحيرا فيه وقال سيد العارفين صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اللهم زدني فيك تحيرا وقيل انتهت عقول العقلاء الى الحيرة قوله ولا تفكروا في ذاته الى تفكر في خلقه **المتفكرون** اتى به كالدليل على ما قبله والمعنى انه اذا لم تتفكروا في ذاته تعالى وتفكرتم في شأن مخلوقاته فكيف تتوصلون الى حقيقة ذاته او صفاته بل لو كلف العقول الاحاطة بذاته ما كلف هذا سمعه وبصره وعقله وروحه ووجوه تصرفه لا تمكنها الاحاطة بحقيقة امر باريه تعالى ربنا وجل كما قيل • حقيقة المرء ليس المرء يدركها • فكيف كيفية الجبار في القدم ولله در الشيخ سيدي عبد السلام بن نحاس المغربي في قوله من قصيدة ذكر ها في شرح حديث من عرف نفسه عرف ربه

• قل لمن يفهم عني ما اقول • قصر القول فذا شرح يطول •

• ثم سر غامض من دونه • ضربت والله اعناق الفحول •

• انت لا تعرف اياك ولا • تدري من انت ولا كيف الوصول •

• لا ولا تدري صفات ركبت • فيك حارت في خفاياها العقول •

• اين منك الروح في جوهرها • هل تراها فترى كيف تجول •

• اين نور العقل والعلم اذا • غلب النوم فقل لي يا جهول •

• اين نور الشمس لا ترجعها • غيهب الليل وانت لا افول •

• هذه الانفاس لا تحصرها • لا ولا تدري متى عنك تزول •

• انت اكل الخبز لا تعرف كيف • يجري منك ام كيف تبول •

• فاذا كانت طواياك التي • بين جنبيك بها انت ظلول •

• كيف تدري من على العرش استوى • لا تقل كيف استوى كيف النزول •

• او تقل اين فقد منزلته • او تقل اين فقد رمت الحلول •

• هو لا اين ولا كيف له • هو رب الكيف والكيف يحول •

• وهو فوق الفوق لا فوق له • وهو في كل النواحي لا يزول •

• جل ذاتا وصفاتا وسمى • وتعالى وصفه عما اقول •

وفيه مطارح اهله ونقال انجاه كده ومطارعه يحوطه والمراد بالامر في كلام الناظم الشأن واصل الامور لا الامر الذي هو ضد النهي وهو واحد الاوامر اذ الخلق مكلفون فلا بد من علمهم به والمتفكر المتأمل قوله **يعضد المتفكرون شاياته** هذا من تمام ما قبله فكانه يقول اذا عرفت عجز العقول عن ادراك الذات والاحاطة بحقائق الصفات فاتركه النظر الى المخلوقات وعجائب المصنوعات دون ماهية الذات وحقائق الصفات فمن ارتقى الى الطريق الموصلة

طـ
الى هذا يشير ابن الفارض
حيث قال
زدني بفرط الحب فيك تحيرا اهـ

طـ
ذكر شيخ الاسلام الشيخ ابراهيم
البيجوري في حاشيته المسماة بتحفة
المريد على جوهرة التوحيد
ما نصه : سأل الزمخشري الغزالي
عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
فاجابه بقوله اذا استحال ان تعرف
نفسك بكيفية او اينية فكيف يليق
بعبوديتك ان تصفه تعالى باين او
كيف وهو مقدس عن ذلك ثم جعل
يقول : قل لمن يفهم عني
ما اقول في قصر القول فذا الشرح
يطول في الابيات اهـ كتبه محمد سعيد

الى معرفة الله تعالى انه تطيف الانظار ونقل اليه الافكار وهي التفكر والنظر في المخلوقات والاعتبار بعجائب المصنوعات فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقديسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفوذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته لانه لا تقوم صفات الفاعل فانه لا ينبغي النظر الى صفاته الا بالنظر الى مكوناته وقد ورد في الاعتبار آثار قال مالك رضي الله عنه الاعتبار افضل العبادات وقال ابن عمر الفكرة تذهب الغفلة وتنبت الخشية في القلب كما ينبت الماء الزرع وقال الحسن فكرة ساعة خير من قيام ليلة وقد روى ابن القاسم عن مالك قال قيل لام الدرداء ما كان اكثر شأن ابي الدرداء فقالت كان اكثر شأنه التفكر قيل له اترى التفكر عملا من الاعمال قال نعم هو اليقين وفي الحكم الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له وقال المصري بانه والفكرة في امر الله مفتاح العبادة ولم يرد ما يقرع عن فوله وثمرته الا آثار صفته من الآيات الدالة على الامر بالفكر والاعتبار والاستدلال والاتعاظ ماخوذ من العبور وهو المجاوزة فالاستدلال مجاوزة الدليل للمعرفة المدلول والاتعاظ مجاوزة من حال الغير لحال نفسه والآيات جمع آية وهو مثل دالة الخلوقة وهي مخلوقاته وانما سماها آيات للتعريف وكلها ادلة عليه ومعرفة به لظهوره تعالى في الظهور والتعريف لا ظهوره مطلول وتكييف فاذا انظرت الى الاحكام والاتقان دلك على العلم والى التخصيص دل على الارادة والى الابراز دلك على القدرة وهكذا تعرف به ذاته واسماؤه اذ هو جعلها مرآة تتجلى فيها صفات الحق سبحانه وقد تقرر في قول الحكم دل بوجود آثاره على وجود اسمائه الخ وبهذا ينفتح لك معنى قوله الله نور السموات والارض فان النور اسم من اسمائه تعالى ومعناه الظاهر الكامل الظهور فالمعنى انه هو الظاهر في السموات والارض لا هما وما فيهما انما اوجدا للتعريف به والدلالة عليه فهو المتجلي في كل ذلك وعرف الجزء او المحض اذ الا كلام فيها سواء اذ ظهوره بنفسه من الذي هو آثاره وصفه واقتصر غيره ثم بين كمال ظهوره بقوله مثل نوره اي شأنه العجيب في ظهوره كمشكاة الخ وتماسل لا ما زالت المتلوة ونقول آيات كثيرة تدل لتضمنها ما مر اذ الفرد من على التعريف بالله والدلالة عليه وعلى الواحد ونوا هيه فان في الفواتح جمع الاستدلال ما كان على طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين وهو الاستدلال بكتاب الله وبآياته والاعتبار في بدائع مخلوقاته وعجائب مصنوعاته والاقتداء باخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وجميل سيرته وبأي عيانه فقوله **لا يتفكرون في ماهية ذاته** يعني ان ما ضيكه النبي عليه السلام اشار الى ما ورد من النهي عن التفكر في ذاته تعالى من قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في مخلوقاته ولا تتفكروا في ذاته ونظمه الطرسي في قوله

• وقد انبى عن النبي الصادق • تفكروا في الخلق لا في الخالق •

وورد ان الشيطان يقول للانسان من خلق كذا من خلق كذا فيقول الله فيقول من خلق الله فمن وجد ذلك فليقل لا اله الا الله اي ذلك شيئا هذا الدواء فيه لا خالق سواه ولا طريق غيره قوله صلى الله عليه وسلم على الرجوع الى الطرق العقلية الثابتة بالادلة القاطعة ولم يأمره بالاحتجاج على الشيطان لانه يتلون ويأتي من وجه آخر وكلام الطرطوشي لعله اخر على انه

تبرع من العجز عن الادراك ما السؤال عن الكنه الحقيقة خطأ وتنبيه لاغراض موسى
عليه السلام اذ سأله فرعون عن الحقيقة التي لا سبيل اليها حيث قال وما رب العالمين واجابه
لبيان الصفة فقال رب السماوات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي هو مبدع هذه
الاجرام العظيمة ومنشئ هذه الذوات العريضة الطويلة ان كانت فيكم اهلية الايقان
في معرفة الحق بادلته القاطعة وبراهينه الساطعة ولا شك من نظر الى جرم السماء
مشرقا من المشارق والمغارب والسهل والجبل والخلاء والعمران مرفوعا بغير عمد محكما بلا
عوج ولا شقوق ولا تفاوت مزينا بانوار الشمس نهارا وانوار القمر والنجوم ليلا وانظر
الى جرم الارض سهلها ووعرها وما احتوت عليه من الانهار والنبات والاشجار والقرى
والامطار والمعادن والبحار والعيون والآبار وغير ذلك مما لا ينعرف من ذلك ما
يخبر عن عظيم علو القدر ورفعة الشأن وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال ما لا يحاط
عن غير ما سال عنه لانه فرعون عرض بمخالفة الجواب للسؤال تنبيها على غباوة القائل
وانه حق السؤال الا يكون كذلك وهو ان السؤال هنا انما يكون عن الصفات الظاهرة الدالة
على الوجود والتقدير ولا شك ان هذا السؤال الذي صدر من فرعون خطأ لانه سال عما
التي تنشأ عن الحقيقة وهو غير مدركة ولم يتنبه فرعون لهذا فقال لمن حوله الا تستمعون
سالته عن حقيقته ما اجاب بصفاته فهو غير مطابق للسؤال فلم يتعرض عليه السلام
لبيان جهله وغلطه بل ذكر صفة ثالثة من الاولى لكون المستدل به والمنظور فيه مما
بد عن خارج عنه وعن اطه الخ تنشأ منه فقال ربكم ورب آبائكم الاولين فما انهم لو تنبهوا
لعجز عن علو الانسان لعجزه لان ذلك ليس لهم ولا بهم وانه لا يتصور ان يصنع خلقه مخلوق
فلم يتنبه فرعون لما اجاب واصر من جهة الرئاسة ونسبه للجنون فقال ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون ما عرض موسى عن جواب ورجع الى مقصوده مشيرا الى ان السؤال
عن حقيقته ليس من ذات العقلاء فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وفي
قوله ان كنتم تعقلون تعريض بقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي انا عاقل في مقالتي
فلو كنتم عاقلين لصرفتموني في مقالتي ولا تنسبوني الى الجنون وهذا غاية الارشاد للتنبيه
او اعلى الاستدلال بالعالم وهو خلق السماوات والارض وما بينهما ثم بما هو اقرب اليهم وهو
انفسهم ثم بالمشرق والمغرب وما بينهما من النيرات والموجودات زيادة في بيان ونزول
في الاستدلال ولعل انه في كلمة في دليل على وحدانيته وباهر صفاته والماهية
والماهية والحقيقة ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق بالنسبة للانسان
بخلاف الضاحك والكاتب مما يتصور الانسان بدونه فانه من العوارض والماهية مشتقة
مشتقة بينهما وبين الالف بهمزة ومن نزل ها ميما فقال ماهية وهي منسوبة الى ما لانه يجاب
به عن السؤال بما فاخذت الماهية منسوبة الى ما فوكدت لكون تسمى المعرف اطلاق الماهية
عليه تعالى التي لا تكون الا في الجسم والنوع مع عدم الاذن في هذا الاطلاق لضبط العبارة
وضرورة التعليم نحو هذا في الفلسفة والتعليم وفي المتكلم هل تطلق الماهية على ذاته

تعالى

تعالى التي استطلعوا في ذلك قال اكثر الحنفية على المنع وعهدوا بان فيه نظر وكثير
المالكية على جواز الاطلاق وكذلك الشافعية. قوله ولا يحيطون بشيء من
علمه اي معلومه لانه قد المصدر بمعنى اسم المفعول ومنه قول العلماء اللهم اغفر لنا
علمك فينا وهذا زيادة بيان وتقرير لعجز الخلق وقصور علمهم فهو من معنى قوله فيما
تقدم ولا يحيط بامره المتفكرون ومن معلوماته تبارك وتعالى حقوق الملائكة والعرش
والكرسي والجنة والنار وفي الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكذا
الجزء والسل الكثير ولا نعلم شيئا من ذلك الا ما علمنا ربنا. وقوله الا بما شاء اي الا من قوليه
بشيء اي فيعلمه الله على السنة الرسل عليهم السلام او بالهام منه تعالى. قوله وسع
كرسيه السماوات والارض فصل الله هذا الكلام من هنا الى قوله العلي العظيم الخ وبما
تقرر من اول الباب تنبيها على ما يدلك على عظيم كبريائه تعالى وباهر جلاله وعلو جلاله
مشيرا في اثناء ذلك الى ما يدل على صفات العظمة لما تضمنته ان شاء الله لان المقصود
من العقلاء معرفة العبودية والاقرار به لاهليه وتمكن عظمة الرب من القلب اذ بالاول
تحصل النجاة من الخلود في العذاب وبالثاني اعني امتلاء القلب بعظمة المعبود تحصل
الاحوال وتزكو الاعمال وتحصل ثمرات البصر والفلاح في طريق الخدمة لله رب العالمين
وقد اشار هنا الى طرف من آية الكرسي التي قيل فيها انها اعظم آية في كتاب الله وورد
عنه عليه السلام من قرا آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد وورد من قراها دبر كل صلاة مكتوبة
كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى
استشهد وفي البخاري ان الشيطان قال لابي هريرة اذا اويت الى فراشك فاقرا
آية الكرسي الله لا اله الا هو حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ
ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة لما اخبره
بذلك اما انه قد صدقك وهو كذوب انظر نصه في كتاب الحرث من البخاري. قوله
وسع كرسيه السماوات والارض فقيل المراد بالكرسي علمه تعالى لان موضع العالم
هو الكرسي فسمي الشيء باسم مكانه ومنه الكراسة لما فيها من العلم والمعنى
على هذا احاط علمه بهما وقيل المراد به الملك والقهر والسلطان والتصرف
ونفوذ الامر وسمي الملك بالكرسي لجلوس الملك عليه عند تصرفه في ملكه
فهو موضع تصرفه عليه فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه كالاول وقيل
الكلام تصوير لعظمته وكبريائه باعتاده الخلق في ملوكهم وعظمائهم
والكرسي ولا قاعد وقيل وهو قول جمهور المحققين انه جرم محسوس لقوله
للاخبار الصحيحة انه جرم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة قال
علي ومقاتل كل قائمة منه طولها مثل السماوات السبع والارضين السبع والسماوات
والارض في جنبه كحلقة ملقاة في فلاة من الارض وهو بالنسبة الى العرش كحلقة

صح لله
والما طار نتيجة امتلاء
القلب بعظمة الله تعالى
التخلي عن الرذائل التي يكرهها الله تعالى
وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء
والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه
والمال وغير ذلك من كبائر القلوب
وبالتحلي بضدها بالعجز والتواضع لله والمحبة
لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره
والعمل بحدوده والهيبة له والخوف
منه والتذلل لربوبيته والاخلاص في
عبوديته والرضى بقضائه ورؤية
المنة له عليه في منعه وعطائه ورفع
الهمة عن المخلوقين وتعلقها بالله رب
العالمين بحيث لا يلتجئ في حوائجه الا
الى الله ولا يتوكل في اموره الا على
الله فما سقط الناس من عينه فلا يرى
منهم لا ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه
عن عينه فما يشهد لها فعلا ولا يقتضي
لها حظا ويكون في احواله كلها جاريا
على مقتضى الشرع فاذا اعظم الرب
في القلب تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل
وذلك هو معنى السلوك وقد
نبه الله على هذا في قوله المتقدم وانشرح
صدورهم للذكرى فما منعوا الخ

ملقات في فلات وقصة صلى الله عليه وسلم قال لما اسري بي سمعت في بافوق السماء
السابعة وقلت بحجم باطم بقر امغال الكرسي على اهل العالمين والذي مراشك
انظر الدر المنظم وجمع السماوات والارض دليل لانه لم يحجبها من الارض السبعة الا
الارض لانه يشتمل عليها بخلاف السماوات لما بينهما من الهواء والبحور وقيل المراد به العلم
قوله ولا يؤوده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السماوات وتدبير شأنهما لكمال
قدرته وعموم تصرفه في كل شيء ابتداء ودواما الاخر وجوده وكل شيء فلبيان سلطانه وحكم
غير السماوات والارض حكمهما لافتقار كل شيء اليه سبحانه وقوله وهو العلي العظيم
ختم الاية بهذين الاسمين الدالين صريحا على تنزيه الخالق وتقديسه عن المكان والجهة انظر
البيان المقصود من ذكر الكرسي استشعار النفوس عند سماع عظمة الله وعزة افتقار
لا ان النفوس ابدا تجزع من التعظيم والهيبة عند سماع الاشياء المحسوسة الدالة على
الكبرياء ما لا تجزع عند عدم ذلك لا انه محل الاستقرار تنزيه الخالق سبحانه عن التحيز
والافتقار فقوله العلي اي بالمنزلة اي المتعالي في ذاته وصفاته واسمائه عن التحيز
به وصف واصفا او معرفة عارف قال الشيخ زروق من عرف انه العلي سمت همته اليه حتى
يجعلها في كل احواله وفعلا عليه وقوله العظيم اي الكبير الشأن الرفيع القدر
الذي تصغر كل شيء عند ذكر عظمته وقيل معناه المعظم لا يشاء حصا او معنى وقيل
المعظم اي المثني عليه بما هو اهله من قبل نفسه او خلقه قال زروق الشيخ من عرف انه العظيم
صغر في عينه كل شيء الا ما له نسبة من تعظيمه تعالى اه قلت في حضرة الخبير الحق
فقال له الخضر كله يا اخي قيما الرجل وما قدر العالمين حتى يذكر وامعه فقال كلها
ما انه اذا ذكر الحادث مع القديم تلاشى الحادث وبقي القديم ثم انظر النص الصفات
العلية وبقي حقيقة الشأن انه والمرشد المعين بقوله . وقدرة ارادة علم حياة . سمع
كلام بصر ذي واجبات . فقال معنى اعرف بعضها باسمه تعالى الدال عليها العالم هو
من اسمائه تعالى الدالة على العلم وكذلك العلام والعليم ولا يسمى عاقلا ولا فقيها
ولا عارفا ولا داريا وان كان الجميع بمعنى واحد لان اسماءه تعالى توقيفية فلا يسمى
الا بما ورد في القرآن او انعقد عليه الاجماع واختلف في الوارد بطريق الاحاد قال بعض
شراح الكلام جميل يحب الجمال فمنعه الاشعري محتجا بقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
وخبر الواحد لا يفيد العلم واجازه الجمهور لانه من باب العمل والعمل يكفي فيه خبر الواحد
انظر الفلشاني والمعنى انه تعالى على صفة ينكشف بها جميع المعلومات الواجبات
والجائزات والمستحيلات انكشافا لا احتمال ان يكون في نفس الامر على خلاف ما علمه
جل وعلا فهو تعالى عالم بالواجبات ولذلك اخبر بها فقال انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
بوحدانيته وقال انني معكما اسمع وارى ما اخبر بسمعه وبصره وقال هو الحي وكلم
الله موسى تكليما هو الاول والآخر والله على كل شيء قدير وما اخبر بهذه الصفات
والاخبار بها دليل علمه بها لانه خبر على وجه علمه الى غير ذلك وعالم بالمستحيلات

وكذلك

ولذلك قال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا ليس كمثله شيء ما اتخذ الله من ولد وملكه وغير
من اله فحكم بنفي المستحيلات وذلك دليل علمه بها وعالم بالجائزات ما كان وما
يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون قال تعالى وما تكون في شأن الاية وقال وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها الخ وقال الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام
وقال وعنده مفاتح الغيب الاية فجلت عظمته وتعالى كبرياؤه ان يخفى عليه شيء مما
فوق العرش وما تحت الثرى وما بين ذلك من اطباق السماوات وما بينهن والهواء الا
رض وما بينهن وسع كل شيء رحمة وعلما قال الكون كله عن وجه محال العلم ومرصح الحصر
بهذا في قوله بعد وهو في كل مكان بعلمه قال تنبيها على عما برا التصغر وبهذا تعلم انه
يستحيل في حقه تعالى التعجب مما ورد منه فهو تعجيب والاستفهام التحقيق مما ورد
فليس منه درا اما للايناس واذا له ثم تقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى وانما الاضحاك
الجواب نحو اولم نعمرهم الخ واما التقرير ما يترتب على الجواب نحو كيف تكفرون وهو
اعلم بهم فيقولون ربنا في شيء يحجبونك ويجيرونك الى مقوله الشعر كذا فقد علمت لهم والقر
وب الشكوى لبيان الاحكام والتذكير والتنبيه بل الاصول الفاصلة والتنزل البرهانية
حسبما تقتضيه العبودية بشواهدها ومن العظيم بقية الاية وقوله وقع التشني
ربك ذلك قوله تعجبه والله اعلم بما وقعت اه وما احسن قول من قال . قالوا
تشكو اليه ما ليس يخفى عليه . فقلت ربي يرضى ذل العبيد لديه . وفي
العلم انما ذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال قال زروق من
عرف انه العالم بكل شيء راقبه في كل شيء واكتفى بعلمه في كل شيء وكان واثقا به
عند كل شيء ومتوجها اليه بكل شيء بل مهم في ذلك قوله الخبير هو من اسمائه تعالى
وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الحقائق الباطنة سمي خبرة وسمي صا
حبه خبيرا فهو العليم بخفايا الامور التي لا يتوصل اليها غيره الا بالاختبار والاحتيال
واذا اضيف الى الظاهرة سمي صاحبه شهيدا واذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم
فالخبير هو المطلع على بواطن الاشياء كما ان الشهيد هو المطلع على ظواهرها
والعليم المطلع على ظواهرها وبواطنها قاله ابن الاثير واعاد ذكره المص بعد قوله
العالم ليفيد من المبالغة اما في تعلق العلم بالخفيات فيكون كذكر الخاص بعد العام
او كثرة المعلومات لا وصف البالغ من فاعل فكأنه ترادف ويحتمل ان يكون بمعنى المخبر
عما انشيل علمه هو عليه فيكون راجعا الى صفة الكلام انظر الفلشاني و
يحتمل ان يكون بمعنى المختبر فيكون صفة فعل اي المظهر لما خفي حتى يعلمه
من يريد ان يعلمه وليبيف فائدة الخبرة رجعت اليه الى الغير فالمراد بالاختبار
قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين وقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ونحو قوله وقيل
قبيحا الذين من قبلهم اي اظهارنا ما خفي في الاشياء اي ابرز بعض المعلومات في
الغيب تتربصها الصادقين واهانة للكاذبين انتهى بخصال الفريقين وتمييز الاهل

الفضل واهل القرب قال سيدي زروق رضي الله عنه من عرف انه الخبير اكتفى بعلمه في كل ارادة و
لغيره بالاضطرار له قوله الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة وانما اورد في القدرة وبعد ورد
بين يدي الامر من سماء الولي حيث بين الامر من شيخ بين الامر حيث الابرار ابي نفع
امر خلقه وحرك في الدنيا بان زاغم وفي الاخرة بسطهم لا كثرتهم منهم انه على من الفاعل
للاعلى قول غيره والسر في ضوابطه هو النظر الى اعمال العبد في عواقب الامور ابد
لا بارها النفع على الوجه الاصلح لا لعلو واما في حقه تعالى فمعنى الحكيم العلم بكل
الامور وعواقبها وما خفي منها فيكون من معنى ما قبله او معنى المتقن الذي يتقن
الامر وتعميره وفطره على غاية الاحكام والاتقان تعليمه تعالى بالشيء قبل ان يوجد
كيف يكون وبالمتقن للاشياء على علم بادراكها والحكم لها انفك به وقيل هو راجع
لصفة الارادة وقد صرح بهذا الشيخ زروق فقال وقيل معناه المريد وهكذا هو
في بعض روايات هذا الكتاب اهو الارادة انما تتعلق بالممكنات كالقدرة وسنذكره
في قوله والايلاء بالقدرة وعبر عنه بذلك تقريبا للافهام وتصور الا انه تعالى
عالم بعواقب الامور كلها من خير وشر وما يكون على ما كان وما يكون قبل ان يكون وما لا
يكون ان لو كان كيف يكون ولو رد لعادوا لما نهوا عنه ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض قال الشيخ زروق من عرف انه من الخلق اكتفى بتدبيره عن تدبيره لنفسه
واستراح من تعب التدبير وكان مكتفيا جميع امره لا من لم يرد ويدبر ومن تبع كل
على الله فهو حسبه انه كافيه وموافقه وناصره فاعمل في العمل ارح نفسك من التدبير
فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك قوله العزيز من اسمائه تعالى الدالة على
القدرة وهي صفة ذاتية وجودية تنعدم و[illegible] على وفق الارادة فانما تتعلق
بالممكنات وهي عامة التعلق بجميعها قال تعالى ان الله على كل شيء قدير وكان الله على كل
شيء مقتدرا ويكفي من قدرته على كل شيء واستحالة العجز عليه عن ابداع [illegible]
واوجه جلت وعظمته وانقطعت اسباب التوصل اليها وعجزت مسالكها ولا سبيل
كلها فيها وانظر فرعون مع موسى حين ادركهم العدو من خلفهم وهم يعبرون البحر برايه
كيف فلقه لهم واغرق عدوهم فقلب الاهوال بالا وشح على من كان في الصبر ويوجد
على من كان في السعة وانظر انجاء موسى من الذبح وقد جرى ذلك في ذلك النبي
نسعر انه صبي كيف ابقاه الله في بيت فرعون ومن انبيائه من اسر الاعداء وهو في بيته وتعلم
الخاص وانجاء ابراهيم من النار بعد ما وقع فيها واخراج يونس من بطن الحوت من قعر
البحر وكم من عجيب على هذا مغير ضعيف مبتلى فواده وافرده وملكه وهو من اعظم
علامات اعز الله بملكه وكم من قد ابتلي في التكبر لا يخطر على باله احتمال انه من
قربه واعتماده وجعله من خاصته واوليائه لذلك قال في الحكم من استغرب ان ينقذه
الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وانظر قوله
وكان الله على كل شيء مقتدرا والآية وقوله ولقد نصركم الله ببدر الآية فمن نظر في هذا الباب

ايقن انه تعالى على كل شيء قدير وراه العجز عليه مستحيل كانه ما ثم الا هو في عزه وقال
والعزة في ترك ما يضعفني وقعد على عزته وجعل باخذ السقيم بين يدي غنى ولم يشتغل
قلبي به ان كنت انظر ما يحكم الله به بيننا مجيبا سهم خلقه فطرحه عني وقمت وتنحيته وما
من ذلك انها المستحالة العقلية والتعجيز الا في حال العظيمة ولقد خلقنا السماوات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي تعب اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات
والارض لم يعي بخلقهن ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الى غير ذلك قال الشيخ زروق
من عرف انه القادر المقتدر الذي لا يعجزه شيء ولا يخرج عن قدرته شيء رجع بكل شيء اليه وقد
بايه بالشيء من انا على ما يعظم عليه بنظره الى عظيم قدرته اه قوله السميع البصير
هما من اسمائه تعالى الدالة على السمع والبصر فيتعلق ينكشف بهما الشيء ونفيه انكشافا
تاما سوى الضرورة وكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات
فهو تعالى يسمع الذوات والصفات والجلي والخفي والاسرار والاعلان لا يحجب
انا الا سمع سرية وفحوامه الا انه يسمعه والبصر سمعنا كسمعهم لا يتسلط الا على الاشياء
الجلية وقال تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين الذي تقوم في كل وقت في
ايام وبحر صلاة او كلمة وتقلبك اي تنقلك في اصلاب الانبياء والاولياء والى جعل
اخصها في الاصلاب وما قاله المتكلمون من فرض تعلقهما بغير الموجودات غير صواب
والذي صرح به غير واحد من الصوفية تعلقهما بالمعدوم وهو التعبير لا تعلقهما تعلق
انكشاف فيلزم على تخصيصهما بالموجود حال وجوده فقد يقرر الاذل فالكه شيخنا الحب
المحقق فيما ضج على اعتبار الصغرى ولا نظر تامه قال الشيخ زروق من عرف انه السميع
البصير راقب الحركات والسكنات حتى لا يراه حيث نهاه او يفقده حيث امره وقد
قيل لبعضهم بم يستعين العبد على غض بصره قال بعلمه ان نظر الله اليه سابق نظره الى
المنظور اليه اه قوله العلي تقدم وقوله الكبير هو بمعنى العظيم وقد تقدم
وهما اسمان من اسمائه تعالى والثلاثة تدل على العظمة والجلال وهي من الاسماء الدالة
على الصفات الجامعة كالالوهية والعزة قال الشيخ زروق من عرف انه الكبير نصغر باء
نفسه ولم تبوله دعوى ولا رؤية لشيء بقضاء كبريائه تعالى قوله وانه فوق عرشه
الحمير بن الله عطفا على قوله ان انه الواحد وفوقيته تعالى على عرشه فوقية استعلاء
وملك وقهر وغلبة كقولك السيد فوق عبده والامير فوق الملوك والخالق فوق
المخلوق فهي راجعة الى معنى القهر وكلام الملة رحمه الله حاد في هذا الكلام قوله
تعالى ذو العرش المجيد فقد قال بعض المفسرين اي ذو الملك بمعنى صاحب لا المستعمل غالبا
الا في الاعلى واغلب من مظاهر جلاله وقيل بمعنى طالب الغنى ولا يقال ذو القوي
بمعنى انه تعالى على العرش بذاته وبجوز ان تكون فوقيته تعالى بمعنى الشرف
والجلال والكمال في معنى المخالفة وعدم المماثلة فتكون راجعة الى معنى التنزيه
ولا يقال انه لما ذكرت هو المراد بالفوقية فلم خص الملك العرش بالذكر مع

ان تعالى باستوى من عرشه الى من تحته كذلك لانا نقول اذا كان العرش الذي هو اعظم
المخلوقات والكرسي في جوفه وتحته فهو لا مناسبة بينه وبين خالقه وغيره من باب
اولى ثم انه لا محذور في اطلاق الفوقية في جانبه تعالى مع ما فيه من الايهام لورود
السمع بها فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال وهو القاهر فوق عباده والفوقية في جانبه
تعالى فوقية معنوية للرتبة للاحمال التي علمه تعالى اذ هو الغني عن كل شيء وقال
جعفر بن محمد رحمه الله من زعم ان الله تعالى في شيء او من شيء او على شيء فقد اشرك لو كان
على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا اهـ
والظاهر هو مكون الكون فقد كان قبل المكان وهو الان على ما كان وفي الحكم الحق تعالى ليس
بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان
لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده اهـ والعرش
اسم لكل ما علا والمراد به هنا مخلوق عظيم من جوهرة خضراء فوق السماوات دل على
وجوده الكتاب والسنة والاجماع واختلف هل هو اول المخلوقات وفي الاحياء في
كشف علم الاخرة للعرش ثلاثون الف سرادقات وفي كل سرادق ثلاثون الف …
وعلى كل شرافة ثمانون الف ملك يقدسون الله تعالى ويسبحونه ويقدسونه لو برز منها ملك واحد
الى الدنيا لعبد من دون الله ولاحرقها نوره اهـ وورد ان له الف الف راس في الراس الف
الف وجه وستمائة الف وجه في الوجه الواحد كعدد الدنيا الف الف مرة وستمائة
الف مرة في الوجه الواحد الف الف لسان وستمائة الف لسان كل لسان يسبح الله تعالى
بالف الف لغة يخلق الله تعالى بكل لغة من لغاته خلقا في ملكوته يسبحونه ويقدسونه
تلك اللغة وورد انه يكتسي في كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر
اليه خلق من خلق الله تعالى وفي التيسير للقشيري جاء في بعض الاخبار ان ملكا من الملائكة
قال يارب اعطني قوة لارى العرش فخلق الله له ثلاثين الف جناح فطار ثلاثين الف
سنة فقال الله تعالى هل بلغت الى اعلى العرش فقال يارب لم اقطع بعد عشر
قائمة العرش واستاذنه ان يعود الى مكانه اهـ وقال بعض العلماء للعرش ثلاثمائة
وستون قائمة وعرض كل قائمة كعرض الدنيا سبعون الف مرة وبين كل قائمة وقائمة
ستون صحراء وفي كل صحراء ستون الف عالم وكل عالم كالثقلين من الجن والانس
وعن جعفر بن محمد ان بين القائمتين من قوائم العرش خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام
واخرج ابن عساكر عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي رايت
على العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق
عثمان ذو النورين اهـ وحملته الان قيل اربعة وقيل ثمانية من الملائكة وورد ان واحدا
منهم من شحمة اذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام وهم خشوع لا يرفعون
والحافون به المشار اليهم بالاية في قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش قيل سبعون
الف صف من الملائكة صفا خلف صف وهم دائرون به بعبادات واذا كان مخصوص

ومن

وما وراءهم سبعون الف صف كذلك ومن وراءهم مائة الف صف كذلك وحملة العرش
اعظم خلقا من غيرهم ثم من يليهم كذلك وفي القرآن الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم الاية قال شيخنا المحقق في شرح صلاة القطب مولانا عبد
السلام بن مشيش نفعنا الله به فلعله لا يستغرب شيء مما ورد في العرش مما تواتر
به الاخبار من ان السماوات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن بالنسبة الى
العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الارض فوق ذلك كله والله اعلم وحملة العرش ثم
والعرش محمولون بقدرته وسئل بعض المشايخ عن عظمة الله تعالى فقال ما
تقولون فيمن له عبد يسمى جبريل له ستمائة جناح لو نشر منها جناحين لستر الخافقين
وقال في شرح الحكم يتاكد على المومن ان يعلم ما يدل على عظمة العرش من
هذه الاخبار وغيرها ما يتسع ذلك ليحصل في قلبه من عظمة مولانا سبحانه ما
يجب ذلك و… ايضا العرش الذي هو بمنزلة … من العظمة والجلالة مخلوق
من نور سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لتزداد عظمته وحبه في قلبه وافضل هذه
المعارف الشرعية حتى يصير ذلك في حقه من العلم النافع ولا تقصر عنه من حيث
انها اخبار عجيبة وعلوم غريبة فقط اهـ والمقصود من قوله وانه فوق عرشه
المجيد في غنى عن شيء مما يدل على عظمته وعلوه تعالى وكفى بانه فهو من معنى ما قبله
وقوله المجيد يجوز ان يكون في كلام المصنف مجرورا تابعا للعرش على النعتية والمراجحة
التي وقعت في كلام المصنف بجعله خبرا لمبتدإ محذوف واما المجيد في قوله تعالى ذو
العرش المجيد فانه قرئ بالوجهين لوجود ما يصلح ان يكون منعوتا على الجر وهو
العرش وعلى الرفع وهو ذو وتركيب وقفا على قوله العرش ليكون المجيد نعتا للمتقدم
بما ذا اجري صفة العرش فما له المصنف كان بمعنى العظيم والكريم وقد ورد في القرآن
وصفه بهما والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا ارتضى
حسنه وجماله وكتاب كريم اذا كان مرضيا في فوائده ومعانيه واذا كان صفة
الله كان بمعنى المنزه الشريف الكامل والملك الواسع التام الغاية له ولا تمكن
الزيادة فيه والوصول الى شيء منه الحصر لا يعال المحدثات الكثيرة الا مفاضلة
قال الشيخ زروق من عرف انه المجيد خضع تحت سلطانه ولم ينكسر لغيره في
شيء من شانه وكل شيء منه واليه فهو من شانه وبالله التوفيق وقوله
بذاته هو محل الانتقاد على المصنف لانه لفظ يوهم كون الفوقية فوقية حسية استقرار
وقد علم ان الالفاظ الموهمة لا يجوز اطلاقها في جانبه تعالى وان قصد
بها معنى صحيح الا ان ورد بها السمع ولم يرد السمع بهذا اللفظ في هذا
التركيب الموهم هنا فاشكل اطلاقه فتحكم لا محيص عنه وان قصد به المصنف
معنى صحيحا وهو ان قوله بذاته اما ان يرجع الى المجيد فيكون الباء بمعنى
في والضمير عائد على العرش ومكانه فقال العرش العظيم في ذاته واما ان يرجع

صح
قال الغزالي في المقصد الاسنى المجيد هو
الشريف ذاته الجميل افعاله الجزيل
عطاؤه فكان شرف الذات
اذا قارنه حسن الفعل سمي مجيدا
اهـ وقال السهيلي المجيد مشتق من
مجد واستمجر اذا زاد وفيه دليل على
انه باسم من اسمائه فمن طلب معنى
ذلك الاسم منه جعل فلا يغضب الطلب
الغيبة مكن ذلك فقال يا مجيد طلب
الامجاد اي الزيادة تقول العرب
امجد الناقة علفا اي زدها علفا اهـ
مع المجد نهاية الشرف

الى قوله فيقول ويتكون ابناء على بابها ويكون المعنى ان فيه تنبيه تعالى لعرشه بالذات
للابتغاء من كثرة اموال وغنائم اجناد فلا معين له تعالى ولا وزير ولا ناصر ولا ظهير
كما هو الشأن في ملوك الدنيا واما ما قيل من حمل الاستواء على الاستيلاء فالموهم وان لم
يرد به السمع اذ لا نص في عرف الاستعمال بمعنى صحيح فلا بأس هنا لانه اصح
في هذا اللفظ الموهم الذي الكلام فيه تنبيه نقل الشيخ زروق ما نصه
اعترضه وانه قريب تكفير المجسم واختار عز الدين عدم تكفيره لعسر فهم العوام
نفي الجسمية اه وقال الشاطبي يسال عز الدين هل يكفر معتقد الجهة
الا ما جاءت بان للاجزاء معتقد للاكفر اه وزاد الشيخ زروق قال ابن العربي
القائل بالجهة لا يكفر اذ لم يعقله غيرها واشتغل به بعوش الشهوات وفيه
نظر اه قوله وهو بكل مكان بعلمه المراد ان علمه تعالى محيط بجميع الكائنات
وانه تعالى مطلع على جميع احوال الخلق مطلع على خفاياها في محل الساكنات كما
انه تعالى يرى ويسمع جميع ذلك فلو قال العلم بعلمه وسمعه وبه لا يخفى انه قبل معنى
الصفة والموجب للتفصيل انه هاو لا الصفة ولي له شأن من اراد التفهيم
فاعطى لفظ صفة كان او سكينا وقال له اذ بحم حيث كان ان اهو بخوا كلهم
الا واحد فصل فسعد ذلك فقال لم اجد موضعا الا رآني فيه الله بعلمه هو الا
فيهم بهذا الشأن المراد علمه تعالى محيط بكل كائن ويشهد في علمه تعالى بقصد
والقصور بخلاف علم سائر الخلائق فليس اعلم من احاطة علمه تعالى والعليم
وهو ناظر الى قوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من
عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه والى قوله سبحانه وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها اي مسكنها في الدنيا ومستودعها اي موضعها
بعد الموت ونحو ذلك تفسير قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله وقوله
قوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وقوله وهو
معكم اينما كنتم وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ومعنى كل ذلك معية تعالى
بالعلم ومعنى المعية بالعلم تعلق العلم بكل شيء في حالة المصاحبة والمكان
لتنزيهه عنهما ولا فصل تقسيم المعية في الآية بالعلم الذي هو مرادنا
ان العلم واحد كله فيها الا ما يليق به جل وعلا وقد تكون المعية
في حقه تعالى بمعنى النصرة والحفظ مثال ذلك ما شاهر اجنبير عن
معنى مع فقال مع الانبياء بالنصر والكلاءة انه معكم ومع العباد
بالعلم والاحاطة الا هو معهم فقال مثلك يصلح للكلام على الخبر اه
ومن الاول قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ان معنا في
سهو فقوله ولقد خلقنا الانسان اي الاصل بقيته الطين وبالذكر
والانثى ونعلم ما توسوس به نفسه على حذف المبتدا والجملة حال اي وهو

يعلم الخ كما قيل في قوله تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه الخ ونحن نعلم الخ بهذا التقدير
المراد انه تعالى عالم بما يكون قبل ان يكون وسابق علمه بكل شيء قبل كونه وانه تعالى
عالم بجليل الاشياء وحقيرها ظاهرها وخفيها بعلم من جهرهم وجهرهم ويعلم ما يكسبون
يوم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون واذا
سألك عبادي عني فاني قريب ان ربك لبالمرصاد ان يرضى اعمال عباده وبغير جهل
عليهم بمجازيهم عليها واخفى عليه خافية منها والوسوسة حديث النفس بما في
الخاطر او شرا وان كانت الوسوسة انما تستعمل غالبا في جانب الشر وتزيين
ما لا يريدها بعض هذا المعنى اغلب فقوله لما الانسان بغير الانبياء والعصمة
الوسوسة للنفس مجاز كنسبة الاغواء للشيطان في قوله تعالى وما انسانيه الا
الشيطان ان اذكره اذ الاغواء للشيطان على الحاد شيء ولا اعترامه والنفوس
ثلاثة اقسام الامارة قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء وهي التي تحمل الانسان
على فعل القبيح والحق عليها الفعل من الخير ان بعدها عنه والباطل اخف شيء
عليها لا تمتثاله واللوامة وهي التي تلوم بعد وقوع الفعل فترجع والمطمئنة
والانقياد للطاعة بوجه ولا تجد للاهواء الحكم وهو ما يحبه الله ورسوله فالامارة
للجاهل واللوامة للتائب والمطمئنة للعارف وتطلق النفس على حقيقة
الشيء وذاته وقد يراد بها الروح وقد يسمى الفلك نفسا وقد تطلق بمعنى
الدم ومنه قول الفقهاء ما ليس له نفس سائلة قوله ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد الضمير المرفوع عائد على الله تعالى والمجرور على الانسان والمراد قرب العلم
لا قرب المسافة وقيل الضمير المرفوع عائد على الملائكة المجموع من علم والمجرور عائد على
الانسان والمراد بحبل الوريد على هذا علم كاتب وسوسة النفس بها ولانه قال
والمراد تعالى اقرب الى الانسان من علمه صاحبه وحبه نفسه لا يغيب عن الانسان ومن حيث
الوريد وقيل الوريدان الحبل شعب الوريد وقيل من اضافة الجنس لنوعه نحو بقلة
الحمقاء والحبل العرق شبه الحبل بمتعرج من حيث اللحم اشتراكه وارتباطه وقوامه
الوريد الذي هو فرق بين صفحتي العنق وهما الوجهان من المتطالان بالوتين وهو
عرق ابيض متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وعلى هذا انما خص الوريد
بالذكر لانه بما فيه جميع البدن وقيل الوريد بمعنى الوارد وهو الوارد من جميع
القلب الى الاعضاء وعليه فهو الطريق الذي يسلك فيه الى اركان الجسم
وعليه فالاضافة ظاهرة وقيل تخصيصه بالذكر لان به حياة الانسان
فهو الانسان في الحقيقة وانه اعلم وهذا المثل في مرتبة القرب لانه تعالى لما
كان مطلقا على معلومات العباد وسرائرهم ولا يخفى عليه منها شيء كان
من به منهم بمنزلة جزء الشيء منه بل انه في المعنى هو اعلم بحالهم من بعض في
القرب منه بحبل الوريد فهو تعالى اقرب الى العبد من كل قريب وخارج الى

منكم ولا كون للنبيين من الافتقار والعبوا احاطة علمه تعالى وقدرته وارادته في بحكمه
من غفلته ولا يشغل عن افعاله وتصرفاته في وقت من اوقاته فهو الحكيم ما من نفس
تنويه الا وهو يعلمك فهو يقضيه والمنافع التي في جميع ازمنة وجوده اقرب بالتصرف
اليه من غيره ولا تتقى غيبته ولا تتصور غفلته ومن ثم لم يكترث اهل المراقبة والانس
بالله بشيء مما سواه وقد يغلب على العارف شهود احاطة العلم وشرك الخوف والحياء
حتى يرى مع ذلك ان الدعاء يشير الى خلاف ذلك فما يبقيه الا السكوت اكتفاء بالعلم
بعلم وتجرا اذا غلب عليه شهود سوابق القسمة وتراضى الحكم فلا في اعلى رتبة
الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسالته انما تذكر من
يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال وقال ربما استحيا العارف
ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته وكيف لا يستحيي ان يرفعها الى الخليقة
ولما علم ابراهيم عليه السلام ان الحق سبحانه اقرب اليه من كل احد من بعض انتهى من
جنبيه وعلم انه لا يرحمه من طمعه في حال الكفى بعلم الحق عن السؤال وهذا
هو الاكتفاء بالله والقيام بحقوق حسبي الله فانه عليه السلام حين زج به
في المنجنيق واستغاثت الملائكة وقالت يا ربنا هو خليلك فهو اعلم به
اعلم به فقال الحق سبحانه اذهبوا اليه فان استغاث بكم فاغيثوه والا
فذروني وخليلي فلما جاءه جبريل عليه السلام وهو في الهواء قال له الك
حاجة قال اما اليك فلا واما الى ربي فبلى قال فاسأله قال حسبي من سؤالي
علمه بحالي فاغناه الله تعالى من النار فقال قلنا يا نار كوني بردا وسلاما قال اهل
٥٥ العلم فلو سكت في ذلك لبردت نار مشارق الارض ومغاربها الى يوم القيامة
المعنية باغاثته فقيل انه لم تحرق النار منه الا قيده واثنى عليه سبحانه بقوله
وابراهيم الذي وفى اي بمقتضى قوله حسبي الله وقد يجد العارف في قلبه اشارة
الى الدعاء فيكون الدعاء اولى به وهو ما قال في الحكم ربما دلهم الادب وقد
قال سيدنا يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقد جعل
سيدنا ابراهيم في مقامات ادم وليس الفصل بالدعاء التحكم ولا التشبيه
لا تختص التعليم في موانا حال وعا بل الفصل اضمنه الحاجة والتذلل بين يديه
والتضرع بثنا حاجته التي اذن له فيه والتفصيل انما هو بالنسبة
للعارفين والناس بغيرهم هو الاكثار من الدعاء على كل حال فهي المعرفة اصلو
ثبته من قضاه الله لما يبل وفي العرف ايضا من يحمل الله بقضه عليه
والتي معنوية الاشارة لو اعتقاهية قوله • الله يغضب ان تركت سؤاله •
وبني ادم حين يسال يغضب • ما جعل سؤالك للاله ملما • في وظل
نعمة ربنا تتقلب • ومن شاهد ان مولاه اقرب اليه من حبل الوريد واستغنى
بهذا المشهد هو لي شرح المراقبة وغلبة الهيبة والتناخي بيان ابن العض

من الله علينا بذلك بفضله • قوله **وما تسقط من ورقة الا يعلمها** هذا من باب ما قبله وهو
طرف من ايته وعنده مفاتح الغيب الاية ومفاتح يحتمل ان يكون جمع مفتح بفتح
الميم وهو المخزن الذي يفتح بالمفتاح ويحتمل ان يكون جمع مفتاح ويدل لذلك قراءة
مفاتيح فمفاتح الغيب خزائنه او الطرق الموصلة الى علمه كما ان المفتاح طريق يوصل
من كان بيده الى علم ما في الخزائن والمراد انه تعالى يعلم الغيوب علما تاما غير
الغيوب او من بيده مفاتيح الخزائن بابه الخزائن وهو خطاب العباد بقدر ما يفهمون
وهذه المفاتح هي الخمسة التي في قوله ان الله عنده علم الساعة الاية كما ورد الخبر
وقوله ويعلم ما في البر والبحر وان كانت عجائب البحر اكثر باضعاف مضاعفة مما بين
التاس البرية اكثر فهو من باب الانتقال من الجلي الى الخفي او المراد بالبر القفار
بالبحر القرى التي على الانهار قوله وما تسقط من ورقة الا يعلمها كانفصال الماء قبله
ومن ملكها والورقة المراد بها كل شيء يسقط لا خصوص اوراق الاشجار من التفريع
وما تسقط من ورقة او من ورقة اي ورقة كانت في جميع اقطار الارض او ورقة مخصوص
هي ورقة شجرة تحت العرش يسقط منها اوراق على عدد الارواح
الغلابي مكتوب بكل ورقة اسم صاحبها ومنها ملك الموت ينظر اليها فاذا الصوت
ورقة علم قرب اجل صاحبها فوجه اليه اعوانه فاذا سقطت قبض روحه
وفي بعض طرق هذا الاثر يسقطون على كتبها علامة على حسن الخاتمة او على ضدها
على سوء الخاتمة اعاذنا الله من ذلك فقوله يعلمها اي يعلم سقوطها وعلى اي وجه
سقطت قوله **ولا حبة في ظلمات الارض** هذا انتقال من خفي الى اخفى والظاهر
ان الحبة ما يزرع والحبة ايضا من حيث انه قلما يكون من قوله لا هو له تسقط لان
من شان الورقة السقوط بخلاف الحبة والحبة قال ابن عطية هي اقل قليل
عبر عنه بالحبة تقريبا للافهام وظلمات الارض صفاتها والمراد انه تعالى مطلع
على ما في مطمور الارض وان كان في غاية الضعف والخفاء قوله **ولا رطب ولا يابس**
الرطب ما ينبت واليابس ما لا ينبت وقيل الاول قلب المؤمن لتلونه بالخير
والثاني قلب المنافق فهما وقيل الاول الاحياء والثاني الاموات او الاول النطفة
التي تكون والثاني التي لا تتكون او الاول العلانية والثاني السر انها حينئذ وهذه
الاقوال كلها على الاول انها تتناسب مراعاة الجمع الذي على انه مستقل وقوله الا
في كتاب هو الخبر لانه لا معنى لسقوط قلب المؤمن والكافر وما عدا الاول
فيرنا على الكمال قطع في قوله ولا حبة وقوله **الا في كتاب مبين** في محل نصب
على الحال سواء كان المراد به باطن العلم او كان المراد به اللوح المحفوظ
وهذا وقال ابن الكتاب واما من فسره بشيء من قوله الا يعلمها بدل كل
على الاول واشتمال على الثاني وقد ذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الاية
ان من موارد هذا الكتاب انه كتبت فيه جميع احوال المخلوقات ان تقف الملائكة

على انطواء علم الله على المعلومات وانه لا يعزب عنه شيء في السماوات والارض
شيء فيكون ذلك عبرة تامة للملائكة الموكلين بالقلم واللوح لانهم يعلمون به
ما يجري في هذا العالم فيجرونه على وفقه اهـ وقال القلشاني وانكر قول موسى
عليه السلام انظرني ولا ينسى نقضه قوله علمها عند ربي في كتاب فكأنه نفى ما يتخيل
من ذلك من وقوع نسيان وضلال اهـ وقيل اكتفى بصحة اللوح المحفوظ وقيل
اعلم ان نفسه بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ انه لوح من درة بيضاء طوله ما بين
السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه من
ياقوتة حمراء واصله في حجر ملك محفوظ من الشياطين ومن اراد وينظر الله فيه
في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل
ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان وقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده ام الكتاب اي اصل الكتاب يعني اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير حكاه ابن
وروى ان الملك هو اسرافيل وانه اذا اراد الله شيئا من السماء ومن الارض رفع
اللوح فتضرب جبهته فنظر فيه فاذا كان الامر من عمل جبريل بعثه وان كان
من عمل ملك الموت امره به وفي تفسير مكي روي ان الله تعالى جعل الكتاب
خزانا والحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فيرفع عمله العمر في
اسبوع فيقع فعل العبد على ما نسخته الحفظة من الخزان لا يزيد ولا ينقص وفي ذلك
قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق والاستنساخ لا يكون الا من اصل فاذا
ماذا فني الرزق وانقطع الامر وانقضى الاجل اتت الحفظة الخزنة فيطلبون
عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا فترجع الحفظة فيجدونه
قد مات اهـ واما القلم فقال وهب بن منبه خلق الله القلم من نور طوله خمسمائة
عام وعرضه خمسمائة عام فلما خلق القلم فقال له اكتب فقال يا رب وما
اكتب يا رب قال اكتب علمي في خلقي الى يوم القيامة فجرى القلم على علم الله الى
يوم القيامة قال وشق القلم مشقوقة ينبع منها المداد ذكره القرطبي
صاحب بهجة التفسير وفي الصحيح اول ما خلق الله القلم فقال اكتب علمي في خلقي
فجرى بما هو كائن الى الابد وظاهر هذا ان القلم هو اول المخلوقات وقيل اول المخ
لوقات العرش قال ابن العربي في قانون التاويل وهو الصحيح انظر كنز الاسرار والمتعين
وجوب الايمان بهما من غير تكييف واخرج الخطيب بسنده عن ابن عباس
وعنه انا من زرع على الارض مختار على الاشجار الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن
الرحيم فلان زرع فلان وفلان وذلك قوله وما تسقط من ورقة الا في كتاب مبين
انظر البدر المنثور ويفهم من الاية ومن هذه الاخبار انه تعالى كتب جميع
ما يكون قبل ان يكون ويفهم من ذلك انه عالم بما يكون قبل ان يكون وتسليته في
ذلك للمراد ان الفاظه والقدر متشابه بكل ما كان وما يكون قوله على العرش

استوى هذا مما ورد به القرآن العظيم الرحمن على العرش استوى ثم استوى على العرش
الرحمن والاستواء في كلام العرب له معان منها القهر والغلبة ومنها انتهاء الشباب كقوله
ولما بلغ اشده واستوى ومنها القيام كقوله تعالى ثم استوى على ما هو فيه ومنها الاستقرار
والتمكن كقوله تعالى واستوت على الجودي وهو في حقه تعالى من المتشابه كالوجه
والعين واليد وفي المتشابه ثلاثة مذاهب فالاول وجوب تفويض معناه الى
الله تعالى بعد القطع بالتنزيه عن الظاهر المستحيل وهو مذهب السلف والراسخون
في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فيقولون في كل متشابه آمنا بالله وبكلامه نكل
علمه على مراد الله وبه اخذ من اتقى من التابعين ومالك وغيرهم قال اهل بعدد في
الاستواء الاستواء معلوم اي معلوم معناه المجازية اللغوية التي تصح في حقه تعالى
والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والضحك جل سوء اخرجوه فانه من اهل
وهو قول ... ابا عمر ... عن هذا اهل العراق واتى الشاعر مما وقع
من توقفك وانما امر باخراجه لان صاحب البدعة يجب مجانبته واخراجه من مجالس
العلم لئلا يعود على المعلمين فتنته بسبب اظهار بدعته الثاني جواز
تعيين التاويل للمشكل واخراجه عن ظاهره وحمله على ما تقتضيه ادلة العقول
مما يصح في حقه سبحانه او يكثر استعمال العرب في الاستواء القهر والغلبة كما
في قوله قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق •
والوجه الوجود والعين العلم او البصر واليد القدرة او النعمة
وهو مذهب الخلف امام الحرمين وجماعة كثيرة من اهل السنة ومن ظهار الخلف
اخص ومذهب السلف اسلم ومذهب الخلف اعلم اي احوج الى مزيد علم ... باحكم
ابواب احكاما ... الى الملحد ... الثالث حمل تلك المشكلات على انها صفات
لله تعالى تليق بجلاله وحملها لا نعرف كنهها وهذا مذهب شيخ اهل السنة
الشيخ ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه وقد نظم بعضهم مجمل الفاظ الاقوال
الثلاثة في قوله • الاستواء والوجه والعين واليد • صفات او وجود او
اول ما ورد • فالاستواء على القول بالتاويل اما بمعنى الاستيلاء والتمكن
والقهر ومعناه مستول على اعظم الاشياء ... ونحو ...
واما بمعنى العلو اي علو المرتبة والمكانة لا المكان فالاحتمالان هاهنا
كالاحتمالين في ... فيما تقدم ... من التاويل الاول بان
الاستيلاء لا يكون الا بعد المغالبة والمقاهرة وهذا محال والثاني بان
العلو ... انتقال من سفل الى علو لان ... ابطال التاويل بمعنى
العلو لورود في قوله تعالى ... ان العلو هنا علو مرتبة ومكانة
لا مكان واما بمعنى الظهور فيكون لفظ الاستواء مجازا من ... العلاقة

اللزوم العادة وذلك ان الملوك اذا ارادوا التجلي لرعاياهم وحشمهم برزوا لهم على
سرير ملكهم في ابوان مشاهيرهم فاطلق المعنى الحقيقي للعكس ملزوما والمعنى المجازي
الذي هو الظهور مستعمل فيه لسبب ذلك وليس من الكناية لمنع صحة ارادة
المعنى الحقيقي اللازمة للكناية وعبر بالاستواء لان الظهور معه اتم وتجليه
تعالى في العرش اقوى منه في غيره كما للاقليشي فالله تعالى في شرح الحكم وفي
ظهور الكائنات كلها تدل عليه تعالى وانه كلاهر فيها ظهورا يرد المانه وتعريف
الظهور حلول وتكييف وتقسيم الاستواء بمعنى الظهور هو الذي خرج عليه في
الحكم متشيم الوراء ظهور كل ما سواه تعالى غيب بالنسبة الى ظهوره تعالى لان ظهور
كل شيء انما هو بالاظهار تعالى والظهور التام انما هو له سبحانه فقد قال
انت الظاهر الذي ليس له غير لتعرف لكل شيء فما جهلك شيء وانت الذي تعرفت الي في كل
شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء وانت الظاهر لكل شيء يا من استوى برحمانيته
على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه الخ فهو
كل شيء ما سوى الله تعالى انما هو عرض لا ذاتية كما قال الاكوان ثابتة باثباته وممحوة
باحدية ذاته ويستفاد من قوله يا من استوى برحمانيته الخ هو تفسير قوله تعالى الرحمن
على العرش استوى ما يرجح الاستفادة والله اعلم من قول ابن [illegible] على العرش استوى وهي
انه تعالى يظهر العرش وما فيه بالرحمة لانه تعالى الغني عن خلقه وانما اوجد
هم من العدم وابقاهم بالنعم رحمة بهم وانما كانت الاية في ان على العرش الذي هو
جامع الكائنات لم يظهر الا الرحمة كما قال [illegible] عباد انهم الله تعالى فتق
وجوه كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة هاهنا هي الرحمة العامة التي
وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء في قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش انهم قالوا
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وفي [illegible] تحت مقتضى اسمه الرحمن جميع العالم
تعالى الايجادية ام لا والرحمة تقتضي الايجاد لا البقاء انعدم قال الرحمن هو المنعم
على كل موجود بنعمة الايجاد وان اراد تفضلا منه ورحمة ثم المعنى الثاني
له في الحكم من انه لا ظهور لشيء مع ظهوره تعالى كما يستفاد من تقسيم الاستواء بالظهور
ويستفاد من تفسيره بالاستيلاء ايضا فلا يكون لشيء وجود مع وجوده تعالى
فلا يكون له ظهور فقال [illegible] اذ ثم ما تقدم وفيهم من معنى الاحتواء القهر
والغلبة ومقتضاه حوله تعالى لا يكون لغيره وجود مع وجوده والا
ظهور مع ظهوره ما ظهور الا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور التام لله
عز وجل الا في قوله يا من استوى يعني ظهر وتجلى من حيث الالهية والتعريف
لخلقه برحمانيته على عرشه اذ بانه دل عليها وعرفهم بها الدالة عليه
فصار العرش غيبا في رحمانيته يعني لانها محيطة به فمعنى فلا وجود له ولا
مرد الا من مقتضاها فلا نسبة له منها الا كلا شيء ومن الموجودات كما صارت

العوالم غيبا في عرشه يعني لا يستبين منه كحلقة ملقاة في فلاة فهو محيط بها حتى ان
كما احاطت به الرحمة بمعنى محقت الآثار بالآثار اي ابادة غيبية العوالم في العرش
ومحوت الاغيار اي التي هي العرش بما فيه بمحيطات افلاك الانوار يعني
بالرحمانية وما يتبعها من الاوصاف في حكم ايجاد المخلوقات بمحيطات افلاك
الانوار تعالى اسماء الله الحسنى وآثار الصفات انتهى ملخصا من زروق وقوله
وفي الملك احتوى الاحتواء لغة الاستيلاء وهو مستعمل في حقه تعالى
موجه حملها على احاطة قدرته وارادته وعلمه بجميع الممكنات احاطة سور المدينة
بما فيها بحيث لا يخرج شيء من المحيط بها لا يخرج شيء من الممكنات عن قدرته تعالى
وعلمه وارادته قد ملك بمعنى المملوك فهو عبارة عن المخلوقات وهذا على انه
اسم ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التصرف في المخلوقات بالقضاء والتدبيرات
على حسب ما نسبوا به العلم والارادة ويكون المعنى انه لا تصرف في جميع المخلوقات
الا لله تعالى وما سواه لها غيبي وانه لا تأثير لغيره تعالى في شيء من الكائنات
وان كل شيء في قبضة قدرته وتحت قهره وكانه يشير المعنى الثاني صفة جامعة
لصفات الافعال كما ان الحي صفة جامعة لصفات الذات فكلام الناظم اشار
الى انه تعالى مالك الملك وانه الفاعل لكل شيء والله اعلم قال الشيخ زروق في شرح
الملك التصرف في المخلوقات بالقضاء والتدبيرات من غير منازع بنوع من القهر
والجبار والعظمة ومعنى احتوى اشتمل عليه بنوع غيره ملكا اذ هو مالك له
وكان الناظم اشار فيه نظم وبما هنا الى الاية الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وفي قضية بصاع عمر انه لما سمع قراءة
زوج اخته سعيد بن زيد هذه الاية قال ان الذي جعل العرش له ما في السماوات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى قال اني لا [illegible]
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى فالتفت اليه والعرب ابهم فلا وجد بالفهم من
لنا الا العلو [illegible] ليصعد وسلطانه فوق ملكه واسمع محمد الذي
اتى له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى فهذا الملك عظيم
وسلطان قوي ثم اسلم وقد يحتمل ان يكون الناظم اشار في قوله وفي الملك احتوى
الى قوله تعالى وهو الملك احتوى على العرش استوى بالمعنى الذي تقدم
عن الحكم ويكون المقصود من هذه العبارات قبح باب الفيض على الكائنات باسم
يعبر الحروث والمخلوقين وان الكون كله ومن جملته الانسان ممتلئ من الفيض
الالهية وان الله تعالى وقدرته وارادته وحكمته محيطة بكل ذرة من ذرات
وقت بجميع ما فيه على الهيبة تعالى وصفاته لا غضب فيه فيبقى محبوسا
ومحكومة الى التقدم فيه منه شيء الا تقدم فيه ولا يخرج له حظ الامر تحت قهره وقهره
كذرة [illegible] تهب بها الرياح ولا [illegible] في الكون في تيه

قال المخلوقات كلها له ملكا وخلقا وتعبيرا [illegible] عليه [illegible] وانواع تصرفه فيه

من الموجودات كلها غيب في صفاته تعالى لانه لا وجود لها [illegible]

في كل العرش [illegible]

اي لما [illegible] في ظهوره تعالى

الرحيم اهل من يفرد له في الكتاب العزيز قال عز وجل والله هو فوقكم والارض جميعا
الاية فليس في السماوات العلى ولا في الارض السفلى من غير الله وقد صح هذا
الباب مع توحيد الله تعالى بمعرفة عظمته الذي على القلب فيقف العبد ببابه
وقد اهوى في جميع احواله وتدبر وجوده كل ما سواه عدما فيغنى عن الاغيار و
يتحرز من رق الاثار وهذا هو حقيقة الاختصاص الذي هو اعلى مراتب الابدال قال
ابو العباس في حزبه الكبير وهب لنا حقيقة الايمان بك حتى لا نخاف غيرك ولا
نرجو غيرك ولا نعبد غيرك ولا نعبد شيئا سواك وهو غاية الخصوصية في
الحقيقة والولاية الكبرى من الله تعالى على العبد **قوله له**
الاسماء الحسنى هذا وما بعده كالتوطئة لقوله ان الجميع صفاته والاسماء ابلغ وهو
مما ورد به الحديث قال الله تعالى قل ادعوا الله الاية وقال الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى وقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وسبب نزول الاية ان الكفار سمعوا
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يذكرون الله تعالى ويذكرون الرحمن الرحيم فقالوا ان محمدا
واصحابه انهم يعبدون الها واحدا فما لهم يدعون اثنين فانزل الله تعالى ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها اعلمهم ان الاسماء وان كانت متعددة فمسماها واحد ولا ينكر شيء وتكثير
اسمائه وهذا من تعظيمه فان العرب اذا عظمت شيئا اكثرت من اسمائه فانظر الى الاسد
والفرس والخمر لما هو الاسماء عندهم والاسماء جمع اسم وهو هنا مقابل الفعل والحرف
لا الصفة لان اسماء الله تعالى منها ما يدل على الذات كلفظ الجلالة ومنها ما يدل على الذات
باعتبار صفة كالعالم والقادر والمريد ووصفها بقوله الحسنى الذي هو وصف لازم
لها لدلالتها على معان شريفة ولما تضمنته من العظمة من تمجيد وتحميد وثناء فعل الكرامة
بها من جزيل الثواب وحسن المثاب وهو اما مصدر للاية فيه الحسنى حسنا وهو
الكم وحسنى وصف به للمبالغة واما وصف مؤنث الحسن الذي هو اسم تفضيل
والمراد الوصف مع كون الموصوف جمعا لانه من باب مويدع التسهيل فلفظ واو
لان الاسماء انبئت للقلة وان كان المراد بها الكثرة ومعنى الحسنى على تعدد معنى
من قولك دعوت ولو تقديرا في تسميته زيدا او الطيبون والمراد المشار اليه في
الاية هو مسلم عن تحقق حيث اشتقوا منها اسماء الالهتهم كاللات من الله و
العزى من العزيز ومنات من المنان او حقة بمعوه باسماء ما يليق به تعالى كقول
اليهود يا ابا المنكار وما لا يليق لفحشه وياتي بحثي او من حيث امتنعوا
من تسميته ببعض ما سمي به نفسه وذلك قالوا وما الرحمن ثم اعلم ان الصحيح
ان اسماءه تعالى غير محصورة في التسعة والتسعين بل حكى غير واحد الاجماع
عليه والاختلاف مبنوع في الاختلاف في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان لله
تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هل هو جملة واحدة فتكون جملة
من احصاها صفة لقوله تسعة وتسعين فلا يقتضي ان اسماءه تعالى محصورة
في التسعة والتسعين وتعبيره أن لزيد مائة درهم اعدها للصدقة فهذا لا يقتضي
ان ليس له الا القدر المعدود او هو جملتان وما بعد الكلام تم بالجملة الاولى و
جاء بالجملة الثانية فائدة اخرى ثم اكثر الروايات لم تبين تعيين التسعة و
التسعين وفي بعضها تعيينها وهل هو مدرج من قبل بعض الرواة ونقل الذي رواه
عن التعيين تمسك كثير من العلماء والى هذا اشار في المراصد بقوله

فلم تزل موصوفا بالاسماء • بحسنى عن عموم عن احصاء
لانه يعطيه فرض ا • منبسا الاجر من احصى
لعدد التسعة والتسعين • والتعيين في الصحيح من تعيين
بانه بجملة الحفاظ • تسعة وفضل منه واحصى
وعيبت لدى حديث حسن • على كلام فيه وانتقل وعمن

قال الشيخ زروق الاحصاء على خمسة اوجه العد والحفظ والذكر والعلم والتعلق والتخلق
والتحقق انتهى. **تنبيه** قال شيخنا المحقق في اخر شرحه للحكم المقبول عند جمهور
علماء اهل السنة ان معاني اسمائه كالعالم والقادر والمعطي والمانع والمعز والمذل لها
معان غير متناهية ولا محصورة فان خلقه لا تنحصر ولا تقف عند حد ورزقه كذلك
وعطاؤه لا ينفد ولا ينتهي الى غاية وقيس على هذا كله فيكون المقبول المجهول
المعاني منها لا نهاية له ولا غاية وعلى هذا حمل قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام
وسبح اسم ربك الاعلى اي نزهه ونزهه عن ادراك الاحاطة والحاقه الافكار والاوهام
واذا عجز واعراض ادراك الاسم فكيف بالمسمى انظر تمام كلامه قوله **والصفات**
العلى وصف الصفات بقوله العلى اشارة الى ان حقيقة صفاته تعالى مباينة لحقيقة
صفات مخلوقاته كل المباينة وانه لا مشاركة بينهما الا من جهة اللفظ وكما ان ذاته لا تشبه
الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات قال في المراصد

ولم يشابهه سواه مطلقا • في الذات والصفات فوا حققا
فلا مشاركة اصلا تلتحق • وما من الاسماء فيه يتفق
ما اشترك الا في سوى اللفظ فما • من نسبة حقيقية بينهما

وتفرع في كلام الناظم من الصفات السبع العلم والقدرة والسمع والبصر وانما الكلام والارادة
فيأتي كلامه فيهما واما الحياة فلم يتعرض لها الناظم بالنص لاستلزام ما تفرع من الصفات
لها لاستحالة وجود الصفات السابقة بدونها لتوقفها وجود المشروط على وجود
شرطه فلذلك اقتصر على بيان ما تفرع فيقول وجوده تعالى مخالف لوجود غيره في
الوجوب ونفي الاولية والاخرية بل الوجود كله له ولا شيء منه لغيره اعني الوجود
الحقيقي الذاتي وليه اشار تعالى الى استحالة العدم الذي سأل الرسول صلى الله
عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك بقوله قل هو الله احد فنبه بقوله احد على انه لا موجود
معه مشاركا له في الوجود الواجب حتى يلتبس به ويشتبه ويحتاج الى السؤال

وكماله اسماؤه تعالى ... عن
... يبين ... له حديث
الاحصاء ... وصف ... مع عليه
... الشاعة ... بلحفني
... انتهى

... ليس على ان اسماءه غير محصورة في عدد ما لو ورد
من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني عبدك
وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك
ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته
في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به
في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم
ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي
ما قالها احد الا اذهب الله همه وابدله مكانه
فرحا ... انتهى

والموجودات كلها اثار قدرته والمتقسم الحادث بالقديم وفيه الرد على التشبيه
بالاستفادة اثر الله فعاله اسعفك الله ايها المطلع مع العراقي وقد رحم الله الفاضل
ابن تغيب ولتيسير بوحدهم غيره للكرسي من فضول اخفاله
وكيف يشبه الجاهل عليه قضاء جهله العالم المحيط بكل شيء وكيف يشبه
العاجز من وجوه لا تحصى القادر على كل شيء المحيط بكل شيء وكيف يشبه السمع
الذي لا يتعلق الا بالاصوات مع القرب والجهر اوعلى السر السمع المتعلق بالذوات
والصفات مما تحت الثرى وما فوق سدرة المنتهى والكرسي والعرش وما سبق
ذلك وكيف يشبه البصر الذي لا يتعلق الا بالاجرام والالوان والاكوان بشرط
البصر الذي يتعلق بجميع الموجودات بلا شرط حتى النملة السوداء في الليلة الظلماء
على الصخرة الصماء يراها ويسمعها ويسمع حمد المتكلف في قوله تعالى ليس كمثله شيء
وعلى هذا القياس في سائر صفاته تعالى ومما يندرج في العموم انه يسمع بغير
صماخ واذان ويرى بغير حدقة واجفان ويتكلم بلا شفة ولسان وكما
يعلم بغير قلب والعلم والاستفادة من غيره ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير
آلة ولا مباشرة ولا معالجة ولما نبه فيما سبق على وجوب القدم لذاته تعالى
اراد ان ينبه هنا على وجوب القدم لاسمائه وصفاته المستلزم لوجوب القدم
لم يزل الله موصوفا بجميع صفاته لم يزل موجودا بجملة اسمائه وقد ذكرنا موجود
كما في المحاذي منصفا كما في الشروح لينطبق على المعطوف ثم قال تعالى
ان تنزل وتعالى عن ان تكون صفاته مخلوقة واسماؤه ثم اعلم ان الصفات قسمان صفات
ذاتية وهي عبارة عن كل صفة قائمة بالذات موجبة لها حكما وهي صفات المعاني
السبع القدرة والارادة الخ ومنهم من يلحق بها الاسماء الدالة عليها وهي القادر
والمريد والعالم الى اخرها وصفات فعلية وهي عبارة عن صدور الاثار عن قدرته
وارادته جل وعلا كالخلق والرزق والاحسان ومنهم من يلحق بها اسماء الدالة
عليها كالخالق والرازق والمحيي والمميت كما قال في شرح الكبرى وعلى الاطلاق
الاخير يرى قول ابي القرى تسمية صفة الفعل ما اشتق من معنى خارج
عن الذات ولغير الذات منه الا التسمية فقط كالخالق والرازق من الخلق
والرزق الخارج عن الذات وصفة الذات ما اشتق من معنى قائم بالذات كالعالم
والقادر من العلم والقدرة القائمين بذاته تعالى اه فالصفات قسمان صفات الذات كما
وصفات الافعال وكذا الاسماء قسمان اسماء راجعة الى صفات الذات واسماء
راجعة الى صفات الافعال ثم اعلم ان الصفات الذاتية هي صفاته تعالى القديمة
واما صفات الافعال فحادثة كما قال الاشعرية خلافا للحنفية والماتريدية
ليتوافق مذهبه وهو المعول عليه بعد ان ذكر صفات الافعال كالخلق
والرزق ليست ازلية بل حادثة متجددة خلافا للحنفية ما نصه وازلية اسمائه

اط
واما اسماؤه تعالى فكلها قديمة ما
يدل منها على الصفات الذاتية
وما يدل على صفات الافعال باعتبار
رجوعها الى القدرة فيكون معنى
الخالق القادر على الخلق لا من صدر
منه الخلق

الراجعة

الراجعة الى صفات الافعال من حيث رجوعها الى القدرة لا الافعال فالخالق مثلا
من قال انه الخلق اي هو بالصفة التي بها يحصل الخلق وهي القدرة كما يقال الماء في الكوز
مرو اي هو بالصفة التي يحصل بها الارواء عند مصادفة الباطن وفي السيف قاطع
اي هو بالصفة التي يحصل بها القطع عند ملاقاة المحل فاسماؤه اي بالخالق من صدر منه
الخلق وليس صادرا ازليا ذكر ذلك الغزالي ومن رجوع الاسماء كلها الى الذات وصفاتها في
المقصد الاسنى اه وعلى هذا فقول المصنف واسماؤه مجرورة على حذف مضاف اي معاني اسمائه
كما تقرر وقرر المحلي في كلام ابن السبكي والاصفهاني في كلامه على عمومه فيتناول الاسماء الدالة
على الصفات الازلية ونفيا والدالة على صفات الافعال والقدرة معها باعتبار تعلقها الفعلي
وهو ملخص المحلي حيث اشار له بقوله المقتضى وازلية اسمائه الراجعة الى صفة الخ وهو
اعني التعلق صفة اعتبارية للموجود تابع الخارج اذ هو مع المعقول الا ظهير
كما هو مذهب المتاخرين والامور الاعتبارية لا يقال فيها غير مخلوقة ولا يقال فيه
غير محدثة لان الشيء انما يتصف بما من شانه ان يتصف به والخلق انما يوصف به ما له
تقرر في العيان ولذلك استثقل من قال بان الموت امر وجودي بقوله تعالى خلق الموت
ومن يقول بانه ليس بوجودي يتأول فيقول معنى خلق قدر فهو يسلم انه انما يوصف
بالخلق ما كان وجوديا فقط فالتعبير في الحدوث اعم من الخلق يكون الحدوث
حيث يكون الخلق ويكون حيث لا يكون والخلق لا يكون الا في الذوات والمعاني دون
الاحوال والحدوث يكون في الذوات والمعاني والاحوال ولذلك استعمل في الرسالة
الخلق في صفات المعاني واستعمل الحدوث في اسماء الاحوال اه فقد علمت بهذا فرق جميع
الاسماء ما يدل على الذات وعليها وعلى صفة قديمة او حادثة باعتبار رجوعه الى صفة
قديمة فقوله وكلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاتية لا خلق من خلقه اشار بهذا
الى صفة الكلام الذي كثرت فيه المقالات وعظمت فيه الجهالات حتى قيل انما سمي
علم العقائد بعلم الكلام لان مسئلة الكلام اشهر مباحثه واكثرها نزاعا وجدالا فقال
القولجي في شرح الاسماء الحسنى اجمع اهل السنة ان الله تعالى موصوف بكونه
متكلما وقد جاء مقالة في القرآن ثم قال ولم تجمع الامة على تسميته وان كان قد ورد
فعله في القرآن وذلك يتخرج على الخلاف في تسميته بما لم يرد نصا ولم يرد به
اذن الشرع بفعل الخطاب ومذهب اهل الحق في الكلام انه يقوم المعنى القائم
بالذات المعبر عنه بالعبارات المختلفات المباينة لجنس الحروف والاصوات المنزه
عن البعض والكل والتقديم والتأخير والسكوت واللحن والاعراب وسائر انواع
التغيرات المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات فالبه في المعلومات واذا عرفت
مذهب اهل الحق في كلامه تعالى علمت ان ليس معنى كلم الله موسى تكليما انه
ابتدأ الكلام له بعد ان كان ساكتا وانه بعد ما كلمه انقطع كلامه وسكت
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما المعنى انه تعالى ازال المانع عن موسى عليه السلام

صح
هو من صفاته تعالى وقد

وخلوله سمعا ونوى منتهاه ك به كلامه القديم ثم منعه بعد وردة لكن لم يكن
عليه قبل سماع كلامه وهذا معنى كلامه لا هل الجنة انظر شرح الكبرى وكما لا تشبه
ذاته ذوات المخلوقين لا يشبه كلامه كلام المخلوقين ولا تنحصر كلماته كما لا تنحصر
معلوماته قل لو كان البحر الآية ومن هنا قال في شرح الصغرى وكنه هذه الصفة
الخ ثم اعلم ان الصحيح ان كلام الله لموسى غير خاص به بل شاركه النبي صلى الله عليه
وسلم ليلة الاسراء وعلى هذا اقتصر العراقي في البيتين فقال •
• ثم ذكر هنا حتى رنا الا الجهلا • بعينيه خصه بها تشغلا هلا •
وان اقتصر الحكم على خلاف هذا لكان الصحيح ان موسى عليه الصلاة والسلام لم تقع
له رؤيا وانما خلصت بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا به المراصين •
• ثم الزيد قد جمعوا في الرؤية • ان نبينا اختص بها ابيه • وقيل
ان الله تعالى قسم الرؤية والكلام بين نبينا وموسى عليهما الصلاة والسلام ولا يرد ما
هو قوله تعالى فما ... ان جمهور المفسرين كما في الشفاء على ان المراد
بالمعني جبريل عليه السلام وشذوذ منهم على انه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا القول
مبني على انه هذا الامر من المسائل التي لا يقوم عليها الا الدليل القاطع فان القطع بما
ودون نص ترجم بالغيب ولم يعده انه من القاطع المدعي هو موسى عليه السلام ونقل
لا يقتضي افضلية موسى عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم لما علم من ان المزية
لا تقتضي الافضلية من كل وجه ونظير ذلك ما علم من افضلية الخلفاء على ... الصحابة
مع قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وما
روي من ان السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا الكلام انه له وشهد وانزلك
وما روي ... ان الله كلمهم وان سمعوا ذلك لا لا انهم فمن يسمع كلام من
فانه ... وتأمله وانظر بقوله الذي هو صفة ذاته انه مع صفة الكلام
كسائر الصفات والرد على المعتزلة في قولهم ان كلامه تعالى فعل من افعاله كرده
واعطائه نبأ منهم على حصر الكلام في الحروف والاصوات وهي حادثة يستحيل
قيامها بالذات العلية وان معنى كلام الله لموسى انه خلق حروفا واصواتا في شجر
سمع منها ما اراد تعالى ان يوصله اليه وقد ابطل اهل السنة ذلك كله بما لا مزيد
عليه فلينظر في محله وقوله لا خلق من خلقه يحتمل ان يكون معطوفا على ما على ك
ابي كلام الله لا المخلوق من خلقه او على قوله صفة ذاته اي كلامه الذي هو صفة لا الذي
هو قوله وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله هذا ايضا ورد به القرآن فلما تجلى ربه للجبل
الخ وسبب هذا التجلي سؤال موسى عليه السلام للرؤية قال رب ارني انظر اليك
ثم ... عليه بالرؤية مع علمه بالكلام لانه يحيط جودا بالعين من النعيم ما لا يحيط
بالكلام كما قيل • لئن كنت ناهيا عنها بجسمي • فقلبي عندكم ابدا مقيم •
• ولا خير للعين ان الطيف معنى • له سال المعاينة الكليم •

وقوله

وقوله تجلى اي ظهر من نوره قدر نصف انملة الخنصر كما صححه اهل الكشف تقيميا ولا
وهذا الجبل هو طور سيناء وقوله فصار دكا اي لان الله تعالى ما تجلى لشيء الا
خضع له وروي ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ما تجلى منه الا قدر الخنصر وهو جزء
من الجبال وقوله دكا قيل فتاتا مستويا مع الارض وقيل ساخ الجبل وذهب الى ان
هو يذهب فيه حتى الان وروي انه صار بعظمته ستة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة
وقيل في بيت وهو • احد وورقان ورضوى ثبير • ثور ثبير وحراء بمكة •
وقيل جعله تسعين فرقة كل فرقة تقول رب ارني انظر اليك قال بعضهم
ان الجبل ذهب منه قدر الثلث وكان بقية وجمع مستويا من اعلاه وهو البحر
مراد يتبعه عليه نبي كانه انظر اليك وجلاله تعالى هو عظمته وعلوه وكبرياؤه و
عظمته وذلك عبارة عن اتصافه بجميع صفات الالوهية وهو من الصفات الجامعة
قيل وفي هذا الكلام دليل على ان الله تعالى خلق للجبل الرؤية والعلم والحياة اما الرؤية
فمن قوله تجلى واما العلم فمن الحكم عليه بالدك لانه امارة الخوف والخشية وهو من ثمرات
العلم اذ لا يخشى الله تعالى الا من عرفه واما الحياة فلانها شرط في العلم والرؤية ولا
يوجد المشروط بدون شرطه ثم نقله الفلشاني فقوله وان القرآن كلام الله ليس
بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد القرآن يطلق عند اهل اصول الفقه على اللفظ
المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته ولا شك في حدوثه
بهذا المعنى وعند اهل اصول الدين على المعنى القائم بذاته تعالى المنزه عن الحرف
والصوت وهو بهذا المعنى قديم واما الكلام فيطلق على هذا المعنى غالبا كما
انه قد يطلق على المعنى الاول وفي قوله فاجره حتى يسمع كلام الله ونحو
المعاني القرآن قد يطلق على الكلام النفسي كما يطلق على اللفظ المتلو هذا
ما يرجع الى الاعتقاد واختلفوا ايضا بعد هذا هل يجوز ان يقال القرآن
مخلوق ويراد بالقرآن اللفظ المنزل للاعجاز من غير ايهام لجواز اطلاقه عليه او لا يجوز
لايهام وهو مذهب الاكثرين وقد قال رجل لمالك عمن يقول القرآن مخلوق فاقتله
فقال هو كافر فقال انما احكيته عن غيري فقال انما سمعته منك
وهذا من مالك على وجه الزجر والتغليظ بدليل انه لم يحكم بقتله واختلفوا ايضا
هل يجوز ان يقال لفظي بالقرآن مخلوق وعليه البخاري والاكثر او ولا عليه الامام
احمد ... ولا نقل عن الرجل المسكي في الصفات انه يسأل سائل الحسن البصري
الفرق بين اهل السنة من اصحاب الشافعي ما تقول في القرآن قال كلام الله ليس
بمخلوق فقال ما تقول في لفظي بالقرآن قال مخلوق فذهب السائل الى الامام احمد
واخبره فقال هذه بدعة فقال ... اي ما معناه ينبغي ان يفهم كلام الامام احمد
على ان الخوض في هذه المسألة التي لم ينقل فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة
بدعة ولعل مراده ان الحروف والاصوات ليست بمخلوقة فان هذا مما لا يتخالف فيه

ولا ينسبا اليه ام ويقال تسميته قرآنا توقيفي او مشتق من الجمع لانه جمع القراءات
بعضها لبعض ومنه قرأت الماء في الحوض جمعته فوكاه ويسمى الفرقان من فرقانا لفرق
بين الحق والباطل ويسمى الذكر لان الله تعالى نوه ذكره او كان فيه شرف لمن آمن به وقد
يسمى كتابا لاقالة الكتب وعند المص القرآن بقوله كلام الله بالنصب على البدلية
او بالرفع على انه خبر ابتداء وكان المشايخ من انه يقال القرآن كلام الله غير مخلوق
لئلا يسبق الفهم ان المؤلف من الاصوات والحروف قديم وفي قوله ليس بمخلوق الخ
رد على المعتزلة القائلين بانه مخلوق وقد وقع بين اهل السنة وبينهم في هذه المسئلة
مناظرات متعددة وضرب فيها الامام احمد وقتل بها اقوام من اهل الحق والعلم رضي
الله عنهم وكان ظهور القول بخلق القرآن في ايام ابن شبيل الاول ان شير لم يقل بذلك
وكلمة الناس فيه بين اخذ وترك البراءة ولما ولي المأمون حمل الناس على القول بذلك في
السنة التي توفي فيها وتمادى عليه المعتصم او طالبها الناس على ذلك ففعل
ذلك وضرب الامام احمد وسجنه ثمانية وعشرين شهرا ومات المعتصم وولي الواثق
ابنه فطهر ما طهره المأمون والمعتصم من المحنة وقتل احمد بن نصر الخزاعي على ذلك
ونصب رأسه الى المشرق فدار الى القبلة فاجلس رجل ومعه رمح ونصبه فكان
كلما دار الرأس الى القبلة اداره الى المشرق وروي انه رئي في المنام فقيل له ما فعل
الله بك فقال غفر لي ورحمني الا انه كنت مهموما منذ ثلاث قبل وكم قلت ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر علي مرتين فاعرض بوجهه الكريم عني فقمت ذلك فلما مر النبي
صلى الله عليه وسلم على الثالثة قلت يا رسول الله الست على الحق وهم على الباطل
فقال صلى الله عليه وسلم نعم قلت فما بالك تعرض عني بوجهك الكريم فقال صلى الله
عليه وسلم حياء منك اذ قتلك رجل من اهل بيتي وروي عن المهتدي ولد الواثق انه جيء
بشيخ من المصيصة فاحضر بين يدي الواثق فقال لابن ابي دؤاد وكان من المعتزلة
سله فقال الشيخ المسئلة لي تأمره ان يجيبني فقال سل فاقبل الشيخ على ابن ابي دؤاد
فقال اخبرني عن هذا الامر الذي تدعوا الناس اليه اشيء دعا اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا قال فابو بكر بعده قال لا قال فعمر بن الخطاب فقال لا قال فعثمان
او علي رضي الله عنه بعدهم فقال لا قال الشيخ فشيء لم يدع اليه
النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء تدعو انت الناس اليه ليس يخلو ان تقول
علموه او جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه وسعنا واياك من السكوت ما وسع
القوم وان قلت جهلوه وعلمته انت فيا لكع بن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدون شيئا تعلمه انت واصحابك قال المهتدي فرأيت ابي وثب قائما ودخل
بيته ويردد كلام الشيخ ثم امر للشيخ باربعمائة دينار وسقط من عينيه ابن ابي دؤاد
ولم يمتحن بعد ذلك احدا الواثق مات وتولى المتوكل اخو الواثق بعهد منه سنة
اثنين وثلاثين ومائتين رفع المحنة عن الفقهاء واظهر السنة وامر بنقض الا

البدعية واعز اهل السنة وخمدت المعتزلة وكانوا اخفياء في فترة وهناك ولم يكن في اهل
الملة الاسلامية شر منهم وامر باحضار الامام احمد واكرمه واطلق له مالا كثيرا فابى
قبوله بعد عرضه على الفقراء والمساكين واجرى المتوكل على العلة ولده في كل شهر اربعة
آلاف درهم فلم يرض بذلك وكان توفي الامام احمد حزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا
ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته عشرون الفا من اليهود و
النصارى والمجوس قال الداني عن كذا وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات
ان المتوكل امر ان يقاس الموضع الذي وقف فيه الناس للصلاة على الامام احمد فبلغ
مقام الفي الف وخمسمائة الف ووقع المأتم في اربعة اصناف المسلمين واليهود والنصارى و
المجوس وقوله بصير معناه يملك ويقدر معناه تم معناهما في المثال واصل هو
تقدير في العبارة وقوله ولا صفة بالنصب عطفا على المحل او بالجر عطفا على اللفظ
وهو من عطف الخاص على العام لان كونه غير مخلوق شامل له فقوله والايمان بالقدر
عطف على قوله الايمان بالقلب اي ومن واجب امور الديانات الايمان بالقدر خيره وشره حلوه
ومره وهذا الكلام اشار به المؤلف رحمه الله الى صفة الارادة والارادة والمشيئة
والحكم والقضاء الفاظ مترادفة عند الاشاعرة ومعنى جميعها انها صفة تخصص الممكن
بالعدم او كله من وجود او عدم قاله ابن الشريف نقلا عن شرح المواقف واشار المص رحمه
الله الى انها عامة التعلق بجميع الممكنات وهي كالقدرة لا تتعلق الا بالممكنات واما
قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا اي ولدا او زوجة الآية وقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء فهو من فرض محال اي لو فرض ذلك لكان المناسب اتخاذه من
الحور او الولدان لا انه لا تتعلق به الارادة لاستحالته او المعنى لو اراد الله ان يتخذ ولدا
على جهة التبني والمحبة لاصطفى الاكمل ان فرض ذلك فهو ممنوع شرعا والارادة
اخص مما ذكر انه من صفات المعاني والمراد انه يجب الايمان بان ارادته تعالى تعلقت
بجميع المقدورات كما صرح بذلك عموم الآيات قال تعالى ومن يرد الله ان يهديه ومن يضلل
ولما نزله ولما من شاء جعل يرد الله ان يهديه الآية يختص برحمته من يشاء الى غير ذلك ونحن
نقطع النظر الكلام في ذلك كما سيأتي واعلم انه اختلف في القضاء والقدر هل
هما مترادفان معناهما واحد وهو تعلق العلم والارادة او هما متغايران وهو مذهب
الاكثرين وعليه فهل القدر سابق على القضاء وهو مذهب الاكثرين ايضا وعليه فالقدر
تعلق علمه تعالى وارادته ازلا بالاشياء على ما تكون عليه فيما لا يزال والقضاء ايجاد
الكائنات فيما لا يزال على وفق العلم او القضاء هو السابق وهو تعلق ارادته
تعالى ازلا بالاشياء على ما تكون عليه فيما لا يزال والقدر ايجادها فيما لا يزال على
قدر مخصوص وقدر معين وعزي للمتكلمين وقيل هما متغايران والقضاء سابق
وهو حصول جميع الاشياء في اللوح المحفوظ مجملة والقدر ابرازها مفصلة شيئا
بعد شيء على وفق القضاء ذكره ابن زكري في نظمه والشيخ السنوسي في شرح مسلم

وزاد بعضهم وقيل عكسه وانظر بقية الاقوال في شرح الحصري اعلم ان القدر يطلق
بالمعنى المصدري كما تقدم ويطلق بمعنى المقدور وهو افعال العباد كما في كلام الشيخ
وفسره به المحلي ونصهما والقدر هو ما يقع من العبد المقدر في الازل خيره وشره كلا
بتقديره بخلقه وارادته اهـ والمناسب لكلام المصنف الاطلاق الاول وهو ان القدر
هو تعلق العلم والارادة الازلي بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال لا الاطلاق الثاني
لانه لا معنى للايمان بالمقدور وهو المراد ايضا في حديث الايمان ان تؤمن بالله الى ان قال
وبالقدر خيره وشره ولا يعم ما ذكرنا وصفه بالخيرية والشرية مع انه بذلك
المعنى كله خير وكمال والخيرية والشرية انما هي باعتبار كونه فعلا للعبد ولذلك
جعل ابو الحسن في شرح الصغرى الضمير عائدا على القدر تارة وبابه بالمقدور لان الاظهر
نفع باب ما بسة موصفة بذلك من باب وصف المتعلق بكسر اللام من صفة المتعلق
بفتحها وعلى هذا فلا حاجة الى تكلف ان الضمير للمقدور ومعنى كلام المصنف انه يجب
الايمان بان علمه تعالى وارادته قد تعلقا في الازل بجميع الكائنات على ما هي عليه
فيما لا يزال وفيه رد على اهل الزيغ والضلال الذين قالوا ان الامر انف بمعنى ان
علمه تعالى انما تعلق بالاشياء بعد وجودها تعالى الله عن ذلك وهذا وان كان اجماعا
على ما قاله بعضهم وعلى القائلين هم القدرية بان الارادة تابعة للامر لا العلم
انظر بشرح الصغرى وبعض الرد عليهم في قوله تعالى ان يكون في ملكه ما لا يريد
واعلم ان كون الارادة تابعة للعلم مما علم انه يكون اراده وما لا فلا يتيسر على اطلاقه
بل فيه تفصيل ذكره البعض والفراجي وحاصله انه صادق باعتبار الشعور بماهية
ما يريد ايقاعه والتبعية في ذلك راجعة للتعقل بتعقل اختيار الشيء وتخصيصه
فرع تعقل الشعور به وعلمه مخصوصا فرع تخصيصه ولو كانت الارادة تابعة
للعلم مطلقا لم يكن للارادة تاثير ولا للاختيار موضع وهذا ظاهر والله اعلم وانظر
الفوت فيه بين ان الارادة اظهرت علمه ونصرته في معلومات الخلق والقدرة نفذت
الارادة والله اعلم ما ارادة من سبق علمه به كذلك هو من بديع ما علمه
للشيخ عبد الرحمن محمد الفاسي في سؤال وهو ما معنى قولهم ان الارادة على وفق العلم
لانها اذا كانت تابعة للعلم بطل الاختيار فقوله خيره وشره حلوه ومره
الخير بالطاعة وايضا بلذة او ثواب او ما يوافق النفس وضده والشر المعصية
والمنقصة بمشقة او عقاب او ما يخالف النفس ولا يلائمها وقوله وكل ذلك الخ
وما بعده من فوق القدر بما شرح وبيان للقدر في كلامه اي تعلق علمه به وارادته
ازلا وقوله ومقادير الامور بدل مقادير جمع مقدار كمفتاح ومفاتيح وهو تقدير
الاشياء وتخصيص كل ممكن منها ببعض ما يجوز عليه من كفر او ايمان او طاعة
او عصيان او غير ذلك وقال الخطابي قدرها من صغر وكبر وطول وقصر
وقيل وقوع الممكنات وقوله بيده اي في قبضته وملكه بمعنى انه المالك لتغيير

جواب اشكال يرد على قولهم
الارادة تابعة للعلم

علم

ح
ما بعد والمريد من اسمائه تعالى وان
ورد ان انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن لما يريد من اسمائه
تعالى المفرد والمرخص المخصص لكل
موجود بزمانه ورتبته فعلى هذا يرجع
للارادة لانها المخصص ومن عرف
انه المفرد المرخص بشيء بحال نفسه
وما سوى الله

الاشياء

الاشياء ولا يقتصر الشيخ في كلامه بالقدرة حتى يقال كان الاولى ان يقول بارادته لان
التخصيص من صفة الارادة دون القدرة بل يقتصر بما ذكر لانه صادق بالارادة لان ما
اراده الله يكون في قبضته فقوله ومقادير صدورها ووقوعها من قضاه هو كما تقدم
التعلق التنجيزي للقدرة على مذهب الاشعري انه مقارن عن القدرة عن قدرته وعلى تعلقها
بالمراد من ارادته وقد تحصل من هذا ان كل شيء بقضائه وقدره وقد استشكل هنا سؤال من
قبل المعتزلة وهو انه لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب الرضى به لان الرضى بالقضاء
واجب واللازم باطل لان الرضى بالكفر كفر وتقرير الجواب ان الاول ان الكفر مقضي لا قضاء
والرضى انما يجب بالقضاء لا بالمقضي واورد عليه انه لا معنى للرضى صفة من صفات الله
تعالى واجيب بان هذا لا يراد غير وارد على تفسير القضاء بالفعل الخ لا نوقفه في صحة
الرضى بفعل الله تعالى وكذا ان فسر بالارادة اذ لا اشكال في صحة تعلق صفة الله تعالى
والرضى به وانظر القاطع ان الكفر نسبة الى الله تعالى باعتبار ما علقته له وايجاده
اياه ونسبة اخرى الى العبد باعتبار محليته له واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة
الثانية دون الاولى والرضى به انما هو باعتبار النسبة الاولى دون الثانية و
الفرق بينهما ظاهر لانه لا يلزم من وجوب الرضى بشيء باعتبار صدوره عن فاعله
وجوب الرضى به باعتبار وقوعه صفة لغيره اذ لو صح ذلك لوجب الرضى بموت
الانبياء عليهم السلام وهو باطل بالاجماع كما في العضد السعد في شرح المواقف وقد حصل
الشيخ عبد الرحمن محمد الفاسي عن العرف بين القضاء الذي يجب الرضى به والمقضي الذي
لا يجب الرضى به بما حاصله بما نصه الجواب ان قضاء الله بتقدير بضع مثلا وهو ان
الضيف الماهر لو ذلك دواء مر البشاعة ثم فقدرها استبشعت الرواية من
اهل ارادته صرفك اذا سلمت له حسن تدبيره وتكلمه وان شغبت تدبيره وتكلمه
بطبعك وقلبك عليك تسقيك فكذلك تقول القضاء تدبير الله لعباده راجع
لوصفه والمقضي ما دبره مما يتصف به العبد من رضى وصف اعوجاج بضره الا الرضى
وصف العبد الذي هو من بديع عليه التدبير للقضاء التدبير وانما يوصف بالشر والمرارة
المر انما تفسير التدبير محض لا يتنوع وانما التنوع بالاعتبار والاطلاقات
وتلك الاطلاقات من التدبير وحسن التدبير بكونه وافعاله العمل المجموع من حيث كونه
مرشدا لمعرفته تعالى ومعرفا بوحدانيته وبقوة تدبيره الكل فهو بذلك كما
يعرف كماله تعالى ولا احسن من المعرفة بالله وما نصه مرشدا وهاديا بالهادي
الرضى به بل حصول اقرار العبد به لم له ولا اهتداء به ولا عبرة لم يكن اذ اجتنى
العارف المعرفة بالكمال المقصودة من النصب والوضع عن توقيف البعض
مقصود لانه من قطع الدلالة على نحو ذا التدبير اهـ والجواب الثاني ان الرضى
بالكفر من حيث انه قضاء الله طاعة ولا من هذه الحيثية كفر وحاصل هذا الجواب ان
متعلق الرضى والكراهة متغاير من حيث ذاته متعدد بالاعتبار فمتعلق الكفر من حيث

انه كفر ومعصية ونحو ذلك من حيث انه مراده وقضى به تعالى ولا يكره هذا اعني الحكم
بها اي الرضى به او يجوز بغير جزاء او وجه اعتنى وهذا جواب ثالث في كون شيخنا
المحقق في شرح الحكم وتحواه معنى الرضى هنا ترك الحكم والعصيان وترك
المنازعة وعدم الاعتراض واعتقاد ثبوت الحكمة والعدل وذلك لا يقتضي محبة
الكفر له ولا يبالي وهو في سعيه في الانفصال عنه فلا ولا حاجة مع هذا الى الاطلاق
انضمام الاعتبار وان الشيء الواحد من حيث انه يكرهه الكفر ومن حيث كونه
مقضيا يرضى به لانه لا يكلف بحبه ولو من حيث انه مقضي وانما هو مكلف بترك
الاعتراض واعتقاد الحكمة والعدل اذ المراد منه وهو حسن والاستعمال ما ذكروه
والله اعلم بالصواب. قوله نعم كل شيء وقبل كونه اي وقوعه فهو تام اي وارادة انظار
قوله مجري اي وقع على قدره اي ارادته وعلمه زيادة بيان ومنزله ولا يخفى من غمامه
من الخلل اللائم رفضه اي ارادة بل لما قوله ويستو علمه به تخصيص بعد تعميم ذكره
لكونه اهم لانه محل الخلاف وفريق من قول الحكم والكل ان لا يفر الذي سبحانه
عالم بالاشياء على سبيل التفصيل وقيل يجوز ان يقال عالم بالاشياء جملة وتفصيلا
قال الشيخ زروق في شرحه لقواعد العقائد بل الاقرار على الجملة والتفصيل لازم
بالجملة لازم والسهو عن التفصيل قال في رسالة التنبيه

• وعلمه لها على التفصيل • لا عن ضرورة ولا دليل •
• والعلم بالشيء على التجميل • يلزم السهو عن التفصيل •
• كالعلم بالارض وبالسماء • والسهو عن كمية الاجزاء •

وفي العروة متضمن هذا الكلام والانكار على من يقول بعلم الاشياء جملة وتفصيلا
وهي مسئلة جرى فيها الغلط لكثير من [illegible] الشيخ زروق وفي المواقف الحق انه
الممتنع اي لما سبق عن الشيخ زروق الا اذا اخذ بغير الجمل بالتفصيل قوله
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير استدلال على ما سبق وسبب نزول الاية ان
المشركين قال بعضهم اسروا قولكم لا يسمعه اله محمد فنزل واسروا قولكم او اجهروا به
الاية ومعنى الاخفى ما بعد [illegible] الاستفهام اذا دخل على النفي افاد الاثبات
والتقرير والظاهر ان من فاعل واقعة على الله تعالى والمفعول محذوف وتقديره
ما تسرون اي لا ينتفي علمه بذلك انه لا يعلم السر مخلوق ولا يبصر المخلوق من غير ان يعلمه
خالقه لا بمعقول واقعة على المخلوق من العقلاء كما قيل لانه لا يناسب قوله واسروا
قولكم الا ان يكون على حذف مضاف اي سر من خلق فيه ولا اعراب الا وهو اعراب
اهل السنة وانما هو اعراب المعتزلة بناء على قولهم انه يعلم عباده دون افعالهم تعالى
الله عن قولهم وجملة وهو اللطيف الخبير حال واللطيف من اسمائه الحسنى لانه
بمعنى العالم بخفيات الامور وغوامضها ومشكلاتها اي بالنسبة الى خلقه واما
بالنسبة اليه فالكل ظاهر جلي وهو على هذا من اسماء صفات الذات وهذا المعنى

هو

المناسب لسياق الاية او بمعنى ملطفه فيكون من اسماء صفات الافعال اي المحسن المتفضل
بايصال الخيرات والمنافع من ابواب خفية بعيدة عن العقول بحيث لا يدرك [illegible] قال سيدي زروق قال
بعض المشايخ اللطيف من اللطف وهو اخفاء [illegible] في صور الضرر [illegible]
عليه الكلام [illegible]
الامام الغزالي قدس سره لك لطفه بالتربة كان في شجرة معتصما بها من الاسد وتحته زق عسل يجد منه
[illegible] فيصل العسل على الاسد فاجتمع عليه الخلق الذباب حتى مات فنجاه الله
منه بذلك [illegible] كان تحت جدار فبال عليه كلب من فوقه فنهض يغسل ثيابه فسقط الجدار
وفي العروة يقول الله يا عبدي [illegible] في حاجة [illegible] اما اسمع صوته وكم من [illegible] رحمة
[illegible] من الضرر والبؤس والضيق والحرج وهو في الحقيقة في غاية الرحمة لعظمه
[illegible] للمتكره المكروه عند حلوله • ان العواقب لم تزل متباينة •
• كم نعمة لا تستقل بشكرها • لله في طي المكاره كامنه •
قال بعضهم من لطفه بك ان اعطاك فوق الكفاية وكلفك دون الطاقة واذا دعوته
اجابك واذا قصدته اعطاك واذا احببته ادناك واذا اطعته كافاك واذا عصيته
عافاك واذا اعرضت عنه دعاك [illegible] وبمعنى الخبير [illegible] فهو من اسماء التنزيه
قال سيدي زروق قد عرف انه اللطيف بمعنى العالم بالخفيات بحيث يطلع عليه فيما
هو فيه [illegible] به في علمه وحاله وبمعنى المتفضل لا رفاق والانزال والروح والجلب
فيما انشر اليه ولا يقول الا عليه وبمعنى الخبير [illegible] عظمه [illegible] على قدر تمكن
ذلك من قلبه اهـ واما قوله الخبير فقد تقدم قوله يضل من يشاء فيخذله بعدله
ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله هذا من معنى ما قبله وهو ان كل شيء من الله تعالى
وهو كقوله تعالى من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم وقد تقدم نحوه في
قوله فهادي من [illegible] والمعنى انه سبحانه يتوجه الى بعض عبيده بالعدل فيخذلهم والى بعض
بالفضل فيوفقهم [illegible] في الحكم الالهية ظهرت المحاسن منه فيفضلك ولكن الحجة على
وان ظهرت المساوي منه فبعدله وله الحجة على [illegible] من الحول والقوة واخر سقوط الحجة
وانتفاء العذر [illegible] ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن
الله يزكي من يشاء وهو معنى ما روي من [illegible] انه هو الذي [illegible]
وهداه اليه وقال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الاية وقال تعالى انه يفعل [illegible]

• يفعل في الخلق ما يشاء • وحكمه البشائر والضراء •

ومعنى يضل يخلق فيهم الضلال والهداية ومعنى يهدي [illegible]
والخذلان ثم اشار الى [illegible] كلية وهو ان العبد مجبور في نفس الامر بقوله
فكل ميسر بالتنوين اي موفق ومصير ومهيأ ومسوق بتيسيره الى ما سبق [illegible]
انه متعلق بميسر كما في حديث كل ميسر لما خلق له وهو على حذف مضاف اي الى فعل ما
سبق من شقاوة او سعادة اي بفعل ما يوصل اليها وفعل ما يوصل اليها هو علامة

افعال الاختيارية يخلقها والعبد او بقول العبد مكتسب والفعل تابع للعزم وتصميمه
وهو طوع يده بحسب الكافر حتى توهم كثير انه مختار عند صفة اضافة له او فعل
ولا تناقض فالله لا ملام المغرور هو التنبيه على الخصم ونقل عن ابي العباس بن البنا المراكشي
ما يكشف الغطاء في مسألة الكسب ونصه كل احد يجد من نفسه الاستطاعة على الاقدام
والاحجام والترك ان الفعل منبعثة من اقداره ويجبر على الاخر بما يقرر او يحجم لاجل الاطلاع
على مراد الله من ذلك بل يفعل او يحجم بما يجد من نفسه من ارادته وشهوته وما يقدر من
استطاعته وتصور الوقوع يعلم انه كان مجبورا في غير اختياره في ذلك لا فعل الوقوع
والجهة التي منها افترق والحجة عليه انه رآه هو كسبه والجهة التي منها هو في ذلك
هو الجبر وعلى الكسب هو باب الخليقة والجبر من وجه الحقيقة والتكليف
والثواب والعقاب كل ذلك رتبه الله تعالى على الكسب من وجه الغلو لا على الجبر من
وجه الحوالة فقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في العهود المحمدية يحكى ان
ابليس لعنه الله قال يا رب تامرني بالسجود لآدم ولم ترد ذلك مني فلو اردته لوقع
مني ولم اعصاه فقال له الحق تعالى متى علمت اني ما اريد منك ذلك قبل الاباية ام عرفته
بعد الاباية فقال بعدها فقال تعالى بذلك اخذتك اهـ وهذا الاشكال مجملة الاشياء التي
اشار لها بعض ملاعين اليهود في الابيات المشهورة وهي

أيا علماء الدين ذمي دينكم • تحير دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم • ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا • فها انا راض بالذي فيه شقوتي
دعاني وسد الباب عني فهل الى • دخولي سبيل بينوا لي قضيتي
اذا شاء ربي الكفر مني مشيئة • فهل انا عاص باتباع المشيئة
وهل لي اختيار ان اخالف حكمه • فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

قلت اشار بالبيت الثاني الى ان مقتضى قوله ان الكفر بقضاء الله ان يرضى به
والا يعترض عليه وان الاكراه جور وظلم وهو محال عليه تعالى وجوابه ان مقتضى
كونه تعالى الملك الحقيقي ان يتصرف في كل ما شاء بما شاء ولله الحجة
البالغة واشار بالثالث الى انه لو كان بقضاء الله لوجب الرضى به لان الرضى بالقضاء
واجب ولا يرضى لعباده الكفر وقد تقدم جوابه بما فيه كفاية وبالرابع الى ان مقتضى
امره تعالى بالايمان ان لا يقضي بالكفر والاكراه ان امر به سفها وعبثا وجوابه
ان افعال الله تعالى لحكم ومصالح لا يكون منها ما يطلع عليه وانظر ما النيسابوري اذا اراد
ان يظهر عتو العاصي في عصيانه عن امره يامره بالشيء ولا يريد منه كما في شرح النفحة
وبالخامس الى انه لو كان بالمشيئة لم يكن على الكافر اثم في عصيانه لانه لم يخرج
عن مراد الله ومشيئته وجوابه انه انما يسمى عاصيا لمخالفته لما امر به
لذلك قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ولم يقل عن مشيئته لان ذلك

٦٥

محال وبالسادس الى ان التكليف ينافي الجبر عقلا اذ مقتضى التكليف ان يكون المكلف
متمكنا مما يتاتى منه الفعل والترك وجوابه انه مجبور في عين الاختيار لما تقدم من الكسب
وان الكافر والعاصي اراد الله منهما الكفر والفسق باختيارهما كما انه علم منهما الكفر
والفسق باختيارهما فلم يلزم تكليف المحال ومن تفرج في كلام ابن البنا اتضح ذلك
بما فيه كفاية هذا ما ظهر من مراد صاحب السؤال والله اعلم وقد سئل الاستاذ ابو
سعيد بن لب عن معنى هذه الابيات وقد نقل صاحب المعيار عنه جوابين احدهما فيه
نيف وثلاثون بيتا والآخر هو قوله

قضى الله خير الكفر ولم يكن • ليرضاه تكليفا لدى كل ملة
نهى خلقه عما اراد وقوعه • وانفذه والملك ابلغ حجة
فنرضى قضاء الرب حكما وانما • كرهنا من المقضي مقت الخطيئة
فليس بمرضي فعل نهى عنه شرعه • ونطلب للتدبير حكم مشيئة
دعا الكل تكليفا ووفق بعضهم • فخص بتوفيق وعم بدعوة
فتعصي اذا لم تنتهج طرق شرعه • وان كنت تمشي عن طريق المشيئة
اليك اختيار الكسب والله خالق • فمن لم يقل بهما لدى الخليقة
وما لم يرده الله ليس بكائن • تعالى وجل الفرد رب البرية
فهذا جوابي عن سؤال لسائل • جهول بلا ذي وهو اعمى البصيرة
أيا علماء الدين ذمي دينكم • تحير دلوه بأوضح حجة

قال الاستاذ ابو سعيد بن لب فالبيت الاول منها ماخوذ من قوله تعالى ولو شاء الله
ما اشركوا ولو شاء ربك ما فعلوه مع قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم
اجمعين ويعني بالحجة البالغة حجة التكليف كما وقع في حديث مسلم سؤال
عمران بن حصين لابي الاسود عما قضى على الكافر من كفره فاجابه كلاما افاض به
بان كل شيء خلق الله وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال له عمران احسنت
وانما اردت ان اختبر عقلك الحديث والثالث والرابع من قوله تعالى ان الله يحكم
ما يريد وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان والخامس من قوله تعالى والله
يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم فعم بالدعاء الى الجنة وخص
بالهداية والسادس من قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره مع قوله تعالى
من يشا الله يضلله ومن يضلل الله فما له من هاد ويذرهم في طغيانهم يعمهون والسابع
من قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون والثامن من قوله تعالى وما تشاءون الا
ان يشاء الله ان تعرض على هذه الاجوبة المتقدمة حيث لم يقدم من اجيب به
ام قوله وما يرد الله ابيت فضربه بيان ما يلزم على قول القدرية من الشرك
والمعارض ببعض خلق الله وارادته قال في المعيار واجاب الشيخ ابو الحسن
الغرناطي بقوله • عرفت قضاء الرب في كل ما يكون • وما قدر الله وقبح المشيئة

● وتقرا اذا قفقعته متاملا ● فليس يبصر الا ما من بعضه عوزه ●
● فبانت كم للبا اكل الزهر فابلا ● امرت بجوع اذ فضى في جوعه ● اهـ
ونقل عن ابي سعيد ان الارادة لا تستلزم المحبة ومن عموم الفرق بينهما ظلت المعتزلة
واشكل على كثير من فروع مذهب اهل السنة اهـ وقد جرت بحثه شيخنا الامام المحقق
المحدث الصوفي الشهير ابي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس ما نصه من الفتوحات
المكية للشيخ العربي في خطبتها ما نصه فاختصاصه عبده بهوا الصحيح السميع ● وان فعل
ما امره بفعله هو المطاع المطيع ولما جهلت هذه الحقيقة انتشرت على حكم الاحكام
للخليقة ● ادري فمن العبد حقا ● فليت شعري من المكلف ●
● ان قلت عبد فذاك ميت ● او قلت رب انى يكلف ●
فهو سبحانه يطيع نفسه اذا شاء بخلقه وينصف نفسه مما تعين عليه من واجب
حقه فليس الا اشباح خالية على عروشها خاوية وفي ترجيع الصدى سر
ما اشرنا اليه لمن اهتدى اهـ وقال شيخنا العلامة ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي
تتميما لمرام كلام ابن العربي المتقدم وحلا للاشكال ●
● نعم يعني انشات عبدا ● لنعقد مدى نعم يكلف ●
● والعبد شيء بغير رب ● لمن عمى منه مكلف ● اهـ
من خط شيخنا سيدي عبد القادر رحمه الله اهـ وقد جرت بعض شيخنا المذكور اجابة
الله تعالى الرضى يوم الجزاء والنشور وعن اشكال المصال التي رد هذه الشبهة بقوله
تعالى اي تنزه وتقدس عن ان يكون في ملكه ما لا يريد لانه لو دخل في الوجود ما
لا يريد للزم العجز والوهن والقهر فيصير الفاعل عاجزا والفاعل مقهورا
والقوي ضعيفا وبالعكس كيف وهو القاهر فوق عباده والله تعالى مريد
لجميع ما وقع في سلطانه لاكن الطاعات بارادته ومحبته ورضاه وامره والمعاصي
بارادته دون محبته ورضاه وامره والرضى والمحبة مترادفان كما ان الارادة
والمشية مترادفان والارادة اخص من الثانيين اذ الرضى الارادة من غير اعتراض
والاخص غير الاعم فلا رضى لعباده الكفر مع وقوعه بمشيئته وقيل الرضى هو
ترك الاعتراض فان ذلك الترك امر يجامع تعلق الارادة وقد لا يجامعه وقالت
المعتزلة وقوم من الاشاعرة بترادف الرضى والارادة ومعنى ولا يرضى لعباده
الكفر لا يرضاه دينا وشرعا بل يعاقب عليه او المراد بالعباد من وفق للايمان
ولهذا شرفهم باضافتهم اليه وقد كان المرد على المعتزلة القدرية القائلين بانه لا
الشر والكفر والمعصية بسواء وفعلت ام لا وبين الخير والطاعة سواء و
فعلت او لا بناء منهم على ان الارادة تستلزم الامر وكل ما امر به تعالى فهو فعل
من غيرهم ارادة الله الطاعة فلا تقع الا قليلا وكره المعصية وكانت هي الغالبة
على الخلق قال تعالى وما امن معه الا قليل وقليل ما هم وما اكثر [illegible]

امر

وكلاهم

ولاكن اكثر الناس لا يعلمون فيتعقلا لمذهبهم حتى لزمهم ان يكون الملك والشيطان
اقوى من العزيز القهار والايات صريحة في الرد عليهم قال الله تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى ولو شاء الله ما فعلوه اما يريد الله ان يخزيهم في الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون فمن تهم على الكفر مراد لله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ويروى ان رجلا جاء لابن عباس رضي الله عنه فقال له ارايت الذي حرم ان
الله تعالى اراد ان يعصى فقال نعم فقال الرجل ما اراد الله ان يعصى فقال ابن عباس
ويحك فما حال بين الله سبحانه وبين ما اراد وفي شرح التصفية حكي عن بعضهم
انه قال قال الرضي اصح فقال المريض مجوسي كان معي في السفينة فقلت له لم
لا تسلم فقال لان الله تعالى لم يرد اسلامي فاذا اراد اسلامي اسلمت فقلت للمجوسي ان
الله تعالى يريد اسلامك ولاكن الشياطين لا يتركونك فقال المجوسي فانا اكون مع
الشريك الاغلب اهـ ويحكى انه اجتمع عبد الجبار الهمداني مع الاستاذ ابي
اسحاق الاسفرايني فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فعلم عنده ابو
اسحاق انه يريد خلقه وانها كلمة حق اريد بها باطل فقال سبحان من لا يقع في ملكه
الا ما يشاء فالتفت اليه عبد الجبار وعرف انه فهم عنه فقال اتريد ربنا ان يعصى
فقال ابو اسحاق افيعصى ربنا قهرا فقال عبد الجبار ارايت ان منعني الهدى
وقضى علي بالردى احسن الي ام اساء فقال ابو اسحاق ان منعك ما هو
لك فقد اساء وان منعك ما هو له فيفعل في ملكه ما يشاء فانصرف الحاضرون
وهم يقولون ليس والله عن هذا جواب ويحكى ان هذا الجواب بعينه وقع للمنتصر
علي رضي الله عنهما مع معتزلي حج المعتزلي وهو يقول الله اعلم حيث يجعل رسالاته
ثم اعلم انه لا يجوز ان يقال القول بان الله تعالى اراد الكفر والمعصية وارى في الاعتقاد
ما فيه ذلك من سوء الادب ولانه يوهم ان المعصية حسنة مامور بها وانما يقال الله
خالق كل شيء ونحو ذلك من العبارات العامة وهذا يعني كثير من المطالب وبين شبهها
له ايات كثيرة فانظر قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وقوله اني خفت يعني جعل بين الاية وتحتمل
ان يكون من هذا الباب قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله الاية ثم لما قال فقل
قل كل من عند الله ويحتمل انه على حذف القول اي يقولون ما اصابك الخ ثم قال
او يكون لا فرق عنه بقوله قال الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني
الحميد وكل امر مفتقر لخالقه افتقار وجود وامدادا وقد تفسره فقول سيدي ابي مدين الغوث تعالى
مستنير الخ وقول الحكم نعمتان ما خلا موجود الخ وانظر قول الحكم وافقك لكي امر
ورود الاسباب مذكرا لك بما خفي عليك منه والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض
وبالفاقة من النعيم الذي هو عاجز حال فقرته ولا قوى الا وهو ضعيف في وقت
قوته فان الملوك الذين هم اغنى الناس مفتقرون الى الاكل والشرب وازالة الاذى لم

وَالاولى وحفظ العاطفة وانفراج لا بغلبهم وادخالها بل اعتقادهم اشرس افتقار
غيرهم لكثرة تعرلجهم واغراضهم ما الغير بغير الجلال وامرادهم بما الاعصى من النفع
معتقع في كل الحضرة التي تفاته لك الامراة وتعاقب بالعادة فما افتتك ذاتية واجبة
عقلا يتابل على مرض استغفارك واستقلالك بنفسك من اغتظامن تعلق قدرته
واراده بنحو كله وقد وقفنا عند الادلة العقلية والنقلية على وجوب تعلقها بالممكنات
كله وقيل عليه ايضا تاثير القدرة الحادثة واثبات فاعل لا الغطاء لهم ووجود
منهم فعله مع ان الله مستقل وقيل عليه ايضا حصول ما جوامع غرضك وبكل بغوات
دون ما لغا ليه وهو باطل بالمشاهدة وقيل عليه ايضا يفاوت اذ لا ينقص [illegible]
جنبهم وانت لا تريد لنفسك الغرق وانت لا تشك في انفرادك للانفراد بجميع [illegible]
وما ثبت للمثال ثبت للمماثل قفي كلام العم تشنيع على القدرية بان وضع بكفار منهم
[illegible]

فمن ذلك زيادة العمر اه من شرح الحصن الحصين وانما اطلت به في شرح التسعينية نقله
ان الله تعالى علم انه لو لم يفعل تلك الطاعة لكان عمره عشرين سنة مثلا وعلم
انه يفعلها ويكون عمره ثلاثين سنة فنسبت هذه الزيادة الى تلك الطاعة بناء على علمه تعالى
انه لولاها ما كانت اه وما ورد عليه انه لا يوافق محل النزاع ويوجد الرد
الاجال كما في ابن شريف واما قوله وكان في القدرة الا الدعاء فجابر من ثناء ولطاف من ان
القضاء الامر كذا وكذلك الاتيان بمراد بالقضاء ما يتوهم العبد انه قضاء فيغاير ولو
به القرآن ونحا الى الصفة القضاء فهذا اوفق للدعاء ثم مع ان له عنه فيكون تسميته بالقضاء
مجازا او المراد المقضي والمقدر حقيقة عن ما علقه واما ما يراد حقيقة القضاء فيكون
معنى رد الدعاء القضاء تهوينه وتيسير الامر فيه حتى يكون القضاء النازل كانه لم
ينزل او يؤيده حديث الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل اما نفعه مما نزل فصبره
عليه ورضاه به واما مما لم ينزل فهو ان يصرفه عنه او يمده قبل النزول بتأييد من عنده
حتى لا يتعب في ذلك اذا نزل وذلك من التأثير ولا يستكثر ثم ما نرى ولا يخفى
تسمية كالتأثير قال الشيخ زروق وفي الجملة فهو يعني الذكر والدعاء يعين
على الفصل او اللطف في القضاء ويسهل الامر على النفس حتى ترد حرفة الافتقار
الذي هو مقصود الطلب فتتوجه مفوضة مستسلمة حسن الظن بالقدرة قد تطلب وانه
ذلك بالرضى والتسليم وذلك الفتاح العليم اه انظر شرح الحصن واجاب
عن الثالثة في شرح التسعينية بان وجوب العقاب والضمان على القاتل باعتبار ما يكتسبه المقتول
عنه وكسبه الفعل الذي خلق الله عقبه الموت بطريق جري العادة قوله رحمه الله
الباعث ان يرسل اليهم اي العباد لما فرغ من الكلام على الواجبات في حقه تعالى تكلم
هنا على بعض الجائز في حقه تعالى وهو بعثة الرسل عليهم السلام والايمان
بالرسل هو القسم الثالث من اقسام المعتقدات الثلاث وهي معرفة الله وصفاته
ومعرفة النبوءات ومعرفة امور المعاد وكانت الايمان لا يتم الا بمعرفة الرسل الا انه
رحمه الله لم ينبه على ما يجب وما يجوز في حق الرسل كما نبه على الالهي في حقه تعالى
والحكمة في كون الله تعالى هو الذي له العلم المحيط على الانهاية له هو الذي بعثهم وافادهم
لتبليغ الرسالة والشرائع والاقتداء بهم في الاقوال والافعال ان يكونوا امناء
طاهرين مبلغين عن الله تعالى ما امروا بتبليغه لاتصافهم بهذه الصفات ثنا في
كونهم اصفياء الله تعالى كما ان كونهم رسل الله تعالى لا ينافي الاعراض البشرية التي
لا تقدح في المقصود من البعثة كما اشار الى ذلك الشيخ السنوسي في صغراه والدالة
وقد اشار الامام في المرشد المعين بقوله • يجب للرسل الكرام الصدق • امانة تبليغهم
يحق • يجوز في حقهم كل عرض • ليس مؤديا لنقص كالمرض • وقال غيره من العلماء
تعالى قال سيدي زروق الباعث هو مثير السواكن في حالة او وصفا او حكما او شرعا
او غيره فهو باعث الرسل للاحكام والعزيز للقيام وانعاش بالبغضة من المنام

بنا امير

والامانة هي حفظ جميع جوارحهم الظاهرة والباطنة من التلبس بمحرم او مكروه وكل نادرة مما نهوا عنه خلاف ذلك فهو مؤول

ومن

ومن عرف ان الله الباعث قوي يقينه في البعث وصح ايمانه بالله تعالى وثبت توكله في بعث
رزقه من حيث لا يشعر وكان لربه بربه فيكون من اسماء صفات الافعال وذكر القلشاني
انه من اسماء صفة الكلام نظرا الى انه يرجع الى معنى الامر اذ هي دعوة اعني بعث الرسل
مما تفضل به سبحانه على عباده خلافا للمعتزلة في قولهم بوجوب بعثتهم بناء على ما اسسوه
بطلانه من مراعاة الصلاح والاصلح وخلافا للبراهمة القائلين باستحالة البعثة وانه لا
فائدة فيها لان ادلة العقل تغني عنها لان العقل على زعمهم يدرك حسن تحسينه وقبح تقبيحه
من احكام الله تعالى ولا تخصيص بعضا فنقول لهم في غاية وانتى يبعث الرسل اليهم جمع كثرة
لا جمع قلة من يقول انما الرسول واحد او ادم وادريس وعلى اليهود القائلين انه موسى فقط
والقائلين انه عيسى والضمير في قوله اليهم يعود على العباد اي المكلفين منهم وتناول الانسان
والجن فانهم داخلون في عموم الرسالة كما تدل عليه قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم
رسل منكم والرسل من الانس خاصة على خلاف في ذلك وعليه فكما جمعوا مع الجن في الخطاب
فهو تطوير اخطابا وان صح ان نفاه نظر وقرة اعاد لك بايات اخر وانه يقع في القرآن
تعميم رسل اليهم ويتناول الانتقال والحق انقطاعا بالنسبة لنبينا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم والملائكة عند من يقول ببعثته صلى الله عليه وسلم اليهم وسياتي الكلام على ذلك
ان شاء الله تعالى ومن تفرع الكلام على الفرق بين النبي والرسول وعلى عدد الانبياء
والرسل وعلى اولي العزم من الرسل عند قول المص ولتقتد به على السنة المرسلين واعلم ان بعثة
الرسل فوائد عظيمة تفرع لنا ان منها البشارة والنذارة وتعليم الاعتقادات والعبادات
وبيان وجوب امتثال الاوامر واجتناب المناهي والارشاد الى التخلق بالاخلاق الحميدة
التي ترجع الى الانسان في خاصة نفسه وغيرها ذلك من مصالح الدين والدنيا ومنها
قطع حجة من لم يومن بعد ما جاء وبه واشار اليه بقوله لاقامة الحجة عليهم اي لتقوم
حجة الله على عباده فانه تعالى يحض فضله لا يعذب احدا حتى يبالغ امره ونهيه ولا يعرف
امره ونهيه الا من قبل الرسل فلو لم يبعثوا لبعثهم عذبهم خالقهم على ما رجع للاعتقادات
وغيرها من الديانات ولا تقوم الحجة عليهم الا بعد بيان ذلك لهم فكان بعثهم حجة
على الخلق فتنقطع بها عذرهم ولا تكون لهم حجة بان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير الى
لولا ارسل الرسل الينا لاحتجوا بالجهل عذر على الله فلما بعث الرسل وبينوا للناس
ما يحتاجون اليه من امور الدنيا والدين فاز من قبل وهلك من لم يقبل بكفره ولم يتوله حجة
والعذر فتبليغ الرسل لعباد الله حجة على من ضل وكفر وعصى وانكر وعند وشرف وعلو
وطغى وامر وشكر الا ان ارتقى نعيم وان العبد بعمي نعيم الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا الاية قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال ان تقولوا ما
جاءنا من بشير ولا نذير وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد تقدم انظاهره
عند قوله واعذرا اليه على السنة المرسلين فانظره وقد اختلف في اهل الفترة
فقيل انهم معذورون وهو الذي عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية

من الفقهاء. فالآن الأنبياء قبله إنما كانت دعوتهم خاصة لا تعذيب حتى تقوم الحجة عليهم فأهل
الفترة غير معذبين انتهى وظاهر اطلاقهم انه لا فرق بين من غير الآثار وبدل الشرائع
وبين غيره وهذا القول مبني على ان اهل الفترة هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين
لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني سواء بلغتهم دعوة من كان قبلهم من المرسلين
الى غيرهم ام لا ويدل لذلك تصريح الائمة بثبوت الفترة بين نبينا صلى الله عليه وسلم
ومن قبله واستشكل ما ورد من تعذيب جماعة من اهل الفترة واجيب بان
احاديثهم آحاد لا تعارض القطع بعدم تعذيب اهل الفترة وبانه يجوز ان يكون
تعذيب من صح تعذيبه منهم لامر يختص به يقتضي ذلك علمه الله تعالى ورسوله نظير ما
قيل في الحكم بكفر الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام مع صباه لا لعموم الفترة
نص الله تعالى عليه بالشقاء مع قضايا غيره وقيل وهو مذهب كثير من المتأخرين
انهم يعذبون بترك الايمان والتوحيد وبالغ بعضهم في اعتماده حتى قال ان المعتقد
… من جهة من الوعد معتقد في البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب وقال بعض
… كثير من الناس من نجاة اهل الفترة مع اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان آباءهم …
مضوا في الجاهلية في النار واعتمد … في شرح … حيث قال ان من مات
في الفترة على ما كانت عليه العرب فهو من اهل النار فانهم … كانت بلغتهم دعوة
ابراهيم وغيره عليهم الصلاة والسلام انتهى وهذا القول مبني على وجوب الايمان على كل
احد بلوغ دعوة من قبله من الرسل وان لم يكن مرسلا اليهم كما ذكره الحليمي وغيره
فاهل الفترة الذين … اهل الفترة في التوحيد الرسالات في جميع الانبياء والفترة
في التوحيد الرسالات في جميع الانبياء قال … في شرح … نصوصا تدل
على هذا القول الثالث وانه لا وجود لاهل الفترة وان من … من اهل النجاة فهو على
وجوه … منها قول … بسبب الزمن … امر بتوحيد
النبوءة … لكم … اهل الفترة الذين اشكل عليهم
اهل العلم … وهم بمنزلة الاطفال والمجانين ومن قصر في النظر والبحث وعبد
صنما او غيره وكفر فهذا تارك للواجب مستوجب للعقاب بالنار ومنها قوله
انما … الفترة بعض … لم يبعث رسولا … على البرية
وهذا قليل الوجود … والمواضع المنقطعة عن العمران انه
ومنها قوله على قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير معناه ان دعوة الله تعالى
قد عمت جميع الخلق وان كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو من بلغته لان آدم بعث
الى بنيه ثم لم تنقطع النذارة الى ان ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم والآية التي تضمن
ان قريشا لم يأتهم نذير معناه نذير مباشر وما ذكره المتكلمون من فرض اصحاب الفترات
ونحوهم فانما ذلك بالفرض لانه توجد امة لم تعلم ان في الارض دعوة الى عبادة الله
انه ومنها ان البقاعي في تفسير قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

نقل

نقل عن الشافعي وغيره عموم بلوغ دعوة الانبياء بالتوحيد انه ونقل عن … عبد الرحيم
… من بلغه خبر الشرائع السابقة والدعاء الى التوحيد اعذر اليه وانما بعث
الرسل بعد ذلك تجديدا … ازاحة العذر واكمال للبيان انه … وعلم مما قررناه
انه اختلف في تفسير اهل الفترة وان الخلاف في وجودهم ونجاتهم مبني على الخلاف فيه
وان من قال بوجودهم ونجاتهم قال هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم
الاول ولا ادركوا الثاني وان بلغتهم دعوة غير من ارسل اليهم ومن قال بعدم نجاتهم قال
هم الذين لم تبلغهم دعوة رسول قط كان مرسلا اليهم او الى غيرهم والفترة بهذا المعنى
لا تقع وقد علمت مما … ان النزاع انما هو بالنسبة للاحكام الاخروية بخلاف الفروع فلا
خلاف انها لا تثبت الا في حق من بلغته دعوة المرسل اليه خاصة نعم ما اتفق عليه الملل
من الفروع هل هو كالايمان حتى يجري فيه هذا النزاع فيه نظر نقله الشنواني في … ثم
بعرفة الشيخ زكرياء … العلامة … فقوله ثم ختم الرسالة والنذارة
والنبوءة بمحمد صلى الله عليه وسلم لما اخبر ان الله تعالى بعث الرسل ليبلغوا عباده
الاحكام وانه قطع عذرهم بذلك اخبر هنا ان الله تعالى ختم الرسالة بسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وما … اهل بقوله ختم الظاهر انه من الختم بمعنى الاتمام كقوله ختمت
القرآن اي اتممته ويحتمل انه من الختم بمعنى الطبع لان … صلى الله عليه وسلم … هو
ظهور رسالة بعده كما ان الختم مانع من ظهور ما ختم عليه فكانه شبه الرسل الذين …
بشيء وضع في وعاء وختم عليه ليكون الختم مانعا من الوصول الى ما فيه ولا …
ان وجوده صلى الله عليه وسلم مانع من ظهور رسالة بعده او معه وبعد هذا …
انه … حرج … ويدل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب
فقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه
… نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج السيدة زينب بعد ان طلقها
زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم
لآبائهم تكلم المنافقون في ذلك وقالوا ان محمدا تزوج حليلة ابنه فنزلت الآية ردا عليهم
وان الممنوع انما هو تزوج حليلة الابن … لا … ومناسبة قوله وخاتم النبيين
لما قبله … كونه صلى الله عليه وسلم … لم يبلغ مبلغ الرجال وهو انه خاتم النبيين
… العلة لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم … اولاده الذكور كلهم صغارا قبل
ان يكونوا رجالا لانهم لو عاشوا حتى بلغوا … ثم نبئوا …
… كثير من … الرسل الذين خلوا … ابراهيم ويعقوب … عليهم السلام …
… وقد انتشر بعضهم عند ذلك على لسان ابراهيم …
… الله عليه وسلم … ان عاش … العلة … تبعه …
واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انت مني بمنزلة هارون من
موسى الا انه لا نبي بعدي وانعقد الاجماع على ذلك واذا نزل السيد عيسى عليه السلام

ما بلغه

علم بشريعته من كذب بأنه خاتم النبيين أو شك فهو كافر وإنما العالم الذي لم يطرق
سمعه قط فهل يكون منه شك في إيمانه أم لا نص على الخلاف فيه مع من تكونه خاتم النبيين
هل هو من العقائد التي لا يسع أحدا جهلها وهو الظاهر أولا وإنما أتى به المصنف على
سبيل التتميم لما قبله للمدح والثناء واقتصر المص على التنزيه لأنه نفي النقص من
السهو ولم ينص على البشارة اكتفاء بإشعار المتقدم بالبشرى إذ الخبر لا ينفك منه وقال الشيخ
لأنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى بعدي من النبوءة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات
يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له فالبشارة لم تنقطع بعده
صلى الله عليه وسلم وتكملة والنبوءة من النبأ وهو الخبر لأن النبي مخبر يخبر عن الله
أو مخبر بفتحها من قبل الله أو من النبوة وهي الأرض المرتفعة ولا شك في رفعة
قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قوله ومعه آخر المرسلين تعميم لقوله ختم الرسالة
ولو قال آخر النبيين لكان أولى لأنه يلزم من ختم النبوءة ختم الرسالة ولا عكس
لأن النبي أعم من الرسول على الأصح ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص ولا يلزم من ختم
الرسالة ختم النبوءة خلافا للتتائي لأنه لا يلزم من رفع الأخص رفع الأعم ولذلك
إنما ذكر الله سبحانه في كتابه ختم النبوءة انظر الشيخ زروق ثم ينبغي لك أن تعلم
أنه وإن كان صلى الله عليه وسلم آخر المرسلين في البعث فهو أولهم في الخلق كما جاء في الحديث
كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد
ونحوه مما يدل على اعتناء الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم قبل كل نبي بل ورد أول ما خلق
الله نور نبيك ومن نوره خلق كل شيء فهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أصل الموجودات
كلها بل ورد ما يدل على أنه السبب في كل موجود وأن كل شيء إنما خلق لأجله من ذلك
ما ورد في حديث نقله الحافظ ابن عساكر من قوله تعالى ولقد خلقت الدنيا وأهلها
لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا ولشيخنا المحقق المعقولي
حفظه الله رحمه • أنت أصل الوجود ما الكون من عين سوى الفرش منك ما زال كائن •
• لولا جاهك لم يكن له كون • ولدام انعدامه سلك •
وقال سيدي ابن وفا رضي الله عنه
• روح الوجود حياة من هو واجده • لولاه ما تم الوجود لمن وجد •
• عيسى وآدم والصدور جميعهم • هم أعين هو نورها لما ورد •
فهو صلى الله عليه وسلم السبب في وجود آدم وغيره وهو صلى الله عليه وسلم أبو
الأرواح كلها ومن ورد أن آدم عليه السلام يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا ولدي صورة
ويا أبي معنى وفي ذلك يقول ابن الفارض على لسانه صلى الله عليه وسلم
• وإني وإن كنت ابن آدم صورة • فلي فيه معنى شاهد بأبوتي •
وأنوار جميع الأنبياء من آدم فمن بعده كلها مقتبسة من نور النبي صلى الله عليه وسلم والشمس
جميع الأرواح من روحه صلى الله عليه وسلم ولذلك سمي أبا الأرواح بل جميع علوم

ولشيخنا سيدي عبد القادر بن شقرون رحمه الله
في هذا المنزع مخاطبا من له المقام الأرفع
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
• يا سيد الرسل سفيرا وعلا •
• ما الكل بحر الفضل منغمس •
• لولاك ما رقت الأكوان بارقة •
• والنور منه لولا علياك منطمس •
• فأنت نورته وأنت مفتاحه •
• وأنت مصباحه منك يقتبس •
• تبارك الله ما أعلاك منزلة •
• وما فضل منك براه الكل ملتمس •
• ما نعمة إلا أنت الأصل فيها وما •
• خير ترجى إلا منك منبجس •
• أولاك ربي مجدا ما له غاية •
• عنها الفصيح البليغ المفحم منخرس •
• عليك أزكى صلاة لا انفصام لها •
• يا سيدا فضله بالكل ملتبس •

العلماء ومعارف العارفين • وحكم الحكماء نقطة من بحره صلى الله عليه وسلم •
• وكلهم من رسول الله ملتمس • غرفا من البحر أو رشفا من الديم •
ويدل لذلك إمامته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلة الإسراء واختصاصه في الموقف
العظيم بالشفاعة الكبرى ومن ورد أن آدم فمن دونه تحت لوائه في يوم القيامة وقد
أخذ الله الميثاق على أنبيائه إن أدركوه ليؤمنن به ولينصرنه قال تعالى وإذ أخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الآية
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي
وأخذ الإمام العلامة الكبير تقي الدين السبكي ولد صاحب جمع الجوامع في كتابه
التعظيم والمنة في معنى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه من الآية أنه صلى الله عليه وسلم
نبي الأنبياء وأنهم خلفاؤه ونوابه في دعوة الخلق إلى الحق وأنه الداعي بالأصالة
أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق
من زمن آدم إلى يوم القيامة ويكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته فلو اتفق مجيئه في زمن
آدم أو غيره من الأنبياء وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته ولذلك أخذ
الله الميثاق الذي هو في معنى الاستخلاف والبيعة التي تؤخذ للخلفاء ولذلك
دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه وتبين بهذا أن قوله وبعثت إلى الناس كافة
لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة كما كنا نظن بل يتناول من قبلهم أيضا ويتبين
بذلك أيضا معنى قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وأن من فسره بعلم الله تعالى
بأنه سيصير نبيا لما كنا نظن أن جميع الأنبياء كذلك يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت
وقبله ثم قال المعنى أن الله تعالى خلق على روحه وصفة النبوة وقبل خلق
آدم وقبل نفخ الروح فيه فصار نبيا من ذلك الوقت وهذا سر أن آدم رأى محمد رسول الله
مكتوبا على العرش وإنما تأخر التبليغ لأمر راجع إلى وجود المبلغ إليهم لا لعدم اتصافه
بما يقتضيه وهذا كما لو وكل الأب رجلا في تزويج ابنته إذا وجدت كفؤا فالتوكيل
صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على
وجود كفؤ ولا يوجد إلا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل
ثم بكونه نبي الجميع يشركون الأنبياء تحت لوائه في الآخرة وصلاته بهم ليلة
الإسراء في الدنيا إلخ باختصار كثير وقد علمت بهذا أنه صلى الله عليه وسلم الفاتح لباب
باب النبوءة وخاتمها وحامل معناها أولا عليه مدارها أولا وآخرا وإليه واسطة
عقد الأنبياء والمرسلين وقطب الولاية في الدنيا والآخرة وقد نص الإمام الشعراني
فمما نبه به نكتة كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فقال ما ملخصه مثل النبوءة
دائرة لها وجود في الغيب هو حقيقتها ووجود في الشهادة هو صورتها ووجودها
الخارجي خط مستدير متألف من نقط وجودات الأنبياء ووجود كل نقطة منه مظهر
صفة من أوصاف وجودها الغيبي ووجود النقطة الأخيرة هو المتمم لصورة الدائرة و

والطهر بحقيقته بجمع أمر تلاوته وحقيقة هذه الذات هو الروح الأعظم الذي هو
حامل معنى النبوة وله مراتب هو أول نقطة الأنبياء وهو وجود آدم عليه السلام
ونهايته منطبقة على البداية في النقطة الأخيرة المحمدية وقد تمثل النبي صلى الله عليه
وسلم النبوة ببيت كمل إلا موضع لبنة واحدة هي وجوده مشيرا إلى هذا المعنى
روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل
رجل بنى بيتا فأكمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون
به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين وللبخاري نحوه عن
جابر وله وللمسلم أيضا قال سيدي ابراهيم عباد والرسيم محمد بن عباد في بعض خطبه في وصفه
محمد صلى الله عليه وسلم وهو مسكة الختام ولبنة التمام ومنبع البركات المنهلة الغمام
وفي تراجم بعثته صلى الله عليه وسلم مزايا كثيرة له ولأمته تقدمت هنا ومنها دوام
شريعته وعدم نسخها ومنها واتنتم بجميع من تقدمه من الأنبياء فكمل سبحانه
له جميع المحاسن التي تفرقت في الأنبياء قبله قال تعالى فبهداهم اقتده ومنها
أنه اطلع أمته المبشرة على أسرار الأمم المتقدمة ومساويهم وعلى المثلات والعقوبات
التي نزلت بهم ليجتنبوا أسباب ذلك ويتنزعوا عن العلل والعتو والمهلكة من الدنيا كما
اغتر بذلك الذين هلكوا قبلهم فجعلهم بعظة معتبرين لا معتبرا بهم ومتعظين لا متعظا
بهم وشاهدين على غيرهم لا مشهودا عليهم واظهر سبحانه محاسنهم لمن قصي من
الأمم وتمم مساويهم لكن بالنجم الكريم بقدرهم وقد نبههم تنويها تمنى بسببه كليم
الله موسى عليه السلام أن يكون من هذه الأمة قوله بشيرا من البشارة بكسر
الباء وضمها وهي في الأصل بمعنى الإخبار بخير أو شر سميت بذلك لظهور أثرها على البشرة
التي هي ظاهر الجسد ثم غلب استعمالها في جانب الخير ولذلك إذا وردت مطلقة لا
تنصرف إلا إليه وإذا قيدت جاز أن تكون بالشر كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم
فقوله بشيرا أي بالثواب للطائع والجنة لمن آمن قوله ونذيرا أي بالعقاب
لمن عصى وبالنار لمن كفر من النذارة وقد تقدمت فائدة قال العلامة في المغني المشترط
إلا واضحة بخلاف النذارة فإنها معتبرة في الجميع قال الفقهاء لو قال من بشرني بقدوم
من بشره واحد بعد واحد يعتق عليه غير الأول وفي النذارة يعتق جميعهم لأن
المقصود بالبشارة حصل بالأول بخلاف النذارة فإنه يزيد الخوف بالجملة
المنذر والظاهر إذا بشره جماعة أن يعتقوا جميعا اهـ ونحوه في القلشاني قوله
وداعيا إلى الله أي إلى الإقرار بتوحيده وما يجب من الإيمان بصفاته وقد قام
النبي صلى الله عليه وسلم بوظيفة ارشاد الخلق وتعليمهم أحسن قيام حتى أنه كان يدعو
وتلطف بهم ويتحمل جفاءهم ويصبر على أذاهم حتى انقادوا إليه واجتمعوا عليه
وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم
وأحبابهم وحذف المعمول لعمومه كما في قوله تعالى والله يدعوا إلى دار السلام

أي كل مكلف ودل على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم القرآن والسنة والإجماع أما القرآن
فقوله تعالى وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أي وكل من بلغه لأن من للعموم
وقال تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فإن المراد بالعا
بالعالمين كل عاقل من الإنس والجن والملائكة على خلاف في الملائكة قال في المراصد

• وفي الملائكة خلف واحكِ عن • الإجماع في خروجهم ومانعي •

أي ومانع القول بالإجماع وقد رجح القول ببعثته صلى الله عليه وسلم إلى الملائكة
تقي الدين السبكي وقال ابن حجر الهيتمي هو الذي عند جمع من المحققين وأبطل ابن أبي
شريف في حواشيه على المحلي فقد اختلف العلماء هل أرسل الله رسولا إلى الجن منهم أو لم
يرسل إليهم إلا من الإنس وفائدة بعثته صلى الله عليه وسلم للملائكة على القول به مع
كونهم عبادا مكرمين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون كمال الرضى عنهم في
تلقيهم منه صلى الله عليه وسلم ما فيه أحوالهم ومقاماتهم من المعارف الربانية والأسرار
العرفانية مما ذكر صلى الله عليه وسلم من العارفين بالله وتعزيره وتوقيره وتعظيم قدره وقد
أشار القشيري إلى حكمة عروجه إلى السماء تأدب الملائكة بآدابه حتى إنه رفقه مع
تمام ... وأحوال ولم يلتفت إلى شيء من السموات كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وقال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ومن العجب نقل بعضهم
أن الناظم في مبايعة ذلك قد استدل على عموم البعثة بقوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس
فقال الذي هذا التمسك الأتباع على تقدير الحال على صاحبه المجرور بالحرف وأنا لا أمنع
ما استدل له بالحديث فقال هذا خبر ضعيف يعني تواتر ... عن جواب الفصوص وبقوله — وأما السنة
صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود قيل الإنس والجن وقيل العرب والعجم والإجماع
على عموم رسالته للإنس والجن وقد وقع في الطبع كان بالبصرة يهودي يقر بالتكليف
على نبوة موسى وما جاء القرآن واجحد نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال نحن على ما اتفقنا
عليه حتى نتفق على غيره فسأل أبا الهذيل عن ذلك فقال إن كان موسى هذا الذي أخبر
بسيدنا محمد وأمر بشرعه وأمر باتباعه فأنا أقر بنبوته وإن كان غيره فأنا لا أعرفه فتحير
اليهودي ثم سأله عن التوراة فقال إن كانت التي أنزلت على موسى المذكور فهي حق
وإلا فهي غير باطل وقيل إنه عليه السلام مبعوث إلى الجمادات ومعاني القرآن
وقد سلمت عليه الأحجار وأجابت دعوته الأشجار وكلمه الضب والجمل وغير ذلك
ركبه الله فيهم إدراك ... وإذا علموا الله أعلم قوله بإذنه أي بأمره قال
تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقيل بتيسيره وتقديره إذ لولا ذاك
أنه صعب لا يتأتى إلا بمعونته تعالى فإن الأرض كانت مملوءة بطواغيت الكفار وصناديد
الطغاة والعتاة ولهم غاية القوة والشجاعة والشوكة يطلبون على من يتسلطون
وبه يشتغلون فكيف مع ذلك يخرج عن ذلك بأنه رجلا واحدا ويريد تركه ولا اتباع لولا
أن المولى سبحانه ثبت قلبه وقوى عزمه فكان غير متخاذل ولا متزلزل ... في الله

لومة لائم ولا يغشى عنه اذا معاتبه ولا انكار منكر ولم يزل صلى الله عليه وسلم ينقهر هو
بالتزكية وامور بيره واشيا قبيحا البوان الخ غاية الاتضاح والشرق اشراق الضا
راجع ما تفرع عن قوله واعتزاليه من كلام شرح الصغرى وما بعده مع الطول الخ على
التفسير بانه من اشباهه قوله **وسراجا** اي تنزهت به ظلمات الجهل كما تنزهت بالسراج
ظلمة الليل فقوله وسراجا اي هو كالسراج او جعله سراجا مبالغة والاهتدا به
قيل السراج هو الفرد اي المعنى سراج منير قوله **منيرا** وصف للسراج وقيد
به لان بعض الاسرجة لا يضيء وتشبيهه بالسراج دون نور الشمع لان نور
للملوك والاغنياء وباستبدال الفقراء اليه في غالب الاحوال وفي التشبيه به اشارة الى ان
نور جوده واعطائه صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصورا على قوم دون قوم وتشبيهه با
لسراج دون الشمس والقمر مع عموم الكائنات لغيبة نورهما بافولهما ونوره صلى الله
عليه وسلم لا ينقطع ابدا ولا يغيب بل هو دائم مستمر ولذلك قيل

• ان شمس النهار تغرب بالليل • وشمس القلوب ليست تغيب •

وذلك لان نورهما لا يقتبس منه الانوار واذا غاب غاب نورهما بخلاف السراج فانه
يقتبس منه انوار لا تحصى من غير ان يحصل منه نقص واذا غاب بقي نوره وعم
وكذا نوره صلى الله عليه وسلم تفرع منه الانوار ابتداء حياته وبعد وفاته قال الشف
لا تحسبوا بصري تيلو بسكر القبور فان القبر يخلو بمثنان الصدور وكان
كم جعل الله في كل جيل من هذه الامة المشرفة من الاقطاب والاوتاد والنقباء والا
والابدال وكم ظهر على ايديهم من الكرامات التي هي لديه في نفس الامر معجزات في معنى
البوصيري رحمه الله

• ولك الامة التي غبطتها • بك لما اتيتها الانبياء • لم نخف بعدك الضلال وفينا
• وارثوا نوره فهدي العلماء • فانقضت آي الانبياء وآياتك في الناس ما لهن انقضاء
• والكرامات منهم معجزات • حازها من نوالك الاولياء • فقال في آثار

من نوازل المعيار بعد ان ذكر نحو ما تفرع عما انضم والشيء يذكر بالشيء قال التوزري
ذكر بعض الفقراء انه مر على نوح من جهة المشرق فاحضرت سماعا بالمشرق وحضر
والي البلد وامراؤها وكان له نصراني يحترمه فقال النصراني اريد ان [illegible]
المسلمين في هذا الموكب العظيم وان غلبني اعطيته كذا وان غلبته [illegible]
كذلك وانا النصراني ولا انه ان غلبته فاخرج دينه وان غلبني دخلته في دينه فاجابه
من المسلمين بان قال له نعم فقال النصراني هذا ابن الله لا ينقص ابدا فمطلب [illegible]
[illegible] العجم والشمال ونزل به عن الاشكال ونوره [illegible] فقال له [illegible]
المسكة النصيبة [illegible] وقال ابو يوسف الحليم واوقد شمعة
[illegible] ابو الحشم فقال [illegible] الامير في مملكتك لا ينقص [illegible] الشرح من هذه
الشمعة وان نقصت شيئا فانا اغرمه فاذا اجمعت هذا فكذلك هذا من الملك

الحق جميع الخلائق يقتبسون منه وهي لا تنقص ابدا وهذا ابن ترجع البرقوقية التي
لا يعجزها شيء فقال النصراني في الجنة شجرة تظل اهل الجنة كلهم ولا يبقى في الجنة
بيت الا وفيه غصن منها واريد ان تريني مثاله في الدنيا فقال المسلم نعم
الشمس ما رايت نورها في الارض كلها ولا يبقى موضع ولا بيت الا وقد دخلته فقال النصراني
اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فارني مثله في الدنيا فقال
المسلم نعم الجنين في بطن امه ياكل ويشرب ولا يبول ولا يتغوط قال النصراني
انكم تقولون ان في الجنة لحم واذا اكل عاد كما هو [illegible] وكل من له [illegible] عارف بالجنة
واريد ان تعرفني ما هو مكتوب على باب الجنة فالتفت النصراني الى الفقيه ولم يجد جوابا
فلما انقطع قيل له او ما عليه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وصولا بالدخول في
دين الاسلام فلم يزل [illegible] حتى افترق [illegible] فقال بعضهم انما سكت النصراني ولم يجب حتى
منه وضوءا ان تكفيه في دين الاسلام وما نزل عما النصرى بالنبي عليه السلام والا في الانجيل ما يدل
على ذلك في مواضع منه انه وقع تشبيهه صلى الله عليه وسلم بنور السراج وان كانت القاعدة
ان وجه الشبه يكون في المشبه به اتم وهنا بالعكس فان نور النبي صلى الله عليه وسلم مواطن
الانوار كلها حسية ومعنوية اما لان نور السراج محسوس ونوره صلى الله عليه وسلم معقول
والمحسوس من حيث هو محسوس اجلى فصح تشبيه نوره صلى الله عليه وسلم بنور السراج نوره
بهذا الاعتبار وعلى هذا الوجه اقتصر القلشاني واما لان الشيء الخفي قد يشبه على
سبيل التمثيل بما هو مما ليس فيه وجه الوجوه مما هو ادنى اذ لم يوجد ما هو فوقه ولا ما
يساويه ونظيره قوله تعالى الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
فشبه نوره تعالى او النبي صلى الله عليه وسلم او المؤمن او القرآن او الايمان على الخلاف في
مرجع الضمير في قوله نوره بنور المشكاة وهي الكوة غير النافذة وفيها مصباح وهو
السراج مع ان وجه الشبه في المشبه اقوى منه في المشبه به وهنا لما ذكرنا ولهي
من تمام الكلام حيث اجاب بمثل هذا احد من مدح الخليفة بقصيدته التي مطلعها

• ما في وقوفك ساعة من باس • نقضي ذمام الاربع الادراس •

حتى اتى على قوله فيها

• اقدام عمرو في سماحة حاتم • في حلم احنف في ذكاء اياس •

فقال بعض جلساء الخليفة اغاظة لابي تمام وحسدا [illegible] حتى تشبه بهم
الامير يعني لانهم من صعاليك العرب فنظر اليه ابو تمام وزاد ابياتا ليست في القصيدة وهي قطعه
انشادها • لا تنكروا ضربي له من دونه • مثلا شرودا في الندى والباس •
• فالله قد ضرب الاقل لنوره • مثلا من المشكاة والنبراس •
وكان من الحاضرين بمجلس الخليفة جبرئيل بن بختيشوع شيخ الطب فقال والله لقد
[illegible] عليه [illegible] كثيرة لقرب انقضائه فمات ابو تمام بعد ايام قوله **وانزل عليه كتابه**
الحكيم لما اخبر رحمه الله بان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وكان ذلك من

فضائله وكانت معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه لا تحصى لها وقد بلغت
جملتها حد التواتر أخبر بعضا بأعظم ما أيده الله به من معجزاته الدالة على صدقه بل هو
اعظم من سائر معجزات الانبياء وهو معجزة القرآن التي هي من خصائصه ايضا فقال
وانزل عليه الخ اي تصديقا له في دعوته انه رسول الله وقد اقسم الله تعالى على رسالة
رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وعلى صدقه في قوله
والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى الخ فاقسم بالنجم الذي جعله حفظا للوحي من
استراق الشياطين على ان ما اتى به هو صدق لا سبيل للشيطان اليه ومن هذا قوله
تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون ردا على المشركين في قولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر انك لمجنون ثم اعلم ان المعجزة فعل الله تعالى الخارق للعادة [illegible]
لدعوى النبوءة متحدى به قبل وقوعه والكرامة ظهور خارق للعادة على يد عبد ظاهر
الصلاح [illegible] وما في المثال مخرج بظاهر الصلاح السحر والاستدراج
وهو ظهور الخارق على يد الاشقياء كالدجال وفرعون والجهلة الظاهرين في المضلين ونحوه
[illegible] يسمى المعجزة ويقوله لا في الحال [illegible] وهو العلامة الدالة
على بعثة نبي قبل بعثته كالنور الذي كان يظهر في جبين عبد المطلب مأخوذ من الارهاص
بكسر الهمزة وهو اساس الحائط واطلق على هذه العلامة لانها تاسيس لقاعدة النبوءة
وقد علمت مما ذكرناه الفرق بين هذه الخوارق وان المعجزة والكرامة انما يفترقان
في تعيين النبوءة وهذا اصح الاقوال في الفرق بينهما وقد ذكر في لطائف المنن ان الكرامة
تارة تظهر للولي في نفسه فيكون المراد منه تعريفه بقدرة الله وانه لا يتوقف على
الاسباب وتكون شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى وتارة تظهر في الولي لغيره
فتكون معرفة له بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه فينتفع به ويهتدي [illegible]
الله تعبدون فان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وليست شرطا في الولي ولا
على انه افضل من غيره ممن لم تظهر على يديه كرامة لان الافضلية انما هي بقوة اليقين وكمال
المعرفة بالله فكم ممن كان اقوى يقينا واكمل معرفة كان افضل [illegible]
اهل البدايات في بداياتهم ويفقدها اهل النهايات في نهاياتهم لما جبلوا عليه من الرسوخ
في اليقين والقوة والتمكين ولهذا قلت الكرامات في الصحابة وكثرت بعدهم لانهم
ببركة صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لنزول الوحي تنورت
بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا في الدنيا وزكت نفوسهم فاستغنوا عن الكرامات
الحسية لما اعطوا من العلوم الغيبية والمعارف الشهادية ولا يحتاج الجبل
الى مرساة بنحو هذا اجاب الامام احمد لما سئل عن هذا وقد قال علي رضي الله عنه لو
كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقال بعضهم اعظم الكرامة الكاملة انما هي
حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله عز
وجل واتباع ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا اه ولهذا قال الشيخ ابو

العباس المرسي ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة انما الشأن من تطوى عنه
اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وقال ابو حفص رضي الله عنه [illegible]
مخصوصتان كرامة الابدان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل بالاقتداء والمتا
بعة ومجانبة الدعاوي والخداع عنه فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد
مفتر كذاب او ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب وقال ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه
لو نظرتم الى رجل اعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف
تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود واداء الشريعة اه وقال سيد الطائفة
ابو القاسم الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش افضل منهم يقينا اه وانما
وانما كانت معجزة القرآن افضل المعجزات لامور منها تضمنه لمعجزات كثيرة لان
في القرآن ستة الاف اية وستمائة وستة وستين اية الف منها امر والف نهي
والف وعد والف وعيد والف قصص واخبار والف عبر وامثال وخمسمائة حلال وحرام
ومائة دعاء وتسبيح وستة وستون ناسخ ومنسوخ قاله ابو الحسن وشيلة الزهراجي
في كتابه المسمى بالغرر الجميلة على الايات الجليلة زاد وقال ابن مسعود رضي الله عنه
عدة اياته ستة الاف ومائتان وثمان عشرة اية وكل ثلاث ايات منها معجزة
لوقوع الاعجاز بها وبعضهم اعلى انه لا ينحصر عدد معجزاته بالالف ولا بالالفين ومنها دوامها
وعدم انقطاعها لا من [illegible] ولا [illegible] بحفظ القرآن من التبديل والتغيير قال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد وامر هذا الذي لا ينسخ الى يوم القيامة ولذلك اقتصر
عليه النبي صلى الله عليه وسلم منتشرا [illegible] في ذلك مخصوصيته بقوله ما من نبي الا وقد اوتي
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا
يوم القيامة وذلك لان اكرامه صلى الله عليه وسلم بهذه المعجزة الداعية على توالي السنين
تستلزم بالضرورة كثرة اتباعه صلى الله عليه وسلم لمشاهدة اهل كل زمان اياها فتزداد بهم
الطمانينة بدوامها ويكثر الداخلون في دينه بخلاف ما في معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد انقضت
بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها وكذا بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم فما بقي منها الا
الا من عاصرها ورآها ولهذا المعنى يشير البوصيري رحمه الله بقوله

دامت لدينا ففاقت كل معجزة ۞ من النبيين اذ جاءت ولم تدم

ومنها ان الفصاحة والبلاغة كانت الغالب على القوم الذين شاهدهم فكانت معجزة القرآن
من جنس ما غلب عليهم وذلك ابلغ في العجز وافضح للمعاند وذلك انه قد جرت عادة الله
سبحانه بتأييد انبيائه بمعجزات مناسبة لما اقوامهم من جنس ما كانوا يرون انه موضع
برهم وملك فخرهم ليتضح بذلك عجزهم ونكتهم غاية الظهور فان عيسى عليه السلام
لما اشتهر في قومه فن الطب وبلغوا فيه معرفته الغاية بما بهر عقولهم وقطع حجتهم
وبين عجزهم فكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله [illegible]

الله تعالى خمسين الفا بالرعاء بشرط الايمان وأتى موسى عليه السلام بما تمهر قومه فيه
من علم السحر بمعجزة العصا فلم يستطع احد معارضتها ومن زاد الشيء وهم الوف على
ان امنوا وسجدوا لعلمهم ان ما شاهدوه من العصا ليس مما يتاتى بالسحر ولا هو من مقدور
البشر كما قال تعالى اخبارا عنهم والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين وبما كان
الخليل عليه السلام في قوم غلبة عليهم امر الصابئة كانت آيته قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله كما قال في الشفا في قوم هم ائمة البلاغة وفرسان الكلام
يرهبون ويرغبون ويبغضون ويحببون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من
الاوصاف اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان
ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا
يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم فعلا لوائح التعظيم والتكريم
وتفضيلهم الغث والسمين وتناولوا الغلو الكثير وتنشأ حلوا في النظم والنثر
فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته
على كل مقول طار بهم في كل حين ومع غاية الخلق بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ
اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وان كنتم في ريب الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن
اجتمعت الانس والجن الآية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا
ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة الى حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن
لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال الله تعالى لهم ولن
تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كشف عواره واعل الجلد
والقتال ونفر عن اكلابات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم
بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من
قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده
واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من
بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد
وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا ومنعوا فانقطعوا الى هنا وكظاهر
اعجاز كلامه القول بالصرفة وهو ضعيف كما سياتي قريبا وقد امتلات الارض كلها جملة
وعجمة واشادة امره واهل حرها وحياة بزوها وحضرها موصلها وكامل
انقصها وجنها وتطاولت ازمنته على تلك الصفة نحوا من خمس وعشرين بعد مائة والف

أفيستريب

أيستريب عاقل بعد هذا في كونه من عند الله تعالى وصدق به نبيه صلى الله عليه وسلم ومن
انتدب لمعارضة هذا الاعجاز الالهي افتضح واتى بخرافة يتضاحك منها الى قيام الساعة كقول
مسيلمة لما سمع سورة الفيل الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل
وان ذلك من خلق ربنا القليل والنبيل الذكر ما لوا وبير للعقصة وقد نقل في جامع المعيار نحو
من هذا ... في مناظرة وقعت بينه وبين بعض الفقيهين في النظر والعجز عن معارضة
امراء ما تكرها عيبه ان تشيب ووجوه اعجاز القرآن كثيرة منها هذا الوجه وهو
فصاحته وبلاغته التي خرقت عادة العرب حكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها
قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فقال في الشفا
وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل
ترتيبهم من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته
هذا وانما كان ذلك معلوما بالضرورة للعالمين بالفصاحة لانهم يرونه كلما تاملوا جميع
الاقوال التي يتخاطبون بها في اللغة مقتضى الحال وذلك مما لا يحيط به غير العليم الخبير
وما احسن قول بعضهم لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله
ولبعثا وفرحا على يد الصدق الخلق صلى الله عليه وسلم ابدا ولهذا لكان ادعاء معارضته
ليست في صورة اخرى خلافا لمن قال بالصرفة وهو قول الا في العصر للاشعري وهو قول
النظام والمعتزلة اذ لو كان الاعجاز بالصرف عن معارضته وان كان في مقدورهم لكان كونه
في ادنى مراتب الفصاحة انسب لظهور اعجازه لا عن المعارضة ابلغ في خرق العادة لكنه
بلا خلاف انتهى اعلى مراتب البلاغة ومنها صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف
لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آية وانتهت
فواصل كلماته اليه ومنها ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد
كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم
من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله اذا جاء نصر الله وقوله وعد
الله الذين آمنوا منكم الآية فكان ما اخبر بهم الصحابة بين كلمة من قوله وبدلنا من قوله ليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا وكان نوع الحال بصيرة في صدر الاسلام وقوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك
الى معاد اي الى مكة وقوله ... الله تعالى الآية وقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب
الآية فان المراد بالناس بنو حنيفة وقد دعاهم ابو بكر الى قتالهم او فارس وقد
دعاهم عمر الى قتالهم وقوله والله يعصمك من الناس ومنها هذا الاسلوب وردت بتعجيز
قوم في قضايا واعلامه انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل
ان كانت لكم الدار الآخرة الآية فما تمناه احد منهم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه
يعني يموت مكانه قال ابو محمد الاصيلي رحمه الله من اعجب امره انه لا يوجد منهم جماعة ولا
واحد من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيبه اليه وهذا موجود

بقوله

مشاهدهم لمن رآه ان يتحدث وكتابة المباهلة من حاجك فيه الآية نزلت حيث وقد علمه
اساقفة نجران وابوا الاسلام ورضوا باداء الجزية كما قال انهم ان حافوا عظيمهم وعلمهم
انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم وكقوله تعالى ولن تفعلوا
واخبرهم انهم لا يفعلون كما كان ومنها ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والشرائع
الدارسة مما لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب العرب فقطع عمره
في تعلم ذلك كقصص الانبياء مع قومهم وقصة موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب
ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة اهل غيبهم ولا جعل قالة احد منهم فهذه جملة من وجوه
الاعجاز وقد قيل ان في القرآن بضعة الف معجزة تقريبا وان شئت بسط الكلام عليها
وعلى غيرها من الاوجه فعليك بكتاب الشفا فيه لذلك شفا. ثم اعلم ان في كيفية الانزال
ثلاثة اقوال اصحها انه نزل جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا فقال السيوطي في الاتقان
الى بيت يقال له بيت العزة في شهر رمضان في ليلة القدر منه وامر السفرة الكرام
بانتساخه ثم نزل به الروح الامين وهو جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم منجما موزعا على
حسب المصالح في مدة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي عشرون او ثلاث وعشرون او
خمس وعشرون سنة على حسب اختلافهم في مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة ومدة اقامته
بالمدينة عشر سنين اتفاقا واول من نقع القرآن على القلب على الامين جبريل عليه السلام
ويشهد له قوله تعالى نزل به الروح الامين الآية اذا جعل قوله على قلبك متعلقا بقوله
نزل واختلف ايضا في كيفية تلقي الملك له من الله تعالى اذا اراد ان يلقيه منه والصحيح
ان الملك وهو جبريل او اسرافيل على الخلاف يتلقفه من الله تعالى تلقفا روحانيا على
كيفية يعلمها الله ثم ينزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم المناسب ان يقال المصرح
نزل لانه يقتضي التدريج خلاف انزل فانه يقتضي النزول دفعة واحدة ويرشد لذلك
قوله تعالى نزل عليك الكتاب فانه مصرف للناس بين يديه وانزل التوراة فانه لم يختص
وزيده في الغيب بما احتجب عنه والانزال من اوصاف الاجسام ووصف القرآن به
باعتبار نزول الملك به ووجه نزول القرآن منجما رعي عظم قدره اذ منه قال تعالى
وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ولذلك لما نزلت التوراة جملة واحدة تحمل بنو اسرائيل
يثقل حمله حتى رفع الله عليهم الجبل كما قال تعالى واذ نتقنا الجبل الآية ولان المنسوخ
بعض الكتب التوراة وقع في النقص وابتعثنا التعالي وقالوا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وقوله الحكيم فعيل
بمعنى مفعل اي محكم والاحكام الاتقان ولا شك في اتقان القرآن ومجيئه نظمه
وبديع معانيه بحيث لا يتطرق خلل الى معناه او لفظه كما قال تعالى ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال تعالى كتاب احكمت آياته ولا يعارض
هذا قوله منه آيات محكمات حيث نسب الاحكام لبعضه لان المراد باحكامه

في هذه الآية وضوح الدلالة ولذلك قابله بقوله واخر متشابهات كما انه لا يعارض بقوله
الآية ايضا كتابا متشابها لان المراد بالمتشابه هنا التي في جميعه متناسب بعضه لبعض
في الحسن والصدق وغير ذلك واعلم ان مما استدل به ارباب البصائر على نبوته صلى الله عليه وسلم
امور اخر مما كان الذي في نفسه صلى الله عليه وسلم مع كونه اميا نشأ في غاية البعد
عن العلم بما يجمع من العلوم الوهبية والاسرار الربانية والآداب العرفانية و
علوم الاعمال والاخلاق والسياسة وتدبير امر الخلق بما يعجز الاولين والآخرين والتمكن من
الوصول اليه بالسير من السنين وتحليه بالكمالات البالغة كملازمة الصدق من اول عمره
الى آخره والاعراض عن الدنيا وزخارفها على الدوام والترفع مع اهله وغاية التواضع مع الفقراء
والمساكين والاقرار حين تجيء الابطال والوثوق بعصمة الله في جميع الاحوال وعدم التزلزل
والتخاذل بما يلقاه ويتحمله في دعوى الرسالة من المشاق والمتاعب المحوجة بعوارض وغاية الخوف
والاثبات بعد بين العلوم والاحوال وبالكمالات الظاهرة والمحاسن الباهرة التي تؤخذ
الاجتماع على الكمال ولا شك ان العقل يجزم باستحالة ان يجمع الله هذه الكمالات في
من يعلم انه يفتري عليه ثم يمهله ثلاثا وعشرين سنة ثم يظهر دينه على سائر الاديان وينصره على
اعدائه ويحيي آثاره بعد موته الى يوم القيامة الامر الثاني تكميله لغيره في الفضائل
العلمية والعملية فانه عليه السلام هو الذي نور العالم بالعلوم كلها نقلية وعقلية وما
من عالم ترتب له اكمال الابرام اشتغاله بالعلوم من تصنيف او تاليف او كلام فوجه له و
اشارته حجة له وهو المنور له بالايمان والعمل الصالح حتى ظهر على نهار الاديان وظهر في
عابدها وطلحاء اصفيه من امثال الزهد والمحبة والرضى والشكر وغيرها من مقامات اليقين
ما هو مشاهد بالعيان فهو صلى الله عليه وسلم القدوة العظمى في جميع العلوم في كل علم وفن
وحكمة وخلق حسن وكمال على الاطلاق ولا معنى للنبوة والرسالة الا التعليم للشرائع
وتكميل الناس فيحتمل ان المص اشار بقوله وتشرح به دينه القويم وبقوله وتهدي
به الصراط المستقيم الى الوجه الثاني وهو تكميله لغيره بالفضائل العلمية والعملية فقوله
تشرح بمعنى تبين وفاعله الله والضمير المجرور بالباء يحتمل ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم
قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ويحتمل ان يكون للكتاب قال تعالى تبيانا لكل شيء
والمراد بالدين هنا جملة ما جاء به من ايمان واسلام واحسان كما في حديث جبريل ومداره على تعظيم
الشريعة باخلاص العبودية له والجمع على الله وامتثال التوجه له والتعلق به والانبساط مع
والعزوف عن كل ما سواه وذلك هو المقصود من القرآن فلذلك المحاسبي في بغية
لك في اشرف المسالك واعلم ان سر القرآن ولبابه ومقصده دعوة الخلق الى المعرفة
بالله تعالى اذ كل ما اشتمل عليه القرآن من التعريفات كالتعريف بالله وصفاته وافعاله
والتعريف بطريق السلوك اليه والتعريف بوعده ووعيده والتعريف باهل التخصيص
كالانبياء والملائكة والاولياء والتعريف باهل المقت كابليس وجنوده من الجن والانس و
التعريف بالاحكام التي هي طرق عبادته كل ذلك تعريفات تحرك النفس الى الانتظام

معنى التوحيد في النفس حتى
يعني التوحيد العياني اي المعرفة الحقيقية وهي قيل
يصير صفة لها لا تنفك عنه ولا تنفصل بغيره قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية
وقوله الحقيقة هي المطلوب من جميع العباد اي وليعض العارفين في ذلك

مراد كتاب الله جذب قلوبنا • إلى حضرة الرحمن والزهد في الدنيا •
ويطلع أهل القرآن منك مراده • لترقى بفضل الله للجنة العليا •

قيل لبعضهم يحمل كل آية حجة فما زحمة كتابنا فقال هذا بلاغ للناس ولينذروا به
وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب وأقوى الآي لا عوج فيه وقوله
ويهدي به إلى الصراط المستقيم هو من معنى ما قبله ويتفرع اي الهداية عامة وخاصة
وهي طلب الاهتداء اي الايصال في الغاية ويحتمل التخصيص قوله يهدي وهو من به لا الجميع
بمصطفى صلى الله عليه وسلم وقوله الصراط هو مفعول ثان ويتعدى بنفسه تارة
الهداية تتعدى بنفسها كما تتعدى باللام كقوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
وبإلى كقوله وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم والصراط هو الطريق المسلوك ويعبر به
عن الدين ويعبر بالصراط المستقيم يكون ثبوته على الصراط الحسي في الجنة كما قال …
ابو بكر بن الطيب قوله وإن الساعة آتية هذا شروع في الكلام على السمعيات
اي الاخرويات بعد أن تكلم على الالهيات وبعض النبويات فقوله وإن الساعة عطف
على قوله أن الله إله واحد مما يجب اعتقاده إن الدنيا خلقت للفناء دون البقاء
كما جاء به القرآن وعلم من الدين ضرورة قال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه وقال ونفخ
في الصور فصعق الآية وقال إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وغير ذلك فهو كلام قال تعالى ألا إن الذين يمارون
في الساعة اي يجادلون فيها لفي ضلال بعيد وقال … بالساعة سعيرا
الساعة لغة عبارة عن مدة من الزمان غير محدودة وتطلق عرفا على النفخة الأولى
كما في قوله تعالى وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها وهو المراد في كلام المص وتطلق أيضا
على النفخة الثانية وهي نفخة البعث كما في قوله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها
فيم أنت من ذكراها وقيل … كأنهم يوم يرونها وهو المشار إليه بقول المص يبعث وأن الله
يبعث من يموت فقول المص وإن الساعة آتية اي انقراض الدنيا وانقطاعها وسمي
وقت انقراض الدنيا ساعة مع طوله … تسمية الكل باسم البعض او لأنه لما كان
آخر ساعة من الدنيا وأول ساعة من الآخرة كان بالنسبة إلى أزمنة الدنيا وأزمنة
الآخرة كساعة من ساعات الدنيا ووقت الساعة من الخمس التي لا يعلمها إلا الله قال
تعالى إن الله عنده علم الساعة الآية وكثير من الآي يدل على أنه لا يعلم وقت مجيئها إلا الله
تعالى ولذلك لما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عنها بقوله متى الساعة قال عليه السلام
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن أشراطها اي علاماتها جمع شرط بفتح الراء
بالسكون لأن جمعه شروط ولم يذكر المص شيئا منها وهي قسمان صغرى وكبرى والصغرى

أشراط الساعة الصغرى

كثيرة منها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بعثت والشمس على … النخيل
وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى وهو يحتمل التمثيل
لمقاربتهما إذ ليس بينهما إصبع أخرى كما أنه لا نبي بينه وبين الساعة ويحتمل أنه لتقريب
ما بينهما في المدة وأن التفاوت بينهما كنسبة التفاوت بين الإصبعين تقريبا لا تحديدا
لأن ما مضى من الدنيا قبل بعثته عليه السلام أكثر مما بقي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم
ومنها انشقاق القمر وهو من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر ومنها ما في حديث جبريل أن تلد الأمة ربتها اي سيدتها
بأن يكثر اتخاذ السراري أو يفشو العقوق أو يشتري الأمة ابنها وهو لا يعلم …
يعتق وهي أم ولد … ذكرها القاضي عياض وأن ترى الحفاة
رعاة الإبل البهم في البنيان وفي رواية مسلم وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في
البنيان وهو كناية عن تبدل الحال وتغلب أهل البادية على أهل الحضر وتباهيهم في البنا
ءات ومنها ما ورد في حديث الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وما هي يا رسول الله
قال إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق
أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم
وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات و
المعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا
خرجه في الجامع الصغير وقريب منه في كنز العمال وفي سنده ضعف والفلشاني …
إمارة الصبيان وكثرة … وكثرة الزنى وفتح القسطنطينية العظمى يعني المطلوب بالتكبير
والتهليل وقد روي أن بين خروج الدجال وفتح القسطنطينية سبعة أشهر وذكر العلامة
… وزخرفة المساجد وخراب مكة …
ومنها ما في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى
يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه … قال النبي صلى الله عليه
وسلم إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج والهرج
القتل ومنها … في رمضان … توقظ النائم … سبعون ألفا
… سبعون ألفا … سبعون ألفا …
وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار
لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات
مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن
ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا فقال النووي معنى كاسيات أي من نعمة الله عاريات
من شكرها وقيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ونحوه وقيل
تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه

مميلات يعلمن غيرهن بعملهن المذموم وقيل مائلات مشيا متبخترات مميلات لاكتافهن
وقيل مائلات تمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا ومميلات تمشطن غيرهن تلك
المشطة ورؤوسهن كاسنمة البخت اي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة او عصابة او نحو ذلك
الطائر للتنويع واما الكبرى فعشرة خمسة متفق عليها وخمسة مختلف فيها كطلوع الشمس
فاما المتفق عليها فمنها خروج المسيح الدجال ولم يرد ذكره صريحا في القرآن وورد
في الاحاديث الصحيحة والكلام عليه من وجوه صفته وموضع خروجه وعلامة خروجه و
ومدة بقائه في الارض وفتنته وسيره في الارض وموته اما صفته ففي البخاري انه احمر
جسيم جعد الرأس اعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية وان بين عينيه مكتوبا كافر
وفي رواية لمسلم اعور العين اليسرى جفال الشعر بضم الجيم وتخفيف الفاء اي كثير الشعر
وفي الاجهوري ومن نعت الدجال انه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم احمر قطط الشعر
العين اليمنى كأنها تعلو وعينه اليسرى ممزوجة بالدم واما موضع خروجه ففي رواية
الترمذي وصححه انه يخرج من ارض يقال لها خراسان ويتبعه الناس فيه الى الجبال كما في
صحيح مسلم واما علامة خروجه فمما تقدم من فتح القسطنطينية وما ورد من ان قبل خروج
الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء في السنة
الاولى ان تمسك ثلث قطرها ويأمر الارض ان تمسك ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء في السنة
الثانية فتمسك ثلثي قطرها ويأمر الارض فتمسك ثلثي نباتها ثم يأمر الله في السنة الثالثة
السماء فتمسك قطرها كله والارض فتمسك نباتها كله فيهلك كل ذي ضرس وظلف الا
ما شاء الله فقيل فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد
ويجري ذلك منهم مجرى الطعام وعند الامام احمد بسند صحيح عن عائشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر جهدا يكون بين يدي الدجال فقالوا اي المال خير يومئذ
قال غلام شديد يسقي اهله الماء واما الطعام فليس لهم قالوا فما طعام المؤمنين
يومئذ قال التسبيح والتكبير والتهليل وفي رواية يجزئهم ما يجزئ اهل السماء من التسبيح و
التقديس واما اتباعه ففي مسلم مرفوعا يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون
الفا عليهم الطيالسة واما مدة مكثه في الارض ففي مسلم عنه عليه الصلاة والسلام انه
قال يلبث الدجال في الارض اربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه
كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له
قدره واما سيره في الارض ففي البخاري ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة
والمدينة وليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة ثلاث
رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق ويبقى بها المؤمن الخالص وكما لا يسلط عليه الى
وفي بعض الروايات ولا يبقى موضع الا ويدخله غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل
الطور فان الملائكة تطرده من هذه المواضع واما فتنته التي تعوذ النبي صلى الله
عليه وسلم منها وامرنا بالتعوذ منها فهي انه يدعي الربوبية ويدعو الناس الى الايمان

به وتظهر على يديه خوارق العادات وتنقاد له الاشياء ففي الجامع الكبير للامام السيوطي
انه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويقول للناس انا ربكم فمن قال انت ربي فقد فتن ومن
قال ربي الله حتى يموت عليه فقد عصم من فتنة الدجال وفي البخاري ان معه ماء ونارا
فناره ماء بارد وماؤه نار فمن ادرك ذلك فليقع في الذي يرى انه نار فانه عذب بارد
وهذا من باب السحر والتخييل فيظهر للناس الشيء بخلاف ما هو عليه في نفس الامر
وذلك من جملة فتنته وورد ايضا ان معه جبال خبز ونهر ماء وفي مسلم انه ينتهي الى
بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج اليه رجل هو يومئذ خير الناس او من خير الناس فيقول
له ما تقول في فيقول اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثه فيقول الدجال ارأيتم ان قتلت هذا ثم احييته اتشكون في الامر فيقولون
لا فيأمر بالمنشار فينشر من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ثم يمشي الدجال بين القطعتين
ثم يقول له قم فيستوي قائما فيقول والله ما كنت اشد بصيرة مني الآن
فيقول الدجال اقتله فيقول الرجل يا ايها الناس لا يفعل بعدي احد من الناس فيأخذه
الدجال فيذبحه فيجعل الله ما بين رأسه الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا
فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انه قذفه الى النار وانما القي
في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم هذا اعظم الناس شهادة عند رب العالمين قال معمر
في جامعه بلغني ان الرجل الذي يقتله الدجال هو الخضر عليه السلام وفي مسند الطيالسي
مرفوعا ان مع الدجال ملكين يشبهان نبيين من الانبياء انا اعرف اسمهما واسماء ابائهما
لو شئت ان اسميهما احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول الدجال الست بربكم احيي واميت فيقول
احدهما كذبت فلا يسمعه من الناس احد الا صاحبه ويقول الآخر صدقت فيسمعه الناس
فيظنون انه صدق الدجال فذلك فتنته وفي مسلم انه يأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون
به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول
ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه
قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول
لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل واما موته ففي مسلم من
حديث ابي هريرة ان الدجال اذا رأى عيسى ذاب كما يذوب الملح في الماء وفيه ان عيسى
عليه السلام يدرك الدجال بباب لد فيقتله وفي صحيح البخاري ما من نبي الا وقد انذر قومه
الاعور وغيره كان السلف يستحبون ان يلقن الصبيان احاديث الدجال ليحفظوها
وترسخ في قلوبهم ويتوارثها الناس ابا عن جد والله اعلم ويشرع التعوذ من فتنته في كل
صلاة وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي الا وقد انذره
قومه ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه انه اعور وان الله ليس باعور
انتهى وعن ابي الدرداء رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات

من اول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من اواخر سورة الكهف وقد تقدم ان جماعة
من اهل العلم وفيهم الشيخ وابن العربي ينكر ان يكون من اهوال اخر الزمان فقال الشيخ
عشرة لكن وجد الا يكون لي ولد فقال ابن العربي ما من نعمة فضل الله بخروجه من جبل الا
حتى احب او كره ولا كراه ان ارحث ان تامر عليهم فياتوا الله في غيرهم ثم تلا قوله تعالى وحرام
الذي لو يكن حرام عليهم الاية ومنها نزول عيسى بن مريم عليه السلام تدل على ذلك الكتاب
والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون الى قوله وانه
لعلم للساعة اي تعلم بنزوله على ان الضمير لعيسى وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
للقرءان وقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته في احد التاويلين فان في الحال
الا ليؤمنن به اي بعيسى قبل موته اي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه ايمانه او قبل
موت عيسى لانه من اشراط الساعة كما ورد في حديث اخر واما السنة فقد روى الشيخان من حديث
انه ينزل من اشراط الساعة وعلى شريعة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويقتل الدجال والخنزير و
يكسر الصليب ويضع الجزية وفي نزوله تكذيب لليهود في زعمهم انهم قتلوه وصلبوه ولذلك
يقتلهم فكان خروجها كما ياتي في الحديث وفي قتله الخنزير وكسره الصليب ابطال لزعم النصارى
انهم على شيء واما قوله فيضع الجزية فلعدم من يؤديها اذ ذاك لكثرة المال بسبب عدل
الناس والقاء الارض تخرج كنوزها كما ياتي في الحديث ولا يكون للناس تنافس في الدنيا ولا
يبقى للفقير ما يملك عموم وانما يكون التنافس في الاعمال البرية كالصلاة ويدل لذلك
قوله في صحيح البخاري بعد قوله ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون
السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها وفي مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة
حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر
فيقول الحجر او الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود
وانعقد الاجماع ان عيسى عليه السلام يتبع هذه الامة المحمدية حين يحاط بعلم نبيه
قبله عن ذلك وفي بعض الاثار انه يتزوج ويولد له لتحقيق البشرية ثم يموت بعد ويدفن في
روضة النبي صلى الله عليه وسلم وخليفتيه رضي الله عنهم اجمعين وفي حديث مسلم انه يمكث
سبع سنين وفي حديث عند ابي داود الطيالسي اربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحمل
ان المراد مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده قال بعض العلماء وورد انه ينزل عند المنارة
البيضاء شرقي دمشق وورد ان الناس في زمانه في امن وخصب فقد اخرج الثعلبي من حديث
ابي هريرة انه تقع الامنة في الارض في زمانه حتى ترعى الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم وورد انه اذا نزل تكون
الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله وتضع الحرب اوزارها وتكون الارض كفاثور الفضة
تنبت نباتها بعهد ادم عليه السلام حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم
ويجتمع على الرمانة فتشبعهم وفي مسلم انه يقال للارض انبتي ثمرتك وردي
بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل

قتله

حتى

حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس
واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس قال القلشاني روي ان الناس يمكثون بعد عيسى
اربعين عاما وقيل عشرين عاما تكميل ورد خبر المهدي في احاديث ثبت ذكر الصحابة وانه
وصلت الى حد التواتر منها قوله صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله
ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملأ
الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وورد انه يكون بعده وليه لفي الخلافة وانه من اهل
البيت من ذرية فاطمة رضي الله عنها ولعله حسني الحسين ويكون ظهوره من البلاد المغربية
ويبايع له عند البيت وان له علامتين لم يكونا منذ خلق الله السماوات والارض ينكسف القمر
اول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف الثاني ويلقى عيسى عليه السلام بعد وانه
اخرج نعيم بن حماد عن ابن عباس قال المهدي شاب يدفع الى عيسى بن مريم قال الشعراني في شرح
العقائد الاصح ان عيسى يصلي بالناس ويقتدي به المهدي لانه افضل فامامته اعظم وقال
السيوطي بعد جلبه الاثار وهذه الاثار تشعر بتاخره الى بعد الالف بما يزيد انظر شرح
المواهب للشيخ عبد الحي العلامة ومنها خروج ياجوج وماجوج وهم قبيلتان و
الاكثر على انهم من ولد يافث بن نوح وتدل عليه الكتاب والسنة قال تعالى حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون وقال تعالى فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان
وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض على ان المراد وعند خروجهم وقيل المراد
به القيامة وبيانه بعد قوله ونفخ في الصور وفي الثعلبي قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان ياجوج وماجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس
قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله اشد ما كان حتى اذا بلغت
مدتهم حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
غدا ان شاء الله تعالى فيعودون اليه وهو على هيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون
على الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء الحديث
وفي مسلم ان الله تعالى يوحي الى عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال اني قد اخرجت
عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج
وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر
اخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى واصحابه حتى يكون راس الثور
لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم فيرغب نبي الله واصحابه الى الله تعالى فيرسل
عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى و
اصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي
الله واصحابه فيرسل الله عليهم طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله
ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها
كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك الحديث ويقال ان الواحد منهم ذكرا او انثى

لا يموت حتى يلي القضا فاذا لم يبق لها كانت علامة موته وانهم ينقلبا جرون في الطرقات كالبط
ويقال ان في خلقهم تشوبها منهم المعرض في الطول كالنخلة وفي القصر كالشبر ونحوه
ومنهم صنف طوال الاذان الواحدة مؤبرة والاخرى عن انيشته في واحدة ويصيف
في اخرى كلفة فيها وتكفيه وجاء انهم يغرلون اذا اخرجوا فقتلنا من في الارض فهلم نقتل
من في السماء فيرمون نشابهم فترجع اليهم مخضبة دما فتنة لهم كما فعل نمرود
وتقديم الاشراط الثلاثة على هذا الترتيب وتعين ها خروج الدابة ويدل له ايضا
الكتاب قال تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم والسنة
ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان لها ثلاث خرجات خرجة بأقطار اليمن فيفشو ذكرها في
البادية ولا يدخل ذكرها مكة ثم تكمن زمانا طويلا وخرجة قريبة من مكة فيفشو
ذكرها في البادية ومكة وخرجة بمكة بينما عيسى ابن مريم يطوف بالبيت ومعه
المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم وتنشق الصفا مما يلي المشعر وقيل ليلة جمع
والناس بين سائر الى منى فيخرج رأس الدابة من الصفا تجري الفرس ثلاثة ايام وما
خرج ثلثها وعن ابن عمر تخرج يمس رأسها السماء ورجلاها في الارض ذات وبر وريش قال
وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير وقال كعب صورتها صورة حمار
وقيل انها تخرج من المسجد الحرام وان طولها ستون ذراعا وورد انه لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وانها تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بالخافقين وان معها عصا موسى وخاتم سليمان
عليهما السلام فلا يبقى مؤمن الا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فيبيض لها
وجهه كانه كوكب دري ولا كافر الا نكتت في وجهه بخاتم سليمان فيسود بها وجهه
حتى يعرف المؤمن من الكافر وعلى هذا فالمراد بالكلم في قراءة تكلمهم بفتح التاء والواو
الوسم بالعظ والخدش وهي قراءة ابي رجاء العطاردي واما على قراءة العامة ما تكلمهم
في كلامها فقيل تكلمهم ببطلان الاديان كلها الا دين الاسلام وقيل تقول يا فلان انت من اهل
الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقيل ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون الا يوقنون
بخروجي اولا الآخرة وامور الدين وقيل تقول الا لعنة الله على الظالمين يعني على هذا تنقطع
الكلام ويختم النعمة وتسود وجهه وتبيض وجه المؤمن قال المحلي وعند خروجها
ينقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما اوحى الله تعالى الى نوح انه
لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومنها طلوع الشمس من مغربها ويدل له ايضا
الكتاب والسنة فعن البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا
اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها ثم قرأ الآية يعني قوله تعالى يوم يأتي بعض
آيات ربك لا ينفع الخ واختلف هل تطلع من مغربها يوما واحدا او ثلاثة ايام ثم
تطلع من المشرق الى يوم القيامة والصحيح انه يمتنع قبول توبة المؤمن والكافر
مختص بمن شاهد الطلوع وهو مميز فما تاب ولم يعمر او ولد قبله ولم يكن مميزا وكان

مع
ونص غير واحد من المحققين هذه الآية
على انه من باب اللف وحذف والتقدير
لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان
ان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه خيرا
فتوافق الاحاديث والآيات [illegible]
بمجرد الايمان ينفع وورث [illegible]
ولو لم يعمل خيرا وبذلك التقرير تندفع شبهة [illegible]
وغيره [illegible] سوى الله بين نفع الايمان وبين الايمان الذي
لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع [illegible]
حاشيته على الكشاف ونحوه للكرماني على البخاري [illegible]
ونحوه [illegible] للطيبي [illegible]
على البخاري [illegible]

تميز ابعدها انه يقبل ايمانه وتوبته وقيل من شاهد الطلوع من بلغه من جمع خطله
بعد لهم تيقن طلوعها من مغربها وقيل طلوعها من مغربها تكون الزلزلة ايا الحركة الشديدة
المشار اليها بقوله تعالى ان زلزلة الساعة الآية وقيل الزلزلة تكون بعد البعث واما
الخسفة الكبرى المختلف فيها فهي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
والدخان بالبعير قال تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس قال ابن عباس وغيره
هو دخان قبل القيامة يدخل في اسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام
وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه وقيل المراد بالدخان في الآية الجوع لما اشتد بهم
راوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والارض وكان ذلك بسبب دعاء النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم اعنا عليهم بسبع كسبع يوسف وخامسها نار تخرج من قعر عدن
تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم
حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا وفي هذا اشارة الى ملازمة النار لهم الى
ان يصلوا الى مكان الحشر وهو ارض الشام وذلك قبل القيامة فتخلو الارض كلها وتنحاز
الناس اليها لكثرة العبر والاهوال ومن يبقى منهم تحوزه تطرده النار اليها وهذه النار
هي آخر اشراط الساعة كما عند مسلم ولا ينافيه حديث البخاري ان اول اشراط الساعة
نار الخ لان آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات واوليتها باعتبار انها اول الآيات
التي لا شيء بعدها من امور الدنيا اصلا بل يقع باثرها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها
فانه يبقى بعد كل آية منها اشياء من امور الدنيا ثم بعد هذه الاشراط يرسل الله ريحا
تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة فلا يبقى على وجه الارض مؤمن ثم ينفخ في الصور فتذهب
ارواح الاحياء ويغشى على ارواح الموتى وروي ان الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات
والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش
ينتظر متى يؤمر بالنفخ ثم ينفخ فيه بعد اربعين سنة كما ورد في الحديث فتنتشر
الارواح بالاجساد وقيل ان النفخات ثلاث نفخة الفزع والفنا والبعث والصحيح
ان نفخة الفزع المشار اليها بقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات
ومن في الارض الا من شاء الله هي نفخة الفنا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان
يصعقوا بدليل قوله في بقية الآية ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فما هنا
للاقوال الا الثانية واختلف في المستثنى في قوله تعالى الا من شاء الله
فقيل الشهداء روي انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل فقال هم الشهداء مقلدون اسيافهم
حول العرش وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا
هؤلاء الاربعة ثم يموتون بعد وروي ان آخرهم موتا ملك الموت فيموت ملك الموت باقلك
الثور وروي ان آخرهم جبريل يقول الله تعالى من بقي فيقول سبحانك وتباركت وتعاليت
يا ذا الجلال والاكرام وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفاني فقال يا جبريل لا بد
من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه ميتا كالطود العظيم وقيل حملة العرش مع
هؤلاء الاربعة او دونهم على خلاف وقيل رضوان والحور ومالك والزبانية وغيرهم

أو مع حملة العرش أيضا وقيل أعفار في النار وحياتها وقيل وهو قول ابن عباس سبعة أشياء
نظمته في بيتين وهما • سبع من المخلوق ليست فانية • العرش والكرسي ثم الهاوية •
• واللوح والقلم والأرواح • وجنة في عرضها تلألأ •
قال البيضاوي بعد حكاية بعض هذه الأقوال ولعل المراد ما يعم ذلك أي وفي القلشاني إن
العلماء اختلفوا فمن قائل يقول تعدم السماوات والأرض والعرش والكرسي والجنة والنار
ثم يعيدها الله تعالى لقوله كل شيء هالك إلا وجهه كما بدأنا أول خلق نعيده ومن قائل
يقول العرش والكرسي والجنة والنار لا تهلك ثم حكى قول ابن عباس المتقدم ويقال
هذه العلامات متصلة أو بعضها قريب من بعض حتى تتصل بالساعة أو قريب من الساعة
وبعدها مجهول لا يعلمه إلا الله تعالى وفي ذلك خلاف قال القلشاني وثلث بلا مهل
ترحل في شهر ولا أدري ماذا تقع بالعادة والقرآن فرجي وضعف ولا ترجى في أول الشهور
أو وسطها أو آخرها ومثله بعضهم بالعقد ينقطع فيتساقط منه خرزة ثم أخرى في إثرها
إلخ ولكن أشراط الساعة مترادفة وورد في الحديث ما يؤيد هذا **تتميم**
قال السيوطي في كتابه الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف رأيت في كتاب العلل للإمام
أحمد بن حنبل قال ثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه حدثني عبد الصمد أنه سمع
وهبا يقول قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة إني لأعرف كل زمان
منها ما كان فيه من الملوك والأنبياء قال السيوطي وهذا يدل على أن مدة هذه الأمة تزيد
على الألف بنحو أربعمائة سنة تقريبا ولا يبلغ الزيادة خمسمائة سنة وجلب أحاديث
مقتضية للزيادة على الألف وأن الدنيا سبعة آلاف سنة وأنه صلى الله عليه وسلم بعث في أواخر
الألف السادسة وما جاء مما يوهم أنه بعث في الألف السابعة محمول على أن معظم
ملته في الألف السابعة ليكون غيره مما يقتضي أنه في السادسة اه وقال شيخ عبد
الرحمن بن محمد الفاسي رحمه الله مثله في نقله واطلع في كتابه الكلاهي عن دانيال النبي
في عمر الإسكندرية عليه السلام صورة لمن أدرك أيام الألف والأربعمائة يبشر بمن هو في
الأمة وهو نص في مقدار الزيادة من أعلى الكلام وهب ومطابق له اه انتهى شرح المراد
وقال الأسيوطي في التأليف المذكور قد كثر السؤال عن الحديث المشهور على الألسنة
أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره ألف سنة وأنا أجيب بأنه باطل
لا أصل له اه نقله العطار في آخر الباب • قوله **لا ريب فيه** أي لا شك فيه إما
بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه بل صرح به على ما تصريفا يتنكر معه التعسف ويثلج له الصدر و
تنزل منزلة ما لا ريب فيه قال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها الآية أو خبر حقيقة
ونزل المنكر منزلة غيره لأن معه من الأدلة ما لو تأمله ارتدع قال الشيخ زروق
يعني لا يدرك الشك لتحقيق أمرها إذ قد جاء بالخبر الصادق فما يدخل الشك فيها إلا
لا ريب فيه في علم الله وما يكنه ورسله والمؤمنين **تنبيه** من مات فقامت
قيامته وفي الأثر ما رأيت يقينا أشبه بالشك من الموت فيقتضي العاقل أن يبقى

فيما يخلصه من حب الدنيا وطول الأمل فيها وذلك بإدامة النظر في وجوه من الآيات
الدالة على فناء الدنيا وسرعة تقضيها ومفارقتها والانتقال عنها وعلى صغرها في النسبة
لما عند الله تعالى كقوله جل وعلا فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز الآية وكقوله
إنما هذه الحياة الدنيا متاع الآية وكقوله مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الخ وقوله
عز من قائل اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية وقوله سبحانه زين للناس حب الشهوات
الآية إلى غير ذلك وكذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كحديث الصحيح الجنة أقرب إلى
أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك وحديث اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة وقال ابن عمر أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن
عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من
صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وقال علي رضي الله عنه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت
الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن
اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل قال الغزالي بذلك إذا تقرر في القلب ورسخ فيه
وطال الزمان لا يعارض أو غالبا تكتسب القلوب أحوالا عجيبة من أعظمها الرغبة عن الدنيا
وفيه من القلق والسآمة من حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة والإقبال على الله
تعالى وبشرة الحرص على رحلة فإن بقدر تذكر انقلاب الدنيا بأهلها وانتقالهم منها إلى الخ
وذهاب لذاتها وبقاء تبعاتها والترح عليها عند الهرم والموت وضرورتك لمونتها
من أن يحصل الإعراض عنها ويقل الحرص عليها وقد اعتنى أبو نواس الفنان مزهدة
الدنيا بما هو معروف به بالخمرة فقال •

• ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم • وأسمت سرح اللحظ حيث أساموا •
• وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه • فإذا عصارة كل ذاك أثام •

وصيرورة العلم بذلك حالة لازمة لا تفارق هو اليقين الذي يقع في كلام أبي الحسن
وغيره أنه أعظم الكرامات وفي الحديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي
حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ويستعان على تحصيل اليقين أيضا
بكثرة المذاكرة تعلموا اليقين فإني أتعلمه اجلسوا بنا نؤمن ساعة وبمخالطة من حصل
له ذلك واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية فأعرض عمن تولى عن ذكرنا الآية والإكثار
من ذكر الله تعالى الذي منه الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
من أحبك فقد أحبني ومن ذكرك فقد ذكرني وبالله التوفيق **غريبة**
في القلشاني يروى عن عبد الله بن مقبل أنه قال لقد رأيتنا أنا ما إذا بال أحدهم
أسرع إلى التيمم مخافة قيام الساعة قبل وجود الماء وهذا الكمال نصرهم بها
اه قوله **وأن الله يبعث من في القبور** هذا أيضا مما يجب اعتقاده بالآيات
منها قوله تعالى ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون وقال فإذا
نقر في الناقور أي نفخ في الصور وهو القرن وقال ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون

مه
قال في الحكم الحثيث المعنى أن تطوي مسافة
الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك
منك وقال أيضا لو أشرق نور اليقين
لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها
ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة
الفناء عليها وقال لا بد لبناء هذا
الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب
كرائمه ما أشار رضي الله عنه إلى تسلية
العبد عما لعله عند توجهه إلى الحق
وسلوك طريقه من حظوظ النفس
وشهواتها لأنه إذا علم أن هذه الأشياء
لا بد أن تزول عنه أو يزول عنها ولو بعد
حين وجد أن ذلك قريب فيغتبط بما يفوت من
مثال أمور الدنيا لك ويكون طيب النفس
بتركه فما جاء الرغبة في الدنيا وإيثارها
على الآخرة إنما هو ضعف اليقين

في الحديث اذا صار العظم رميما ولم يبق الا عجب الذنب فيامر الله تعالى المطر ينزل من
تحت العرش كمني الرجال فينبت الله الخلايق منه كما كانوا اول مرة ويجمع الله
تعالى الارواح في قرن من نور فيه ثقب على عدد الخلايق ثم يامر الله اسرافيل فينفخ
في الصور فتخرج الارواح فتقصد اجسادها ويلهمها الله معرفة اجسادها فيحييها
الله تعالى قال ابن عطية اذ ذاك قيام الساعة تمطر اربعين ليلة حتى تنفلق
الارض عن الهام كما تنفلق عن الكماة والنبات ويخرج الناس فتنشق الارض عنهم فاذا هم
قيام ينظرون ويقول الكافر يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ويقول المومن هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون فيقول الله كلا ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون اهـ
انهم يعرفون بذلك حين يفجاهم الامر وقال تعالى واستمع يوم ينادي المناد من مكان
قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق الاية المناد هو اسرافيل والمكان القريب صخرة بيت
المقدس لانها اقرب موضع من الارض الى السماء يقول ايتها العظام البالية والاوصال
المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء
وقال تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له الداعي في التفسير اسرافيل يدعو
على صخرة بيت المقدس ويضع الصور فيه وينفخ ثم يقول هلموا الى عرض
الرحمن فياتون المحشر من كل الجهات لا يعدلون على الانحراف يمينا ولا شمالا الا كما
قال تعالى كانهم الى نصب يوفضون وقال تعالى ونفخ في الصور ذلك يوم
الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق اي ملك يسوقها الى المحشر وشهيد يشهد
عليها بعملها وهو الايدي والارجل وغيرها وورد انهم يحشرون حفاة عراة غرلا
البالغ والرضيع فقالت عايشة فقلت يا رسول الله الرجال والنساء
ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر اشد من ان يهمهم ذلك ثم تتساقط النجوم
وتكسف الشمس وتنتثر الارض وتدنو السماء فوق الرؤوس وتنشق مع شدتها
وغلظها ثم تسيل كالفضة المذابة ويجتمع اهل السماوات والارض من انس وجن
وتلك شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم موجوعة ويتراجعون لاجل الرد كلامهم
وتدنو الشمس من رؤوسهم وقد تضاعف لهيبها فيجتمع حرها وحر الانفاس
واحتراق القلوب من الحياء والخوف من الافتضاح فيفيض العرق من اصل كل شعرة
على صعيد القيامة ويصيب اهل المحشر منه كل على قدر عمله حتى ان منهم من يلجمه
ومنهم من يصيبه قدر في الصحيح حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا
ويلجمهم حتى يبلغ اذانهم اهـ وتنتشر الدواوين وتنصب الموازين
وتبرز الجحيم وعند ذلك تذهل كل مرضعة عما ارضعت فيقفون كذلك
خمسين الف سنة لا يكلمون ولا ينظر في امرهم حتى ان منهم من يتمنى
الانصراف من ذلك ولو الى دخول النار وعند ذلك يتطلعون من يشفع لهم

في الراجفة

في الراجفة من الخوف الذي عبر لك مما اخبرنا به تعالى في كتابه من اهوال القيامة قال
تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وقال تعالى قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقال تعالى اذا السماء انفطرت اذا السماء انشقت
يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
وقال يوم تمور السماء مورا اي تتحرك وتدور وفي الايات اشارة الى البعث قوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي باطلا لا تحشرون للثواب والعقاب وقوله ايحسب الانسان
ان يترك سدى اي مهملا وفي الحديث انا اول من تنشق عنه الارض واول
من يفيق واشكل مع حديث ان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى
اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى
الله رواه البخاري واجيب بان هذه الصعقة ليست هي صعقة الموت بل صعقة تاتي
تقع للناس يوم القيامة اذا تجلى الله للعرض العام يوم القيامة وهي المشار اليها
قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون نقله
في الحاشية وانظر ما فائدة الاستثناء في هذه الصعقة الكائنة في القيامة حتى يصح حمل الحديث
عليه الا ان يكون المراد بقوله من استثنى الله اي لم يصعق من هذه الصعقة
المراد ممن استثناه في اية الا من شاء الله وتعقبت اعادة المعدوم وقيل هو
تاليف ما تفرق وصحح الاول المحلي واقتصر عليه الشيخ والتعقيب كما في المواقف
وشرحها والسعد وامام الحرمين فالبلاد لا تزال فالحق توقفي على تعين احدهما وفي
الشارح اجمع اهل الحق على رد العوالم باعيانها وانما اختلفوا في الاعراض ثم
ذكر الخلاف المتقدم قال فاذا قلنا بالاعراض فتعاد باعيانها كما تسوق ومن قوله من
يموت يحتمل ان تكون موافقة على العقلاء خاصة كما هو الاصح فلا تتناول البهائم و
الوحش ويحتمل ان تكون واقعة على العقلاء وغيرهم وقوع من ومنا على الجميع
على ما اختلف ويدل له حديث لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة
الجلحاء من الشاة القرناء وورد انه بعد ذلك تصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا وقال ابن العربي فمن اعتقد ان الملائكة حياة واحدة وموت واحد ولقوم بحسب
فرقهم فلهم حياتان وموتتان واحدة ومن عدا ذلك لهم حياتان وموتتان وللادمي اربعة حياة
الدنيا وحياة التكليف وحياة القبر وحياة الحشر اهـ نقله الشيخ زروق وبعض
الحواشي وقوله من يموت يتناول من قبر ومن لم يقبر كما كول السبع والحوت والغريق
والمحروق والقتلى من البعير وكالضاحات لان ذلك خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له
ويتناول ايضا السقط الذي مات بعد نفخ الروح فيه وقد ورد ان السقط ليظل محبنطئا
على باب الجنة يقول لا ادخل حتى يدخل ابواي وقوله كما بداكم تعودون اي فكما
بداكم تعودون والمقصود منه الاستدلال والاحتجاج على من انكر من قدرته تعالى
على البعث اهـ اي كما اعطاكم وكذا انا المعوثون خلقا جديدا الجلي العظام وهي رميم

وهو نظير قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الاية وقوله سبحانه فلينظر
الانسان مم خلق خلق من ماء دافق الاية ونحو من ذلك قياس الاعادة على الابتداء
بجامع العجز بينهما بل الاعادة اهون بحسب جري العادة عند العقلاء كما قال
تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وهو اصرح دليل فوق ان تعالى على
الشيء الوارد في القرآن وثانيها قياس الاعادة على خلق السماوات والارض بطريق
الاولى قال تعالى او ليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقال
تعالى او لم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ولم يعي الاية وثالثها قياس الاعادة
على احياء الارض بعد موتها بالمطر والنبات قال تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون وقال تعالى ونزلنا من السماء
ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد الى قوله كذلك الخروج وقال ومن آياته
انك ترى الارض خاشعة الاية وقال تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا الى قوله
وقال تعالى وهو الذي يرسل الرياح الى قوله النشور ورابعها قياس الاعادة
على اخراج النار من الشجر الاخضر قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي انشاها اول مرة الاية وسبب نزول هذه الاية ما روي ان العاص
ابن وائل او ابي بن خلف او امية بن خلف على خلاف بين المفسرين اخذ عظما باليا
وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ويدخلك النار ووجه الاية انه يجمع بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ
النار ولا النار تحرق الشجر ويعني بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار
فانه يقطع من كل واحد منهما غصن اخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على
العفار فينقدح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب
ولكنه في المرخ والعفار اكثر وقد اشتملت هذه الاية على اكثر الادلة المتقدمة انظر
ابن جزي قال العلماء ويحشر العبد وله من الاعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع له
عضو يعود اليه يوم القيامة حتى الختان كما في الصحيح ولا تغتر بمن نقل عنه
انه لا يعود ذلك من لحية وانثيين فان المضر انما هو النقص عن الخلقة الخ ولا [illegible] واما الزيادة
فلا تنفع قوله وان الله سبحانه ضاعف لعباده المومنين الحسنات هذا
مما خصت به هذه الامة المشرفة كرامة لنبيها صلى الله عليه وسلم وهو تضعيف حسناتهم
فيقبل مولانا سبحانه منهم القليل ويجازيهم بالكثير وهو مما يجب اعتقاده لوروده في
الكتاب والسنة اما الكتاب فقال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي جزاء عشر حسنات وهو
المراد بقوله في اية اخرى فله خير منها وفي قوله من جاء ولم يقل من عمل اشعار بان المضاعفة

عشر ولهذا بالغتم على الصيام واما السنة فاحاديث منها حديث المعراج هي خمس
وهي خمسون ما يبدل القول لدي الحسنة بعشر امثالها وازيد والسيئة بمثلها واغفر
ومنها حديث الشيخين من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هو
هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة
وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هو هم بها فعملها كتبها الله
عنده سيئة واحدة او محاها [illegible] من هذا الحديث ان من العمل الصالح ما لا مضاعفة فيه
وهو حسنة الهم بالطاعة من غير فعل لها لقوله وان عملها كتبها عشر حسنات ومن
هذا الباب تمني الخير لمن قدر الله عليه فانه يثاب عليه اذا بلغ مبلغ الهم وفي صحيح مسلم
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في غزاة فقال
ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وفي رواية الا شركوكم
في الاجر حبسهم المرض ونحوه في البخاري من حديث انس وفيه حبسهم العذر كما يعلم منه ان
ما فعله ومن اتي [illegible] بالسيئة فلا يجزى الا مثلها [illegible] جزاء السيئة مثلها وكما
قال من ان السيئة في رمضان او في مكة والمدينة ليست كالسيئة في غيرها من الازمنة
والامكنة لا ينافيه لان السيئة في تلك متعددة لانتهاك حرمة الزمان والمكان ومن
هذا قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة الاية فان المعصية في نفسها
معصية وضمن [illegible] من اذاية النبي صلى الله عليه وسلم واهله فيه انتهاك لحرمته المتعلقة
به والمتعلق [illegible] واعلم ان الاعمال باعتبار المضاعفة انواع نوع المضاعفة
فيه بعشر كما في الاية ونوع مضاعفته عشر صوم يوم من الشهر لقوله عليه الصلاة والسلام
لعبد الله بن عمرو بن العاص صم يوما من كل شهر ولك ما بقي من الشهر الحسنة بعشر ونوع
عشرين ونوع بثلاثين قال الشيخ زروق في حديث من قال لا اله الا الله كتبت له عشرون
ومن قال سبحان الله كتبت له عشرون ومن قال الحمد لله كتبت له ثلاثون الا انه في هذا الحديث
يقتضي ان التسبيح والتحميد افضل من التهليل والمشهور [illegible] في فضل التهليل وفي
[illegible] الحديث المتقدم صم يومين ولك ما بقي [illegible] ثلاثين [illegible] ونوع
بخمسين [illegible] القرآن فان قارئه له بكل حرف خمسون حسنة لا اقول الم حرف
ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف [illegible] القراءة باعرابه مع معرفة معانيه
[illegible] القراءة مع [illegible] لقراءته والاثابة عليه قاله السيوطي
ونوع بمائة لحديث من قرا القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قراه
في الصلاة فله بكل حرف مائة حسنة نقله [illegible] ومثله من قتل وزغة بضربة فله مائة
حسنة وبضربتين له خمسون حسنة [illegible] ونوع بسبع وعشرين وهو الصلاة
في الجماعة نقله [illegible] ونوع بخمسمائة في الحديث صلاة الرجل في بيته بصلاة
وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة
صلاة رواه ابو داود [illegible] عن انس [illegible] في الجامع ونقله [illegible] والتضعيف في هذا في الحقيقة

باكثير من خمسمائة لانه يحصل حينئذ من الخمسمائة بعشر حسنات والعمل
فتكون خمسة آلاف ونوع بسبعمائة وهو نفقة الاموال في سبيل
الله قال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية وفي الحديث ان رجلا جاء
بناقة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة
سبعمائة ناقة ونوع بما لا ينتهي الى حد وهو الصوم وهو الظاهر في مسلم عنه صلى الله
عليه وسلم والله يضاعف لمن يشاء نقله تت وع وراجع الشيخ زروق على الوغليسية
وانظر ما يقول ابن العربي التضعيف خمس مراتب لا مفهوم لما ذكر فتأمله
انظر بقية الحديث ونحو في التضحية والصوم وانا اجزي به وقيل ايضا فان
علم السلام من تبع جنازة ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ
من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قيراط مثل احد ومن صلى ثم رجع قبل ان تدفن
فانه يرجع بقيراط وقوله في مثل احد في مثل من تصدق بنية او شيء عدله ثوابا
احتمالان ذكرهما العلماء وفي الصحيح من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل
الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي احدكم فلوه او فصيله
حتى تكون مثل الجبل والله غني والفضل العظيم وقد تقدم ان ليلة القدر خير من الف شهر
وقد يقع العمل في بعض ليالي السنة من بعض الناس اكثر مما يعمله ومع ذلك فالعمل
فيها مضاعف بما لا يحصى الا الله عز وجل قوله ضاعف اي كثر لان المضاعفة الزيادة
على اصل الشيء وقوله لعباده المومنين خصهم بالذكر لان اعمال الكفار مردودة عليهم
فضلا عن ان تضاعف لهم قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وقال والذين كفروا اعمالهم الاية وقال الكافر يجازى على حسناته في الدنيا بالصحة
والمال والولد وفي الاخرة بتخفيف العذاب وفي حديث اخرجه البزار وابن
ابي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما احسن محسن مسلم او كافر الا اثابه الله قلنا يا رسول الله ما اثابة
الكافر فقال المال والولد والصحة واشباه ذلك قلنا وما اثابته في الاخرة
قال عذابا دون العذاب وقرا ادخلوا آل فرعون اشد العذاب انظر الاثر
وقيل لا يجازى منهم الا افراد من الناس مخصوصون ورد فيهم النص كحاتم لما نقل
ابن الجوزي وغيره انه لما اتاه ولده عدي قال له صلى الله عليه وسلم ان اباك قد رفع
عنه العذاب الاليم بسبب سخائه وكابي لهب لا انه لما بشرته مولاته ثويبة
بمولده صلى الله عليه وسلم اعتقها فخفف عنه العذاب في يوم الاثنين وورد انه
يسقى في نقرة الابهام كما تقدم وكابي طالب فانه كان يحوطه قال العباس
يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته
في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار واما غير هؤلاء
الثلاثة فاعمالهم مردودة عليهم وظاهر كلام المؤلف حصول المضاعفة للمكلف

وغيره او للمطيع وغيره والاول ان من ذلك مساواة العطاء للمطيع في التضعيف
وسيلة في النص بعد نقل ابن الفضل الخ وقوله الحسنات على حذف مضاف اي جزاء
الحسنات والحسنة ما جر ما علقها الثواب شرعا والسيئة ما ترتب عليها العقاب شرعا وتقدم ما يحتمل
ان حسنة الهم بالحسنة لا تضاعف تنبيه في ذكر الاجور قال بعضهم الاعمال
التي تضاعف على ثلاثة اقسام عمل الابدان وعمل الاموال وعمل القلوب فعمل الاموال هو
الذي يضاعف الى سبعمائة وعمل الابدان هو الذي تضاعف الى عشرة وعمل القلب هو
الذي يضاعف الى ما لا نهاية له نقله في شرح المراصد وغيره فيؤخذ منه ان اعمال القلب مثل الزهد
والقناعة والصبر والرضى والتوكل خير من افضل الجهاد من عمل الجوارح وتامله مع
ما تقدم من عمل الابدان قراءة القرآن على طهارة ونحو ذلك من التضعيف فيه باكثر
عشرة والظاهر انه لا يرجع في مقدار التضعيف في كل حسنة الى ما ورد عن الشارع صلى الله
عليه وسلم الثاني نبه على ذكر الشاذلي في شرح الترغيب والترهيب ان الحكمة في
تضعيف الحسنات انها لا توخذ في المظالم انما هي فضل الله تعالى وانما توخذ في مظالم
العباد من اصول الحسنات فيذهب الاصل ويبقى له تسعة الثالث يتتبع
مثل انواع المضاعفة المتقدمة ونحوها يقال الاجر ليس هو على قدر المشقة في كل
حال بل العمل قد يكون يسيرا ويترتب عليه ثواب عظيم وفضل الشيء عن شيء على ترك ان
فضل الثواب وضعفه على قدر فضل الاعمال وضعفها على الكثرة والقلة ومثال ذلك مثلك قال
كلمة تبلغ ما تبلغ وزنت لها ثقال ذهبا فاتاه انسان بجزء وزنه انسان بربيئة وهو اخف
ماخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة اجرك على قدر نصبك وفي غيره المريد الاجر
على قدر الاتباع ولو كان على قدر المشقة لزم ان يكون شيء من الاعمال افضل من الايمان
والمعرفة والذكر ونحوه افضل اعمالنا وقوله عليه الصلاة والسلام اجرك على قدر نصبك
عام في خاص فيحتج به والله تعالى اعلم وفي السبكي على جامع الترمذي في حديث
والذي نفسي بيده وهو شاق عليه له اجران قال ابن حجر في جامع المسانيد ربما يتوهم
السامع من ذكر الاجرين انه يزيد على اجر الماهر وليس كذلك لان المضاعفة للماهر لا
تحصى لان الحسنة قد تضاعف الى سبعمائة واكثر وانما جزاء معه من حسنة لها
ثواب معلوم فيعاملها بعشر ذلك الثواب الى عشر مرات وليس للماهر فيه اجران
نقله في شرح المراصد وفي شرح البعض الخصم على حديث ما صدقة افضل من ذكر
الله تعالى ما نصه قال الترمذي لا يمتنع ان يكون الذكر مع سهولته الاعمال الشاقة
الصعبة من جهاد ونحوه وان ورد ان افضل العبادات احمزها لان في الاخلاص في الذكر
من المشقة سيما الحمد ما القلب ما يصير به اعظم الاعمال وايضا فلا يلزم ان يكون
الثواب على قدر المشقة في كل حال فان ثواب كلمة الشهادة مع سهولتها اكثر من
العبادات الشاقة اهـ وايضا لو كان الثواب على قدر المشقة على كل حال لشرع
ارتكاب الاشق كلما لكثير الثواب مع ان ذلك منهي عنه في بعض العبادات عند قول

الاموال

المختصر كمختصر نقلا عن ابن الامام ان الله تعالى لم يطلب من عباده المشاق لان الفرض
كله تعظيم وتوقير وليس عين المشاق تعظيما ولا توقيرا وانما طلب منهم تحصيل المصالح
فان لم تحصل الا بمشقة عظم الاجر لاجل الاخلاص ولذلك كان ثواب اشق الفعلين
المتحدين في الاركان والشروط والسنن وغيرها اعظم كالوضوء في شدة البرد بالنسبة
الى الوضوء في الصيف وهذا من الوضوء على المكاره وان امكن حصول المطلوب بدون مشقة
وان اراد فعل الاشق طلبا لزيادة الثواب كالوضوء بالماء البارد مع وجود المسخن كان
غالطا لانه تقرب من المشقة من حيث هي ليست بقربة بل منهي عنه لقوله عليه الصلاة
والسلام ان لنفسك عليك حقا قال بعض العلماء وربما كان في فعله العقاب
على فعل المعصية ثم نقل عن ابن العربي والبرزلي ما يفيد كلام ابن الامام ما نصه وقد
علم ان الله تعالى خص هذه الامة المحمدية بخصائص منها انه لم يكلفهم بما كلف به
غيرهم من الامم مما فيه مشقة فضلا منه تعالى ورحمة قال تعالى وما جعل عليكم في الدين
من حرج وقال تعالى ويضع عنهم اصرهم وذلك كقتل انفسهم للتوبة وقطع موضع
النجاسة من الثوب وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى بعض هذه الخصوصية في الصحيح من
حديث عبد الله بن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما بقاؤكم فيما سلف
قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا
حتى انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا
الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس
فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين
واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن كنا اكثر عملا قال الله هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا
لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء اهـ قوله **وقطع لهم بالتوبة عن كبائر**
السيئات هذا مما يجب اعتقاده وهو تكفير الكبائر بالتوبة لورود ذلك في
الكتاب والسنة اما الكتاب فقال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية وقال
تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم
التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقوله لو عملتم من الخطايا حتى تبلغوا عنان السماء
ثم تبتم لتاب الله عليكم واعلم ان الظاهر ان التائب من الذنب مغفور له قطعا
الا في وقت الغرغرة او عند طلوع الشمس من مغربها ولعل مراد القائلين بان قبول
التوبة ظني ان شرط القبول الاخلاص ولا يتحقق احد من نفسه بالنسبة للاعمال
فهو دائما بين الخوف والرجاء لان الانسان مطلوب باتهام نفسه وعدم الثقة بها
وتزكيتها وفي القرآن العظيم اشارة لهذا المعنى قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا
ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان في الاتيان بلعل وعسى المفيدتين
للترجي اشارة الى ما هو المناسب لحال العبد من ملاحظة الخوف والرجاء دائما

ان كلا منهما باعث على العمل الاكثر تعرض له ان اصلاح الكريم التزام ولذلك كان تفضلا
وعفوا من الله تعالى لا للوجوب والحاصل ان الذنب يعفو بخلاف التوبة فان من وجدت
توبة مستكملة الشرائط منتفية الموانع فلا نقول اصلا بان عمله يذهب باطلا قال
تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والتوبة من اعظم
الحسنات نعم في توبة المؤمن العاصي واما توبة الكافر من كفره وهو اسلامه فالاجماع
على انها مقبولة قطعا لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي
القطع بقبول توبته مع لباب الايمان وشروط البيع في عدم القطع بتوبة المؤمن بقاؤه
بين الرجاء والخوف ليشتغل بالعصيان ويضع منه. والصفح التجاوز والاعراض صفحت
عن ما اذا اعرضت عن ذنبه والضمير في قوله لهم للعباد لا بقيد كونهم مؤمنين لقبول توبة
الكافر والتوبة لغة الرجوع يقال تاب وثاب واناب واب اذا رجع واما شرعا فتنتظم
من علم وحال وعمل كما قال بعض في مقامات اليقين فاما العلم فان يشرق في القلب نور يعلم به ان
الذنوب كلها وهو ابعد اجمعها عن الله تعالى وسره وان مصيبه البعد وانه لا يجاوز معها
من الله الا البعد. ايها المسرف والمداوم على الذنب: صرخ ان لم تعصمك من النار ... بكم سوء انه
هذا الذي هو حتى لكم ينتصر منه ... وبورك به فتح المغلق وانه نحو قائلة عنه
هفوة عن رضوان الله موجبة مقته بالعمى وتخصيصه عليه وعن ابن ... الامر بين
بان من لا يحتمل حر الشمس واللحظة تنتهي في فرض نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع
مع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار
الغضب والبوار كما قيل

فيا عجبا للنار حشمك لين • بحر بنته تمتنا بحر الظهيرة •
وذرخه في اللسع الزنا تجترية • على انفسهم حيات هناك عظيمة •
فان كنت لا تقوى على نقطة ما الذي • دعاك الى اصطلاء النار الابدية •

وفي البخاري من حديث النعمان بن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان اهون
اهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه اهـ و
نظر قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الاية وقوله يود المجرم لو يفتدي
الخ واما الحال فما ينشا عن العلم بما سبق ونحوه اذا تذكره الحزن على قلبه من الشرع
والاسف والتلهف وتمني انه لم يكن وقع في ذنب من الذنوب واما العمل الناشئ عن
هذه الحال فهو العزم على ان لا يعود والاقلاع في الحين فالتوبة هي تقرر النفس عن المعصية
فينبني على ذلك الندم على الماضي والعزم على الترك في المستقبل والاقلاع في الحين وتلافي
ما يمكن تلافيه من حقوق الله وحقوق عباده لانه اذا لم يتلافه لم يقلع اذ
ما من وقت الا وهو عاص بترك التلافي وكذلك النور المشرق في القلب الذي هو
السبب فيه هو التفكر فان التفكر في ذلك يكسبه علما واذا احصل العلم في القلب تغير
حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت احوال الجوارح قال بعضهم اذا هو اطلاق الاصول

اي الاقلاع

ومفتاح الخيرات ولذلك حكمت عليه آيات القرآن العزيز في غير موضع كما تقدم والحاصل
ان الندم ثمرة العلم واصل للعزم على عدم العودة والاقلاع في الحين فله ارتباط بكل منهما
فلذا قال عليه السلام الندم توبة فاقتصر عليه وانما الندم هو روح التوبة وسرها
كالاحكام بالنسبة للاعمال ويكون الحديث نظير قوله الحج عرفة ها نرمك وذلك
وانكسار قلبك واحتقارك لنفسك هو الذي اوجب لك الرحمة من ربك انا عند المنكسرة
قلوبهم من اجلي ولقد نصح الله يبين وانتزاح لته انما الصدقات للفقراء اذ قد انقطعت
الاسباب من بين يديك وانقطع تشوفك الى فعلك ونظرك الى علمك وعملك فلم يبق لك الا عيان
الاعلى بفضله واحسانه وكرمه وامتنانه او طلب العبد الى الله تعالى افتقار اليه واشد
احوال المؤمن ما يرده اليه ويقبل به عليه كما قال في الحكم خير اوقاتك وقت تشهد فيه
وجود فاقتك وترد الى وجود ذلتك وفي الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفي التوراة
اذا احب الله عبدا نصب في قلبه نائحة واذا ابغضه نصب في قلبه مزمارا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة وقد قال ارباب القلوب من شأن
تدل على سعة رحمة الله بعبده المؤمن ان كان عاصيا وهو قوله صلى الله عليه وسلم
ان الجاهل اذا قال يا رب والعالم اذا قال يا رب والعاصي اذا قال يا رب لبى الله تعالى
كل واحد منهم مرة والعبد العاصي اذا قال يا رب لباه المولى ثلاثا فتقول الملائكة ربنا
لبيت هذا واحدة ولبيت هذا العبد ثلاثا فيقول الكريم الجواد الرحيم الجاهل
نادى واشتغل بجهالته وكذلك العالم اشتغل بعلمه والعاصي بحجه والعبد العاصي
اتى الى ربه بتوبة منكسرا قلبه وانا جابر القلوب المنكسرة رحمان الدنيا والآخرة
اهـ ولهذا قيل رب ذنب ادخل صاحبه الجنة وقال ابن ابي الحواري ان الرجل يحدث الذنب
فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس يا ليتني لم اوقعه فيه وقال ابن عطاء الله
المؤمن في انكسار العاصي خير من صولة المطيع وقال في الحكم ربما فتح لك باب الطاعة
وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول وقيل
معصية اورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا وانظر شرح
ابن عباد رضي الله عنه وحقوق الله التي يجب تلافيها كالصلاة والصيام
والزكاة وكفارات الايمان والحج على من استطاع وغير ذلك بخلاف
الفرار من الزحف وغير ذلك وشرب الخمر ونحو ذلك وحقوق العباد
خمسة مالية وعرضية وبدنية ونفسية ودينية فيما اما المال فيجب
رده او التحلل منه باتفاق والوارث يقوم مقام المورث واما العرض
فعلى المشهور يجب التحلل منه ان تحقق منه ضرورة والا فلا البيت الورثة
ان لم يكن لهم تعلق به وينبغي المظلوم التحليل مالم ... فيهم البحث في
بذلك وقد قال ابن ... [illegible] لا يكون ... ان ...
شيئا رحمه الله وقال ... الاستغفار ويعني والله اعلم ...

نبزال

اولنما

٨٥

اولنما هو استغفار وقد ذكر ميمون بن مهران اخر كتاب انا بعد وكان كاتب عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنهما ان من استغفر لمظلومه في دبر كل صلاة خمسا وعشرين خرج
من حقه في العرض والله اعلم واما البدني كجرحه وتفريعه وتعنيفه فيحتاج فيه الى القول
الا ان يتأتى تمكينه من نفسه والاقرار بين يديه تلافيه والمؤمن كسير وقلبه حزين وابواء فيعفو
عنه بعد العفو والسلام واما النفسي فهي النفس ان لم يتعلق به مال القتل
وان تلاف النفس بعضها وظاهر الاحاديث انه لا يمكن من نفسه ومال ابن رشد
قال ابو سعيد ان يعتق او يحمل نفسه على الجهاد ونحوه كما قال له وهو مذهب
الجمهور ان توبة القاتل مقبولة ويدل على ذلك قصة الرجل الذي قتل مائة الا واحدا
واما قوله تعالى فجزاؤه جهنم خالدا فيها فمؤول واما الدين فيتعين فيه ايضا
بما ذكر من الخطر والاستحلال ونحو التكبير في قطع الشرفة واما الحد فيه
فما الابوجها من الاستحلال منه الا ان يخشى الفتنة ولا يصح ذلك الا فيه قذفا قط الا يحل التحلل
منه بحال انظر شرح الوغليسية للشيخ زروق رضي الله عنه وقيل ان تلافى ما يمكن
تلافيه غير شرط فاذا لم يفعله فتوبته صحيحة وذلك ذنب اخر تلزمه التوبة منه واما
الاستغفار فليس من شروط صحة التوبة وانما هو من شروط الكمال قال الشيخ زروق
في باب الحل وحقيقته طلب الستر على الذنوب وعدم المؤاخذة بها ثم ان كان مقرونا بالتوبة
فهو كمال الاستغفار وان لم يقترن بها ولكنه مع الندم والانكسار فهو استغفار
الفقهاء وان لم يكن معه واحد منهما فهو استغفار الكذابين وهو الذي قالت رابعة
العدوية رضي الله عنها انه يحتاج الى استغفار كثير والله اعلم وقد ورد في الاستغفار
فضل كثير من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا
ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب الحديث اهـ واعلم ان التوبة
واجبة على الفور فتأخيرها ذنب اخر تجب التوبة منه وابطال تأخيرها الموت
وان استغفار عدم صحة العزم وانك تعود الى الذنب ولا تثبت على التوبة
وهو من غرور الشيطان فلا ينبغي ان يمنعك من التوبة ولعل ان يؤدي الكذب
الى الصدق وعسى ان تموت تائبا فبان ان تعود الى الذنب فقال في الحكم اذا وقع
منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون
ذلك اخر ذنب قدر عليك فان عدت الى ربك فقد غفرت ذنوبك الماضية ولعنت
حلاوة الامام اخر شيء الا قد فاصدت له توبة فانه لا ينفعك من تكرار التوبة
الاستواء النظر بالله والايمان الله تعالى لا يتعاظمه ذنبا يغفره وفي
الخبر ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وقيل كل ابن ادم
خطاء وخير الخطائين التوابون وورد ان الله يحب كل مفتن تواب يعني
كثير الذنب كثير التوبة فقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد
قيل للحسن البصري الرجل يذنب ثم يتوب الى متى قال ما ادري هذا الا من اخلاق

تقفية

فما كان مع الندم على ما فات وعزم على ان لا يعود او مع الندم على ما فات والغفلة عن العود وعدمه فهو صحيح وما كان مع اعتقاد انه يعود فلا عبرة به لانه كالمتلاعب بنقض صحة التخلص من الذنب والتصميم على فعله ينقض كلفه

المومنين وقال طلق بن حبيب حقوق الله عز وجل اعظم من ان يقوم بها العبد
ونعمه اكثر من ان تحصى او يبلغها الا الاستغفار ولكن امسوا تائبين واصبحوا تائبين
اه وقال قتادة ان القرءان يدل على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم
فالاستغفار ومن فتح سبحانه على خلقه باب حسن الظن به فقال قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الاية وقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقال انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم
تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقد
رجع بذلك كثير من الخلق بعد شرودهم عن الحق كابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض ومالك
بن دينار وابن المبارك وبشر الحافي وابي بكر الشبلي وذي النون المصري وغيرهم من اولياء
الله من عظيم الجنايات فبدلوا انما هم القشيري لا استغفار بذلك فلذلك فيهم
اسوة في حسن الظن بالله تعالى وروي ان شابا نظر الى مرآة فاذا هو بالشيب في
لحيته فبكى لذلك فقال اللهم اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة
فان رجعت اليك تقبلني فسمع صوتا يقول احببتنا فاحببناك وتركتنا
فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وفي البخاري عن الحارث
بن سويد قال حدثنا عبد الله حديثين احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والاخر
عن نفسه قال ان المومن يرى ذنوبه كانه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه
وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا قال ابن شهاب بيده
فوق انفه ثم قال لله افرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه
راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد
ذهبت راحلته حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال
ارجع الى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع راسه فاذا راحلته عنده اه
وعبد الله هذا هو ابن مسعود والذي عن نفسه قوله ان المومن الخ والذي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قوله لله افرح الخ قال في الحكم لا يعظم الذنب عندك
عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في
جنب كرمه ذنبه قال الشيخ ابن عباد في شرحه اي فمن عرف ربه للعفو واثر فيه حتى
يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر له فقال في التنوير
اعلم ان الله لا يرى في مملكته من عباده من نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة
ووقوع الشفاعة والعفو وابهم ما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لو لم تذنبوا لخشيت عليكم وقوله شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء
رجل الى الشيخ ابي الحسن فقال يا سيدي كان البارحة عملت من المنكرات
كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا
كانك تريد ان لا يعصى الله في مملكته من اجل ان يعصى الله في مملكته

تقرا عليه ان لا تطمع في مغفرته وان لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم
من مذنب كثرت اساءته وذلة في العفو اوجبت له الرحمة من ربه وكم له راحما ويغفر
اياديه وان عصى عاملا اه وقال في الحكم ان طاعته استغربها الا ان يغفره الله من شهوته
وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز قدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا
وفي كتاب المجالسة من طريق المزني قال فارق الزهري اهله ما استوحش من ذلك
وهام على وجهه فقال له زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما يا زهري قنوطك
من رحمة الله التي وسعت كل شيء اعظم عليك من ذنبك فقال الزهري الله اعلم حيث يجعل
رسالاته فرجع الى اهله اه والراغبة العظمى والمصيبة الكبرى هي
عدم المبالاة بالتشمير على فوات الطاعة وعدم الندم على ارتكاب المعصية واستعظامها
فقال في الحكم من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك
الندم على ما فعلته من وجود الزلات وسبب ذلك اهمال النظر في العواقب وترك
الفكر في المعاد وما يتضمنه من الوعد والوعيد والاعراض عن التدبر في مقتضى العقوبة
وعظمة الربوبية مع انك مملوء بشواهدها والكون الذي انت فيه مملوء بادلتها
وبراهينها وبالله التوفيق الثاني في تاجيل العقوبة وعدم المعاجلة
بها في الدنيا فيغتر بالمهلة ويحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من
المكر الخفي ومن امارات الاستدراج قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى
تماديهم وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم اسباب العافية وانواع
الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا الله عليها اخذناهم
بغتة اي فجأة فاذا هم مبلسون اي ايسون من كل خير وقال
تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عطاء كلما احدثوا خطيئة جددنا
لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة وفي حلية الحلواء وروى احمد
عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد من الدنيا
على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج وتلا قوله تعالى فلما نسوا الاية وقال
في الحكم خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه ان يكون ذلك استدراجا
لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال ابن السماك في بعض مواعظه لقد
امهلك حتى كانه اهملك ولقد ستر حتى كانه قد غفر وبهذا كان السلف
رضي الله عنهم يستوحشون اذا فتح عليهم عام لم يطيبوا فيه بنقص في مال او اهل
وقيل للمؤمن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يبطى بنكبة وكانوا
يكرهون فقد ذلك في هذا العصر ويقولون ما ارانا الا عجلت لنا طيباتنا في حياتنا
الدنيا ومن هذا القبيل ان بعض الظلمة يكون منهمكا في الفجور غير مستفيق عنه
ولا تائب من غافية مصرا عليه مصمما على البقاء وهو مع ذلك يذكر الله او يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ويرى ان ذلك يكفيه مع ان هذا استخفاف بذكر الله

ورسوله موجب لخلو انفه من التعظيم فدل على تناهيه اثر الخوف وهو معرض للهلاك
اللات يتداركه الله وقد ذكر هذا حجة عليه كالقوم الذين يقرؤون القرآن ولا يجاوز
تراقيهم وفي حديث ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام قل للظالمين لا يذكروني فاني آليت
على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة وجاء رب قارئ للقرآن والقرآن
يلعنه وفي الاحياء مثل التالي اذا قرأ القرآن وكرره وقد درس بعض كتاب الملك
في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة
كتابه ولعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد من الاستهزاء واستحقاق
المقت اهـ وقال الفشتالي في شرح حزب سيدي ابي الحسن سبحان الله العظيم ما
هذه الفضائل الواردة في التسبيح ونحوه كما قال ابن بطال وغيره انما هي لاهل الشرف
في الدين والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام فلا يظن ظان ان من ادمن الذكر
واصر على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته انه يلتحق بالمطهرين المقدسين
ويبلغ منازلهم بكلام اجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح اهـ بلفظه وفي
الكتاب العزيز ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات الآية تنبيه طول الامل وتقول سوف اتوب وفي الايام فسحة وانا الان
شاب وسني قليل وهذا بطر من الاغترار قال ابو حازم رضي الله عنه الدنيا ثلاث ساعات
ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة لا تدري اتملكها ام لا اهـ فبادر في هذه الساعة
بالتوبة قبل ان تفوت ولعلك في الساعة التي بعدها تموت وعليك بتقصير الامل
وتقريب الموت المحقق حصوله كأنه قد حصل وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم الا
يا اسامة اما تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله
ما وضعت قدما فظننت اني ارفعها ولا لقمت لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني الموت
والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقد ذكر الغزالي ان طول الامل
هو الداء العضال الذي يوقع الخلق في انواع البليات فان من طال امله قلت طاعته
وتاخرت توبته وكثرت معاصيه واشتد حرصه وقسى قلبه وعظمت غفلته عن العاقبة
اهـ وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح
الشيطان بيده على وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وقد روي ان ابليس قال اذا ظفرت
من ابن آدم بثلاث لم اطلبه بغيرهن اذا اعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه اهـ
وانظر قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد الآية قال
تنبيه ذكر الشيخ زروق في النصيحة الكافية ان من عسرت عليه التوبة فليكثر
من قراءة اذا جاء نصر الله ومن عسر عليه قيام نفسه فليكثر من قراءة حسبنا الله
ونعم الوكيل ومن اراد الاخلاص فليكثر من قراءة قل هو الله احد ويكثر سيد الاستغفار
دائما وفي قول المصنف هنا وصح لهم بالتوبة وقوله وغير ما ذكر ذلك لتبين
ان الصغائر كالكبائر لا تكفرها الا التوبة او عفو الله تعالى وما ورد في الاحاديث

مما يقتضي تكفير الوضوء بالاعمال الصالحة فهو محمول عند الفضلاء على حملانا ورد مطلقا
على ما ورد مقيدا في حديث الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر قال
الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهذا في حق من له كبائر وصغائر ومن ليس له الا صغائر
كفرت عنه ومن ليس له الا الكبائر خفف عنه منها بمقدار ما لصاحب الصغائر ومن ليس
له صغائر ولا كبائر يزاد في حسناته بنظير ذلك اهـ من كتاب الطهارة وانظر شرح
المحقق الصغير في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر في المسألة من
الخلاف وان مذهب جماعة تكفيرها بالاعمال الصالحة وقال العلماء في تفريع
الفلوي بالفضل اليوجد ما تقدم وما تأخر من الذنوب ما نصه ما تقدم من عموم تكفير
الكبائر فهو مما عرفت ان فيه ما فيه ووقع بين العلماء اختلاف فيه هل يكفر الصغائر والكبائر
او الصغائر فقط وهل يسقط التبعات اولا ورجح الاول ابن حجر انه يكفر الصغائر
والكبائر وفي كلام ابن حجر ميل الى انه يسقط التبعات ايضا للاحاديث الصحيحة
في ذلك اهـ وقال الشيخ زروق في الحديث ان الله غفر لاهل عرفات وضمن عنهم التبعات
وهو حديث صحيح اهـ قوله وغفر الصغائر باجتناب الكبائر نص القرآن
بما وقع به الوعد قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال
تعالى ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم
واللمم وهو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة تغفر باجتناب الكبائر
وظاهره سواء اجتنب الكبائر بقصد الامتثال ام لا وقيل يشترط قصد الامتثال بل ان
وفهم من هذا ان الصغائر لا تفتقر الى التوبة وهو خلاف ما يفهم من قوله ان
التوبة فريضة من كل ذنب ولذلك قيل بعض من الصلاة قولان وقيل معنى ما
هنا اذا كانت الصغيرة من متعلقات الكبيرة كالقبلة والملامسة وغيرها من مقدمات
الزنى فاذا اتت عن الزنى غفرت مقدماته ومعنى ما في اخر الكتاب ان كانت
الصغيرة على انفرادها فهذه ثلاثة اقوال في الصغائر واختلف هل غفران الصغائر
باجتناب الكبائر قطعي وهو لجماعة الفقهاء والمحدثين او ظني وهو للاصوليين
قالوا لانا لو قطعنا بذلك لكانت لهم في حكم المباح وهو نقض لعرى الشريعة
وبحث فيه القلشاني بانها لا تكون كالمباحات الا اذا سقطت المؤاخذة بها
على كل تقدير ونحن نقول مرتكب الكبائر يعاقب على الكبائر والصغائر معا فاذا اجتنب
الكبائر انبعث على مجاهدة نفسه بتكفير الصغائر فهو وقوع في ورطة الا انه
عرف له مجاهدة نفسه في ترك الكبائر وفاعل المباح لا يقال وقع في ورطة اصلا ونحو
عبد المشتكي عن الخفاف فالملاح ذلك لا يلزم لان الاشتراك في الشيء لا يوجب
التساوي في الصفات واعلم ان الصغائر تصير كبائر بالاصرار ولذلك قيل لا صغيرة مع
اصرار ولا كبيرة مع استغفار واحتقارها واستصغارها والفرح بها والتحدث
بها على وجه الافتخار وبالاتيان بها مجاهرة من غير حياء ومن صدورها ممن يقتدى

بذا انظر البناني تنبيه منهم من المحيم ان الذنوب كبائر وصغائر وهو مذهب
الجمهور وعليه فاختلف فيما تمتاز به الكبائر عن الصغائر على اقوال منها
انها تمتاز بالعد قال القلشاني قال بعضهم استقريت من جميع الاحاديث انها
سبعة عشرة اربعة في القلب الشرك بالله والاصرار ثم مكر الله والاياس من رحمة
الله والاصرار على الذنب وثلاثة في البطن اكل مال اليتيم واكل الربا وشرب الخمر
واربعة في اللسان الكذب وشهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس و[illegible]
واثنان في اليد القتل والسرقة واثنان في الفرج الزنى واللواط وواحد
في الرجل الفرار من الزحف وواحد في جميع البدن وهو العقوق وزاد بعضهم
السحر ونقض العهد وقطع الرحم وترك الصلاة ومنع الزكاة والغلول والحيف
في الوصية وقال ابن عباس هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى سبعمائة اقرب
ولهذا قالوا ان تسميتها في الحديث بالسبع الموبقات لا يدل على حصرها في سبع
فقد ورد في حديث الموبقات الشرك والسحر والقتل واكل مال اليتيم واكل
الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات قال القلشاني وورد في اخر عقوق
الوالدين والاستحلال ببيت الله الحرام وفي اخر وشهادة الزور وفي اخر [illegible]
الرجل والرفيه وكان عليه السلام يجيب بحسب المقام وللبعض في السبع الاول

• شرك وسحر وقتل نفس قذف • اكل الربا مال اليتيم الزحف •
وللامام سيدي محمد ميارة مما زاد القلشاني •
• عقوق استحلال بيت الله • زور وشرب والرباط هي •

وانظر بقية الاقوال في جمع الجوامع وفي الشيخ زروق والقلشاني والتتائي ومقابل
قول الجمهور ان الذنوب كلها كبائر وما سمي منها صغيرة فبالنسبة لما هو اكبر
منها قال سعد الدين في شرح النسفية وقال صاحب الكافية والحق انهما اسمان
اضافيان لا يعرفان بذاتيهما فكل معصية اضيفت الى ما فوقها فهي صغيرة وان
اضيفت الى ما دونها فهي كبيرة والكبيرة المطلقة هي الكفر اذ لا ذنب اكبر
منه اهـ باختصار وقال الغزالي بعد ان قرر ان الكبائر والصغائر من ابطالها فما
من ذنب الا وهو كبيرة بالنسبة لما دونه صغيرة بالنسبة لما فوقه والضبط في
معرفته متعذر وعد جامع مانع كذلك لا يمكن الا بالسماع من الشارع ولم
يرد نص بحصرها بل ربما قصد الشرع ابهامها ليكون العبد منها على وجل وخوف
كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها اهـ بنقل شرح المواصر واورد
ان [illegible] في هذا تشنيعه على ما قاله صاحب الكافية انه مخالف للاية ان تجتنبوا
كبائر الخ لانه بالنظر الى ان الكل كبائر يقال فيما الذي يكفر وبالنظر الى كون الكل
صغائر يقال فيما الكبائر التي تجتنب فان قيل المراد بالكبائر في الاية جزئيات
الكفر فاذا اجتنبت كفر ما عداها قلنا تكفير ما عداها متعلق بالمشيئة لما

شيئا والانسان الكريم القتل والزنى والسرقة بمجرد اجتنابه المسلم الكفر وافعال
البر كان اهـ وكتب عليه بعضهم ما نصه يمكن ان يقال تغفر الصغائر المغفورة يعني
ما كان مغفرته الكبيرة كالقبلة بالنسبة للزنى كما قيل فان كف عن الزنى بعد التمكن
منه غفرت له تلك الصغيرة وانظر هل يدعى ان الاظهر في الاية مجاز شرط لذلك
ان يجوه المعصي المنهي عنه لا كبيرة ان اجتنب غفرت صغيرته ومن قرف كبيرة بلا
[illegible] والله اعلم وعلى تقرير الخلاف يصح اذ كون الذنب مغفورا بالتشكيك على
[illegible] محل الانكار وافل وليس معنى تقسيمهم الصغائر وكبائر الا ذاك والله اعلم
وقوله وجعل من لم يتب من الكبائر امره الى مشيئته لما اخبر رحمه الله
ان التائب مغفور له سواء كان مسلما او كافرا اخبر هنا ان من لم يتب من الكبائر
اذا كان من المؤمنين بدليل ما بعد في مشيئة الله سبحانه ان شاء عفا عنه وان
شاء عاقبه ثم ادخله الجنة بعد ذلك واما من لم يتب من الكفر فهو من اهل
النار حتما ومن روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت الدواوين ثلاثة ديوان لا
يغفره الله وهو ديوان الشرك بالله تعالى وديوان لا يتركه الله وهو مظالم
العباد فيما بينهم حتى يقتص لبعضهم من بعض او يرضي الخصم من فضله وديوان ان
شاء غفره وان شاء عذب عليه وهو ما بين العبد وربه نقله القلشاني في الكلام
على مسألة الميزان تنبيه فهم من النص انه لا يقطع لعاص معين بالنار كما لا يقطع
لطائع معين بالجنة فلهذا كان الامر عينيه الشرعية فلا بد في الايمان من الجمع
بين الخوف والرجاء • فحق كل مؤمن كيفما كان وعلى اي حال كان ومن عن تعالى اوامر
وبذلك جاءت انبياؤه ورسله عليهم السلام والاحاديث شفقة خلقه قال تعالى
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم الاية وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم الاية وقال نبئ عبادي من الاية فليس في بيان من شيء وكل امر معلوم من اشياء بعينها
والاعمال وان كانت علامات بشهادة حديث اعملوا وكل ميسر لما خلق له لا انه العلامة
قد تتخلف بدليل صريح هذا الحديث وهو قوله عليه السلام ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى لا يبقى بينه وبينها الا شبر او ذراع فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان العبد
ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها الا شبر او ذراع فيعمل بعمل اهل الجنة
فيدخل الجنة قالوا يا رسول الله اذا نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا وكل
ميسر لما خلق له فمن كان من اهل الجنة فسييسر لعمل اهل الجنة ومن كان من اهل النار
فسييسر لعمل اهل النار متفق عليه ويكون الاعمال علامات اغلبية لا كلية فيستدل بها
على العاقبة ولا يستدل الى القطع اكد تغلب الناس من الشر الى الخير اكثر من العكس
بمقتضى قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي قاله عياض ثم من الناس من غلب عليه النظر
الى الاعمال فيغلب عليه الاحوال تارة يغلب خوفه على رجائه وتارة بالعكس ومنهم
من غلب عليه النظر الى الفضل والعدل فاستوى خوفه ورجاؤه لان اتصافه تعالى

وفي حزب الشاذلي رضي الله عنه وقد ابهمت الامر علينا لنرجو ونخاف

وفي الحكم من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل

بصفات الجلال اليسير بأو أو ريح الرجاء بصفات الجمال وبالعكس ومن هنا قيل لو
وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وإن المؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين
جناحيه وروي أن عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا
ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله تعالى رجاء
ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك وقال عمر رضي الله عنه لو
نادى مناد كلكم في الجنة إلا واحدا لخفت أن أكون ذلك الواحد ولو نادى مناد كلكم
في النار إلا واحدا لرجوت أن أكون ذلك الواحد وقسم من المص أيضا من لم يصغ
وكبائر إذا لم يتب منه إما أن يعاقب عليه أو على الكبيرة فقط أو على الصغيرة فقط وفي
العلم الأصغرة إذا قابلك عن له ولا كبيرة إذا والحق فضله فعلى المؤمن أن لا يحتقر
من الذنوب شيئا روي أن محمد الباقر قال لابنه يا بني إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة
أشياء خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئا فلعل رضاه فيه وخبأ
سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئا فلعل سخطه فيه وخبأ
أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحدا فلعله ذلك الولي انتهى وإلى هذا الوجه أشار
بعضهم • فلا تحقرن خلقا من الناس علّه • ولي إله العالمين ولا تدري •
• فذو القدر عند الله خاف عن الورى • كما خفيت عن علمهم ليلة القدر
ثم أشار المص إلى الاستدلال على حكم كل من الفريقين الكفار وعصاة المؤمنين بقوله تعالى
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية المنبهة على تفرقة
بين الباقية والمضادة والمناقض من الكفر فهو من تحكم المخلوقين حاصلا
الغاية لا أنه إذا اشتغل بتصفيته إلى أن جاءه الموت وهو على ما عليه وأن في غاية
الضعف فقد تسلم له ذلك القدر وهذا هو المناسب لحال المؤمن والثانية بعد الكلام
من قوله تعود الوعيد في كلام حال إلى أنه من أهله وإن كان في المشيئة لأنه
أخبر الشرع بأن المرتكب للكبائر من أهل ذلك ومن العقاب تعود الوعيد
بطائفة من عصاة المؤمنين والعمومين طائفة منهم وتسبيحاتهم عن قول النص اعتمده
الأمم وجماعة حديث من يقال له يفتح عليك في الدنيا إلخ وحديث أن لنبيك
سفر أنه حسنات وفي البخاري من حديث أبي هريرة يدخل الجنة من أمتي زمرة هم
سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر الحديث وفي رواية ولا حساب
عليهم ولا عذاب وفي رواية مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات
ربي وفي أخرى مع كل واحد سبعون ألفا وفي رواية متماسكين آخذ بعضهم
بعضا حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وقد مثل بعضهم في الحديث بأنهم الذين لا يكتوون ولا
يسترقون إلخ ثم كلام المص مقيد بما إذا لم تكفر الكبيرة بغير التوبة كالحج [illegible] أنه يكفر
إذ المعروف جواز أن تكون الكفارات زواجر وكذا الحج فإنه يكفر الكبائر لقوله [illegible]
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أما الصغائر فجاء بتكفيرها وأما الكبائر فعلى الأصح

على ما يليق وابن حجر وأما التبعات فقال القرافي لا يسقطها الحج وظاهر كلام
ابن حجر وغيره إسقاطه إياها للأحاديث الواردة في ذلك انظر حج وتقدم نقل الحطاب
وكنانة تقي في الفلوع ونص الشيخ زروق ومقتضى النظر أن يكون من ضمن له الجنة بعمل
تعالى وكأهل بدر وبيعة الرضوان قاله في الفواكه قال القرطبي أنهم الذين
على أعمال أهل الجنة البراءة فأمنوا الدنيا ولو قد حضروا شيء من أهوالها بلغت لأن التوبة
والتزم الطريقة المثلى وبعد ذلك يا قطع من اطلع على سيرتهم وهذه الآية التي استدل
بها المص هي الحاكمة عند أهل السنة على غيرها من آيات الوعد والوعيد ولولا ذلك
في الواقع قوله تعالى لا يصليها إلا الأشقى الذي كذب وتولى إن الحصر مؤول وإن المراد
يصليها على الخلود لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيستفاد استدلال
المرجئة بها على أنه لا يضر مع الإيمان ذنب وأن كل مؤمن مغفور له وأن آيات
الوعيد خاصة بالكفار لأن قوله لمن يشاء يدل على أن الغفران إنما هو لقوم دون قوم
وقال الواقع قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
إن اللفظ وإن كان عاما يتناول كل معصية فالمراد خصوص من مات كافرا والخلود
على بابه أو المراد من سبق في علم الله تعالى أن يموت من العصاة والمراد بالخلود المكث
الطويل والزواج فيستفاد أيضا استدلال المعتزلة بها على أن مرتكب الذنب من المؤمنين فهو مخلد
في النار وقولهم إن آيات الوعيد عامة في العصاة كفارا أو مؤمنين وآيات الوعد
خاصة بالمؤمنين الذين لم يعصوا قط والمؤمن التائب وفي قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن
لهم قدم صدق عند ربهم وقوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا إلى أن
قال صلى الله عليه وسلم [illegible] قوله جنات عدن يدخلونها أدل دليل على أنه لا يخلد مؤمن
في النار وإلى هذا أشار المص بقوله ومن عاقبه تبارك أخرجه منها بإيمانه
وأدخله به جنته ومن وافقه على عصاة المؤمنين فقط بدليل قوله أخرجه
منها بإيمانه والباء في قوله تبارك للآلة وخص النار إما لأنها معظم العذاب أو أن
المراد بها دار العقاب بالنار وغيرها وهي أعاذنا الله منها سبعة أطباق كما يأتي إن
شاء الله وعذاب الموحدين متفاوت على حسب تفاوتهم في الجرائم فمنهم من
يعذب لحظة وساعة ويوما وجمعة وشهرا وسنة وألف سنة ومنهم من يعذب
سبعة آلاف سنة وهو آخر من يبقى من الموحدين في النار جاء في بعض
الطرق أنه هناد وقد ورد في الحديث ما يقتضي أن المؤمن إذا دخل النار يموت
وأن النار لا تأكل مواضع السجود منه وفي البخاري إذا فرغ الله من القضاء
بين العباد وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله
أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم الله على النار
أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال
له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل الحديث وبالجملة فما هو أصح

ح ويخرط في سلك من شهد له المعصوم بطريق
صحيح من وقع الثناء عليه من الخلق وشهد
له بخير أو بشر عملا بمقتضى حديث من أثنيتم
عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه
شرا وجبت له النار قال النووي في هذا
الحديث إنما من أثنى عليه كان ذلك
دليلا على أن الله قد غفر له ولو لم يكن
متصفا بما أثنوا به عليه فيفضل الله تعالى
عليه وبترك عليه من تحقيقا الظن وستر
عليه فضلا منه تعالى ومن هنا
المعنى مسألة مالك وابن القاسم
في عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فوقف
مالك ولم يثبت الحالف بالطلاق أنه من أهل
الجنة أنه حانث ولا أنه غير حانث وإنما قال
هو رجل صالح وإمام هدى ولم يزد على ذلك
وأفتى ابن القاسم بعدم الحنث لأن الأمة
أجمعت على حسن الثناء عليه والإجماع
معصوم قال العارف بالله سيدي عبد الرحمن
المجذوب القاسمي وقس على عمر بن عبد العزيز
من أطبقت الأمة كالجيلاني والشاذلي
والمرسي والسبتي والغزالي والجزولي
وابن مشيش وأبي يعزى ومن لا يحصى كثرة
فإن شهود النفع بهم يحط القطع
بخصوصيتهم ومن رأى من نفسه ومن رأى
ما يدل عليهم متيقن غير [illegible] الأمور
والبصائر [illegible] مسألة من حياته
حقيقية [illegible] روحانيهم وإنما
ينتفع بهم من يقطع بخصوصيتهم وأما
من بناه على ظن أو شك فيهم فإنه
لا ينتفع بهم لأن مبنى النفع
ومشاركة الصوفية وهو الأصل في الطريق
ومن حرم الأصل حرم الفرع ولذلك
قيل إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول
انظر أجوبة شيخ شيوخنا سيدي
عبد القادر الفاسي رحمه الله

من هنا عن قوله ومنوم او نفتهم فيها اعمالهم وانه يحتمل ان يكون المراد عفيف
الموت او النوم او الغشيان والباء في قوله بما في ان وفي قوله ادخلوه بم للسببية
الشرعية بمعنى ان الله تعالى بمحض فضله جعل الاعمال سببا في الخروج من النار وفي
دخول الجنة اي جعل ذلك مرتبا على الاعمال ولو شاء لجعله سببا في النار وانه يفعل
ما يشاء ولا يجب عليه شيء فالسببية جعلية لا عقلية وبهذا اجيب عن معارضة قوله
تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقوله وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون
للخبر لا يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا الا ان يتغمدني الله
وهو معنى ما في الخبر وحاصله ان المراد من الاية ان الدخول بالعمل بمعنى
ومن الحديث ان الدخول ليس لذات العمل ليست السببية عقلية واجيب ايضا بان
الحديث بيان للحقيقة وانكار لاعطاء العمر الحقيقة من فعل الله تفضلا به والله خلقكم
وما تعملون اذا اراد ان يكرم وطلع عليك فلو نسب اليك فهو المتفضل بالاعمال وبالجنة
الجنة واما الاية فجار للشريعة وحثا على الاعمال والجنة لغة البستان والمراد
بها هنا دار الثواب في الاخرة اطلقت الجنة عليها لاجتماع ارض بالاشجار ايضا
بها لكثرتها وتظافرها قال الشيخ زروق ولو قيل انه للاجتماع انه استتار ما في
الاوهام والادراك اذ فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لكان
له وجه فتامل ذلك اهـ والجنات سبعة وهي جنة الفردوس وجنة المأوى وجنة
الخلود وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الجلال ثم استدل المص على
عدم خلود المومن في النار بقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية والايمان
من الخير فمن رآه كان من جزاءه وشله قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن
فلا يخاف ظلما ولا هضما وقوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وفي الصحيح عن
ابي ذر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض وهو نائم ثم اتيته
وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة
قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق قلت وان زنا وان سرق قال
وان زنا وان سرق على رغم انف ابي ذر وكلم بات المص بالفاء وهي في تعمل الاتي
الاتي بسبب كلامه ومثقال الذرة زنتها والذرة النملة او راسها او ما
يتعلق بالكف من التراب اذا وضع على الارض او ما يرى من الهباء في شعاع الشمس
وفي غير ذلك واتى المص بتمام الاية اقتصارا على محل الاستشهاد وقال
ابن عمر ما معناه سكت المؤلف عن ذكر الاية الثانية لا وعمر الله فرغ فهو
لا ينفع وليس ذلك بنقص في حقه تعالى وانما وعيده للاخبر منه اهـ ولذلك
مدح الشاعر نفسه بإخلاف الوعيد فقال ●
● وانا اذا اوعدته او وعدته ● لمخلف ايعادي ومنجز موعدي ●
ونحوه قول ابن نباتة تتبع خطيئة انجح له الزاد او عد وعفى واذا تو عد تجاوز

وعفا وقد رده الشيخ عز الدين بانه يوهم الفرق بين وعد الله ووعيده وهو لا يجوز
على الله لا الوعد ولا الوعيد خبر اي ما اخبر الله عن ثواب احد او عقاب بمن لا يعرف به
او يشبه كان كذبا والله تعالى منزه عن ذلك اهـ والتحقيق في مسالة الوعد والوعيد
انهم لا يرون فيها فرقا خلفا لان ذلك خبر اي كما قاله عز الدين وخبره تعالى واجب الصدق
فمن العزيز في الا اذا ظن تعلقه ايات الوعيد بعمل مخصص والاشكال فيه اذا دخل
الخلف في وعيده تعالى ان ما جاء فيه ليس على عمومه واطلق النص على التخصيص فمن لكن
صحيح ولا خلاف في العصيان والله اعلم قال الكمال في حواشي العقائد النسفية التحقيق مراد
ان الكريم اذا اخبر بالوعد والوعيد فاللائق بكرمه ان يبني اخباره على المشيئة وان لم يصرح
بذلك بخلاف الوعد فلا يخرج عن الكذب والتبديل فتامله اهـ وانظر حواشي المحصول على
شرح الكبرى وشرح المختصر المختصر تتمة قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره هو كقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ولما نزلت هذه الاية شق ذلك على المسلمين
مشقة شديدة وقال ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تحزن قال بلى قال هو الذي تجزون به وفي الصحيح
من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما ما يصيب المومن من وصب ولا نصب
ولا هم ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه وفي الصحيحين من حديث عائشة ما من مسلم
يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة وفي البخاري
من حديث ابي هريرة من يرد الله به خيرا يصب منه وفيه ما يزال البلاء بالمومن والمومنة
في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة واخرج الترمذي عن ابي
قال يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت
بالمقاريض وروي ذلك ايضا عن ابن عمر عن ابي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم يستعمل
بصبر جميل الشيخ منه يوم القيامة اي انقضى له حين اثابه او انشر له في ديوانه في حديث
اخر وقال لحكيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يكون له عند الله المنزلة
فلا يبلغها بعمل فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه اياها وفي هذه الاحاديث وما
كان نحوها بشارة عظيمة للمبتلى فانه فات ان يفخر به واجر عظيم ساعة من يشي
ومن الامور قد روي ابو داود في مراسيله ان مصباح النبي صلى الله عليه وسلم
طفي ليلة فاسترجع فقالت عائشة رضي الله عنها انما هو مصباح طفي فقال كل ما
ساء المومن فهو مصيبة او قيد فيقظ من تعزى وقيل قوله في الخوف المتقدم والحزن
اذا اخره بكل وجه وفضيلة فالم يكن بسبب معصية الله اذا لم يوجب نقص بسط
كما فيه الحزن على الطاعة فانه يوجب تخفيفا كالاخرة على المطالب الدنيوية فقط
المومن اذا نزلت به بلية او اطلب بترز زينة او شرك ما منال هذه الاحاديث ليطمئن
قلبه ويحسن بالله تعالى ظنه وليعلم كما قال بعضهم ليس عبادي الا ما يختار الرحيم
فما يختار لنفسه فانه ما نزل به كفارة لذنوبه وخطاياه وسبب في حسن حال

التخفيف فيها ان الجملة لا يدخل
في وعد وعيد

ذرة ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وما هو بعطا فعلا

ما ورد في قوا ابتر البلايا
والوصب المرض والنصب التعب
والحزن على ما مضى والهم على ما يتوقع

في الحديث والترغيب بيوكل من اخرج
باشرها شيء نعمة تعالى في استشفع الحق
من المومنين يوم القيامة لاخوانهم الذين
في النار يقولون ربنا اخواننا كانوا معنا يصومون
ويطوفون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم
فيخرجونهم خلقا كثيرا ثم يقال ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقال ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير
فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقال
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من
خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول
الله تعالى شفعت الملائكة وشفع
النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم
الراحمين في الحديث ويقبض قبضة من
فيقبض قبضة فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط
قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر على باب الجنة
يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة
في حميل السيل فيقول لم يعملوا خيرا قط
يريد الا التوحيد المجرد عن الاعمال وهل
المراد بالخير في الحديث اعمال الجوارح
او اعمال القلوب كالنيات الصالحات
ورحمة مسكين ورقة على يتيم وخوف من
الله ورجاء له والثقة به والتوكل عليه تعالى
انظر التذكرة للقرطبي فقد ذكر الحديث
بطوله وذكر ما يختص به اهـ

فيما له سبحانه وعطاياه التي لا سبيل لوصول العبد إليها إلا بما يسر
عليه من هذه أنواع الابتلاءات العظيمة من بعض من الكاملات وينكشف عنه نوازل
الغيبات فلا يحصل له ثواب ومن له إذا فعلها بتخليصه عن الشوائب وتطهيره
من الآفات والعقاب ومن ثم قال بعض السلف أكثر ما يجد المؤمن
في صحيفته من الحسنات الهم والحزن إذ بهذه الهموم والأحزان يجد
الإنسان يوم القيامة صحيفته مملوءة من الحسنات مليئا بالسيئات وقد قال عيسى
عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله
لما يرجوا بذلك من كفارة خطاياه وقد قال أبو طالب المكي في قوله تعالى وعسى
أن تكرهوا شيئا الآية المؤمن يكره العلة والفقر والخمول والضر وهو
خير له في الآخرة ويحب الغنى والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله تعالى
وأسوأ عاقبة وفي قوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة العوافي
والباطنة البلاوي لأنها نعمة في الآخرة فإذا كان ما يصيب المؤمن فيه نعم
باعتبار ما فيه فعليه الحمد على نعمه قال الجنيد كنت نائما عند سري السقطي
فأنبهني وقال لي يا جنيد رأيت كأني قد وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت
الخلق وقلت لهم ادعوا محبتي وخلقت النار فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي
معي العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي
عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار
عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار
هربتم فماذا تريدون قالوا إنك تعلم ما نريد فقلت لهم إني مسلط عليكم من البلاء
بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي أتصبرون قالوا إذا كنت أنت
المبتلي فافعل ما شئت فهؤلاء عبادي حقا انتهى قوله
ويخرج منها بشفاعة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من شفع له من أهل
الكبائر من أمته اعلم أن من العصاة من يخرج من النار بغير شفاعة أحد من أهل
على مجرد الإيمان كما تقدم في حديث فيقبض قبضة الخ وورد في الحديث أنهم إذا دخلوا
الجنة قال أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن ومن العصاة من يخرج بالشفاعة و
نبه المص على القسم الأول بقوله فأخرجه منها ثم نبه هنا على القسم الثاني
وكأنه قال ويخرج منها أيضا بشفاعة الخ ويحتمل أن العاطف هنا الشفاعة
لما كانت متوقفة على الإيمان صح أن يعطف الإخراج من مجموع الإيمان والشفاعة
ومن لا يصح دعوى الإيمان ويجب الإيمان بالشفاعة لثبوتها بالسنة
والكتاب والإجماع أما الكتاب فقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما
محمودا قال قتادة كان أهل العلم يرون أن المقام المحمود هو شفاعته يوم
القيامة وعلى أن المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة من أهل

وكما يكون نزول البلاء بالعبد تطهيرا له وتمحيصا لذنوبه حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة وعذاب الدنيا أهون بكثير من عذاب الآخرة يكون نزول البلاء أيضا بالعبد ليلجأ إلى الله ويقف ببابه ويصدق الالتجاء والافتقار بلاء يردك إليه خير من نعمة تقصيك عنه ويكون نزوله أيضا اختبارا للعبد ليبرز ما في ضميره ويظهر للخلق ... وأنه هو من ... فيظهر للناس أنه ... وتعلقه به وصدق محبته في الله ورضاه عنه وتسليمه لأحكامه أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا الآية وقد قال

دليل الشفاعة من الكتاب

انظر أجوبة الشيخ عبد القادر الفاسي

حديث الشفاعة

من الصحابة وإنما يعبر وعامة أمته المطيعين وبركتها آت معصية في صحيح اللفظ عنه
عليه السلام فالذي في الشفاعة وفي قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى ولما نزلت قال صلى
الله عليه وسلم إذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات فإن طلب المغفرة شفاعة لكن هذه شفاعة في الدنيا وأما الأحاديث
فكثيرة حتى قال بعضهم إن أحاديث الشفاعة متواترة المعنى ففي حديث البخاري
ومسلم يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون جماعة من الأنبياء فيعتذر كل واحد
منهم ويحيل منهم إلى غيره فيأتون آدم فيحيلهم إلى نوح فيأتونه فيحيلهم إلى إبراهيم
فيأتونه فيحيلهم إلى موسى فيأتونه فيحيلهم إلى عيسى فيأتونه فيحيلهم إلى
محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيقول أنا لها قال النبي صلى الله عليه وسلم فأنطلق فأستأذن
على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت له ساجدا فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه
ما لم يفتحه على أحد قبلي فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع الحديث
وفي هذا الحديث تصريح بشمول هذه الشفاعة للبر والفاجر والمؤمن والكافر والإنسان
والملائكة والجن والإنس والوحوش والبهائم والطير وجميع المخلوقات وسؤال الشفاعة
منه صلى الله عليه وسلم أولا ليس للإيراد المسؤول عنه بل ليظهر للبرية إكرام الله نبيه
صلى الله عليه وسلم إذ لو سئلت منه من أول الأمر لم يتبين فضل هذا الحديث أن غيره لا تكون
له هذه الرتبة فأراد الله سبحانه أن يقول كل واحد من أكابر الرسل نفسي ليعلم أن هذه
الرتبة غير متوسع لهم وتنتهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها قال بعضهم في
هذا ... الشيخ عبد الرحمن الغوث حيث يقول في هذا المعنى

لم يقل الشفيع سواه إذا ما ... شفى خطب الخطب والمصطفى تلك
وترى ثم قول كل نبي ... نفسي إلا محمد ليس إلا لهم

وانظر الشفا فقد ذكر اختلاف ألفاظ الأخبار الواردة في الشفاعة ومنها
الحديث المشهور الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لأمتي يوم القيامة ومعناه دعوة أعلموا أنها تستجاب لهم وإلا فلكل نبي ولنبينا
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الدعوات المستجابة ما لا يكثر عدده العلماء من الرجاء
والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤوا يدعون بها على يقين من الإجابة وفي
رواية لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة
لأمتي يوم القيامة ومنها حديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وأما
الإجماع فقال القاضي عياض أجمع السلف والخلف من أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة
لنبينا صلى الله عليه وسلم ولغيره من الرسل والملائكة والمؤمنين مطلقا وأنكرها
المعتزلة في حق أهل المعاصي وقالوا إنها خاصة بالمطيعين في زيادة الثواب
... بأنهم تمسكوا بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع

متمسك من أنكر الشفاعة للعصاة

واهل الكبائر كخالدون وبقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى والفاسق غير مرتضى
وبقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا واجيب بان ذلك غير عام
في الاشخاص والازمان والاحوال سلمنا العموم في ذلك لاكن يجب تخصيصه بالاحاديث
جمعا بين الادلة القطعية واعلم ان شفاعته صلى الله عليه وسلم خمسة والايمان بجميعها
واجب متواترة المعنى بلفظ يدل على التعميم لكان انسب قال عياض الاولى شفاعته لاهل
الموقف في الحساب وهذه خاصة به عامة في جميع الخلق والثانية شفاعته في قوم
يدخلون الجنة بغير حساب وهي خاصة به صلى الله عليه وسلم قال النووي وقد ذكرها
دقيق العيد في ذلك ووافقه الشيخ وقال لم ارد فيه نقلا والثالثة في قوم استوجبوا
النار فلا يدخلونها وهي محتملة ان تكون خاصة به والرابعة في اخراج من دخل النار
من المؤمنين ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمومنون [illegible] في العلم متصل ذلك في
الاعلام مخاصة به عليه السلام قال عياض والخامسة في زيادة الدرجات في الجنة
وزعم عياض انها غير خاصة به ورد في النووي في ذلك ومن هذا النوع والله اعلم شفاعته
عنهم لتفضل موازين [illegible] عنه ورد ان [illegible] لهم الشفاعة [illegible] وفي تخفيف العذاب
عن بعض الكفار وهي مختصة به كابي طالب وقد علمت بهذا ان من الشفاعات ما
هو خاص به جزما ومنها عكسه ومنها ما هو محتمل واما شفاعته صلى الله عليه وسلم
لمن مات بالمدينة ولمن صبر على لأوائها ولمن زار قبره صلى الله عليه وسلم لقوله من زار قبري وجبت له
شفاعتي ولمن اجاب المؤذن ثم سأل له الوسيلة فما يندرج على ما تقرر فما جاء نص
معه الا ان يقال تراد من عرفها افادة حصول الشفاعة لهؤلاء قطعا ابتداء لانهم اهل
في المشفوع لهم ولا يمكن عنهم واما شفاعته في تخفيف عذاب القبر لحديث [illegible]
فهي شفاعة في البرزخ لا في القيامة قال في الشفا والذخيرة وعن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم توضع للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس
عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب
امتي فيقول الله تبارك وتعالى يا محمد ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي
ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن
النار ليقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في امتك من بقية وفي رواية انس
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما على الارض من
حجر وشجر اهـ وانظر قول المؤمن اشد فرحا بالشفاعة منه الا انه لا شفاعة
في الخروج من النار لغير امته لان شفاعة غيره مستندة الى اذنه لهم ومن شاء
الله من صحابيه اذا قلنا ان لغيره شفاعة صلى الله عليه وسلم وقوله وتخرج يحتمل ان يكون من
الثلاثي فيكون مرفوعا ويحتمل ان يكون من الرباعي فيكون مفعولا والفاعل
[illegible] وهذا هو المناسب للضمائر المستتر منها فما قبله ويحتمل ان تكون للشفاعة

الجواب عما تمسكوا به

[illegible]

عدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم

حديث في كثرة من يشفع لهم صلى الله عليه وسلم

في الترمذي [illegible] ان يشفع لهم قبل دخول النار من اهل [illegible] الطالحة وقضاء حوائج الطالبين
التجاوز عن السيئات قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله اهل الجنة صفوفا واهل النار صفوفا فينظر الرجل
من صفوف اهل النار الى الرجل من صفوف اهل الجنة فيقول له يا فلان اتذكر يوم اصطنعت [illegible]
اصطنع في الدنيا معروفا التي فيقال له [illegible] خذ بيده وادخله الجنة [illegible] معروفا فيقول اللهم ان هذا
[illegible] يوم القيامة [illegible] قال ابو عبد الله [illegible] وزاد في [illegible]
ان [illegible] الدنيا [illegible] على [illegible] ان تستوجبوا نصيبكم [illegible] فتحللوا
[illegible] من [illegible] في الدنيا او [illegible] حاجة او رد عنه غيبة او [illegible]
انتفاء [illegible] وكتب [illegible]
وان خلود الجنة [illegible] هذا روايات وورد [illegible] ان الصالح
والعزاء ان يشفعان [illegible] الصالح
رب [illegible] والشهور [illegible]
[illegible] ويقول القرآن [illegible]
[illegible] فيشفعان [illegible]

عن القاضي عياض وافادت الشفاعة المنسوبة له صلى الله عليه وسلم بما توفيه بان الشفاعة هي
الخروج من النار لا تكون لغيره صلى الله عليه وسلم وقد تقرر لنا خلاف ذلك قال الشيخ زروق
نقلا عن النووي والشيخ ابي محمد الشفاعة الا له صلى الله عليه وسلم وهو كلام لا يدرى هنا
والاحاديث تدل على خلافه اهـ وقد تقرر قول العلماء اجمع السلف والخلف الخ وفي
سنن ابن ماجة من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء عليهم السلام
والعلماء ثم الشهداء وفي الترمذي وابن ماجة من حديث عبد الله بن ابي الجدعاء
ويدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم قيل يا رسول الله سواك
قال سواي قال الترمذي حسن صحيح قال هشام هو عثمان كان الحسن يقول انه اويس
القرني **تنبيه** لا اراك اخي تقول اللهم اجعلني ممن تناله شفاعة
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فالذي [illegible] انما الذي لا ينبغي لك ان تقول اللهم اخرجني من
النار بشفاعته نعم نقل عياض عن بعض المعتزلة انه لا ينبغي للانسان ان يقول اللهم
ارزقني الشفاعة بناء على [illegible] انحصارها في اخراج من النار ورد ذلك عياض باجماع
المؤمنين على طلب الشفاعة وسؤالها قال ولو لم تكن شفاعة [illegible] كما صح سؤال ذلك
وانكار هذا القول [illegible] وفيه صحيح [illegible] كنت عندك ممن قضيت عليه بالنار وعبدك [illegible]
[illegible] من دخول النار فاجعلني ممن تعجل خروجه منها بشفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم
ص وقوله وان الله سبحانه قد خلق الجنة فاعدها دار خلود لاوليائه
هذا [illegible] اعتقاد [illegible] وهو ان الجنة حق وانها مخلوقة الان وان كل مومن
[illegible] على انها مخلوقة الان الكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى
اسكن انت وزوجك الجنة وقوله سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات
والارض اعدت للمتقين ويقولون معنى الكلام كان حاصلا وقوله ولقد رءاه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى واما السنة فقوله صلى الله عليه
وسلم عرضت علي الجنة فتناولت منها عنقودا وقوله اذا مات احدكم فانه يعرض عليه
مقعده بالغداة والعشي فان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل
النار فمن اهل النار وقوله اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت
في النار فرايت اكثر اهلها النساء وقوله بينا انا نائم رايتني في الجنة فاذا امرأة
تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرا
فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله ورؤيا الانبياء حق وقوله قال الله
تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر واقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء الخ وقوله
لما مات ابراهيم ابنه ان له مرضعا في الجنة والايات والاحاديث الواردة في ذلك
اشهر من ان تخفى واجمع السلف والخلف على اجرائها على ظواهرها من غير تاويل
وان تاويلها من غير ضرورة الحاد في الدين وقال جمهور المعتزلة انها غير مخلوقة

نقل لا ينبغي طلب الشفاعة الا [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

طلب الشفاعة له [illegible]

قول المعتزلة انها غير مخلوقة الان وانما تخلق يوم الجزاء

صفة الجنة

الآية وإنما تخلق يوم الجزاء ولو كانت مخلوقة لهلكت لقوله تعالى كل شيء هالك
إلا وجهه والجواب أنها من المستثنيات بقوله تعالى فصعق من في السماوات
ومن في الأرض إلا من شاء الله وإنما دليل الجمهور قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا وإبطال الاحتمال الفعل للحال والاستقبال
وإن أردت أن تعرف صفة الجنة وما في القرآن على التفصيل فاقرأ سورة الإنسان
واقرأ الواقعة وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان إلى آخر سورة الرحمن
وغير ذلك من سور القرآن وقد وردت أحاديث في صفتها ولنذكر
بعضها تكميلا للتتمة التي ما فيه من القرآن أما أبوابها فثمانية
كما في البخاري من حديث سهل بن سعد وهي منقسمة على أصول الأعمال
قال صلى الله عليه وسلم من كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان
من أهل الصيام دعي من باب الصيام ويقال له باب الريان ومن كان من أهل
الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة
فقال أبو بكر والله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى
أحد منها كلها فقال نعم وأرجو أن تكون منهم وبقي باب الحج وباب الكاظمين
الغيظ وباب المتوكلين الذين يدخلون الجنة بغير حساب وترجم ابن حجر بها
في أبوابها أنها من على سبيل التكرار أو باب العلم قال الشيخ زروق وأكثر
أني أرجح في أبواب على هذا التفريع اهـ وعليه فما مجموع لقوله ثمانية
في الحديث ويحتمل أنه في غاية الاتساع من قوله في حديث الشفيع بين القفا أو الشعاع
العد منها سكون اهـ قال بعضهم بعط لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم
وأما حيطانها فورد أن حيطان الجنة لبنة من ذهب ولبنة من
فضة وورد أن الجنتين آنيتهما وما فيهما من ذهب وجنتان آنيتهما
وما فيهما من فضة وأما أرضها ونباتها وريحها فورد أن ترابها
المسك الأبيض وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام ونباتها
الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ وأما غرفها فقال جابر قال
صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولمن
هذه الغرف فقال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى
بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي تطيق
ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى
السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام
ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء

حيطانها وأرضها ونباتها وريحها

في التوشيح يحتمل أن يكون المراد إلا أبواب الجنة يدعى منها أبواب من داخل أبواب الجنة الأصلية لأن الأعمال الصالحة أكثر عددا من ثمانية نعم وقد جاء لكل عامل باب من أبواب الجنة يدعى منه بذلك العمل أخرجه أحمد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما في ابن حجر اهـ من حواشي سيدي عبد الرحمن الفاسي على صحيح البخاري

غرفها وما فيها من فنون النعم

أشجارها وثمارها

الآخرة وصلى الغداة جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس ومن الذين
أشركوا وأما أشجارها وثمارها فورد أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
مائة عام ما يقطعها اقرأوا إن شئتم وظل ممدود وقال سلمان الفارسي لجرير بن عبد الله
رضي الله عنهما وقد أخذ عودا من الأرض يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا
لم تجده فقال جرير يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر فقال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها
الثمر وقال أعرابي يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة
شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي فقال هي السدر فإن لها
شوكا فقال أليس يقول الله تعالى في سدر مخضود يخضد الله شوكه
فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيه لون
يشبه الآخر وأما طيورها فقال صلى الله عليه وسلم إن في الجنة طيورا أمثال البخاتي
فقال أبو بكر إنها لناعمة يا رسول الله فقال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر
وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة
فيشتهيه فيخر بين يديه مشويا وكيفما اشتهاه وأما طعامها فقال عبد الله بن عمر في قوله
تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب يطاف عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب في كل
صحفة لون ليس في الأخرى وخرج الآجري عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة
رضي الله عنهما عن هذه الآية ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير على كل سرير سبعون
فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على
كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ووصيفة ويعطى المؤمن في كل
غداة من القوة ما يأتي على ذلك أجمع وأما شرابها ففيما قال الله سبحانه فيها
أنهار من ماء غير آسن الآية وأما حورها فورد لو أن امرأة من نساء أهل الجنة
اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولنصيفها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها
وقال صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر
إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين
المشرق والمغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ
ساقها من وراء ذلك كله وورد أن نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وأن
امرأة منهن لو بصقت في بحر لعذب وورد أن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة
حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن
مقدار عمره في الدنيا وورد أن الرجل في الجنة يولد له الولد كما يشتهي يكون حمله
وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وأما خدمها فقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل
الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه ومن

طيورها

طعامها

شرابها
حورها

خدمها وعددهم

من اسباب النعيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة منزلة الذي يركب في الف
الف من خدمه واما تلذذ اهلها بالسماع فقال الاوزاعي في قوله تعالى فاما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اذا اخذ اهل الجنة في السماع لم تبق
شجرة في الجنة الا وردت قال الاوزاعي وليس في خلق الله تعالى احسن صوتا من
اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم وورد
ان الله ليوحي الى الشجرة ان اسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي عن المعازف
والمزامير فترفع صوتا بتسبيح الخلائق مثله من تسبيح الرب وتقديسه وقال
ابن عباس ان في الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله
ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل
الدنيا لماتوا طربا وقال ابو هريرة لاهل الجنة سماع شجرة اصلها من ذهب وثمرها
اللؤلؤ والزبرجد يبعث الله ريحا فيحرك بعضه بعضا فما سمع احد شيئا احسن منه
انظر تفسير الثعلبي واما صفة المومنين فيها فورد ان اهل الجنة جرد مرد بيض
جعاد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين سنة على خلق ادم عليه السلام طولهم ستون ذراعا في
عرض سبعة اذرع وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
وورد يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم وورد انه
فيها منادٍ ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا وان
لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا قال ابو حامد
الغزالي بعد ذكر جملة هذه الاحاديث والله لو لم يكن فيها الا سلامة هذه
الابدان مع الامن من الجوع والموت والعطش وسائر انواع الحدثان لكان جديرا
بان تهجر الدنيا بسببها وان لا يوثر عليها ما التصرم والتنغص من ضروريه وورد
ان اخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة لينظر له في ملكه مسيرة الفي عام
في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه
كما ينظر الى ادناه وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف
سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وان ارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي خرجه
الترمذي والطبراني عن ابن عمر ويكفي من ذلك ما تقرر من قوله عز وجل فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وقوله صلى الله عليه وسلم غدوة في سبيل الله او روحة خير
من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قده في الجنة خير من الدنيا وما فيها
وقوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وقد تقدم ما قاله بعض اهل
التفسير في هذه الاية وفي البخاري عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا و
سعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط

روضة

سماع اهل الجنة

صفة المومنين في الجنة

ما يتاذون به في الجنة

معرفة اوصاف الجنة لا يحمل على جهات الدنيا

اخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة

ارفع اهل الجنة من ينظر الى ربه بالغداة والعشي

احدا

احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا يا رب واي شيء افضل من ذلك
فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وهو قوله تعالى ورضوان
من الله اكبر فينبغي للعاقل المومن اذا راى شيئا من زهرة الدنيا وما اتت نفسه اليه ان يذكر
الجنة ونعيمها فانما نعيم الدنيا متكدر في جنب نعيم الاخرة لان نعيم الدنيا فان ونعيم
الاخرة باق ونعيم الدنيا قليل لا نسبة له بنعيم الجنة وليس لافالة في حكمة انا جعل
دار الاخرة محلا لجزاء عباده المومنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولانه
اجل اقدارهم عن ان يجازيهم في دار للفناء لها ابدا وفي الصحيح ان الله تعالى يقول لاخر
اهل الجنة دخولا للجنة وهو اخر اهل النار خروجا من النار ان لك مثل الدنيا عشر مرات وقد
قال صلى الله عليه وسلم اذا راى احدكم شيئا من ذلك فليقل اللهم لا عيش الا عيش الاخرة واما
محلها فالصحيح الوقف ويحتمل انها فوق السماوات وهو الظاهر من جملة الاحاديث
وهو قول الاكثر قال في المقاصد ولم يرد نص صريح في ذلك ومن ثبت ان سقفها عرش
الرحمن وروى ابو نعيم في تاريخ اصبهان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان جهنم
محيطة بالدنيا وان الجنة من ورائها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقا الى الجنة
قول المصنف رحمه الله تعالى قال اي هياها واحضرها او يسرها وقوله دار خلود اي اقامة
وبقاء اي مع التابيد ويدل على التابيد ايات كثيرة كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وفي البخاري
عن ابن عمر اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين
الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل
الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وفي البخاري عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت كهيئة كبش املح فينادي منادٍ
يا اهل الجنة قال فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا
الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا اهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا
فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يومنون
ويشرئبون يرفعون رؤوسهم ويمدون اعناقهم والاملح الذي غلب بياضه على سواده
وتقدم حديث ان لكم ان تنعموا الحديث واستحقوا التابيد لنيتهم البقاء والاستمرار
على الطاعة مادامت ايام الدنيا وهذا احد ما قيل في معنى حديث نية المومن خير من عمله
بان النية دائمة والعمل قد ينقطع الا ترى انك تعمل وان لم تتم الطاعة تبقى وتعطى
جزاها فقد دامت محبته وعزمه واما الاستثناء في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت
السماوات والارض الا ما شاء ربك فقال في الجلالين ما شاء ربك من الزيادة على مدتها
مما لا منتهى له بدليل قوله عطاء غير مجذوذ وقوله لاوليائه المراد بهم هنا المومنون
مطلقا باتفاق الشيوخ لا اهل الخصوصية منهم فقط والولي يحتمل ان يكون فعيلا

علاج من راى شيئا من زهرة الدنيا وما تلتفت اليه

حكمة

ما يكون من الجنة لادنى اهلها

محل الجنة

سقف الجنة عرش الرحمن

جهنم محيطة بالدنيا والجنة من ورائها

دليل الخلود في الجنة وذبح الموت

الاستثناء في قوله تعالى الا ما شاء ربك

تقسيم الولي واقسام الاولياء

معنى فاعل فيكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية ويحتمل ان يكون
بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وهو الذي يتولى الحق حراسته وحفظه على
الدوام فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه الذي هو
قدرة الطاعة قاله القشيري في رسالته وقال في لطائف المنن والاشارات وولي
يتولى الله وولي يتولاه الله وقد قال الله في الولاية الاولى ومن يتول الله ورسوله
فان حزب الله هم الغالبون وقال في الولاية الثانية وهو يتولى الصالحين
الاية وقال الشيخ ابو العباس العزفي ولي الله عبارة عمن خلقه المودة والاخاء
منه وذلك بالمكانة عنده والمنزلة لديه وتعالى الحق سبحانه عن المكان فكل من
كانت حالته طاعة لا معصية فيها واستقامة لا عوج فيها وشهودا لا غيبة فيه
فهو ولي الله صفاء واولى الناس به صدقا وان لم يمش على الماء ولا يغلو في هوى الشيء
فتلك فروع عن هذه الاصول والسر الاعظم وقال البكي الولاية من حيث هي عند اهل
السنة والجماعة التي المعرفة بالله بحسب الطاقة الانسانية والمواظبة على الطاعة
مع الاجتناب عن المعاصي والاعراض عن الانهماك في اللذات والشهوات هذا هو
عند من عدا الصوفي واما الصوفي فيقول الولاية على قسمين ولاية عامة والتي
الاشارة لها بقوله تعالى الله ولي الذين امنوا الاية وخاصة واليها الاشارة بقوله
تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويرجع ما تقدم من التقسيم
الى ما هو كالرسم لها ووجهها العام واما هي في نفسها وحقيقتها فهي اقامة
الحق عبده في امره اهـ وظاهر كلام بعضهم ان الولي لا تقع منه الهفوات والزلات
والمحققون على انه لا يزول عن مقامه ولايته بالهفوات والزلات في بعض الاوقات
وان العصمة انما هي جائزة في حقهم لا واجبة فان الوجوب انما هو في حق الانبياء
وانظر اجوبة سيدي عبد القادر الفاسي ثم القائمون بحقوق الله قسمان قال
سيدي ابن عباد رضي الله عنه في شرح الحكم عباد الله المخصوصون قسمان قوم
وهم الذين اخذوا عن حظوظهم وارادتهم واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبو
دية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار وهم الشافعون
مع حظوظهم وارادتهم واقيموا في الاعمال والطاعات ليجزوا عليها بنعيم
الدرجات في الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون فالاولون اختصهم بمحبته
حتى طهروا لقربته والوصول لحضرته والاخرون اقامهم الحق تعالى لخدمته
حتى طهروا لجنته اهـ والعارفون صنفان قال سيدي ابو العباس المرسي رحمه
الله الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا
بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه
من ينيب قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من حركت
له همته لطلب الوصول اليه فصار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه الى

الخذلان التوفيق

ما قاله العزفي في تفسير الولي

ما قاله البكي في ذلك

لا يزول الولي عن مقام الولاية بالهفوات والزلات في بعض الاوقات

عباد الله المخصوصون قسمان عارفون وعابدون

العارفون صنفان سالكون ومجذوبون

او قطع الرحضة بيده يصدق على هذا قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ومن الناس من قد جاءته عناية الله من غير طلب ولا استعداد فيشهد لذلك
قوله تعالى يختص برحمته من يشاء فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين
من كان من اهل الغفلة فيهما بنية المواظبة ومن كان من اهل المواظبة زاد التي وجود
العاقلة انه ثم ان المجذوب لم تعتبر الطريق ولم تغب عنه وانما فاتته متاعبها
وطول امدها فليس السالك اتم من المجذوب فلا عبرة بما تظنه وبما قرره من
ان المومنين على مراتب تحصل انهم متفاوتون في الجنة وقد ورد ان اهل الجنة ليتراءون الغرف
من فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الافق من المغرب والمشرق لتفاضل ما بينهم
قوله **واكرم من صبه بالنظر الى وجهه الكريم** هذه هي النعمة العظمى
التي يستحقر بها نعيم الجنة كله قال بعض العلماء افضل ما اعطي العبد في الدنيا
الذكر وفي الاخرة النظر الى وجه الله الكريم لان الاول ناظر الى الله بالبصيرة وهو
في معنى قال حال الذاكر لله بلطائفه مع حضور قلبه مشاهدة له بصيرة ناظر له بقوة
في مقام القرب بين يديه فكانه في الجنة يرتع والثاني ناظر اليه بالباصرة وهذه
النعمة هي المراد بالزيادة في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة يدل
على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول
الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار نادى مناد لكم عند الله موعد يريد ان ينجزكموه فقالوا اما هذا الموعد الم يثقل
موازيننا الم يبيض وجوهنا وادخلنا الجنة واجرنا من النار قال فيرفع الحجاب
فينظرون الى وجه الله الكريم فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وفي
حديث الترمذي والطبراني عن ابن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه الف
سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وان اكرمهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وانما
اكرم المومنين بالنظر الى وجهه الكريم في الجنة دون الدنيا لان النظر الى الدائم الباقي
لا يكون بابصار الناظر في الدار الزائلة الفانية والضعف للناظر والنظر لا ينفك
واعلم ان رويته تعالى كما تقع بعد دخول الجنة تقع قبله اذ تجلى الله لعباده في عرصات
القيامة كما دل عليه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة المخصص لقوله
لا تدركه الابصار ان كان معناه لا تدركه الابصار واما ان كان المراد بالادراك ما هو
اخص من الروية فقد نص المحققون على ان العجز عن الادراك هو الادراك وان ذلك
في الدنيا والاخرة وستاتي بقية الاجوبة ان شاء الله فائدة قوله يومئذ اي يوم القيامة بدليل
قوله ووجوه يومئذ باسرة اي كالحة شديدة العبوس تظن ان يفعل بها
فاقرة اي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر وهو قبله في قوله تعالى واشرقت الارض بنور
ربها ان المراد تجليه لفصل القضاء وهو مختار البعض وانتصر له الطيبي بالاحاديث
المقتضية لرويته تعالى في عرصات القيامة واقتصر عليه المحلي فانظره ومن للعلماء في

المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه

المومنون متفاوتون في الجنة غاية التفاوت

افضل ما اعطيه العبد في الدنيا والاخرة

دليل الروية في الجنة

دليل رويته تعالى في عرصات القيامة

حديث أبي هريرة في رؤية الله تعالى

حديث أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون
في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب فقالوا لا يا رسول الله فقال هل تضارون في الشمس
ليس دونها سحاب فقالوا لا يا رسول الله فقال إنكم ترونه كذلك الخ ومعنى أن ذلك قبل
دخول الجنة وتضارون بضم التاء والراء مشددة من الضرار وتخفيفه من الضير أي الضرر
أي هل يحصل لكم فيه ذلك ما يحصل عليكم الرؤية بحيث تشكون فيه كما يحصل في غير ذلك
فالتشبيه في الرؤية أي وضوحها وعدم اشتباهها لا في المرئي فليس المراد بالنظر
والرؤية مثل المعرفة للمرئي للاستحالة في حقه تعالى بل المراد صفة تقوم بالموصوف
توجب له كونه رائيا من غير تكييف ولا تشبيه كما قال في المراصد

• يرى بلا كيف ولا مقابلة • ولا شعاع ولا اتصال قابله •
• ولا مسافة ولا مكان • أو جهة تفضي للعيان •

الناس في الرؤية في الموقف ثلاثة أقسام

واعلم أن الناس بالنسبة لرؤيته تعالى في الموقف على ثلاثة أقسام مؤمن وهي
ثابتة له ولا إشكال للأمر من ذكر وأنثى ومنافق وقد ذهب قوم من أهل السنة
إلى أنها حاصلة له أي المنافق وغيرها فقيل إنه تحصل لهم ثم يحجبون عنه فتكون عليهم
حسرة نقل ذلك في تحقيق المباني عن الشيوخ ونقل الأبي عن السنوسي أن الكفار غير
المنافقين لا يرونه اتفاقا والمنافقون لا يرونه على الصحيح واعلم أن رؤيته تعالى

رؤيته تعالى في الجنة رؤية جمال ورحمة

في الجنة رؤية لطف وجمال ورحمة فتعبير الناظم بالإكرام الذي هو معنى التشريف
والتفضيل مناسب للتجلي الواقع في الجنة قال التتائي وفائدة الرؤية زوال الشكوك
والاختلاف وبلوغ المنى وزيادة اللذة إذ لا شيء ألذ منه لا سيما للمشتاق إليه
ولرفع التهمة لأن من دخل دارا ولم ير صاحبها خاف أن يكون غير راض عنه فهذه
أربعة معان وأما رؤيته تعالى في الموقف فهي رؤية هيبة وجلال قال السنوسي

رؤيته تعالى في الموقف رؤية هيبة وجلال

في شرح الجامع ولكون النظر نظر هيبة وجلال وذلك في عرصات القيامة أو نظر
لطف وجمال وذلك في الجنة فسر النظر بالثواب في حديث لا ينظر الله إلى وجوهكم
اهـ وتبيانه والتصريح في قوله ولا يكرمهم ولا يثيبه المؤمنين وظاهره للأمر من الرجال
والنساء واختار السيوطي في تأليفه له تحفة الجلساء في رؤية الله للنساء وقد

هل يراه تعالى النساء والملائكة والجن ومؤمنو الأمم السابقة

اختلف أيضا في الملائكة والجن ومؤمني الأمم السابقة فقال ابن عقيل ومن نص
على نفي رؤية الملائكة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وصاحب الجواهر المنظومة من أئمة
الحنفية ونقله الزركشي عن الشيخ عز الدين وأقره أي المراد منه وانظر تمامه
وقوله إلى وجهه هو نحو ما تقدم في حديث مسلم وقد تقدم أن الوجه من المتشابه
اللائق المناسب هنا القول بأن المراد به صفة له تعالى يجب الاعتقاد بها مع نفي
الجارحة المستحيلة وهو قول الأشعري والمناسب قول الجمهور أن المراد بالوجه
الذات والله أعلم تنبيه استدل أهل السنة على جواز رؤيته تعالى

أدلة الرؤية عند أهل السنة

بالسمع وبسؤال موسى عليه السلام الرؤية إذ معلوم أنه لا يخفى عليه ما يستحيل

في حقه تعالى فلو لم تكن ممكنة لكان طلبه محالا وإنما يجوز في ذات الله تعالى وما لا
يكون أو سفها وعبثا وطلبا للمحال والأنبياء منزهون عن ذلك ومثله سؤال النبي
صلى الله عليه وسلم الرؤية في حديث اللهم إني أسألك الرضى بعد القضاء وبرد العيش

دعاء نبوي فيه طلب رؤيته تعالى

بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة
مضلة الحديث وإجماع من الأئمة في نصوص صريحة شكلها لا تقبل التأويل وبالعقل
وهو أن علة الرؤية الوجود قال ابن زكري

• فالله موجود وما فيه امتراء • وكل موجود يصح أن يرى •

وقد أطال القلشاني في بيانه قال الشيخ زروق وقد أوجبه الله تعالى في الآخرة
للمؤمنين بها ونفاها في الدنيا لحديث إن الدجال أعور وإن ربكم ليس بأعور وإنه
لن يرى أحد ربه حتى يموت قال علماؤنا والنبي صلى الله عليه وسلم خارج من هذا الحكم

هل رأى النبي ربه في الدنيا ببصره أو ببصيرته أو الوقف ثلاثة أقوال

إذ قد رآه ليلة الإسراء بقلبه عند الأكثر وبعيني رأسه عند المحققين وتوقف
عياض وغيره لعدم القاطع بنفي أو إثبات اهـ قال البكي والعوانئ وأن ذلك
مخصوص به دون سائر الأنبياء اهـ وعن المروزي قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة

ما يدفع به قول عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية

قالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي معنى يدفع قولها
قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي وقول النبي أكبر من قولها اهـ وقالت

مذهب المعتزلة استحالة الرؤية

المعتزلة باستحالتها ومسألة الرؤية من المسائل التي طال فيها الخصام كمسألة خلق
الأفعال ومسألة الكلام وقد قال الزمخشري في الكشاف عند تفسير قوله تعالى
ولما جاء موسى لميقاتنا الآية أنشد بعض العدلية يعني المعتزلة يتشنع في الجبرية
يعني أهل السنة وهم

• لجماعة سموا هواهم سنة • وجماعة حمر لعمري موكفة •
• قد شبهوه بخلقه وتخوفوا • شنع الورى فتستروا بالبلكفة •

اهـ وأجابه جماعة من أهل السنة رضي الله عنهم منهم أبو حيان رحمه الله

• شبهت جهلا صدر أمة أحمد • وذوي البصائر بالحمير الموكفة •
• ورميتهم عن نبعة سويتها • رمي الوليد غدا يمزق مصحفه •
• أترى الكليم أتى بجهل ما أتى • وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفة •
• نكصوا الكتاب وأنت تنكص بالهوى • فرمتهم الهواتك في الهاوي المتلفة •

دليلهم العقلي على الاستحالة

واستدل المعتزلة بالعقل والنقل أما العقل فقالوا إن الرؤية مشروطة بكون المرئي
في مكان وجهة ومقابلة من الرائي وثبوت مسافة بينهما بحيث لا يكون في غاية القرب
ولا في غاية البعد واتصال شعاع من الباصرة بالمرئي وكل ذلك محال في حق الله

جواب هذه الشبهة

تعالى والجواب عن هذه الشبهة أنه قياس في قولهم في البشر قد شبهوه بخلقه والجواب
منع هذا الاشتراط وقياس الغائب على الشاهد فاسد وأما السمع فقوله

دليلهم السمعي وجوابه

تعالى لن تراني الخ وأجيب بأن المراد في الدنيا إذ هو المسؤول لموسى وأما في الجواب

المكابرة وبهذا قال الزمخشري ولم يقل لن ترى ولم تمكن رؤيتي وفي قوله تعالى لا تدركه
الابصار واجيب بان الادراك اخص من الابصار لانه الاحاطة وبانه لا شك انها منفية
مطلقا وعليه تحمل الاية على جواز الرؤية بل تحققها كما هو المعنى انه مع كونه
مرئيا لا تدركه الابصار لتعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب ومن
حديث انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا رواه مسلم فانما ذلك هو الرؤية لا كنه
في دار الدنيا وانه لا تدركه الابصار فان ادراك الاشياء ... ومن تفريق النفي والبقاء
اذ اتفق على كل تعميم سلب العموم لا عموم السلب وفي نفح الطيب اجتمع ابو بكر
ابن الطيب مع جماعة من المعتزلة في مجلس الخليفة فناظرهم في مسألة رؤية الباري
فقال لهم ما دليلكم على انتفاء جواز رؤية الله تعالى فقالوا قوله تعالى
لا تدركه الابصار فنظر بعض المعتزلة الى بعض وقالوا ... القاضي وذلك ان هذه
الاية هي معظم ما احتجوا به على مذهبهم وهو ساكت ثم قال لهم اتقولون ان من
لسان العرب ... لا يبصر قالوا لا فقال اتقولون ان من يعقل العرب يجد
لا باكر قالوا لا فقال فلا يصح اذا نفي الصفة الا عمن شأنه اثباتها له قالوا نعم
قال فكذا قوله تعالى لا تدركه الابصار لولا جواز ادراك الابصار لم يصح نفيه عنه
فاخذ عنهم الكلام واستحسنوا ابو الفضل معمر عفا الله عنه ومما احتج به في
المثال من المطابقة للسان العرب وبنوا عليه من ان نفي الصفة لا يصح الا عمن
شانه اثباتها له وفي تسليمهم ذلك نظر ظاهر اما اولا فانا نطبق ما ذكره من
المثال قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق فان من واقعة على الاصنام ولا يصح
اثبات الخالقية لها بحال واما ثانيا فبان ما ذكره يؤدي الى محال لانه يقتضي
ما نص الى قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فان ما ذكره لا يصح فيه
وفيما اشبهه من السلوب بوجه وما ذكره اشتباه والتباس بين العدم المقابل
للملكة بالسلب المقابل للايجاب اذ الاول هو الذي يعتبر فيه ما ذكره من امكان الشيء
لتصحيح الاية بان العدم هو سلب الملكة عما من شانه ان يتصف بها كما يقال
في الحائط انه اعمى او جاهل او عاجز على ان الجهل والعمى عدمان ولا اشكال في
السلب فلا يتقيد بما ذكره كما صرح به القوم وانه يقال الحائط ليس ببصير ومن
مسألة السلوب فانه يقال الله ليس بحادث وليس بجائز وليس بعرض ولا بجوهر
ومن عليه في قوله وهل النبي افضل منه ادم نبيه وخليفته في الارض
بما سبق سابق علمه ذكر بعض اهل الكلام القول بان الجنة التي اهبط
منها ادم ليست هي الجنة التي هي دار الخلود والثواب وانما هي جنة من الدنيا
بارض عدن او في السماء السابعة على اختلاف في ذلك وما ذكره المصنف هو قول
الجمهور ومقابله نسب للمعتزلة ولابي حنيفة واصحابه واليه ذهب منذر بن
سعيد البلوطي واحتجوا على ذلك بان دار الثواب وصفها الله بدار الخلود والقرار

في اية لا تدركه الابصار لا دليل فيها للمعتزلة

مناظرة في مسألة رؤية الباري سبحانه وتعالى

العدم هو سلب الملكة عما من شانه ان يتصف به فلا يقال الحائط اعمى

السلب لا يتقيد بذلك فيقال الحائط ليس ببصير

والمقامة

والمقامة واحزن فيها ولا نصب ولا لغو ولا تاثيم ولا كذب ولا حسرة وهذه الصفات
منفية عن جنة ادم لان ابليس خرج منها وكذب فيها ابليس واثم وتكبر وحسر واجيب
بان صفات الجنة ليست ذاتية لها وانما هي بجعل الله تعالى وصفها بذلك في وقت
دون وقت او يكون وصفها بتلك الصفات موقوفا على شرط فلا توصف بها قبل
شرط وجوده بقوله نبيه وخليفته القول بان الذي اهبط من الجنة غير ادم ابي
البشر وانما هو رجل تسمى باسمه كان في حديقة على ربوة فاهبط منها نقل ذلك
العلماء وابو الحسن والفلاسفة وفي وعن عمر وابن شاكر قوله بما سبق من سابق علمه
الى سبب هبوطه وهو اكله من الشجرة التي نهي عنها انما كان بسبب حكمه انما
هو قضاء السابق واعلم ان اكل ادم من الشجرة صورته صورة المخالفة وليست مخالفة
شرعا لان المعصية شرعا هي المخالفة عمدا وتاويل مع العلم بالتحريم والمخالفة هنا
لم تقع من ادم لانه اكل من الشجرة ناسيا للنهي كما قال تعالى ولقد عهدنا الى
ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وهذا وان انتقد عليه الشيخ زروق رضي الله عنه و
غيره غير مرتضى لما هو المعتقد الحق ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر قبل
النبوة وبعدها عمدا وسهوا ولما ظاهره مخالفة ما نهاه ربه عن هذه الشجرة ... النهي
ولذلك قال الجلال في تفسيره للاية فنسي ترك عهدنا ولم نجد له عزما وصبرا عما نهيناه
عنه وقول ابن العربي ... ان ادم اكل ناسيا لا يجوز وتعقله العلماء وغيره متعلق بالنسيان
وقد قال تعالى وعصى ادم ربه فغوى وقال في بيان عذره ولقد عهدنا الى ادم من قبل
فنسي ولم نجد له عزما وبه ما تقدم وقد قيل في شرح صغرى الصغرى وامام
تناولها فمنهم من انه عبر عن نهي عنها وهذا ايضا بعيد ... ولا
اوقيا باخذ الله فيه لما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
فالمنبه بانه وشغفه بما حبه ما يؤديه اليه الخلود في جواره والبقاء وعنده في داره او
ما يؤديه الى الملائكة لان ادم علم رفعة الملائكة من الله واكل من الشجرة لينال الملكية
التي هي افضل او التي هي في ظنه كذلك على اختلاف اهل العلم اي افضل الملائكة ام
الانبياء وقد قال الله سبحانه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال ادم ما ظننت ان احدا
يحلف بالله كاذبا كما قال سبحانه فدلاهما بغرور ولم يكن اكله عنادا ولا اخلالا فقال
شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي المعتقد المرتضى ان الانبياء معصومون
من القصد الى اتيان الصغائر كما انهم معصومون من القصد الى اتيان الكبائر الا انهم
يواخذون لمكانتهم ومنزلتهم بما ليس بكبائر ولا صغائر في حق من سواهم فقال البكي
كل من وجبت له العصمة فجميع ما يصدر عنه موافق لامر الله وكل ما هو موافق
لامر الله فهو طاعة ومحال ان يكون غيرها بالوضع الذي يقال فيه وان اطلق عليه
الرب جل وعلا المخالفة فذلك ونحوه من حيث مرتبتهم ومقامهم ما انتفاء الوصف الشرعي
والصفة الجبلية الربوبية وهذا من حيث هذه الحيثية التي ذكرها البكي محمل ما ورد من

اختلف في اكل ادم من الشجرة هل كان نسيانا او تاويلا واتفقوا انه لم يكن عنادا

في قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي

في قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الخ

اصح ما قيل في تاويل اكل ادم من الشجرة

هل الملائكة افضل ام الانبياء
انظر ... شرح ...

المعتقد المرتضى في حق الانبياء عليهم السلام

يواخذ الانبياء بما ليس بكبائر ولا صغائر في حق غيرهم لمكانتهم ومنزلتهم

الالفاظ الموهمة في حقهم وان ذلك الذنب او العصيان انما هو باعتبار ما هي
مقام من مقاماتهم العلية التي لجم امر حول حماها وليس هو على حقيقته الذي يتب
او العصيان المتعارف فان ذلك مما يتنزهون عنه ويستحيل في حقهم وحيث
كان الامر بهذا الاعتبار فليس لنا ان نطلق هذا اللفظ في جانبهم اصلا لانه
لفظ موهم يجب اجتنابه بالكلية نعم ان ورد في الاي القرانية او الاحاديث
الصحيحة النبوية فلا نذكر ذلك الا حالة التلاوة للاي او ابلاغ اللفظ الشرعي
اما في غير ذلك فلا والله اعلم اه وانما تساغ الاطلاقه في حالة التلاوة فقط لان
الشرائع يقول لعمرو ما شاء وعلينا ان نتادب مع العمر لانا مامورون بذلك في قوله
تعالى وتعزروه وتوقروه اه وهل الشجرة التي نهي عنها التين او الحنطة او الكرم
او غير ذلك اقوال كقوله وهي في الجنة التي اعدها الله دار خلود للاولياء واهبط
بالبناء للفاعل او للمفعول وان ادم واصل الاهبط عن الفاعل والهبوط معنوي وحسي
والمعنوي مستحيل في حق الانبياء ويجب على كل مومن ان يعتقد ان النبي والرسول
لا ينتقل من حالة الا لما هو اكمل منها واعلى والحسي جائز عليهم عليهم
السلام وهو الانتقال من محل الى اخر وهو الواقع لادم عليه السلام فهبوطه
نزول في الصورة وعلو وترق في المعنى لانه زاد به درجة النبوة والخلافة
والامامة كما اخبر الله تعالى به ملائكته بقوله اني جاعل في الارض خليفة لذلك
قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله ما انزل الله ادم الى الارض
لينقصه وانما انزله الى الارض ليكمله اهـ لا زال اهل الخصوص مع الله تعالى في حالة
ليبتلي سواهم ولله فيهم تدبير لا يتوجه به اعتراضهم وقد ذكر تاج الدين ابن
عطاء الله في كتابه التنوير بعض هذه الحكم والخطاب واللطائف التي منحها ادم
عليه السلام في قضية اكله من الشجرة وهبوطه للارض وهي من جملة المزايا والكما
لات التي لا يعرف قدرها وعزتها الا من كان له نصيب وحظ وافر من معرفة الله تعالى
فمن ذكرها من التنوير ان ادم وحوا عليهما السلام كانا في الجنة متعرفا اليهما بالرزق والعطا
والاحسان والانعام فاراد الحق سبحانه ان يظهر لطفه في تدبيره ان يأكلا
من الشجرة ليتعرف اليهما بالحلم والستر والاجتبائية اما الحلم فلانه لم يعاجله
بالعقوبة حين عصاه والحليم الذي لا يعاجلك بالعقوبة على ما صنعت بل يمهلك اما
الى عفوه وانعامه واما الى سطوته وانتقامه واما الستر فكانهما لما اكلا
منها وبدت لهما سوءاتهما نزوا الى اشجار الجنة تسترهما بورقها كما قال وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة وكان ذلك من وجوه ستره واما الاجتبائية
فلانه سبحانه بعد ان قضى عليه بالاكل من الشجرة لم يجعل اكله اياها
سببا لاعراضه سبحانه ولا القطع عنه بل كان في ذلك اظهار لوده فيه
وعنايته به كما قالوا من سبقت له العناية لم تضره الجناية وقد

مجمل ما ورد من الالفاظ الموهمة في حق الانبياء

ليس لنا ان نطلق ما فيه ايهام في جانبهم الا على سبيل التلاوة

للشرائع يقول في عمرو ما شاء

ما هي الشجرة التي نهي عنها

الهبوط معنوي وحسي

المعنى دابا في الترقي فهبوط ادم للتكميل اذ بهبوطه تكملت فيه العبوديتان عبودية التعريف وعبودية التكليف

بعض فوائد اكل ادم من الشجرة الحلم والستر والاجتبائية

الحلم

الستر

الاجتباء والاعتناء والتودد

الخلافة

الخلافة والتوبة الحقيقية هو الذي يروم لكم من الرواد لكم سواء اكنت موافقا او مخالفا ونشا
عن الاجتبائية مقامان التوبة اليه والهداية من عوج مضارع قوله سبحانه ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى اي اظهر اثر اجتبائيته له وعنايته به بتبيين التوبة عليه
ثلاث الاجتبائية والتوبة التي هي نتيجتها والهدى الذي هو نتيجة التوبة فاهبطه
ثم انزله الى الارض فتعرف اليه فيها بحكمته كما تعرف اليه في الجنة بنعمه قدرته وذلك
لان الدنيا محل الوسائط والاسباب فلما ان اهبطه الى الارض علمه الحراثة والزراعة
وما يحتاج اليه من اسباب معيشته لتحقيقه الله بما اعلمه به من قبل ان ينزله بقوله
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي تتعب فتحتاج الى الاكل من كد يمينه وعرق جبينه
بعد ان كان لا يجوع ولا يظمأ ولا يعرى ولا يتعب ثم قال في التنوير ترتيب وبيان
علم ان الله تعالى تعرف لادم بالايجاد فناداه يا قدير ثم تعرف له بتخصيص الارادة
فناداه يا مريد ثم تعرف له بحكمه في نهيه عن الاكل من الشجرة فناداه يا حاكم
ثم قضى عليه باكلها فناداه يا قاهر ثم لم يعاجله بالعقوبة اذ اكل منها فناداه يا حليم
ثم لم يفضحه من ذلك فناداه يا ستار ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه يا تواب ثم اشهده
ان اكله من الشجرة لم يقطع عنه وده فيه فناداه يا ودود ثم انزله الى الارض
وسهل له اسباب المعيشة فناداه يا لطيف ثم قواه على ما اقتضاه منه فناداه يا
معين ثم اشهده سر النهي والاكل والنزول فناداه يا حكيم ثم نصره على العدو
الكائد له فناداه يا نصير ثم ساعده على اعباء تكاليف العبودية فناداه يا ظهير
فما انزله الى الارض الا ليكمل له وجود التعريف ويعلمه بوظائف التكليف فتكملت
في ادم صلوات الله عليه وسلامه العبوديتان عبودية التعريف وعبودية التكليف
فعظمت نعمة الله عليه وتوفر احسانه لديه فاجتمع لادم وبعد هذا نسبة المصنف
والمسلم فقال ابن العربي في الاجوبة خروج ادم من الجنة هو سبب وجود الذرية
وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والانبياء والصالحين والاولياء ولم يخرج منها
طردا بل لقضاء اوطار ثم يعود اليها وقرينة المصير على مزية ادم وكمالة فرده حتى
الشوق شيء من النقص في اكله ولد بقوله نبيه وخليفة فان النبي معصوم
من العصيان الموجب للاثم والخلافة ثابتة له بقوله تعالى قبل ان يخلقه اني جاعل
في الارض خليفة فكيف يفهم خليفة على عباده ويجعله محل النقص والعصيان
هذا المحال وقوله ادم سمي بذلك لانه خلق من اديم الارض وروي عنه صلى الله عليه
وسلم خلق الله ادم من اديم الارض كلها فجاءت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض
والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث

الناس كالارض ومنها هم • من خشن اللمس ومن لين
جلمد ترمي به ارجل • واثمد يجعل في الاعين

وقيل لان لونه الادمة وهي حمرة تميل الى السواد ومذهب الجمهور انه خلق في

نتيجة الاجتبائية التوبة والهداية

فوائد انزاله الى الارض تعريفه بحكمته وقيامه بوظائف عبوديته

جملة من التعريفات الحاصلة لادم عليه السلام

وجه التسمية بادم

محل خلق ادم ويومه

جنة عدن وقيل في الارض وخالف وكان بدء طوله الجنة وخروجه منها ستة ايام
وخلق يوم الجمعة وفيه اخرج منها ونزل الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات تعمر
آدم الف سنة وولد له من حواء اربعون بطنا في كل بطن ذكر وانثى فكان
يزوج ذكر هذا البطن لانثى البطن الاخرى الا شيث ولد وحده كرامة له وهو الذي
ولي عهد آدم بعده وهو الذي بنا الكعبة بالطين والحجارة وكانت هناك خيمة
لادم نزلت من الجنة وبلغت ذريته قبل موته مائة الف فماتوا كلهم الا شيث ومن
من شيث ايضا ذريته فماتوا كلهم الا نوح وولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث كذا
عن ابن عمر قال الاجهوري وعاش نحو ... ولم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده ...
الفا ماتوا كلهم الا شيث وولده وماتت شيث وولده الا نوحا ومن نجا معه في
السفينة ابوه ودفنه وولده شيث بغار ابي قبيس وكان فيه ابن من الطوفان فلما استقر
نوح وجعله في تابوت وحمله معه في السفينة فلما ان تبع الماء وظهرت الارض رده
نوح الى مكانه وروي عن ابن عباس انه لما هبط نوح من السفينة ببعض الارض نام ذات
يوم فبدت عورته فنظر اليها حام فضحك ولم يستر عليه يافث ثم رأى ذلك سام فلما عرض
بوجهه وغطى عورة ابيه فلما استيقظ اخبر بذلك فدعا ولده سام ان يكون في الانبياء
عن الله مما طلبك وفي نوادر الاصول للحكيم الترمذي عن سعيد بن المسيب قال ولد
نوح ثلاثة سام وحام ويافث فقال فولد سام العرب وفارس والروم وفي هؤلاء
خير وولد حام السودان والبربر والقبط وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج
ومأجوج انتهى قال ولبعضهم في هؤلاء نظم ولبعضهم

عرب وفارس وروم وما علمن • اولاد سام فيهم الخير زكى
والقبط والبربر والسودان • اولاد حام ونكد انسان
ياجوج والترك مع الصقالبة • ليافث الاخير فيهم فاعلمه

وذكر الترمذي فيما تقدم عنه ان ساما هو ابو العرب والعجم المجاورين للعرب
وان حاما هو ابو الحبشة والهند والسند وان يافثا هو ابو الترك والصقالبة
ابن قال فكان هؤلاء الثلاثة ممن ركب السفينة معه وامتنع كنعان
الابن الرابع وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ويحكى انه لما ...
نوحا ابوه ... ان الله ساما ... بكره ... وفيهم بيته ... الا
بجعل ... وتسلط ... الحرم وما حوله والبرابر ... وجعل ... البراعج
والبرعالج وجعل ... الا ... فجعل السام كان الصقب الا ...
احسنها وقوله نبيه وخليفته اشار بالجمع بينهما الى انه كان نبيا رسولا
وانظر قول التتائي والفلشاني والخليفة القائم بامره وكل نبي خليفة بعد
الاعتبار وقوله الى ارضه متعلق باهبط لا بالخليفة وقوله بما سبق
في سابق علمه اي في ازله انه يخلفه وينهاه عن اكل الشجرة فيأكل منها فيقطع

عنه

مدة مكثه في الجنة

مدة حياته وعمره واولاده

شيث اكبر ولده وهو الذي ولي عهده وبنا الكعبة

عورة حام نبيه آدم عليه السلام

موضعه على ابي قبيس

خبر اولاد نوح عليه السلام

اولاد سام العرب وفارس والروم
اولاد حام السودان والبربر والقبط
اولاد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج

ينبغي ان يكون خليفة الله قبل ان يخرج في الفلتات فقوله بما سبق في سابق علمه اشارة
الى انه جاعل في الارض خليفة. تنبيه في البخاري احتج آدم وموسى
فقال له موسى يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى
اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني
باربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا الى ان قطعه بالحجة والتسلسل
بان سبق القضاء على العبد لا يمنع من ترتيب اللوم عليه والاعتذار بذلك فيه التمسك
بالحقيقة دون الشريعة واحسن الاجوبة كما قال ابو العباس القرطبي ان موسى
عليه السلام علم بتوبة الله عليه والعلم بالتوبة يرفع اللوم او يقال هذا الاحتجاج
لم يكن في دار التكليف ومن سبل الشيخ الامام العارف بالله سيدي محمد بن عباد عن قول القائل
لمعترض ولومه على التفريط وترك العمل باحتمال البر ما وعقته لذلك وهل هذا القول
خطأ او صواب فاجاب اعلموا ان هذا القول في حال يكون خطأ وفي حال يكون
صوابا فاما الحال التي يكون فيه خطأ فهو اذا قاله طاعنه منتصرا لنفسه ومحتجا
لها من المحمود اتفاقا والاغلب انكسارا لان العبد من حيث هو عبد لا ينبغي ان
ينتصر لنفسه ولا يحتج لها وان كان في كلامه ذلك ينطق بالحكمة وينطق بمحض
الحق وذلك من اعظم الخطايات التي لا تنبغي لهم عنهم سيره وفي عز الله
تعالى الكافرين حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء وما اشبه ذلك وهو كلام صحيح بنا على كل اهل اعتقاد مضمنه كما يجب
عليه ان يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له ولا ... كانهم ذكروه على ...
الارادة ثم الانتصار والاحتجاج لانفسهم ونفاه ... وهذا كله واما
الحال التي يكون فيه صوابا فهو اذا قاله ... غير منتصر لنفسه ولا محتج وانما
قاله اظهارا لبراءته عن قدرة الله تعالى فيه ونفوذ مشيئته عليه مع شهود افتقاره وجوار
انكساره وعلى هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى اي غلبه بالحجة
والحديث صحيح مشهور رواه البخاري رضي الله عنه ونفعنا به. قوله وخلق النار
فاعدها دار خلود لمن كفر به والحد في آياته وكتبه ورسله هذا
مما يجب اعتقاده وهو ان النار حق وانها مخلوقة الان وان كل كافر مخلد فيها
كما سبق في الجنة يدل على ذلك ايضا الكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى
اعدت للكافرين واما السنة فما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم اطلعت على النار
فرايت اكثر اهلها النساء وحديث اشتكت النار الى ربها ونحو ذلك والاحاديث و
الايات في ذلك كثيرة والاجماع على اجرائها على ظواهرها وقد ورد في صفتها جملة
وتفصيلا ايات واحاديث كثيرة قال تعالى كلا انها لظى نزاعة للشوى وفي حطمة الى ان قال
وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر وقال وما ادراك ماهيه نار حامية وقال لينبذن في
الحطمة الاية وقال واذا الجحيم سعرت وسيصلون سعيرا والذين كفروا لهم نار جهنم

حديث حج آدم موسى

الاعتذار بالقدر يكون خطأ ويكون صوابا

ادلة كون النار مخلوقة الان

صفة النار اعاذنا الله منها

ابوابها وطبقاتها

قيل اولها وهو اعلاها للعصاة من المومنين وثانيها لليهود وثالثها للنصارى ورابعها للصابئين وخامسها للمجوس وسادسها للمشركين وسابعها للمنافقين كذا [illegible] الشارح في اخر الكلام على الصراط

الاية الى ايات كثيرة ولنذكر بعض ذلك ليعلم المومن قدر ما انعم الله به عليه من الايمان الذي هو فضل الله تعالى بسبب النجاة من عظيم الخسران في دار الغضب والهوان فاما ابوابها فسبعة كما قال تعالى لها سبعة ابواب على عدد جوارح الانسان السبعة وكذلك طبقاتها سبعة اعلاها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وهي مقر المنافقين اما المنافقون ففي الدرك الاسفل من النار قال الشيخ زروق ولينبه في المسألة فان في جمع الامر عند ذكر الاسماء تقديما في صفاتها وقيل انها مجملة وليس في ذلك توقيف

لونها وشدة حرارتها وبرودتها

واما لونها وشدة حرها وبردها فورد اوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة من لهبها وان نسبة حرها وزمهريرها من حر نار الدنيا وبردها وقد ورد ان شكت النار الى ربها فقالت اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فحر الصيف وزمهرير الشتاء من نفسها وقال عليه السلام الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء وقال انس يوتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويوتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة فيقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وفي البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله ان كانت لكافية قال فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها

اوديتها وشعابها

واما اوديتها وشعابها فورد ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وورد تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن او وادي الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله للقراء المرائين

جب الحزن او وادي الحزن للقراء المرائين

طعامها الزقوم والضريع والصديد

واما طعامها وشرابها فالزقوم والضريع وصديد ابدانهم والحميم والغسلين والزقوم من الضريع وشجرة في النار والزقوم شجر مر والضريع نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه وفي القرءان العظيم ان جهنم كانت مرصادا الاية وقد ورد يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت امعاءهم قطعت امعاءهم في بطونهم

جوع اهل النار يعدل ما هم فيه من العذاب

شرابها الحميم

وأما

حياتها وعقاربها

واما حياتها وعقاربها فورد ان في النار حيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق واذى الناس

زبانيتها

واما زبانيتها وعددهم كما قال تعالى عليها تسعة عشر اي من رؤساء الموكلين بها وصفتهم كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد قال الثعلبي غلاظ من امتن اهل النار شداد عليهم وقيل غلاظ في الاخلاق شداد في القول فظاظ اقوياء لم يخلق الله فيهم الرحمة وقال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وورد كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون شعورهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار ويرمي الجبل عليهم وان يبسط مالك وهو المذكور في القرءان زيادة وابا مالك وبين كل واحد منهم مسيرة سنة

صفة اهلها

واما صفات اهلها فورد ضرس الكافر من النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث ليال وورد ان شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وورد ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطاه الناس وقال الحسن في قوله تعالى كلما نضجت جلودهم الاية تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وورد يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت [illegible] والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور [illegible] ولا تغيثهم يبعثون ايضا من ذلك

لاهل النار خمس دعوات

قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون قال [illegible] ثم يقولون ربنا امتنا اثنتين الاية فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك الاية فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر الاية ثم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك هو غاية شدة العذاب وقد ورد انه تسود وجوههم اشد سوادا من الحمم وتعمى ابصارهم وتبكم السنتهم وتقرع اسماعهم (?) واذانهم وتغل ايديهم الى اعناقهم وانهم يمشون على النار بوجوههم قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا الاية صبروا

عذاب اهل النار متفاوت

ماية سنة ثم هرعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وأعلم
ان تناول النار لهم متفاوت ولكل امرئ منهم معلوم على قدر معصيته وذنبه
الا ان اقلهم عذابا من لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة
ما يقاسيه كما في كتاب الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل
النار عذابا من ينتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه من حرارة نعليه انظر الاحيا
للامام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه قوله وخلود النار عطف على خلود الجنة
فهو جرّاه واطلق النار هنا على دار العقاب وقوله دار خلود اي بقاء فهو
ما يصيبهم في الجنة قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون وقوله لمن كفر به الكفر لغة التغطية
والكفر غطى الايمان بالكفر ويسمى الزارع كافرا لتغطيته البذر بالتراب ويسمى
الكفار بذلك وسمي الليل كافرا لتغطيته ما فيه وقوله وانكر الالحاد الرد
والجحد وقوله في آياته اي المجلوة وهي المخلوقات الدالة على وجوده ووحدانيته
وصفاته والمتلوة وهي المشار اليها بقوله وكتبه والالحاد في الكتب التكذيب
بها او تاويلها وحملها على غير محملها قال تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا الاية
وقوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وقوله ورسله الالحاد فيهم تكذيبهم او
بعضهم او اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده في حقهم عليهم الصلاة والسلام قوله
وحسبهم انهم محجوبين عن رؤيته هذا مما ورد في القرآن العظيم
قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لان الرؤية الملك
[illegible] كرامة فلا تكون الا لاهل ولايته والحجب من لوازم
[illegible] الطرد والابعاد وقيل عن كرامته وانهم يرونه رؤية غضب
وعذاب وهو اشد من الحجب قال الشيخ زروق ولا نص في
ذلك من الشارع والصواب الوقف اه وقد تقدم كلام الشيخ والله اعلم
الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء
الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ
لم يبيعوها الا بشهوات حقيرة في ايام قصيرة وكانت مع ذلك غير صافية بل كانت
مكدرة منغصة بشارة في صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير
في يديك قال يقول اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة
وتسعة وتسعين قال فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها الاية
قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل قال ابشروا فان
من ياجوج وماجوج الفا ومنكم رجل ثم قال والذي نفسي بيده اني لاطمع ان تكونوا
ربع اهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده اني لاطمع ان تكونوا ثلث

[illegible]

حديث بعث النار

اهل

النبي ﷺ في خفيه تعالى من التشابه

عن

فيه نظر لان الظهور يختلف

مقدار يوم القيامة

معارضة وجوابها

اهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده اني لاطمع ان تكونوا شطر اهل
الجنة ان مثلكم في الامم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالرقمة
في ذراع الحمار وفي البخاري في تفسير سورة الحج من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة
وتسعين ومنكم واحد وحديث اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة
واربعون من سائر الامم يبين ان ثلثي اهل الجنة من هذه الامة وانما اشتد الامر
على الصحابة لانهم توهموا ان ذلك العدد الذي يدخل النار لا يكمل الا بان نسبتهم
الناجي الى الهالك كنسبة الواحد الى الالف عشر عشر العشر فنفس النبي
صلى الله عليه وسلم عنهم الخناق بانه لا غرابة في دخول ذلك العدد النار وان كان كثيرا
وفيما عداه لقلة هذه الامة بالنسبة لياجوج وماجوج لا نسبة هذه الامة الى غيرهم نسبة
الواحد من الالف بل نسبتهم لسائر الامم اقل من ذلك كله والذي قال مثلكم في الامم
الخ وفي رواية وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالشعرة
السوداء في جلد الثور الاحمر قوله وان الله تبارك وتعالى يجي يوم القيامة
الخ هذا مما يجب اعتقاده لوروده في الكتاب قال تعالى وجاء ربك والملك
صفا صفا وانما اسند المجيء الى الملائكة في هذه الاية وفي اية هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة على ظاهره واما اسناده اليه تعالى فهو من المتشابه
وفرع من مذهب السلف فيه انهم يفوضون في شرحه بعد جزمهم بعدم الظاهر المستحيل
[illegible] تعالى الله … على مراد الله واما على مذهب الخلف فمنهم من قال
ان مجيئه تعالى ظهوره في محل بعد انقضاء … الظهور في العادة لا يكون الا
بالمجيء والانتقال … عن المسبب باسم السبب ومنهم من قال هو من باب
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي امر ربك … او ياتي
امر ربك وعلى الاحتمال الاول فليس فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ
المجيء لان المجيء اذا كان بمعنى الظهور تناول المعطوف والمعطوف عليه
حقيقة بخلافه على التاويل الثاني والله اعلم وقوله يوم القيامة سمي بذلك لقيام الخلق
من قبورهم فيه وقيل لقيامهم بين يدي خالقهم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيام
الحجة لهم وعليهم واوله من النفخة الثانية الى استقرار الخلق في الدارين
الجنة والنار واما مقداره ففي القرآن العظيم في سورة السجدة يدبر الامر
من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون بناء
على ان المراد بقوله يعرج اليه ترجع الامور والتدبير اليه بعد انقضاء الدنيا
وفناء اهلها في يوم الخ فيكون المراد باليوم يوم القيامة وفي السنة
يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام
وذلك كله معارض لقوله تعالى في سورة المعارج تعرج الملائكة والروح
اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة بناء على ان المراد يوم القيامة

وان قوله من يوم متعلق بمحذوف اي يقع العذاب بهم في يوم القيمة كما قال المحلي
صفة لعذاب كما في ابي حيان وفي حديث قاسم بن اصبغ عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المومن حتى يكون اخف من الصلاة المكتوبة
يصليها في الدنيا واختلف اهل العلم في تاويل ذلك فمنهم من وكل العلم الى الله
قال ابن عباس لما سئل عن ذلك ايام سماها الله تعالى لا ادري ما هي واكره ان
اقول في كتاب الله ما لا اعلم ومنهم من اجاب بحمل الاية خمسين الف سنة على الكافر
واما المومن فاليوم في حقه اقل من ذلك بل منهم من يخفف عنه حتى يكون اخف
من صلاة صلاها في الدنيا كما في الحديث السابق وبان في يوم القيمة خمسين
موطنا في كل موطن الف سنة وبان هذا اخبار عن شدة هوله لا ان العرب تصف
المكروه بالطول وايام السرور بالقصر ومنهم من اجاب بحمل الايتين كما في
غير يوم القيمة فقال المراد بالاية الف سنة اي انه تعالى يدبر الامر
مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يعرج في يوم واحد
من ايام الدنيا وقدره مسيرة الف سنة خمسمائة نزول وخمسمائة صعود لان ما
بين السماء والارض خمسمائة سنة والمراد بالاية الثانية خمسين
الف سنة من اسفل الارضين الى سدرة المنتهى بحيث لو صعد
بنو ادم من الدنيا الى موضع العرش لساروا خمسين الف
سنة قبل ان يقطعوه ويحتمل ان الاية الثانية في يوم
القيمة وان المعارج في يوم القيمة فلا معارضة وقوله
والملك صفا صفا عطف على الضمير المستتر في
ومعنى صفا صفا ذوي صفوف كثيرة والمراد بالملك
اسم الجنس قال بعضهم يكونون ثمانية صفوف محدقين بالخلائق
بحيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وقال القشيري قيل
اذا كان يوم القيمة تنزل الملائكة عن الارض وتامر بها
الله تعالى فتمتد من الاديم فيكون فيها مسيرة خمسمائة
عام ثم تنزل ملائكة سماء الدنيا فيصفون
بالخلائق صفا ثم تنزل ملائكة السماء الثانية فيصفون
بالجميع ثم ملائكة السماء الثالثة الى سبع سماوات
ثم يقول الله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان الحجة وهذا معنى قول الله صفا صفا
قال الشيخ زروق والجمهور على ان الملائكة اجسام

عرض صفوف الملائكة في الحشر

الملائكة اجسام لطيفة

لطيفة

لطيفة نورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة شانهم الخير والقدرة على الاعمال
الشاقة لا يوصفون بالانوثة اجماعا ولا بالذكورة على التحقيق ولا لهم اباء ولا ابناء ولا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ولا يصح منهم الجهل بالله والصفة من صفاته
اه وتمام الاية وجيء يومئذ بجهنم وفي مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوتى بجهنم لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك
يجرونها قال القرطبي في التذكرة يوتى بها من المكان الذي خلقها الله فيه فتدار بارض
المحشر لا يبقى الى الجنة طريق الا الصراط والزمام ما تشد به وتربط ليمنع من
ارض المحشر فلا يخرج منها الا الاعناق التي امرت باخذ من شاء الله اخذه اهـ وبيان
ذلك في قوله **العرض الاسم** العرض قيل هو الحساب اليسير وهو عرض عمل العبد عليه
في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب
يوم القيمة عذب فقلت اليس قد قال الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس
ذاك الحساب وانما ذاك العرض من نوقش الحساب عذب وعليه فقوله **والحساب**
اي مناقشتها وقيل العرض تمييز المعروض والنظر في احوالهم والحساب اي عد
عليه كل ما فعل من حسنة وسيئة فهو تعريف العبد بكل ما عمل مثل كلها الدواوين ثانيا
واما العرض فلقوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقوله ولا يكن
يعرضون على ربهم وقوله وعرضوا على ربك صفا وهل المراد صفا واحدا او صفوفا
او قيام قوله اذكروا الله الذي عليه صفوف قائمة في الاجتماع الاية واما الحساب
والسوال فلقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وقوله يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا الاية وقوله
تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقوله فلنسئلن الذين ارسل
اليهم ولنسئلن المرسلين ولا يعارض هذا قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا
جان اما لان المراد سوال استفهام لانه تعالى عالم باحوالهم او انهم يسئلون
في مواطن دون مواطن فقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم مع قوله ثم انكم
يوم القيمة عند ربكم تختصمون ويحاسب المومن بالفضل والمنافق والكافر
بالعدل والحجة فالمومن يخلو به ربه فيعرض عليه اعماله والمنافق والكافر
يحاسب على رؤوس الاشهاد وينادي بهم هاولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الظالمين ثم ان المومنين المحاسبين منهم من يغفر له من غير ومنهم من يقال له
سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ففي البخاري من حديث النجوى
عن ابن عمر يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول اعملت كذا وكذا
فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول اني سترت عليك
في الدنيا واني اغفرها لك اليوم ومنهم من تبدل سيئاته حسنات ففي البخاري عن
ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالرجل يوم القيمة فيقال اعرضوا

هل العرض هو الحساب اليسير او تمييز المعروضين والنظر في احوالهم

الحساب يكون يسيرا ويكون عسيرا شديدا

شواهد العرض والحساب

في ايات فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان غير معارضة لايات السوال

الحساب مختلف باختلاف الحالات ايمانا وكفرا

من المومنين العصاة من يغفر له من غير ومنهم من يغفر له ومنهم من تبدل سيئاته حسنات ومنهم من لا يحاسب اصلا

حديث من يلي حساب الخلق

من المومنين لا يحاسب

من اهل الكرم

من الكفار من تلتقطه النار من المحشر

عليه صغار ذنوبه وتخبأ عنه كبارها فيقال عملت كذا يوم كذا وكذا وكذا
وهو مقر لا ينكر مشفق من كبارها فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول
ان لي ذنوبا ما اراها هاهنا قال ابو ذر فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك
حتى بدت نواجذه وفي الاحياء للغزالي حديث طويل عن انس وفيه ان الاعرابي قال
يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تعالى قال هو بنفسه قال نعم
فتبسم الاعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان
الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي الا لا كريم
اكرم من الله وهو اكرم الاكرمين ومن المومنين من لا يحاسب اصلا ففي مسلم
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتي سبعون
الفا بغير حساب فقام رجل فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال
اللهم اجعله منهم ثم قام اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم
قال سبقك بها عكاشة ومن تقدم من نقل الباب عن قول المص ان الله
لا يغفر ان يشرك به مراجعه وفي الثعلبي من تفسير اخر سورة [illegible] عن
اسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين
والاخرين يوم القيامة جاء مناد بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل
الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن
المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين كانوا لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول
ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى في السراء والضراء فيقومون وهم
قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس اهـ وفي الحديث
اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در ثم ينادي مناد
اين الفقهاء والائمة والمؤذنون اجلسوا على هذه المنابر لا خوف عليكم ولا تحزنوا
حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب وفي الحديث ايضا مسألة
واحدة يتعلمها المومن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من
ولد اسماعيل وان طالب العلم والمراة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه
يدخلون الجنة بغير حساب انظر تذكرة القرطبي تنبيه ان من الكفار من
تلتقطه النار من المحشر في تفسير مكي في اخر سورة الحج من حديث
ابن عباس انه يخرج عنق من النار في المحشر فيشرف على الخلائق له عينان
يبصران ولسان فصيح فيقول اني وكلت منكم بثلاثة بكل جبار عنيد
فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فيحبسهم في جهنم
ثم يخرج ثانية فيقول اني وكلت منكم بمن اذى الله ورسوله فيلقطهم لقط
الطير حب السمسم فيحبسهم في جهنم قال ثم يخرج عوشب واحسب

ان

يغفر ازمن حساب الخلق

ينبغي العبد محاسبة نفسه

ان ابن عباس ذكر في الثالثة اهل التصاوير فيلتقطهم من الصفوف ثم بعد ذلك تنشر
الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب وعند المحجة وبالنار يجثوا
كل من في الموقف حتى المرسلون وكل واحد يقول نفسي الا نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم فانه يقول امتي امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي ومن شدة حنقها
يوم ظن اهل الموقف انها وقعت من غيظه قال تعالى وترى كل امة جاثية اي جليسة فيهم
تجمعها ركبتاه وقال تعالى اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
وقال تكاد تميز من الغيظ اي تنشق تنفصل حتى ياتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي تمشي على اربع قوائم فياخذ بخطامها ويقول ارجعي الى خلفك حتى ياتيك
افواجها فتقول يا سيدي محمد خل سبيلي فانك حرام علي فينادي مناد اسمعي
له واطيعي ثم تجذب وتجعل على شمال العرش وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين اهـ باختصار من تذكرة القرطبي وقد علمت مما تقدم ان قول المص وحسابه
عام مخصوص وفي العلكمي انظر هل تعرض الامم كلها او لا يعرض الا من يحاسب قال النسفي
ومن يقال على القول بانه العرض الحساب اليسير ان السعيد الا يعرضون ثم
في مقدار زمن الحساب قال الزمخشري في قوله تعالى ان الله سريع الحساب
وصف سبحانه نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل
على كمال قدرته ووجوب الحذر منه وروي انه تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب
شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة اهـ وقال ابن عطية قيل لعلي
ابن ابي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلائق في يوم فقال كما يرزقهم في يوم وانظر
تذكرة القرطبي فقد ذكر ان اول من يحاسب هذه الامة وان ابن عباس قال نحن اخر
الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثار الطهور فتقول الامم كادت هذه
الامة ان يكونوا كلهم انبياء واول ما يحاسب عليه العبد من عمله الصلاة واول ما
يقضى فيه بين الناس في الدماء وفي البخاري عن علي رضي الله عنه انا اول من يجثوا
بين يدي الرحمن للخصومة يعني في قصة مبارزته قوله **وعفوه وثوابه**
هذه ثمرة الحساب ومن قال صلى الله عليه وسلم ليس بعد الدنيا دار الا الجنة او
النار قال الشيخ تعالى اللهم وينبغي للعبد ان يحاسب نفسه قبل يوم الحساب فاذا
امسى نظر في ما عمل في نهاره فما وجد من حسنة حمد الله عليها ومن سيئة استغفر
الله وتاب منها ومن كان هذا حاله كان حسابه عفوا واقمن من هذا ان
يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله فيه فان كان جائزا اقدم عليه وان كان حراما
تركه وكف عنه اهـ وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ومعنى دان نفسه حاسبها معاملة
المدين والله اعلم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا
وزنوا اعمالكم قبل ان توزن عليكم وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم

وزن الاعمال

هل الميزان متعدد

صفة الميزان

جبريل هو المتولي للوزن

هل الموزون الصحف او الاعمال او العامل مع احتمالهم

شواهد الاحتمال الاول

شواهد الاحتمال الثاني

قوله ونضع الموازين الخ هذا ايضا مما يجب اعتقاده فيقال
تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الخ ومعناه ونضع الموازين
نصبها وظاهر المصنف والآية تعدد الميزان وقال به الحسن البصري
قال ان لكل احد ميزانا وقال الامام الفخر الاظهر اثبات موازين الميزان واحد
قال وعلى هذا فلا يبعد ان يكون للافعال القلوب ميزان وللجوارح ميزان ولما
يتعلق بالقول ميزان ولم يرتض ابن عطية قول الحسن وقال ان الناس يحكم
على ظلامة وانما لكل احد موزون مختص به والميزان واحد ولا يستشكل بكثرة
من يوزن عمله لان احوال يوم القيامة لا تقاس باحوال الدنيا وفي قال الواحد
حديث ما من مسلم يسأل على الله الا على وجه اي نطقي حتى ارى عليه اثر
البرزخ الشبه باحوال الآخرة فلا تقاس بالدنيا حتى يقال كيف يتصور الوزن
على كل موجود في ان واحد فانه بكثرة المعلوم عليه صلى الله عليه وسلم في ان
واحد ومن تقدم ان الله سبحانه يحاسب الخلق في يوم واحد لا يزاحم في بعض واحد
وعلى انه واحد فجمعه اما باعتبار اجزائه اذ هو كفتان ولسان كما قال الحسن
او باعتبار تعدد الاعمال الموزونة او باعتبار الاشخاص لكثرة من توزن اعماله
او لقصد التفخيم نقل الامام الفخر في سورة الاعراف عن عبد الله بن سلام ان
ميزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتيه على الجنة
والاخرى على جهنم لو وضعت السماوات والارض في احداهما لوسعتهن وجبريل
آخذ بعموده ينظر الى لسانه ونقل العلامة عن الغزالي ان صفته في العظم
مثل طبقات السماوات والارض ومن هاهنا ان كفة الحسنات من نور والاخرى من
ظلام والكفة النيرة للحسنات والمظلمة للسيئات وقال البيضاوي الميزان
عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته اهـ وقوله
لوزن اعمال العباد يحتمل ان الموزون صحائف الاعمال ويدل له حديث السجلات
الآتي وغيره وعليه فكلام المص على حذف مضاف اي لوزن صحائف اعمال العباد
ويحتمل انها تجسم وتوزن فتصير اعمال الطائعين في صورة حسنة واعمال المسيئين
في صور قبيحة قائم بعث شبهة المعتزلة ان الاعمال اعراض لا توصف بثقل
ولا خفة فكيف توزن وصحح هذا الاحتمال ابن حجر ويشهد له من الاحاديث
منها حديث مسلم عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه مرفوعا الطهور شطر الايمان
والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والارض والصلاة
نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك والناس يغدو
فبايع نفسه فمعتقها او موبقها ومنها حديث ابي الدرداء ما يوضع في الميزان
شيء اثقل في الميزان من خلق حسن ومنها عن غير واحد من الصحابة بخ بخ لخمس
ما اثقلهن في الميزان لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح

يتوفى

شواهد الاحتمال الثالث

يدل على وزن اعمال الكفار قوله تعالى ومن خفت موازينه الخ خطابا للكفار انها الشؤون

هل يوزن الايمان

حديث السجلات

يتوفى فيحتسبه والداه ومنها حديث ابي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان الحديث ومنها حديث ابراهيم النخعي من قوله ونضع الموازين
القسط قال يجاء بعمل رجل فيوضع في كفة ميزانه فيرجح فيقال له اتدري مما هذا
فيقول لا فيقال هذا العلم الذي تعلمته وعلمته الناس تعلموه وعلموه بعدك ويحتمل
ان الموزون العامل مع عمله ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه انه
ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وفي لفظ يأتي
الرجل الاكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها وفي مسند احمد عن ابن
مسعود رضي الله عنه كان يجتني سواكا وكان دقيق الساقين فجعلت الريح
تكفيه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون قالوا يا رسول
الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما اثقل في الميزان من احد وظاهر
قوله العباد العموم فيتناول المؤمنين طائعهم وعاصيهم والكافرين ويدل على
وزن اعمال الكفار قوله تعالى ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
فان هذه الآية في الكفار خاصة بدليل قوله في آخرها فكنتم بها تكذبون الخ واما
قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فالمراد لا نقيم لهم وزنا نافعا وزن اعمال
الكفار المنفي هو اقامة الوزن لا الوزن قال في تفسيره ان لا اثقل الميزان
منزلة فعل طالح اهـ وعليه فلا محوج لتاويلها بان المراد وزنا نافعا ومن تقدم
ان من المؤمنين من لا يحاسب وان من اهل الكفر من تلقفه النار من المحشر قبل
اخذ الصحف والحساب ونصب الميزان وعليه فلا يعم الوزن كل مكلف فقول المص
العباد ليس المراد به جميعهم والله اعلم **قوله من ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون** يحتمل ان يقال ان الايمان يوزن وعليه فكل مؤمن يثقل ميزانه لان
الايمان لا يثقل عليه شيء قاله في شرح الجزائرية وكذا قال ابن جزي لا يخف ميزان
مؤمن خفة موبقة اهـ كما ان كل كافر يخف ميزانه قال ح وهذا هو الذي يدل عليه
القرآن وتتم به المقابلة فيكون معنى قوله فاولئك هم المفلحون اما ابتداء او في ثاني
حال بعد تعذيبهم على ما اراد الله اهـ لان مذهب اهل الحق ان من عمل كبيرة
ولم يتب منها ثم اتى بحسنات امثال الجبال فهو مرتهن في الآخرة بتلك الكبيرة لا
ينجيه من العذاب عليها الا محض عفو الله ومن تقدم ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
وعلى هذا فيكون ثقل ميزان المؤمن بشارة له بحسن العاقبة والسلامة من
الخلود في العذاب قاله في شرح التفصيل ومن نقل الحكيم عن عبد الله بن عمرو
بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيامة الى الميزان
ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه
فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس مثل الانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله فتوضع في الاخرى فترجح قال القرطبي في التذكرة ليبعث

هذه الشهادة شهادة التوحيد بل هي شهادة تعدل شهادة التوحيد
فاذا انطق بها بعد شهادة التوحيد حسنة توضع في الميزان ويجوز ان
تكون هذه الكلمة آخر كلامه في الدنيا لحديث من كان آخر كلامه لا اله الا الله وجبت
له الجنة واما القول بان كل مومن يثقل ميزانه بعنوان ذلك علامة على ما منه
من الخلود فهو تاويل بعيد يحتاج الى نص من خارج والذي تواطأ عليه الآي والاخبار ان من
ثقل ميزانه لا يعذب اصلا الا بالمعنى وفي تفسير الثعلبي في سورة القارعة
عن ابن عباس ملكا من ملائكة الله عز وجل يوكل يوم القيامة بميزان ابن آدم فيوتى به
حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت تسمعه
جميع الخلائق باسم الرجل الا سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف
موازينه نادى الملك الا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا اه ويحتمل
ان يقال ان الاعمال هي التي توزن وعليه فلا تنكر خفة ميزان المومن وقد
اشار بعض المفسرين الى ذلك وجعله الشيخ السنوسي في شرح الصغرى
[illegible] احتمال الاقفال ويحتمل ان يكون الخفة والثقل موجودين
في حسنات المومن ويكون ثقلها امارة على عدم المواخذة بسيئاته لو صح
[illegible] حسناته من توبة او شفع او وجه [illegible] مقبول او بمجرد عفو الله تعالى
وخفتها امارة على المواخذة بالسيئة من غير ان يسقط من ثواب الحسنات
بسببه [illegible] شيء اصلا بل هي مرجوة له يجبر ثوابها بعد خروجه
من النار ونحو ذلك او غير فيه والله سبحانه اعلم بمراده من ذلك
[illegible] تفضيل المواحد في بسطه اذا خفت حسنات المومن
اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان
اليمنى التي فيها حسناته فترجح فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم
بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن خلقك من انت فيقول انا نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صلواتك التي كنت تصلي علي وقد وفيتكها احوج
ما كنت اليها اه وفي الحديث من [illegible] حاجة كنت [illegible]
رجح [illegible] في التذكرة وبالجملة فالذي يجب على المومن كما قال الشيخ
السنوسي في جواب له في المسئلة اعتقاد وزن الاعمال ما قاله ابو علي
الجبائي من الاحباط الحق وهو اسقاط الاكثر حسنات كانت او سيئات
للاقل من مقابله بحيث لا يسقط من الاكثر شيء اصلا ولا ما قاله ابنه ابو هاشم
من الموازنة وهي سقوط الاقل مع ما يقابله من الاكثر واذ الكلام [illegible]
اعتقاد هذا فلا ينبغي التعرض لما وراء ذلك بل الاولى ترك الخوض فيه ويكل
علم ذلك الى الله تعالى [illegible] مثل هذا [illegible] قال الشيخ زروق رضي
الله عنه وثقل الموازين على الوجه المعروف في الخفة والثقل انما في الاشياء لا في

الموكل بالوزن

انظر مزية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

القول بالاحباط وبالموازنة

معنى الاحباط اسقاط الاكثر الاقل

معنى الموازنة سقوط الاقل مع ما يقابله من الاكثر

فيما لا يعرف ولا نقول على خلاف ما يعرف اذ كان المعروف مما [illegible]
واضح ولا رابع خلافا لمن يقول انه مخالف لميزان الدنيا بارتفاع كفة الثقل الذي يقول
[illegible] هذا كله الوقف بعد اثبات الميزان اه تنبيهات الاول قد
يقول من الحكمة في الوزن مع ان الله تعالى عالم بجميع احوال العبد ما ذكره [illegible]
[illegible] تكون حكمة ذلك ما ذكره ابن رشد في شرح الارشاد
وهي معرفة مقادير ثواب الحسنات ومقادير عقاب السيئات قال ولهذا
جعل [illegible] ووزن الاعمال هذه الثلاث مرتبة فالعبد هو
الاول وحقيقته [illegible] العبد بكل ما يعمل في عمله منذ كان الى ان مات يعلم علم ضرورة
او جميع ذلك فلما اشتمل بالحسنات جميع اعماله وقع له الجهل بما هو منها حسنة
مقبولة وبما هو منها [illegible] مواخذ بها فيبين له بهذه الحقيقة جملة التي [illegible]
وليعلم من الصحيفة المقبول من الحسنات والمردود منها ويعرف المعفو من
الصحيفة [illegible] والمواخذ به منها فيحصل مقدار ثواب المقبول من الحسنات ومقدار
عقاب المواخذ به من السيئات فيتبين له ذلك في وزن الاعمال اه وعليه اقتصر
شيخنا العلامة ابو عبد الله سيدي محمد بن احمد المسناوي في جواب له عن هذا السؤال
ولا يبعد ان يكون من الحكمة ايضا اظهار شرف المومن على رؤوس الاشهاد والتنويه
بفضله زيادة في مسرته واظهار شقاوة الكافر على رؤوس الاشهاد زيادة في شقاوته
كما اشار اليه بعضهم ويدل له حديث نداء الملك السابق وقد يكون من حكمة
ذلك ايضا اقامة الحجة لهم او عليهم نظير قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاخبر بنسخ الاعمال مع علمه بها والله اعلم
الثاني علم مما تقرر من تعدد الوزن فهو اقسام الاول وزن يظهر عنه الايمان
والكفران وهو علامة الخلود في الجنة او النار ثم تعلقت موازينه الا انه الثاني
وزن يتعلق في المظالم والحقوق فان فنيت حسنات الظالم من قبل ان يفرغ
ما عليه اخذ من سيئاتهم فطرحت عليه فطرح في النار كما في الحديث وهذا انما
هو في القضاء [illegible] والا فما يطرح عليه من سيئاته شيء حكى ذلك عن الشيخ
[illegible] عبد السلام ولا يعارضه ولا تزر وازرة وزر اخرى لانه تخصيص [illegible]
لواحد منهما عند الاخر فان [illegible] للمظلوم سيئة وللظالم حسنة فيعطى للمظلوم
من الثواب بقدر ما يستحقه على الظالم ويزاد في عقوبة الظالم بقدر ما كان
ياخذ منه المظلوم ان لو كان ثم ما يوخذ وان كان المظلوم ذميا والظالم
مسلما فقال بعض يسقط عنه كالحربي وقال اخرون [illegible] للنبي صلى الله
عليه وسلم يطلب به لقوله صلى الله عليه وسلم من اذى ذميا كنت خصمه يوم القيامة
الثالث فيما بين العبد وربه فيعامله بما هو مواخذ [illegible] على ان ثبت
رضي الله عنها [illegible] ثلاثة الخ انظر القلشاني وابن ناجي والثبت الشبيه

معنى ثقل الميزان

حكمة الوزن
وهو ان الثقل علامة على حسن العاقبة وعدم الخلود في النار على الاحتمال الاول
وعلى الثاني ان الثقل علامة على عدم المواخذة بالسيئات

الوزن بعد الحساب

فائدة الحساب [illegible] على جميع [illegible]

فائدة اخذ الصحف [illegible]
مقبول وما هو مردود وما يواخذ به وما [illegible]

فائدة الوزن ان يعلم مقدار ثواب الحسنة ومقدار عقاب السيئة

حكمة اخرى

حكمة اخرى

اقسام الوزن على انه متعدد

من عليه تباعات

اذا [illegible] المظلوم [illegible]
واذا كان الظالم مسلما والمظلوم ذميا

الثالث من علمت مما تفرع وجوه الأعمال بالميزان وهل هو متعدد أو واحد وما
قيل في كيفيته والموزون ما هو وهل هو خاص بالمؤمنين أو عام ومن الموكل به وأين
بعد الحساب وقبله الوزن وحكمته فيجب على كل مؤمن أن يزن أعماله وأقواله
بميزان الشرع رجاء أن يثقل ميزانه وقد جمع هذه الفصول في جزء لطيف الإمام
الحافظ أبو الخير محمد السخاوي فانظره قوله **ويؤتون صحائفهم بأعمالهم**
هذا أيضا مما ورد به القرآن قال تعالى وإذا الصحف نشرت وقال تعالى ووضع
الكتاب فترى المجرمين الآية وقال تعالى ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء الآية
وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم والشهداء الذين يشهدون
للرسل بتبليغ الرسالة على المرسل إليهم إذا جحدوا أو الذين استشهدوا في طاعة الله
أو الحفظة احتمالات ذكرها المفسرون وهل الأخذ للصحف قبل الوزن أو بعده
احتمالان انظر الشيخ زروق وبالأول جزم الأجهوري وقد تقدم نصه والضمير في قوله يؤتون
يحتمل أن يكون لجميع الأمم مما يدخل النار أصحاب الأعراف حتى يؤتى صحيفته ويحتمل
أن يكون لبعضهم لأنه قد جاء أن قوما من قبورهم إلى قصورهم قاله الأجهوري وهل
الثالث هو الظاهر لقول المصنف بعد فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقد تقدم أن من
الناس من لا يحاسب انظر التتائي والصحائف جمع صحيفة وهي الكتب التي كتبت الملائكة
فيها أعمالهم وقيل عنها تبقى مع العبد في قبره وأن كلا منهم من ما يكتب في الدنيا من
أعماله قال قلت يا رسول الله ما أول ما يلقى الميت في قبره قال يأتيه ملك اسمه
رومان يجوس خلال المقابر فيقول له يا عبد الله اكتب عملك فيقول ليس معي
قرطاس ولا دواة ولا قلم فيقول له هيهات هيهات كفنك قرطاسك ومدادك
ريقك وقلمك إصبعك فيقطع له قطعة من كفنه فيكتب وإن كان غير كاتب
في الدنيا ويتذكر حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوي الملك تلك القطعة
ويعلقها في عنقه ثم تلا عليه الصلاة والسلام وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه
الآية كذا نقله قال الشيخ زروق بعد ذكر الوجهين كل ذلك محتمل ولم
يرد به قاطع والصواب الوقف بعد الإيمان بإتيان الصحف والباء في قوله
بأعمالهم للمصاحبة أي مصاحبة لأعمالهم قوله **فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف**
يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا أشار رحمه الله إلى أن أخذ
الصحف باليمين وأن الناس في ذلك مختلفون وهذا الحرف من الآية التي في المصدر ويدل
على ذلك آيات أخر كقوله تعالى فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك
يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا وهو ما يكون في شق النواة وقوله تعالى فأما
من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه وورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم أول من يؤتى كتابه من هذه الأمة بيمينه عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع
الشمس قيل فأين أبو بكر يا رسول الله فقال هيهات زفت به الملائكة

تلخيص ما تفرع في الوزن من الفصول

أخذ الصحف

هل أخذ الصحف قبل الوزن أو بعده

ما المراد بالصحف

يفهم من كلام المصنف أن الحساب بعد أخذ الصحف وتفرع عن هذا أنه قبل أخذ الصحف

أول من يؤتى كتابه بيمينه عمر وأبو سلمة وبشماله الأسود

التي

الجنة هكذا أفاد الأقفهسي عن ابن عباس مرفوعا وروى أبو نعيم عن عبد الله
وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة وأول من يأخذ كتابه بشماله الأسود
ابن عبد الأسد أخو أبي سلمة أول الشكور وروي أنه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه
ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره وتقدم أن الحساب التفصيلي
هو العرض وفي تفسير مكي عن عائشة رضي الله عنها قالت يا نبي الله كيف
يحاسب حسابا يسيرا قال يعطى العبد كتابه بيمينه فيقرأ سيئاته ويقرأ
الناس حسناته ثم يحول صحيفته فيحول الله سيئاته حسنات فيقول الناس
ما كان لهذا العبد سيئة وقوله إلى أهله قال المفسرون أهله الذين ينقلب
إليهم هم أهله في الجنة وفي حديث على رعيه إذا جاوز الانصراف من بين يدي
الله تعالى تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض رحالها وأزمتها الذهب على
كل نوق حلة لا تساوي الدنيا فيلبس كل مؤمن حلة ثم يستوون على مراكبهم
فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين قوله **ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا**
أي للثلاثة فسوف يدعوا ثبورا أي ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه والجمع بين هذه
الآية وبين قوله تعالى وأما من أوتي كتابه بشماله قيل بإدخال يده اليسرى
من صدره بعد ثقبه وإخراجها من وراء ظهره وقيل تغل يده اليمنى إلى عنقه
وتلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه قال الشيخ زروق ويكلف أن
يقرأ في هذه الحالة زيادة في عذابه واعلم أن المؤمن الطائع يأخذ
كتابه بيمينه إجماعا والكافر بشماله كذلك وأما العاصي فالأكثر على أنه
يأخذ بيمينه وتوقف بعضهم في ذلك قاله ابن ناجي وقال سيدي أحمد المقري في
إضاءة الدجنة • وأن أخذ للكتب ما النص أتى • واختلف في العاصي لديهم ثبتا •
• هل بيمين أو شمال يعطى • كتابه ومن يقف ما أخطا • إذ لم يرد فيه
نص يعول عليه والوارد فيه مجمل • **تنبيه** مع حملة الكتاب
موضع الميم من الملائكة ويحتمل غير ذلك في حديث أنس أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله ريحا فتطيرها
بالأيمان والشمائل وأول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
والأصل في الاحتراز أن يزنوا من حسناتها وهذا على ضعيف يا يبطلون ومن قرأ بفتحها
فهو بمعنى الاستواء شالة مطلية أي مستوية والسعير هو الجمر المتوقد
قاله التتائي قوله **وأن الصراط حق** هذا مما يجب الإيمان به قال تعالى
فاهدوهم إلى صراط الجحيم الآية ووردت به الأحاديث وهو أحد الأقوال من قوله
تعالى وإن منكم إلا واردها وفي مسلم ينصب الصراط على متن جهنم فيكون أول
من يجوز أنا وأمتي ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم

الحساب اليسير هو العرض

معارضة وجوابها

الأكثر على أن العاصي يأخذ كتابه بيمينه

أدلة الصراط من الكتاب والسنة

أنه يكون الناس يوم تبدل الأرض

مسيرة الصراط وعرضه

قال في التذكرة القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه

هل كونه أدق من الشعر وأحد من السيف على ظاهره أو مؤول

قول القرافي في الصراط إنه لم يصح أنه أدق من الشعر الخ

ما تعقب به قول القرافي

تنظيم ما تعقب به كلام القرافي

الحديث وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم على الجسر وفي الصحيحين فيقال يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة والدحض والمزلة بمعنى أي يدحض فيه ويزلق والدحض أيضا الماء يكون منه الزلق والكلاليب هي الخطاطيف وفي الجوهري وغرائب الخطاطيف قال الأقفهسي في بعض الأحاديث مسيرته ثلاثة آلاف سنة ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط وأما عرضه ففي صحيح مسلم قال أبو سعيد الخدري بلغنا أنه أدق من الشعر وأحد من السيف وقوله بلغنا يحتمل أن يكون عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أهل الكتاب الذين أسلموا وأنكرهم وفي القلشاني قال عليه السلام هو جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف يرده الأولون والآخرون اهـ واقتصر الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع على أنه أدق من الشعر وأحد من السيف قال الكمال أجراه أهل السنة على ظاهره وقال بعضهم يؤول لسوامي الحديث الآخر في قيام الملائكة على جنبتيه وكون الكلاليب والحسك فيه وإعطاء المار عليه من النور قدر موضع قدميه فأول كونه أدق من الشعر بأن ذلك يضرب مثلا للخفي الغامض والمعنى أن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك إلا الله وأول كونه أحد من السيف بسرعة إنفاذ الملائكة أمر الله تعالى بإجازة الناس عليه اهـ ويعني ببعضهم الزركشي وقال القرافي لم يصح في الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف بشيء والصحيح أنه عريض وفيه طريقان يمنى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلائق والجنة والجسر على متنها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى وإن منكم إلا واردها على أحد الأقوال اهـ وتعقبت أي الصحة ما قاله القرافي بحديث مسلم وتبعه في إضاءة الدجنة فقال

وما يقال إنه أدق	من شعر أو مرهف مهو حق
وفي صحيح مسلم ما أنشرا	البه والطبري فيه انتشرا
والرأي لا يخرجه أمثالهم	عليه إذ لا يعتمد أنشاؤهم
والقرافي هنا كلام	نيط به من أجله ملام

اهـ قال عج وفي تعقبه بحديث مسلم نظر إذ ليس فيه الجزم بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف وأيضا الظواهر تدل لما قاله القرافي فما يعدل عنها ومن الظاهر

فوله

تنظيم ما غريبه

حديث الصراط مثل حد الموسى

هل يمر الكفار على الصراط

قول القرطبي إنهما صراطان عام وخاص بالمؤمنين

أن العبارة تقتضي أن العام يمر عليه بعض المؤمنين ومن لا ... الخ

أهل النجاة متفاوتون

أي في كلام الطالب نكون شرح البشير العجمة

ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا

قوله عليه السلام الناس حين تبدل الأرض يكونون عليه اهـ وقال الشيخ زروق بعد نقل تعقب ابن ناجي المتقدم قلت لكنه أغفل إلا أن يقال يعني حديث مسلم وقد خرج الحاكم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أن الصراط مثل حد الموسى اهـ قوله يجوزه العباد ظاهره مؤمنهم وكافرهم وقد سئل الشيخ هل يمر الجميع وهل الكافر يمرون على الصراط فأجاب بقوله صرح ابن عطاء الله بأن الكفار لا يمرون على الصراط وفي الأحاديث ما يشهد له وفي أحاديث أخر ما يقتضي خلافه وأنهم يمرون محملة على المنافقين لدلالة بعض الروايات على ذلك ثم رأيت القرطبي صرح بأن في الآخرة صراطين صراطا عاما لعموم الخلق إلا من يدخل الجنة بغير حساب ومن يلتقطهم عنق من النار وصراطا للمؤمنين خاصة وهذا جمع حسن وعرف منه أن من يلتقطهم عنق النار وهم طوائف مخصوصة من الكفار لا يمرون على الصراط أصلا وكذلك بعث النار الذي يخرج من الخلق إليها قبل نصب الصراط دلت الأحاديث على أنهم لا يمرون على الصراط أصلا وهم أيضا طوائف من الكفار والظاهر أن الذي يمر على الصراط من الكفار إلا المنافقون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى فإن هو آء العرق الثالث وفي بعض الحديث أنهم يحملون عليه فيتساقطون منه في النار وكذلك من ينصب له الميزان من الكفار وهم طائفة مخصوصة منهم يمرون عليه فيتساقطون وأنهم في الميزان إنما هو على الصراط اهـ بنقل عج ونقله في شرح المراصد وقال قبل ذلك وقد ذكر في المواهب اللدنية تعدد الصراط أيضا قال عج وانظر على ما ذكره القرطبي هل يمر المؤمنون على الصراط الذي لعموم الناس أيضا وعلى الصراط المختص بالمؤمنين والظاهر من كلامه الأول وعليه فيقال ما فائدة مرورهم على الخاص بعد العام ولعله أن العام يمر عليه من المؤمنين من يدخل النار والخاص يمر عليه منهم من يدخل الجنة وبعض هذه العبارة فتأمله اهـ قوله بقدر أعمالهم أي على قدر ما بين ذلك بقوله فناجون أي فقوم ناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه أي المرور عليه في مسلم يمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم وفي القلشاني وجريا ومشيا وحبوا وعلى البطن وقد جاء أن الله تعالى يأمر جبريل فيقف في أول الصراط وميكائيل في وسطه فيسألون الخلق فيسأل من يمر بهم عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه وفي حديث أبي داود أن عائشة ذكرت النار فبكت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الكتاب أيقع في يمينه أم في شماله وعند الصراط

اذا وقع حشر جاوزاه هو ونقله القلشاني بتمامه قال القرطبي وفي
الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عصم الصراط بامتي نادوا وا
محمداه فاباد من شدة اشفاقي عليهم وجبريل اخذ بحجزتي فانادي رافعا
صوتي رب امتي امتي لا اسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي اهـ وقوله
من نار جهنم متعلق بناجون مؤخر من تقديم قوله وفي قوم او بعثهم لها اعما
لهم او حطهم واهلكتهم اعمالهم السيئة في جهنم وهم متفاوتون في ذلك
فاما الموحدون ففي مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم
النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم الله اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن الله
في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة
ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وقيل
المراد بهذه الاماتة الموت حقيقة او الغشيان لئلا يحسوا بالالم والسوء
احتمالات وعن سمرة انه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان منهم من تاخذه
الى حجزته ومنهم من تاخذه الى عنقه وفي طريق اخر منهم من تاخذه الى كعبيه ومنهم
من تاخذه الى حجزته ومنهم من تاخذه الى ترقوته ويفترقون في مكثهم فالذي في الاعلى
ينقسمون الذين يعذبون قليلا والذين يعذبون الى الف سنة الى سبعة الاف
سنة قال وذلك ان اخرهم يخرج من النار كما ورد في الخبر واما الكفار
فلا يموتون فيها ولا يحيون وهم منقسمون على طبقات حكى الزمخشري و
الثعلبي والامام الفخر ان اصحاب الطبقة الاولى اهل التوحيد يعذبون على
قدر اعمالهم والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة
للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وفيها توابيت من حديد
يطبق عليهم اهـ وقال القرطبي في التذكرة لم يرد هذا الترتيب في خبر صحيح
وقد ذكر ان في جهنم خنادق وجبالا واودية وبحارا وصهاريج وحياضا
وابارا وجبابا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا وقصورا وارحية ونواعير
وعقارب وحيات نعوذ بالله من ذلك كله قوله وللايمان بحوض
النبي صلى الله عليه وسلم اي من الواجبات الاعتقادية وان كانت احاديثه
لا كن مجموعها يفيد العلم فقد روى احاديثه خمسة وخمسون من الصحابة وقال
القلشاني قد تواترت الاخبار به وخرج احاديثه اهل الصحة واجمع عليه اهل
السلف والخلف واتفقوا على الايمان به اسال الله تعالى ان يسقينا منه امين وهو احد
الاقوال في الكوثر قال التتائي ومن كذب به فهو مبتدع عند اهل السنة اي
ولا يكفر وجملة ما قيل في وصفه انه مسيرة شهر او شهرين او ثلاثة وقيل
كما بين عدن وعمان وعرضه كطوله وحافتاه من الزبرجد وطينه المسك

وحصباؤه

موت من يدخل فيه الموحدين من العصاة

مقدار مكثهم فيه مختلف

أهل كل طبقة من طبقات السبع

الحوض احاديثه متواترة أو كالمتواترة ومن كذب به لا يكفر

صفة الحوض طوله وعرضه وما قيل في انيته وحصباؤه

وحصباؤه الدر والياقوت وانيته من فضة عدد نجوم السماء وروي اكثر من نجوم السماء فيه
ميزابان من الجنة احدهما من ذهب والاخر من ورق ماؤه اشد بياضا من اللبن وابرد
من الثلج واحلى من العسل ورائحته اطيب من ريح المسك ذكر
السهيلي في الروض الانف عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اعطاني نهرا يقال له الكوثر لا يشاء احد من امتي يسمع
خرير ذلك الكوثر الا سمعه قلت يا رسول الله وكيف قال ادخلي اصبعيك في اذنيك وسدي
قالت فجعلت فقال هذا الذي تسمعين من خرير الكوثر نقله القلشاني وتت وكلام
لم يشعر باختصاص الحوض به صلى الله عليه وسلم وقيل لكل نبي حوض وقيل الا
صالح فحوضه ضرع ناقته قوله رد له امته قال ابو الحسن اذ تأتيه امته اي
اتباعه حين خروجهم من قبورهم عطاشا فيشربون منه اهـ وكذا هو ان وروده
قبل الميزان والصراط والحساب وهو المختار بل قال الغزالي القول بان الحوض
بعد الصراط غلط قال في شرح القصيد لو كان بعد الصراط لما ذيد ناس عنه
اهـ الى النار فان من جاوز الصراط لا رجوع له الى النار ابدا ثم قال وقيل ان له
صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما قبل الصراط والاخر بعده فالاول هو الذي يذاد عنه
من بدل وغير والثاني لا يذاد عنه احد لانه لا يصل اليه الا من خلص من العذاب اهـ
ثم انه لا حصر في قول المصنف امته فيحتمل ان يشرب منه غير هذه الامة قوله
لا يظما من شرب منه اي لا يعطش من شرب منه بعد ذلك لان شراب اهل الجنة
وكذا اكلهم انما هو عن تلذذ صرف وشهوة لا عن جوع وعطش ولا نوم فيها ولا بول
ولا غائط ولا نار شحمهم المسك قاله التتائي قوله ويذاد بمعجمة فمهملة اي
يطرد ويبعد عنه من بدل وغير مرتدا كان وذلك اما بالاعتقاد كفرقة
جبرية ورافضة او بالكفر والارتداد واما من بدل وغير بالمعاصي المجو
هية فقال في بعض نقول مقتضى ما ذكره التتائي انه في اهل الكبائر
قولين اصحهما انهم لا يذادون والثاني انهم يذادون وفي حالة ولا يذادون في
اخرى اي انهم لا يذادون ان غفر لهم ويذادون ان لم يغفر لهم وكلام شارح
القصيد يفيد القول الاول لانه اقتصر القرطبي على الثاني قال في التذكرة
قال علماؤنا فكل من ارتد عن دين الله او احدث فيه ما لا يرضاه الله ولم ياذن
به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه واشدهم طردا من خالف
جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض
على تباين ضلالها والمعتزلة على اصناف اهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون و
كذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل اهله
واذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي اهـ ودليل ما قاله
المصنف احاديث كثيرة منها حديث مسلم قالت اسماء بنت ابي بكر قال

من اراد ان يسمع خرير الكوثر

قيل لكل نبي حوض الا صالح

الراجح ان الحوض قبل الصراط والميزان والحساب

القول بتعدد حوضه صلى الله عليه

قيل يرد اهل الكبائر قولان

الذين يذادون عنه

اللقاء على الحوض

رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ
اناس دوني فاقول يا رب مني ومن امتي فيقال اما شعرت ما عملوا بعدك
والله ما برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم قال [illegible] قيل الا من عليه على
ابن ابي طالب فانه الفتى وفي الثعلبي عن انس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لحوضي اربعة اركان ركن منه في يد ابي بكر والثاني في يد عمر والثالث
في يد عثمان والرابع في يد علي من احب ابا بكر وابغض عمر لم يسقه ابو بكر ومن
احب عمر وابغض ابا بكر لم يسقه عمر ومن احب عثمان وابغض عليا لم يسقه
عثمان ومن احب عليا وابغض عثمان لم يسقه علي ومن احسن القول في ابي بكر
فقد اقام الدين ومن احسن القول في عمر فقد اوضح السبيل ومن احسن القول
في عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احسن القول في علي فقد استمسك بالعروة
الوثقى ومن احسن القول في اصحابي فهو مؤمن ومن اساء القول في اصحابي فهو
منافق قوله وان الايمان قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل
بالجوارح اتفق الشيوخ على ان هذا البيت به الخمص على انه مخل يجب
اعتقاده وانه اوهم كلامه ذلك لعطفه على ما يجب اعتقاده لان الاجماع قائم
في الخمص على ان من آمن بقلبه ونطق بلسانه وعمل بجوارحه ولم يعتقد ان
الايمان هو مجموع هذه الثلاثة او انه بعضها انه مؤمن بل وغير آثم ايضا
وكذا ان لم يعتقد انه ايمان كامل وانما اتى به توطئة لذكر قواعد [illegible]
فيما يسوق واشارة الى ان الايمان المنجي لصاحبه من الخلود في النار
والافتقار [illegible] هو الايمان القوي الكامل واما الضعيف
الناقص [illegible] صاحبه على خطر عظيم في الدنيا والاخرة

الايمان المنجي من الاخرة في العزة وفي الدنيا من الوقوع في موجباته

مثال ضعيف الايمان

مثال قوي الايمان

مسئلة زيادة الايمان ونقصانه وفيه ثلاثة اقوال

أما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فلانه مغلوب للاعداء نفسه وشيطانه
ودنياه فلا يخشى الموت ولا يستعد للقاء ولا يرهب النار ولا يفر منها ولا
يرغب الجنة ولا يطلبها ولا يظهر الدعوة [illegible] من زهرة الدنيا فصار ضحكة
للشيطان يلعب به بمنزلة معصفر في ارض فلان كلما مر به عدو
قلبه [illegible] وهو ينظر وليست له جارحة سالمة ولا سلاح
يدفع به ولا يستطيع التحول من موضعه الى غيره فهو كالمشرف على الموت
لا حياة له ولا نفع به يطلق عليه اسم الحياة وحياته كلا حياة واما كامل
الايمان فكما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فلا تخوفهم المخاوف
ولا تزعجهم المطالب فهو بمنزلة شجاع له من الحرب فرس سابق وعنده سلاح
[illegible] فان مر به عدو قتله وان طرقه اللص طرده فصار ملكه من عدوه ممنوعا
وان خرج في بعث [illegible] متبوعا وانظر الى قوله تعالى الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم الاية وقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب الاية وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب الاية والله اعلم وقد تقرر في اول ابيات الكلام على
هذه الامور الثلاثة التي فسر بها الايمان هنا وان التصديق بالقلب هو
الاذعان لما جاء به النبي وقبوله وجعله صادقا وهو مرادف للايمان هنا
دون حقيقته هو الايمان وان النطق شرط على اصح الاقوال وان عمل
الجوارح معتبر في الايمان على وجه الكمال عند اهل السنة وعليه مشى
المص بدليل قوله يزيد بزيادة الاعمال الخ وقوله ولا يكمل قول الايمان الا بالعمل
وقوله ولا يكفر احد بذنب من اهل القبلة وحاصل هذا كما قال ع ان الاعمال
جزء من الايمان الكامل ليست جزءا من مطلق الايمان فقول المص وان الايمان
الكامل قوله يزيد بزيادة الاعمال وينقص بنقص الاعمال فيكون فيه
النقص وكذا الزيادة في هذا وفي ما بعده ما قبله من ان الاعمال جزء
من الايمان وانه لا يصح الايمان بدون عمل وتنبيه على مسئلة وقع فيها خلاف
بين الائمة وهي ان الايمان يزيد وينقص وبيان معنى ذلك وانه المختار
عنده من الاقوال التي في المسئلة واعلم اولا انه اختلف في زيادة الايمان
ونقصانه على ثلاثة اقوال اشار لها في المراصد بقوله

فقال الاشاعرة والايمان لا • يزيد ولا نقصان فيه حصلا
وقيل فيه وهو قول السلف • والفقهاء وذوي التصوف
وكم محقق على هذا عمل • وقيل بالزيد بلا نقص نقل
عن الامام مالك والسماع • عنه الثلاثة اتت بلا نزاع

ايمان من رواية العتبية فاما اهل القول الاول فتمسكوا بان الايمان
يرجع الى معنى بسيط قلبي فان قطع بعوارض الايمان وان لم يحصل
الايمان فاله المكي وعبارة غيره انه متى قبل الزيادة كان شكا ونفاقا
واما اهل القول الثاني فمنهم من قال ان مرجع الزيادة والنقص الى تمرات
الايمان لا الى نفس التصديق وعليه درج المصنف رحمه الله قال الشيخ زروق
قال بعضهم الايمان مثل السراج لذاته هي القول وزيته هي العمل وفتيلته
مع نارها ونورها هو الاعتقاد وما ينبعث من انواره ولذلك ان قال القول
لا يزيد ولا ينقص والعمل يزيد وينقص والفتيلة يزيد نورها بحسب
الزيت وكثرة المناسبة ولا ينقص اصلها لانها لو نقصت حمد كيفيتها
وهذا هو المناسب لكلام الشيخ اذ جعل النقص في العمل وبه الزيادة الا في
غير العمل بالجملة نقص في ذاته قال ابو حامد من معنى كون الايمان يزيد وينقص
ان تمرته تزيد وتنقص نورا لا على ماهيته اه وعلى هذا فالخلاف لفظي لانه
فرع تفسير الايمان كما قال الامام الرازي فان قلنا هو الاعمال وحدها او
مع التصديق فتقبلها ووجه الزيادة والنقصان ظاهر كان الايمان كثير
كما كثرت ايمانا وان قلنا هو التصديق القلبي فقط فلا يقبلها اذ
التصديق الجازم لا يقبلها وعلى ذلك قول ابن زكري

- من فسر الايمان بالتصديق • لا زيد لا نقص على التحقيق
- ومن يرى اضافة الاعمال • وانما هي على الكمال
- فحد قول الزيد والنقصان • فيما ترى من جملة الايمان

ومنهم من قال ان مرجعهما الى نفس التصديق وعليه فالخلاف حقيقي
قال النووي في جواب نقله في جامع المعيار والمختار ان نفس
التصديق يزيد وينقص لانقص فيه ودون شك بل زيادته بمعنى نفي
قبول الشك والتزلزل والشبه ونقصه بمعنى تطرق ذلك
اليه ولا يشك عاقل في ان ايمان ابي بكر رضي الله عنه كان ارسخ من ايمان
احاد الناس ولهذا قال ليلة الاسراء ما قال وقال في العربية ما
قال اه وقال في شرحه لمسلم ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى من
ايمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل ايمانهم بعارض بل لا تزال
قلوبهم منشرحة نيرة وان اختلفت عليهم الاحوال واما غيرهم من المؤلفة
ومن قاربهم فليسوا كذلك ثم قال ولهذا قال البخاري في صحيحه قال
ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل
اه وفي شرح المقاصد لقائل ان يقول لا نسلم ان التصديق لا يتفاوت بل يتفاوت

متمسك اهل القول الاول
وهو انه لا يقبل النقص والزيادة

متمسك اهل القول الثاني
وهو انه يقبلهما

تمثيل الايمان بالسراج

وتمثيله ان مرجع النقص والزيادة الى
الاعمال

المختار ان نفس التصديق يزيد
وينقص

دليل ذلك

دليل اخر

قوله

قوة وضعفا كيف واليقين مراتب من اجلى البديهيات الى اخفى النظريات وكما
قول الخليل وليكن ليطمئن قلبي وعن علي لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا او
نحوه في شرح المواقف قال بلا وما ذكرتموه يقتضي ان يكون ايمان النبي عليه السلام
واحاد الامة سواء وهو باطل اجماعا وفي مختصر العارف بالله تعالى الشيخ
عبد الرحمن محمد الفاسي في حاشيته على البخاري انه تتصور الزيادة والنقص من
وجوه احدها من حيث حقيقته في الشيء والضعف لانه من الكيفيات المتفاوتة
قوة وضعفا ولا يلزم احتمال النقيض مع الضعف ثانيها من حيث انه يكون
قليلا ثم يكون علما يقينا ثالثها يكون علما ثم يصير عيانا وهو ترقي من علم اليقين
الى عين اليقين ثم الى حقه وهو ما كان بطريق الوجدان وفيه يقع العيان حتى
لو كشف عن صاحبه ما ازداد يقينا لكون المشهود بالبصيرة كرأي العين انظر
بقيتها فيه وتكون زيادته ايضا بكثرة الادلة كما قال النووي قال الشيخ زروق
لانه لكن يقتضي تمكنه من القلب وانشراحه به حتى يبلغ لك بشاشة القلوب
فلا يمكن الرجوع عنه ولا الاحتياج الى برهان عليه اه وفي عمدة ابن الغرس عشرة
وجوه ونقلها من شرح المراصد فانظرها ان شئت واما طرح القول الثالث
فوقف مع الاطلاق الشرعي اذ لم ينص الله تعالى الا على الزيادة دون النقصان قال
تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا وما زادهم الا ايمانا
فزادتهم ايمانا تنبيه قال شيخنا ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي
في جواب له في هذه المسألة قال الولي العارف المحقق ابو العباس زروق رضي الله عنه
بعد ذكر الخلاف وانه قيل لا يخاض في ذلك وقيل يخاض وعليه فهل يزيد وينقص او لا
او لا يزيد ولا ينقص وعن مالك التوقف من نقصه ما نصه وقال بعض شيوخنا
لا يدخل الخلاف في اهل العصمة من الانبياء والملائكة اذ لا يصح نقص ايمانهم وهو
تنبيه حسن ولكن حكم الحقيقة هنا فحكم التحقق بها فلنا ان نذكر الخلاف في الحقيقة
بجملتها او ينتسب اعلاها الا على المراتب وعلى هذا ينبهم اطلاق من اطلق والله
اعلم اه وانظر تتمته ذكرها الشيخ هنا قوله ولا يكمل قول الايمان الا
بالعمل هذا توطئة لما بعده وزيادة تاكيد وبيان لما تقدم من ان قبله من ان عمل البر انما
هو كمال للايمان وان اصل الايمان ثابت بدون عمل ولكنه ايمان ناقص والمراد بقول
الايمان النطق بالشهادتين او ما يقوم مقامهما الدال على التصديق القائم بالقلب
والمراد بالعمل الطاعات تنبيه قال ابن حجر في فتح الباري على حديث سؤال جبريل
عن الايمان والاسلام بعد ان قال ان ظاهر الحديث تغايرهما وجزم به الاسماعيلي واهل السنة
المتوطئ وصاحب الشافعي جزم بترادفهما وهو رأي البخاري ما نصه والذي يظهر
من مجموع الادلة ان لكل منهما حقيقة شرعية كما ان لكل منهما حقيقة لغوية
لكن كل منهما يستلزم الاخر بمعنى التكميل له فكما ان العامل لا يكون مسلما كاملا

تصور الزيادة والنقص فيه من
وجوه

متمسك اهل القول الثالث
انه يزيد ولا ينقص

لا يدخل هذا الخلاف من اهل
العصمة

الفرق بين الايمان والاسلام
على القول بتغايرهما

رأي البخاري ترادفهما

التحقق ان كلا منهما يستلزم الاخر
بمعنى التكملة له

الا اذا اعتقد وكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملا الا اذا عمل وحيث يطلق الايمان
في موضع الاسلام او بالعكس او يطلق احدهما على ارادتهما معا فهو على سبيل المجاز
ويتبين المراد بالسياق اهـ فمن اطلاق الايمان في موضع الاسلام قوله عليه السلام

مثال اطلاق الايمان في موضع الاسلام

القوم وفدوا عليه اتدرون ما الايمان بالله وحده فقالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان
تعطوا من المغنم الخمس وقوله الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا
الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومن اطلاق الاسلام في موضع الايمان قوله
تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل

مثال اطلاق الاسلام في موضع الايمان

ومن اطلاق اسم الايمان عليهما قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
فاطلق الايمان على التصديق والعمل اذ من المعلوم ان الصلاة التي لا يضيعها الله هي
التي صدرت من مؤمن قلت ومن هذا قول المصنف وان الايمان قول باللسان واخلاص

مثال اطلاق الايمان عليهما

بالقلب وعمل بالجوارح ومن اطلاق اسم الاسلام عليهما قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام
دينا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قلت وانما ما ذكره في شرح العقائد
ونقله التتائي من اتحاد الايمان والاسلام مفهوما مؤيدا له بالاستثناء في قوله تعالى
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اذ لولا الاتحاد
في المفهوم لم يستقم الاستثناء ففيه منع لان الاية انما تدل على الاتحاد بحسب
الماصدق وهو مسلم لكنه لا يستلزم الاتحاد في المفهوم الذي هو المطلوب واما
قوله وبالجملة لا يصح ان يحكم على احد بحسب الشرع بانه مؤمن وليس بمسلم او مسلم
وليس بمؤمن ولا نعني بوحدتهما سوى هذا فقال الكمال هو رجوع عن دعوى
الاتحاد بحسب المفهوم الى دعوى الاتحاد بحسب الماصدق لان الايمان بمعنى التصديق
والاذعان بالقلب شرط لصحة الاسلام والاعتداد به شرعا بحيث يكون منجيا
عند الله تعالى والانقياد بالظاهر شرط لاثبات الوصف بالايمان واجراء الاحكام
عليه لان من صدق بقلبه وكذب بلسانه عنادا كافر ولا ينفك الايمان المعتبر عن الاسلام
المعتبر وكذا العكس ومن ذكر الشارح ان ذلك ظاهر كلام المشايخ من الحنفية و
فالنزاع بين الفريقين لفظي لا معنوي اذ لم يتواردا على معنى واحد بشيء اهـ

مثال اطلاق الاسلام عليهما

بحث فيما ذكر في شرح العقائد من انهما متغايران مفهوما

ونيته الاحرام قوله **ولا قول ولا عمل الا بنية الخ** اشار بهذا الى ما بين
عظيمتين وهما ما عزتا من قواعد الشريعة وهما ان العمل الذي يكون كمالا
للايمان مشروط بشرطين احدهما ان يكون بنية موافقة للسنة لحديث انما
الاعمال بالنيات والثاني ان يكون ذلك العمل المصاحب للنية موافقا للسنة
لما يأتي وبهذا تعلم ان المؤمن الكامل هو الذي امن بقلبه ونطق بلسانه وعمل
بجوارحه بنية وكان في عمله ونيته موافقا للسنة وهذا معنى الايمان المنجي بفضل
الله تعالى من النار وقضاء الخلود فيها وسكوا اما من لم يكن كذلك فهو اما كافر ان لم يصدق

العمل الذي يكمل به الايمان يشترط فيه شرطان

صفات المؤمن الكامل

تصديق

تصديق ولا عمل او مسلم فاسق ان وجد العمل دون التصديق وهما من اهل الخلود في
النار او مؤمن فاسق ان وجد التصديق دون العمل تكاسلا وهو تحت المشيئة على ذلك
بقوله ولا يكفر احد بذنب من اهل القبلة فقوله ولا قول ولا عمل الخ ولا يكمل اذ لا يصح قول
ولا عمل الا بنية لان النية من شروط صحة العبادة لا من كمالها فقوله ولا يكمل قول الا بعمل
الخ من باب استعمال اللفظ في حقيقته بالنسبة للمعطوف عليه ومجازه بالنسبة
للمعطوف وهو قوله ولا قول ولا عمل الا بنية وقال الشيخ زروق رضي الله عنه قوله
ولا قول ولا عمل الا بنية الخ يعني ان النية شرط كمال الاعمال يعني كانت مما يجب
فيه او لا يجب فالنية اكسير الاعمال تقلب اعيانها الى الحسن وتزيدها في الثواب اهـ
وظاهر قوله كانت مما يجب فيه او لا يجب ان المص استعمل الكمال في حقيقته بالنسبة للمعطوف
عليه وفي حقيقته ومجازه بالنسبة للمعطوف والله اعلم وحاصله ان من الاعمال ما
النية شرط في صحته ومنها ما النية شرط في كماله اذ يترتب الثواب عليه او كثرته وهذا

من الاعمال ما النية شرط في صحته ومنها ما النية شرط في كماله

وان امكن في بعض المعطوف لا يمكن في قوله ولا قول ولا عمل ونية الا بموافقة السنة اذ
معناه لا يصح قول الخ كما هو ظاهر وقوله ولا عمل يعني من الاقوال والاعمال
التي تفتقر للنية فهو عام مراد به الخصوص لان من كل منهما ما لا يفتقر لنية فمن الاقوال
المفتقرة للنية الاذان على ما ذكره سند قال ع الاجر من نقل غيره وعده فيما
لا يفتقر للنية وقد ذكر الشاذلي ما ذكره التت من قواعد عز الدين الشافعي

هل تفتقر الاذكار الى النية

ولم ينقله عن الملا الفقهاء اهـ ومنها ما يجب من ذكر بعد الحرم كالتهليل والاستغفار والسلف
كالاذان او لا كالنية هنا ليست شرطا في صحة هذه العبادات بل في الخروج من عهدة
وجوبه والله اعلم ومن الافعال التي لا تفتقر للنية الذكر والقراءة ومن الاعمال المفتقرة
لها الصلاة والطهارة وكثير من العبادات ومما لا يفتقر اليها الخروج من عهدة رد
المغصوبات والودائع واقامة الحدود والتعازير وازالة النجاسة وغير ذلك مما
هو مشكل عليه في محله واما الثواب فلا يترتب الا على النية ولا يحصل دونها كما ان التروك
لا يحصل الثواب على تركها الا ان نوى تركها لله تعالى وان كان الترك كافيا في الخروج
من عهدة وكذا المباحات كالاكل والنوم والجماع ونحو ذلك لا يترتب عليها الثواب
الا بنية تصيرها قربات مثل ان يقصد بالاكل القوة على العبادة وبالجماع التعفف
عن الحرام وقد علمت بما ذكرناه ان الاعمال ثلاثة انواع مامورات ومنهيات و

الاعمال ثلاثة انواع

مباحات وان نية القربة نافعة في جميعها وانما قلنا ان من الاقوال والافعال
ما لا يفتقر الى نية في صحته لان الحكمة في مشروعية النية تمييز العبادات عن العادات
لتمييز ما هو لله عما ليس له او تمييز مراتب العبادات في انفسها وحيث كانت
هذه هي الحكمة كانت القرب التي لا تلتبس فيها الانسان بصورة لله تعالى لا تحتاج

الحكمة في مشروعية النية

الى نية كالايمان بالله والخوف والرجاء والحمد والقراءة وسائر الاذكار اذا لم
يقصد بها ما لا يجوز قصده كالمزح بل لم يقصد بها شيئا او قصد بها وجه الله تعالى

وسنت الأوامر التي صورتها معقولها كافية في تحصيل مطلقها كاداء الزكوة ورد
الوديعة لا تفتقر إلى النية لأن المقصود بها انتفاع أربابها وذلك لا يتوقف
على قصد الفاعل انظر الحطاب عند الكلام على نية الوضوء وقوله **ولا القول والعمل**
ونية إلا بموافقة السنة أي لا يصح شيء من ذلك إلا بموافقة الشريعة فالمراد
بالسنة هنا الطريقة أي شريعته صلى الله عليه وسلم أما قابل الكتاب وشرعه كل ما
دلت عليه الأدلة الشرعية التي هي أصول الأحكام وهي الكتاب والسنة والإجماع
والقياس وغيرها كعمل أهل المدينة وقول الصحابي ومن ثم نبه المص عليه في آخر الرسالة بقوله
والتجا إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتباع سبيل المؤمنين
وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس نجاة إلى أن قال وفيما اختلفوا فيه من تأويل ما أشكل
واستخراج ما استنبطوه قال القلشاني فالسنة شرط في صحة النية والعمل فتبين
بهذا أن القول والعمل يجب أن يكون معروضا على السنة فما وافقها فهو المطلوب وما
خالفها لم يلتفت إليه وكان معصية أو قريبا منها ويسمى [illegible] من نية
على السنة اللهم وفقنا للعلم والعمل بما يرضيك وكذلك النية التي هي شرط في صحة
الأعمال أو تحصيل ثوابها يجب عرضها على الشرع فما وافقه فهو المطلوب وما لم يوافقه
فات فيه المطلوب ولذلك قال بعضهم أبواب الخير كلها مسدودة إلا من قصدها من باب
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اه واعلم أن العمل باعتبار النية ثلاثة أقسام متمحض لله
ومتمحض لغير الله ومشترك فالمتمحض لله هو ما قصد به وجه الله تعالى خالصا فمقبول
والمتمحض لغير الله مردود والمشترك فيه تفصيل وخلاف قال الامام ابو حامد
واما الشأن من النية فان تعرى عن غرور الجهال ومزلة اقدام الرجال اه والكلام
فيه طويل وقد افرده جماعة بالتاليف والحاصل من [illegible] الحكم [illegible]
ذلك وقد قال المص من آخر الكتاب مشيرا لحكم النية الخالصة وغير الخالصة ويجب
بهذا ومن فرض على كل مؤمن أن يريد بكل قول وعمل من البر وجه الله الكريم ومن أراد بذلك
غير الله لم يقبل عمله فقال ابن ناجي كلام المص كالنص في أن الرياء يبطل العبادة ولو
طرأ في أثنائها وهو كذلك وبه افتى غير واحد من أهل المذهب اه وكلام ابن ناجي هذا
يفيد أن معنى قول المص لم يقبل عمله لم يصح وانه [illegible] وسيأتي في التتمة الثالثة
ما يقتضي غيره من قوله لم يقبل ولم يقل لم يصح وقد استعمل من كلامه [illegible] مسائل النية
الأولى أن الرياء مبطل للعمل ان وقع من ابتدائه وظاهره البطلان سواء
تمحض العمل للرياء أو لا أما إذا تمحض للرياء فقال ابن أبي جمرة فإن شمل الرياء العبادة
بطلت اجماعا وقال الفاكهاني ان العمل لغير الله قسمان [illegible]
بالبطلان فيما إذا تمحض العمل لغير الله المعلى نقلا عن القرطبي في شرح مسلم
وصرح به القرافي في قواعده وتبعه اليفوري ونقله الحطاب عند قول المختصر في
الحج وصح بالحرام وعصى وسلمه واما اذا لم يتمحض للرياء فنقل الحطاب عن القرطبي
انه لو انبعث للعبادة بمجموع الباعثين باعث الدين وباعث الدنيا وباعث الاثنا او في

الموافقة للشرع شرط في النيات والاعمال والاقوال [illegible]

اي بموافقتها

تعرية على الشريعة [illegible]

النية خالصة لله او لغيره او مشتركة ومنها خلاف وتفصيل

اذا وقع الرياء ابتداء العمل

واذا تمحض العمل للرياء بطل

وان كانت النية مشتركة هل يبطل او لا [illegible]

او يستاو

[illegible] استشهدت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال فلان جريء فقد قيل ثم امر به [illegible] وعلمه وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها [illegible]

او يستاوي لحق بالقسم الأول في الحكم بإبطال العمل عند أئمة هذا الشأن وعليه يدل
حديث من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه فاما لو كان باعث الدين أقوى
فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكا بالحديث المتقدم وما في معناه وخالفه
الجمهور وقالوا بصحة العمل وهو المفهوم من فروع مالك رضي الله عنه اهـ فقد
صرح بالبطلان فيما إذا تساوى الباعثان أو كان باعث الدنيا أقوى وبالصحة إذا
كان العكس على مذهب الجمهور ثم نقل الحطاب عن الغزالي ما يخالف ما ذكره القرطبي
وقال انه التحرير وحاصله انه اذا تساوى الباعثان تساقطا فكان لا له ولا عليه
وإن كان الدنيوي أقوى كان عليه بفضل الباعث الدنيوي وإن كان الديني أغلب كان
له بقدر الزائد ولم يصرح ببطلان العمل بل كلامه ظاهر في صحته وإن الإبطال كلا أو بعضا
إنما هو في الثواب وقد صرح اليفوري نقلا عن القرافي بالبطلان وظاهره سواء تساوى
الباعثان أو كان أحدهما أقوى قال ع في حاشيته على الرسالة وظاهر ما ذكره عن
الأقفهسي في شرحه أن قوله ومن فرض على كل مؤمن إلى آخره ان الإشراك لا يبطل العمل
اهـ وظاهره تساوى الباعثان أو كان أحدهما أقوى ثم اعلم أن الغزالي يرى أن لا فرق
بين الرياء وغيره من حظوظ النفس وأن حكمهما واحد وغيره كما حكاه ابن رجب وابن
حجر الهيتمي في شرحيهما للأربعين النووية والقرافي في الفروق واليفوري من أنه تطارحا
وابن الشاط فيما تقدم يرى أن الرياء مبطل للعبادة بوجهيه والمشوب
بغير الرياء لا يبطل [illegible] بعض الأجر **المسألة الثانية** أن الرياء مبطل للعبادة
إن وقع في أثنائها وقد قال ابن أبي جمرة بعد ما تقدم عنه وإن شمل الرياء بعضها
فهو مما يتوقف فيه [illegible] للعلماء [illegible] كما حكاه المحاسبي
والغزالي في الإحياء اهـ وقال الحطاب نقلا عن القرطبي بعد كلامه المتقدم ما نصه واما
لو انعقد باعث الدين بالعمل ثم عرض باعث الدنيا في أثناء العمل فهو أولى بالصحة
اهـ وقد نظم ع حكم المسألة الأولى بوجهيه وحكم المسألة الثانية من قوله

اذا العمل المشروط بالنية ابتغي * لغير اله العرش يبطل مطلقا
وان يتعلق للاله وغيره * فباطله ابطا والقرافي ذا انتقى
وقيل صحيح ذا وقيل اذا هي * سوى الباعث الشرعي عنه محققا
وان يبتدي لله ثم طرا له * رياء ففيه الخلف امر تحققا

تتمات **الأولى** قال ابن أبي جمرة إن احتاط الرياء قبل الدخول
في العبادة لأمر من معه [illegible] العبادة فإن [illegible] فإن كانت مندوبة
تعين تركها لتقديم المحرم على المندوب وإن كانت واجبة امر بجهاد نفسه [illegible]
لترك الواجب ثم قال ومما يلحق بالرياء ترك العمل خشية الرياء وقال العتبي [illegible]
بطاعة الله [illegible] **التتمة الثانية** قال
ابن التبان قال مالك سمعت ربيعة يسأل عن الرجل يقع في نفسه محبة أن يعلم

نقل عن [illegible] من حظوظ النفس كالرياء

اذا وقع الرياء في اثناء العمل ففيه خلاف

فيما اذا تعلق بنية غير خالصة او بنية مشتركة

سواء تساوى الباعثان او كان احدهما [illegible]

اذا احتاط الرياء قبل الدخول في العمل امر بمجاهدة [illegible]

ابن التبان

112

بان يعمل من الخير وان يلقى مع طرب النفس ويكره ان يلقى مع غير ذلك ولا اثم فيه
ما العتاب به عن ابن القاسم اذا كان اصل ذلك واوله لله فلا بأس به قال ابن رشد وانه المنتخب
ان يكون كاملا وقد ذكر مالك من انه لم ير بما اجاب ربيعة السائل باسا ومعنى سماع اشهب
وقع في سماع ابن القاسم ان مالكا ذكر عن ربيعة انه انكر ذلك على السائل ولم يعجبه
ان يحب احد ان يرى ما يعمل من الخير او يعلم به والذي ذهب اليه مالك من انه لا باس بذلك
اذا كان اصل ذلك واوله لله هو الصحيح ان شاء الله تعالى ومراد مالك ان محبته من
الانسان ان يطلع على عمله لا يضره لانه جبلة في الطباع البشرية لا يصح انفكاكه
مقصية فيه ان كان عمل لاجل ذلك او احب ان يقع كذلك تصنعا وتزينا فهو من الرياء يعاقب
عليه مجاهدة النفس في صرف ما يظهر من ذلك بعد ابتداء العمل خوفا من احباطه العمل
فان فعل ذلك بما يترتب له كراهة وتعصمه بالمعفو عنه من حديث النفس الشائعة
ما شرع عن الاقفهسي وابن عمر ان الاشراك لا يبطل العمل بجملته من قول المصنف لم يقبل
ولم تعلم ينح بناء على ان القبول اخص من الصحة وانه لا ملازمة بينهما وان الصحة
عبارة عن عدم الاعادة ثانيا والقبول عبارة عن الثواب وهو مذهب جماعة من اهل
الاصول ولكنه خلاف التحقيق والتحقيق انهما متلازمان وهو قول الشاطبي في
موافقاته ان الصحة في العبادات عبارة عن ترتب اثار الاعمال عليها في الاخرة
قال شيخ شيوخنا خاتمة المحققين بالسنة سيدي عبد القادر الفاسي قدس الله
سره بعد ان ذكر من كلام الائمة ما يدل للقائلين بينهما ما نصه وهذا المذهب
الذي عليه المحققون من ان القبول الذي هو ترتب الثواب لازم للصحة ام المراد منه ولا
يشترط في قبول العمل ان لا يكون العامل من العصاة واما قوله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين فالمراد ليس فيه على بطلان ثواب اعمال العصاة قال ابن عطية في تفسيره
اجماع اهل السنة في معنى هذه الاية انه انما يتقبل الشرك ممن اتقاه وهو
موحد بما عمله التي تصدق فيه نيته مقبولة واما المتقي للشرك والمعاصي فله
الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة علم ذلك من اخبار الله تعالى لا ان ذلك
يجب على الله تعالى عقلا هو بالفضل ويحتمل ان يكون المراد بالمتقين في
الاية المخلصين في ذلك العمل بان لا يراؤوا فانه غير مقبول ولا اشكال انه المتقين
في اعماله وانظر المحلي في مسئلة الصلاة في المغصوب والمواق في سنن المهتدين
ولعل مراد من قال ان اعمال العصاة صحيحة غير مقبولة نفي القبول الكامل
كما يفهم من كلام ابن عطية المتقدم والله اعلم انتهى المقصود دليل ما قاله
المصنف انما هو في جوامع الكتاب فقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول واما السنة فقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية ومن
يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله وما ينطق عن الهوى وقوله عليه السلام
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقوله اصحابي كالنجوم ومحدثات الامور

من احب ان يعلم بما يفعل من الخير

هل القبول اخص من الصحة او متلازمان وهو مذهب المحققين

آية انما يتقبل الله من المتقين لا دليل فيها على بطلان اعمال الفسقة

دليل ما قاله المصنف من ان الاجر من موافقة الشرع في النيات والاعمال

فسألة

وان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقوله ستفترق هذه
الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من الواحدة يا رسول الله
قال ما انا عليه اليوم واصحابي انظر القلشاني والتتائي واما ما يرجع الى الاجماع فقد سئل
عنه الشافعي فتصفح القرآن من كليته فنيف ثلاث مائة مرة حتى وقف على قوله تعالى ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وفي الحديث لا تجتمع امتي على ضلالة انظر القلشاني اول الكتاب وسياتي ان شاء
الله عند قول المصنف وترك كل ما احدثه المحدثون مزيد بيان لهذا قوله ولا يكفر
احد بذنب من اهل القبلة هذا مبني على ما سبق من ان الاعمال ليست جزءا من
حقيقة الايمان بل من كماله فلا منافاة بين حقيقة الايمان الذي هو التصديق القلبي
وبين الاقدام على الكبائر لمجرد شهوة او حمية او كسل خصوصا اذا اقترن به خوف
العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة نعم اذا كان بطريق الاستحلال
والاستخفاف كان كافرا لكونه علامة التكذيب ولا نزاع في ان من المعاصي ما جعله
الشارع امارة التكذيب وعلم كونه كذلك بالادلة الشرعية كالسجود للصنم
والقاء المصحف في القاذورات والتلفظ بكلمات الكفر ونحو ذلك مما ثبت بالادلة
انه كفر وبهذا ينحل ما يقال ان الايمان اذا كان عبارة عن التصديق والاقرار ينبغي
ان لا يصير المصدق المقر كافرا بشيء من افعال الكفر والفاظه ما لم يتحقق منه التكذيب
او الشك وعدم التكفير المذكور هو الحق لما قاله المصنف ومنها
الايات والاحاديث الناطقة باطلاق المؤمن على العاصي كقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا وقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وهي كثيرة ومنها اجماع الامة
من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا بالصلاة على من مات من اهل القبلة من غير
توبة والدعاء والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم الكبائر مع الاتفاق على ان ذلك
لا يجوز لغير المؤمن قاله في شرح العقائد ومنها الاجماع بصحة عبادتهم
ومنها ان الزنا لو كان مزيلا للايمان لما نصبت الحدود والعقوبات
على مرتكب موجبها بل كان الواجب القتل كالردة قاله التفتازاني وفي القلشاني اتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم برجل يشرب الخمر ليقيم عليه الحد فقال رجل ما اكثر ما
يؤتى به لعنه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله
ولا يعارض ما قاله المصنف قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا
يستوون حيث جعل المؤمن مقابلا للفاسق وقوله عليه السلام لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن ولا ايمان لمن لا امانة له لان المراد بالفاسق في الاية هو
الكافر فان الكفر هو اعظم الفسوق والحديث وارد على سبيل المبالغة والتغليظ
في الزجر عن المعاصي او المراد بالمؤمن في الحديث المؤمن الكامل ولا يخرج التصريح

ليست الاعمال جزءا من حقيقة الايمان بل من كماله

من المعاصي ما يكون امارة على التكذيب فيكون صاحبه كافرا

المذاهب في العاصي ثلاثة

أدلة كون العاصي غير كافر

حديث لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله معارضة وجوابها

بالغير تغليظا ومبالغة في الزجر عن نيل الايمان والاعادة فيه ان الله على ان العاصي يحوس
حتى قال عليه السلام البخاري لما بالغ في السؤال وان زنى وان سرق على رغم انف ابي ذر فيسقط
قول المعتزلة ان الفاسق ليس بمومن ولا كافر وهو المنزلة بين المنزلتين مستدلين بما سبق ولا
تعارضه ايضا قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ونحوه لان الآية
الظاهر قاله في شرح العقائد النسفية قال الكمال ابن ابي شريف وان كانت للعموم بناء على
عموم الموصولات فالمراد الجموع من اليهود دون هذه الامة والمراد بما انزل الله التوراة بدليل
السياق من قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى الآية وهذه الامة غير متعبدة بحكم التوراة
انتهى قال ابن حزم وقال جماعة هي عامة في كل من لم يحكم بما انزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم
الا ان الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الايمان اهـ فيسقط قول الخوارج ان
العاصي كافر استدلالا بهذه الآية ونحوها وقوله ولا يكفر الخ قال العلامة الحطاب هو
مذهب جميع اهل السنة سلفا وخلفا قال تتجيه نظر لقول ابن حبيب وابن عبد الحكم ومن
وافقهم بتكفير تارك الصلاة عمدا او تفريطا وكذا الزكاة والصوم والحج وقوله بذنب
يشمل الذنوب الجوارحية والاعتقادية ويحتمل ان المراد بالذنب المعصية العملية واستثنى من
لبيان حكم اهل البدع عند من في كفرهم اختلافا وبهذا الاستثناء من قوله وصح
الخ لانه في المومن وهو يحتمل شموله لاهل البدع بناء على انهم مومنون وعدم شموله لهم
بناء على كفرهم اهـ وفي نفت وقد اختلف قول مالك والشافعي ومن وافقهما
في تكفير اهل البدع كالقدرية وغيرهم قال عياض واكثر قول مالك واصحابه ترك القول
بتكفيرهم ولا يكفرونه ويستتابون اهـ قيل لمالك اكفارهم قال من الكفر فروا اهـ
وقال الشيخ ابو بكر بن فورك الغلط في ادخال الف كافر بشبهة اسلام خير من الغلط
في اخراج مسلم واحد بشبهة كفر والقدرية الذين وقع الخلاف في كفرهم هم الذين يعتقدون
ان الخير من الله والشر من فاعله واما القدرية الذين ينكرون ان الله تعالى عالم بالاشياء
في الازل بل يقولون الامر انف بضم الهمزة والنون اي مستانف لم يسبق قدر ولا علم
من الله به وانما يعلمه بعد وقوعه فهم كفار بلا خلاف كما ذكره النووي عن عياض وغيره
وهذا المذهب انقرض ولم يبق منهم واحد في الدنيا وقد جلب نصوصا في حكم اهل البدع فانظره ان شئت
وقوله من اهل القبلة هم المومنون المطيعون منهم وغيرهم وقيل المطيع فقط وانظره
تامعنى هذا الخلاف الذي ذكره وهنا مسالة القول بكفر تارك الصلاة غير معتبر بل انكاره
اخرج بل ترك الصلاة بمجرده كفر عند هذا القائل وما نعلم قولا ثالثا انه لا يكفر الا اذا
ارتكب كثيرا والله اعلم فقوله وان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون
هذا ايضا مما يجب اعتقاده لورود النصوص الشرعية به قال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وقال ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون والشهداء جمع شهيد وهو اذا
اطلق انما ينصرف للفرد الكامل وهو من قتل في جهاد الكفار لاعلاء كلمة الله فيه

حديث وان زنى وان سرق

قول المعتزلة ان الفاسق ليس بمومن ولا كافر وشبه قولهم انه مخلد في النار

معارضة وجوابها

قول الخوارج ان العاصي كافر

في تكفير اهل الاهواء خلاف

القدرية فريقان فريق اتفق على كفرهم وفريق فيهم خلاف

احكام الشهداء

انظر سبب النزول من هنا

صح

البخاري

المذكور في كتاب الله

البخاري عن ابي موسى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل
يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي
العليا فهو في سبيل الله وهو بمعنى مفعول لانه مشهود له بالشهادة او الملائكة تشهد له
او لشهادة دمه له يوم القيامة في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده لا يكلم احد في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة
واللون لون الدم والريح ريح المسك او بمعنى فاعل لانه يحضر فيشهد الجنة اي يحضرها
فالشهيد بمعنى الحاضر وذكر الترمذي الحكيم ان الله لما خلق الموت فزع منه الملائكة
فقال ان من عبادي من يحبه فتمنوا رؤيته فعرضت عليهم ارواح الشهداء فكل من شهد
ذلك المحفل فيما قيل فهو شهيد او فهو على الاول من الشهادة وعلى الثاني من المشاهدة كما
في الروض الانف للسهيلي وفي التوشيح للسيوطي على صحيح البخاري سمي شهيدا لانه
حي فكان روحه شاهدة اي حاضرة وقيل لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة
وقيل لانه يشهد عند خروج روحه ما اعد الله له من الكرامة وقيل لانه يشهد له
بالامان من النار وقيل لانه الذي يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل وقيل
لانه يشهد عند خروج روحه الملائكة بالرحمة وقيل لان الملائكة تشهد له بحسن
الخاتمة وقيل لان الانبياء تشهد له بحسن الاتباع لهم وقيل لان الله يشهد له بحسن
نيته واخلاصه انظر عمدة الراوين ثم اعلم انه قد اختلف العلماء في معنى حياة
الشهداء اذ لا خفاء في موتهم وان اجسادهم في التراب والاجماع على ارث ما لهم وتزويج
نسائهم وتعيين طاعتهم والصحيح الذي عليه الجمهور ان حياتهم وكذا حياة الا
نبياء عليهم السلام بعد الموت غير مكيفة لنا نومن بها من غير كيف على ما يعلم
الله قال في المراصد • ثم الشهداء قتيل المعترك • حي ولاكن دون كيف يدرك
• والانبياء هكذا احياء • فقد وردت بذلك الانباء •
وذلك قال تعالى ولاكن لا تشعرون وانظر بقية الاقوال في الطالعة وقد
وقد ذكر العلماء ان للشهيد كرامات يختص بها فقط في الكرامة حكاية منها
اكله من ثمار الجنة وتناوله من نعيمها من وقت القتل حتى كان حياة الدنيا
دائمة له كما قال ابن عطية قال تعالى عند ربهم يرزقون ومنها دخول ارواحهم
الجنة قبل يوم الجزاء لما ورد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما
وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا
انا احياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال
الله انا ابلغهم عنكم فانزل الله الآية ومنها انه يغفر لهم باول قطرة
كما في السنن وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ست

خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر
ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار ويحلى ويزوج اثنتين وسبعين
من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه فقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب
وفي ترجمة ابن حجر في كون العاصي الذي يقتل للكفار يحصل له في درجة الشهادة
وانفصل عن أنه وجوه الشاعات لا يمنع وجود الشهادة لأن الشارع رتب ثواب
الشهادة على صفة معينة اذا حصلت للمؤمن بنيته حصل له في ذلك الثواب ولنبين
للشهادة معنى إلا أنه إنه يثبت من حصلت له ثوابا مخصوصا ويكرمه كرامة زائدة
ولا يلزم من ذلك مساواته لمن عمل الطاعات لا في درجات الشهداء متفاوتة وثبت
في الحديث الصحيح ان الشهيد يغفر له كل ذنب الا الدين وفي معنى الدين سائر التباعات
المتعلقة بالعباد واما حديث ابن ماجة يغفر لشهيد البر الذنوب كلها الا الدين
وشهيد البحر الذنوب والدين فحديث ضعيف نقل جميع ذلك الامام الحطاب وانظر
فمن نقل عن ابن العربي في العارضة ان من مات بسبب من اسباب الشهادة فهو شهيد
وان مات في معصية كمن غرق في قطع الطريق فهو شهيد وعليه اثم معصيته ومنها
انه لا يسأل في قبره ومنها ان الارض لا تأكل جسده وهو احد العشرة الذين لا تغزو
عليهم الارض وقد نظم بعضهم خمسة منهم في قوله

لا تأكل الأرض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * أذانه لإله مجري الفلك

ونظم في الخمسة الباقية فقوله

وزد من طرح يفاديه ذلك * مفضل محبا للاجل المالك
ومن يموت بطاعون او رباط كذا * كثير ذكر وهذا اعظم النسك

ومنها انه يتمنى الرجوع للدنيا فيقتل في سبيل الله مرة اخرى لكثرة ما يرى من
الكرامة وفضل الشهادة ثبت ذلك في الصحيح ومنها انه يفسح له باب الجنة
والعندية في قوله عند ربهم عندية تقريب واحتفاء وتشريف ومكانة لا عندية
مكان. تنبيهات الاول عورض ما تقرر من ان ارواح الشهداء ترعى
الجنة الخ بما اخرجه احمد وابن ابي شيبة والبيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في
قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية فانه يدل على انهم خارج الجنة
واجيب باحتمال ان هذا في بعض الشهداء وما تقدم في خواصهم او باحتمال
ان هذا في غير شهداء المعترك من المطعون والغريق وغيرهم انظر في الثاني
قوله في الحديث في اجواف طير خضر انكره بعض العلماء لانه يكون محصورة ورد
بان الرواية ثابتة ويحتمل التأويل بجعل في بمعنى على نحو لاصلبنكم في جذوع النخل والفصل

الصرفيون اما ان الكلاب الا ... لمثل الغنيمة والصرف والتصرف

الكلام انه من اظهر ... الصفة للموصوف اي نهر بارق اي ذي بريق ... وفي الفلشاني نهر ازرق ... نهر يقال له بارق ... باب الخ

على وجه كبير حصر او لا مانع من بقائها على ظاهرها ويوسعه الله تعالى وقيل ان الروح
تتشكل طيرا وعليه فلا اشكال في ذلك والقدرة على الطيران لا في الصورة والخلقة لا تشكل
الادمي افضل الاشكال صرح بذلك الحطاب في الارشاد وغيره انظره في الثالث الشهداء
ثلاثة شهيد الدنيا والاخرة وهو الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وهو الذي لا يغسل ولا
يصلى عليه ويدفن بثيابه كما يأتي في محله وهو الذي له الخصوصية المتقدمة وشهيد الدنيا
فقط وهو من قاتل للغنيمة او لينال وشهيد الاخرة فقط وهم كثيرون الغريق والمطعون
وهو الذي يموت في الطاعون ويقال فيه ايضا الطعين وميت الهدم والمبطون والمرأة تموت
بجمع بضم الجيم قيل هي التي تموت من الولادة وولدها في بطنها وقيل ولو وضعت وقيل التي تموت
بكرا لم يمسها الرجال والميت بذات الجنب والحرق بالنار والغريب والمسلوم والساقط
من مركب ومن مات في الرباط والمتردي والقتيل الا ... ومن قتل دون اهله او ماله او دينه
او دمه والذي فرسته بعير او فرس او حمار والميت في حالة نومه ولدغ هامة والعفيف
عن معشوقه خوفا من الله والشرقي وطالب العلم واللاجئ الصوره ومن عاشر من اربا
الناس او مات في سجن بغير حق او من ضرب بغير حق ومن قال كلمة حق عند امام جائر فقتله
وقد نظم صيح عبد الله عبد الرزاق العشائي في قصيدة فيها ثمانية واربعون بيتا من الرجز
مشيرا الى من خرج احاديثها ومنها مشيرا الى نفسه الاخير قوله

وقد روى البزار حبر الأمة * بسند الى امير الامة
فيمن اتوا الى امام جائر * ذكرا له بكلمة العلم القادر
مثار فيه حوله فقتله * فهو شهيد مكرم وهي له

ومن مات بالحمى رواه الديلمي والمائد في البحر الذي يصيبه القيء رواه ابو داود والترمذي
من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث
آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في
يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسي كان بتلك المنزلة. الثعالبي من قرأ آخر سورة
الحشر الى آخرها الحوار لو انزلنا هذا القرآن على جبل فمات من ليلته مات شهيدا الاجهوري
عن انس عنه عليه السلام انه قال ان استطعت ان تكون على وضوء ابدا فافعل فان ملك
الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب الله له شهادة. مسلم من طلب الشهادة
صادقا اعطيها ولو لم تصبه وفي رواية من سأل الله الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء
وان مات على فراشه وهي مفسرة للاولى قال السيوطي المنذري عن معقل عنه عليه السلام
من قال حين يمسي ويصبح اللهم اني اشهدك بانك انت الله الذي لا اله الا انت وحدك لا شريك
لك وان سيدنا محمدا عبدك ورسولك ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا
يغفر الذنوب غيرك ما قالها حين يصبح فمات من يومه ذلك قبل ان يمسي مات شهيدا وان
قالها حين يمسي فمات من ليلته مات شهيدا السخاوي في المقاصد الحسنة من مات يوم

افضل الشهداء وعددهم

المطعون قيل طاعون الاستسهال وقيل الجنون وقيل الذي يموت بمرض بطنه كالاستسقاء وقيل انه ذات القولنج

أدعية وأذكار وخصال تورث الشهادة

كذا في الكتاب والذي في الفلشاني من سورة الجمعة ووكل الله به سبعين الف ملك الخ ولعل ما في النسخة تصحيف

الجمعة او ليلة الجمعة وقي فتنة القبر وكفى شهيدا انه اتاكم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايما مسلم دعا بها في مرضه اربعين
مرة فمات في مرضه ذلك اعطي اجر شهيد وان برئ برئ وقد غفرت ذنوبه ابن الجوزي
من مات عقب رمضان او عقب عمرة او عقب غزو او حج مات شهيدا ابن ماجة من مات
على وصية مات في سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له الا ان صلاح
احمراء شهراء الله في الارض امناء الله على خلقه قتلوا او ماتوا من الشهداء ايضا الا منشار النظر
ابعطاب في عمدة التراويح واحكام الطواعين وقال شيخ الاسلام ابن حجر في بذل الماعون في
فضل الطاعون بعد ان عد جملة من الشهداء ما نصه هذه الخصال وردت في كل منها احاديث
شهيد يعني انه يعطى اجر الشهيد وغالب مثبتات في شركة تفضل الله به على الامة المحمدية
بان جعلها تمحيصا لذنوبهم وزيادة في اجورهم ومن انتهاء ذلك متفاوتة في نظرهم حتى
في الاشخاص اهـ وهو كلام حسن ونحوه لابن التين في شرح البخاري والباجي في شرح الموطا
وفي الجراغ على احاديث الاحيا. قال الانبياء اعلى في ذلك ثم الصديقون ثم القتلى في سبيل الله
ثم من عينهم من اعيان من الجماعة الماز ابي كما ذات الجنب وصوا السل والمبطون وغير ذلك
اهـ وقال الشيخ زروق تلمع الاحاديث من الكتاب اسم الشهيد على المبطون والمطعون ونحو
ذلك هو من حيث الثواب والكرامة لا انهم مثل شهيد المعترك والله اعلم اهـ وفي ابن ماجة
من مات مرابطا مات شهيدا او وقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة قال
السيوطي هذا الحديث اورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال احمد بن حنبل انما هو من مات
مرابطا انظر شرح البواصر الا مسلم احص الكتب شهداء امتي لاصحاب الفرش ورب قتيل
بين الصفين الله اعلم بنيته وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا
يضن بهم عن القتل ويطيل اعمارهم ويحسن ارزاقهم ويحييهم في عافية ويقبض ارواحهم
في عافية ويعطيهم في عافية منازل الشهداء اخرجه الطبراني وابو نعيم
وفي سنده ضعف وسلطان وهو ضعيف انظر عمدة التراويح وتمثل الجنة المنصفة
رحمه الله بحال الشهداء بعد الموت اخبرهما بحال غيرهم من الاموات فقال

وارواح اهل السعادة باقية ناعمة الى يوم يبعثون وارواح اهل الشقا
معذبة الى يوم الدين

هذا الكلام تضمن امرين الاول ان من الارواح ما هو
منعم بعد الموت ومنها ما هو معذب ونعيمها وعذابها بحسب مقعدها في الجنة او النار
وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله اخرجه البخاري قال الكرماني فان قلت المومن القا
في ماذا يعرض عليه قلت له مقعده يراه حقيقا وفائدة العرض للمومن نوع من الفرح
وللكافر نوع من الحزن اهـ وقال تعالى النار يعرضون عليها الى حلوله العذاب وبيل

لذلك

لذلك ايضا حديث القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وحديث سوال الملكين
الاتي وفي الحديث انه يفسح للمومن في قبره مد بصره وفي رواية سبعون ذراعا وفي اخرى
سبعون في سبعين ثم ينور له كالقمر ليلة البدر فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولان
نم كنوم العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وورد ان
الرجل اذا توفي في غير مولده فيفسح له من مولده الى منقطع اثره وفي رواية يفسح للغريب
في قبره كبعده عن اهله وورد ان اول ما يكرم الله به العبد اذا وضع في حفرته وورد اذا
مات ان اهل الله صلوا عليه في قبره الى يوم القيامة ويبرزا عنه هوام الارض واخرج
ابن ابي الدنيا عن الحسن قال بلغني ان المومن اذا مات ولم يحفظ القران امر حفظته ان يعلموه
القران في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع اهله وقد سمعت قراءة القران من جماعة
وقرب وجماعة من الصالحين بعد موتهم القران في قبورهم وفي ايديهم الصحف من الذهب
مكتوبة بالذهب واخرج ابو نعيم في الحلية عن جبير قال انا والله الذي لا اله الا هو ادخلت
ثابتا البناني في لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه التراب سقطت لبنة فاذا انا
به يصلي في قبره وكان يقول في دعائه اللهم ان كنت اعطيت احدا من خلقك الصلاة في قبره فا
عطنيها فما كان الله ليرد دعاءه وورد ان المومنين يكسون في قبورهم وانه يفرش للمومن
في قبره وورد حسنوا اكفان موتاكم فانهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم في اكفانهم
لا في المدخل للابي ان المومنين يتباهون في اكفانهم لا اصل له وورد ان الميت اذا وضع
في قبره اتاه اهله وولده فيسالونه عمن خلفه بعده كيف فعل فكان قال ابن القيم الاخبار
والاثار تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وانس به ورد عليه وهذا
عام في حق الشهداء وغيرهم وانه لا توقيت في ذلك انظر بشرى الكئيب وفي صحيح البخاري
خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب في قبورها
وفيه انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار
ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وفيه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم مر
على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى اما احدهما فكان يسعى بالنميمة
واما الاخر فكان لا يستتر من بوله ثم اخذ عودا رطبا فكسره باثنين ثم غرز كل
واحد منهما على قبر ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ولهذا قال العلماء اكثر عذاب
القبر من الغيبة والبول وقد ورد التصريح بالغيبة بدل النميمة وجاء في خصوصيات
هذه الامة انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار
المومنين لهم وانهم يعجل عذابهم في الدنيا وفي البرزخ ليوافوا القيامة ممحصين الا من
الثاني ان الارواح باقية بعد الموت وفي ليلة الاحاديث الدالة على بقاء الارواح
وتصرفها ونعيمها وعذابها وسماعها وكلامها واختلفوا هل تفنى عند القيامة
قال في المراصد • والروح بعد الموت تبقى ثم في • فنائها عند القيامة اختفى •

ترد فقال التفتازاني: تفاوتها إلا كمن دون شك

قال ابن العربي إنما خلقت للبقاء لا للفناء وإنما ابتلاها بمن وجودها وخالفه في ذلك
ابن رشد وهو يرى أن الأرواح تموت عند نفخة الصعق السبكي اتفق أهل السنة
والجماعة على أنها باقية حية دراكة بحيث تدرك لذاتها وآلامها وإنما اختلفوا في
البدن هل له مدخل في إدراك تلك اللذات وتلك الآلام أم لا ابن الفاكهاني في شرح
الرسالة وزعم قوم أن الأرواح تفنى ولا وجود لها في البرزخ حتى يحييها الله تعالى
عند إحياء جسدها وهذا مكابرة للأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبين النصوص
المتواترات والظاهر القرآن في قوله تعالى كأنهم يوم يرونها الآية ولا يفرق المخبر من
الزمان إلا على اللبث لا على العدم وفيه إذ لا يعلم تعرفه إلا الله وفي البخاري من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال
على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها
أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق
وفيه من حديث ابن عمر قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال وجدتم
ما وعد ربكم حقا فقيل له تدعو أمواتا فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون
والأرواح جمع روح والكلام عليها من وجوه الأول قد اختلف العلماء فيه على
فرقتين فرقة أمسكت عن الخوض في حقيقته ولم تتعرض له بأكثر من كونه موجودا
وتمسكوا بقوله تعالى عن سؤال أهل الكتاب قل الروح من أمر ربي الآية وقالوا معناه
ما جعلوا الروح من الكثير الذي تدعونه ولا تسألوا عنه فإنه سر من أسراري ونقل
عن الجنيد أنه قال الروح شيء استأثر الله به ولم يطلع أحدا عليه من خلقه فلا يجوز لعباده
البحث عنه بأكثر من أنه موجود وفي جمع الجوامع حقيقته لم يتكلم فيها محمد صلى الله عليه
وسلم فنمسك عنها اهـ وفرقة خاضت فيه فأجابوا عن الآية بتشنيعهم الحمل بها
إلى الجحود قالوا إن الجواب عنه فليس ينبغي وأن يجب قبيح وإذن الله تعالى
في الجواب تأكيد المعجزة صلى الله عليه وسلم وتصريحا لما عندهم من أوصافه صلى الله عليه
وسلم لا العجز لمكان الكلام فيه الثاني أن سؤالهم إنما كان سؤال تعيين وذلك لأن
الروح مشترك بين المقصود وبين جبريل عليه السلام وملك آخر وصنف من
الملائكة والقرآن وعيسى عليه السلام فأرادوا التعنت لأنه إن يعين لهم كلما أجابهم
بشيء وعين من ادعاء من ما جاء بهم الله تعالى بجواب مجمل وهو كونه من أمر الله يصرف
بالجميع ثم اختلف هؤلاء في حقيقته على أقوال كثيرة حتى قيل إن فيها
ثلاثمائة قول وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة يحكى أن في مسألة الروح
سبعمائة قول اهـ قيل وكثرة المقالات تؤذن بكثرة الجهالات قال العراقي
السبكي والمتحصل من ذلك لأهل السنة والجماعة ثلاثة أقوال الأول أن الروح جسم

فرع
هل يجوز الخوض في حقيقة الروح
وهل هي والنفس واحد أو متغايران

وهو مذهب ابن عباس

قولا

١١٧

نوراني لطيف سار في البدن كسريان النار في الفحم والماء في الورد أجرى الله العادة بحياة
البدن باتصاله به وهذا قول المحققين من كلامي الحرمين ونقل عن الشيخ يعني الأشعري
الثاني أنه جسم لطيف كجسم الكثيف بجسم الإنسان وعلى هيكله ذو يدين وعينين
في داخل البشر يقابل كل عضو جزء منه نظيره من البدن وبالجملة هو على هيكل الإنسان
بتمثل بنحوه ونقل هذا عن ابن حبيب الثالث أنه ليس بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم
بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل في البدن ولا خارج
عنه وهذا قول جماعة الحكماء والراغب والحليمي وجماعة الصوفية خصوصا المتأخرين
والفلاسفة وقد تعرض المتكلمون لإبطال هذا المذهب وبالجملة هو جوهر زائد على الهيكل
المشهود وهل هو سار فيه أو هو باطن فيه أو هو لا متصل به ولا منفصل عنه ولا داخل ولا خارج
الثاني هل النفس والروح شيء واحد وهو قول ابن حبيب فالروح هو النفس
المتردد في الإنسان والنفس هو التي يقال لها جسد مجسد له يدان ورجلان وعينان
ورأس وإنما هي التي تلتذ وتفرح وتألم وتحزن وإنها هي التي تتوفى في المنام وتخرج وتسرح
وترى الرؤيا فيتنعم بما ترى وتفرح به وتألم وتحزن ويبقى الجسم دونها بالروح لا يلتذ ولا
يحس ولا يألم ولا يحزن ولا يعقل حتى تعود إليه النفس فإن أمسكها الله ولم يرجعها إلى
جسدها تبعتها الروح فصار معها شيئا واحدا وماتت الجسم وإن أرسلها إلى أجل مسمى
وهو أجل البرزخ حييت النفس واحتج بقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها أو النفس
والروح شيء واحد وهو قول أكثر العلماء حكاه ابن رشد قاله ابن المفتاح في كتاب الأسرار وقال
في الروض الأنف وإذا ثبت أن الروح هو سبب الحياة عادة أجراها الله فهو كالماء الجاري
في عروق الشجرة صعدا حتى يحيى به عادة فيسميه ماء باعتبار أوليته ونسمي هذا أيضا
روحا باعتبار أوليته ولاعتبار النفخة التي هي ريح من أدام الجنين في بطن أمه حيا فهو في
روح ما دام نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقا وأوصافا ذكر فيه وأقبل على مطامح الجسم
كلفا بها وعشق مطامح الجسد ولذاته ودفع المضار عنه سمي نفسا كما يكتسب الماء
الطالع في الشجرة من الشجرة أوصافا تذكر فيه فالماء في العنبة مثلا هو ماء باعتبار الأصل
بقية من الماء الموضوعة والرطوبة وفيه من العنبة الحلاوة وأوصاف أخر فتسميه مطرا أو
ألبنا أو خمرا أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف حتى قال النفس هي
الروح على الإطلاق من غير تقييد لم يحسن العبارة وإنما فيه من الروح الأوصاف التي تقتضيه
تقتضيه نفخة الملك والملك موصوف بكل خلق كريم ولذلك قال في الحديث الذي رواه
أبو عمر بن عبد البر في التمهيد أن الله خلق آدم وجعل فيه نفسا وروحا فمن الروح عفافه
وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاؤه ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ونحو هذا
الحديث صحيح معناه وإن كان ابن عبد البر قد علله انظر تمام كلامه وقد نقله شيخ
شيوخنا سيدي عبد الباقي وحصل بذلك وقال شيخنا المحقق في شرح الحكم وغيرها النفس

فـ مقر الارواح

وَالقلب والروح والسر اسماء مترادفة لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية التي كان
بها الانسان انسانا لاكن لما كان الانسان في مقام الاسلام تسمى نفسا لانها لم تتخلص منه
الى مقام الايمان سميت قلبا ثم اذا ارتقى الى اول من تبتدئ الاحسان وهي المراقبة المشار
لها بقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن تراه فانه يراك سميت روحا ثم اذا انتهى الى المرتبة الثالثة
منه وهي المشاهدة المشار لها بقوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه سميت سرا
اه وقال في شرح صلاة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش نقلا عن الساحلي ما نصه
النفس سميت نفسا ما لم تخلص من مقام الاسلام الى مقام الايمان سميت قلبا وان تخلصت من
الى مقام الاحسان ولم يبق معها شيء من النفس كاثر الجراحات بعد البرء سميت روحا فاذا ذهبت
تلك الاثار وصفت سميت سرا وان اشكل الامر سميت باطنا اه وقال الشيخ زروق
في الحادي عشر من شروح الحكم الصواب في القلب والسر والعقل والنفس والروح الوقف
عن ذلك وارجاع العلم له سبحانه اه الثالث مقر الارواح بعد الموت قال سيدي عبد الله
العبدوسي في جواب له ان الارواح احوالها مختلفة فبعضها في سماء الدنيا واخرى في الثانية
وهكذا الى العرش وبعضها في جنة المأوى وبعضها في كحواصل طير ابيض عليه النسطع وبعضها
في حواصل طير بيض وخضر وسود وبعضها متردد بين السماء والارض وبعضها تجني فيعمل
لها صور حيث شئت الى غير ذلك من احوالها المختلفة اه ومثله عند القرطبي وزاد
احوالا اخر واستحسنه لانه جمع بين الاخبار وقال ابن حجر ارواح المومنين في عليين و
ارواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا
بل اشبه شيء به حال النائم وان كان هو اشد من حال النائم اتصالا قال وبهذا يجمع
بين ما ورد ان مقرها في عليين او سجين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور انها عند افنية
قبورها قال وهي مع ذلك ماذون لها في التصرف وتاوي الى محلها من عليين او سجين
واذا انتقل الميت من قبر الى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا اذا تفرقت الاجزاء اه
وفي عمود الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني بعد ان نقل ان في الصور ثقبا بعدد
ارواح الخلائق في كل ثقب روح معتنقة وان اسفله الى عليين واسفله الى سجين وانه ورد
في الاحاديث اختلاف في مقر الارواح ما نصه فقال العلماء وشعب الصور ثلاثة
هذه الارواح كلها في اماكنها من العرش الى السماوات الى الارض فالارواح في هذه
المواضع التي وردت الاحاديث بها وهي في المعنى محبوسة في الصور وانه يحبسها الى
يوم القيامة وهذا من علوم الاولياء وهم يستحضرون ذلك عيانا في عصرنا هذا
ومثال ذلك ان يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان في بغداد وفلان بمكة وفلان
بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى غير ذلك من البلدان وكلهم في ضوء النهار تحت
شعاع الشمس وعلى هذا المعنى لا تناقض في الاحاديث وقال من تامل ذلك
علم ان للاموات ثلاث برازخ برزخ في القبور الى ان يبعثون وبرزخ في الصور [illegible]

القبور

فـ هل يعذب العاصي في قبره وهو الصحيح

فـ هل عذاب القبر منقطع

فـ فضل يوم الجمعة

فـ لا عذاب على عصاة المومنين الا جمعة واحدة

القبور مختص باجسادهم وبرزخ الصور مختص بارواحهم اه ونقل ذلك شيخ
شيوخنا سيدي عبد القادر في جواب له في المسئلة وقوله اهل السعادة [illegible] السعيد
من ختم له بالايمان لا فرق بين المحسن والمسيء ومن يدخل فيه الوعيد وغيره ونحو هذا
في تت وغيره وبالله ما فيه وقوله الى يوم الدين والى يوم يبعثون مترادفان
وغاير بين اللفظين تفننا وانما غيا بهما لان المراد نعيم خاص وعذاب خاص
النعيم المطلق والعذاب المطلق لا حد لهما ولا نهاية انظر تت تنبيهات
الاول كلام التتائي وغيره من شراح هذا الكتاب يفيد ان المومن العاصي لا يعذب
في قبره وهو خلاف ظاهر حديث انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وغيره من الاحاديث
الدالة على عذاب القبر والجواب ان المراد باهل السعادة الناجون من المومنين
من العذاب واما من لم ينج منهم فيعذب في قبره فان عذاب القبر لمن اراد الله تعذيبه
من المومنين ثابت بالادلة الصحيحة ويكون المص سكت عن المومن العاصي ولم يدخله في اهل
السعادة ويكون المراد انها ناعمة اما ابتداء او بعد العذاب لمن اراد الله تعذيبه
لان هذا انما يتم فيمن نقص عذابه قبل البعث واما من يستمر عذابه الى البعث فلا يتم في
حقه في كلامه بحال ولا يرضا الطاعة باهل الشقاوة ولا اهل العاصي فلا يدوم عذابه في قبره الى
يوم الدين اهـ من حج باختصار وتامله مع ما تقدم من كلام القرطبي الثاني قول المص
الى يوم الدين ظاهره ان عذاب الكفار في قبورهم لا ينقطع وفي ذلك خلاف قال العلامة
الشبرخيتي قال ابن القيم ثم عذاب القبر قسمان دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة
ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فانه يعذب بحسب جرمه ثم يرفع
عنه وقد يرفع عنه بدعاء او صدقة او نحو ذلك فقال اليافعي في روض
الرياحين بلغنا ان الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفا لهذا الوقت قال ويحتمل
اختصاص ذلك بعصاة المومنين دون الكفار وعمم النسفي في بحر الكلام فقال ان الكافر
يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان قال واما المسلم العاصي
فانه يعذب في قبره لاكن يرفع عنه ليلة الجمعة ويومها ثم لا يعود اليه الى يوم القيامة
واذا مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة
القبر كذلك ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود اليه الى يوم القيامة وهذا يدل على ان
عصاة المومنين لا يعذبون سوى جمعة واحدة او دونها وانهم اذا وصلوا الى يوم الجمعة
انقطع ثم لا يعود وهو يحتاج الى دليل وقال ابن القيم في البدائع نقلت من خط
القاضي ابي يعلى في تعاليقه لابد من انقطاع عذاب القبر لانه من عذاب الدنيا والدنيا
وما فيها منقطع فلابد ان يلحقهم الفناء والبلى ولا يعرف مقدار مدة ذلك اه قلت
ويويد هذا ما اخرجه هناد بن السري في الزهد عن مجاهد قال للكفار هجعة يجدون
فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فاذا صيح باهل القبور يقول الكافر يا ويلنا من

من بعثنا من مرقدنا فيقول المومن الى جنبه هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اه كلامه
السيوطي ونقله تلميذه العلقمي في شرح الجامع برمته وزاد على ذلك ما نصه **الثالثة**
من انواع العذاب في القبر ضغطة القبر وهي التقاء حافتي القبر على جسد الميت وفي النسائي
من حديث عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للقبر ضغطة لو نجى
منها احد لنجى سعد بن معاذ وفي رواية انه قال هذا الذي تحرك له العرش وفتح له ابواب
السماء وشهده سبعون الف ملك لقد ضم ضمة ثم فرج الله عنه يعني سعد بن معاذ رضي
الله عنه ونقل السيوطي في شرح الصدور ان الضغطة المذكورة تكون لكل احد حتى
الاطفال الا فاطمة بنت اسد وعلي رضي الله عنه اه وفي الحديث ما نجى احد من ضغطة
القبر الا فاطمة بنت اسد قيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك قال ولا ابراهيم وكان اصغرهما رواه ابو
نعيم الحافظ عن عاصم الاحول عن انس **وفي** بشرى الكئيب اخرج البيهقي وابن
منده عن سعيد بن المسيب ان عايشة قالت يا رسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير و
ضغطة القبر ليس ينفعني شيء فقال يا عايشة ان صوت منكر ونكير في اسماع المومنين كالاثمد
في العين وان ضغطة القبر على المومن كالام الشفيقة يشكو اليها ابنها الصداع فتغمز راسه
غمزا رفيقا ولكن يا عايشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة
على البيضة **واخرج** ابن ابي الدنيا عن محمد التيمي قال يقال ان ضمة القبر انما اصله انها
امهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد اليها اولادها ضمتهم ضم الوالدة غاب عنها
ولدها ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعا ضمته برافة ورفق ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا
منها عليه لربها ونقله ايضا في شرح الصدور وفيه ايضا اخرج ابو نعيم في الحلية عن
عبد الله بن الشخير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم
يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر وحملته الملايكة يوم القيامة باكفها حتى
تجيزه الصراط الى الجنة اه **قوله** وان المومنين يفتنون في قبورهم و
يسألون هذا مما بلغت الاخبار فيه مبلغ التواتر كما في القلشاني وشرح العقايد
ويعبر عنه بسؤال الملكين واستدل المص عليه بقوله تعالى ويثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة لان هذه الاية نزلت في فتنة القبر ففي
البخاري عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الاخرة **قال** في اختصار البرزلي قال ابن الحاج من انكر فتنة القبر
وسؤال الملكين فهو مبتدع [illegible] يقتل [illegible] ونظمه بعضهم فقال
• ومنكر فتنة وفي السؤال • مبتدع وليس من [illegible] •
ثم لا معارضة بين ما ذكره المص هنا من ان الايمان بفتنة القبر واجب وقوله
في التشهد واعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة القبر بان يقال كيف

فصل
ضغطة القبر

[illegible] هي فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف [illegible] اول هاشمية
[illegible] ولدت هاشميا وكانت تربي النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] توفيت كفنها في قميصه [illegible] عليه وسلم في قبرها ثم خرج [illegible] على اكرام الله [illegible] قال [illegible] في رواية [illegible] قال يا عمر [illegible] نفسك [illegible] تزكية القرطبي

فصل
خاصية قراءة سورة الاخلاص

فصل
سؤال القبر

يستعيذ

يستعيذ من امر واجب لان الفتنة المستعاذ منه عدم الثبات والمراد بها هنا الاختبار
واينما فيجوز كله عدم الاختبار والسؤال بان يكون من الاصناف الذين لا يسئلون والعم
الى **وصفه** السؤال ورد فيه احاديث مختلفة منها حديث البخاري عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه
ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل يعني محمد صلى الله عليه وسلم فاما
المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك
الله به مقعدا في الجنة فيراهما جميعا واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في
هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال له لا
دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصيح منها صيحة يسمعها من يليه الا
الثقلين **ومنها** ما اخرج الطبراني في معجمه الكبير والبيهقي في كتاب عذاب
القبر عن ابن مسعود قال ان المرء اذا مات اجلس في قبره فيقال له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فيوسع له في قبره ويفرج
له فيه ثم قرأ يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الاية وان الكافر اذا دخل قبره
اجلس فيقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيضيق عليه في قبره
ويعذب فيه ثم قرأ ابن مسعود ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الاية وفي
بشرى الكئيب اخرج ابن ابي شيبة والطبراني في الاوسط وابن حبان في صحيحه والحاكم
والبيهقي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الميت
اذا وضع في قبره انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فاذا كان مومنا كانت الصلاة
عند راسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وفعل الخيرات والمعروف والاحسان
الى الناس من قبل رجليه فيوتى من قبل راسه فتقول الصلاة ليس من قبلي مدخل فيوتى
عن يمينه فتقول الزكاة ليس قبلي مدخل ويوتى من قبل شماله فيقول الصوم ليس قبلي
مدخل ثم يوتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات والمعروف والاحسان ليس قبلي مدخل
فيقال له اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس قد قربت للغروب فيقال له اخبرنا عما
نسألك فيقول دعوني اصلي فيقال انك ستفعل فاخبرنا عما نسألك فيقول دعوني اصلي
فيقال انك ستفعل اخبرنا عما نسألك فيقول عم تسألون فيقال له ما تقول في هذا
الرجل الذي كان فيكم فيقول اشهد انه رسول الله جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقنا
واتبعنا فيقال له صدقت على هذا حييت وعلى هذا مت وعليه تبعث ان شاء الله
الحديث **وفي بعض** التفاسير عن مقاتل انه قال ان المومن اذا مات بعث الله اليه
ملكا يقال له رومان فيدخل قبره فيقول له انه ياتيك الان ملكان اسودان يسئلانك
من ربك ومن نبيك وما دينك فاجبهما بما كنت عليه في حياتك اهـ **وقرر** ذلك
بيانا نص الصالح انظره في بشرى الكئيب والنشر البهي في التشبيه **وقد نقل**

ومن نقل [illegible] القلشاني فانظره [illegible]

صفة ملكي السؤال

في المعيار حديث التلقين بعد الدفن وفيه أخي فعل منكر او نكير اتيا أحدكم واحدهما وقيل
انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته وصفة الملكين قال القلشاني ورد
في الحديث انهما اسودان ازرقان اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف
يجران شعورهما وانيابهما كالصياصي يخرج لهب النار من افواههما ومناخرهما
ومسامعهما بيدهما مطارق الارض بشعورهما ويحفران الارض باظفارهما مع كل واحد منهما
عمود من حديد لو اجتمع اهل الارض على حمله ما حركوه اهـ واسمهما المنكر والنكير قال الحكيم
الترمذي وسميا منكرا ونكيرا لان خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق
البهائم ولا خلق الهوام ولا خلق الطيور بل هما خلق بديع وليس في خلقهما انس للناظرين
اليهما جعلهما الله تعالى تكرمة للمومنين ليثبتهم وهتكا لستر المنافقين في البرزخ من
قبل ان يبعثوا حتى يحل بهم العذاب اهـ وقال الشيخ زروق حكى القرافي ان لاهل الطاعات
مبشرا وبشيرا ومنكرا ونكيرا للعصاة اهـ وقد حكى صاحب العلوم الفاخرة وغيره ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر عليه السلام سؤال
الملكين ايكون معي عقلي فقال له نعم فقال اذن اكفيكهما فقال صلى الله عليه وسلم
اعمر المومن وقد ذكر الغزولي وغيره ان عبد الله بن عمر رأى اباه بعد الموت فقال له ما كان
منك فقال لما اتاني الملكان فقالا لي من ربك ومن نبيك فقلت ربي الله ونبيي محمد وانتما
من ربكما فنظر احدهما الى الآخر فقال انه عمر هو لنا بعينه اهـ وفي بعض الروايات سؤال
ملك واحد ولا تعارض لاحتمال ان يأتيا اثنان ويكون السائل احدهما وان اثنين كما
في الاثنين قاله القرطبي انظر عج قال ابن ناجي لا غرابة في سؤالهما مرة واحدة للجميع
الغمر في اماكن مختلفة فيعمل الكل واحد منهم انه المخاطب دون غيره ويحجب الله سمعه
عن مخاطبة الموتى كلهما او بتعدد التثنية وقد علمت مما سبق في حديث انس وابن
مسعود ان السؤال المختص بالمومنين لاكثر المنافقين مسئول بالانفاق وان الكافر والملحد
للكفر ما الذي اختلف عبد البر ورجحه في التثبيت انه لا يسأل قال عج وهو كالنص كلام
القرطبي ان سؤاله بالمومنين … ولو … الظاهر بدليل قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت الآية ونحوه في … وقال ابن القيم والقرطبي انه يسأل
وانتشر الاحاديث التي فيها التصريح بالكافر والمنافق وظاهر قوله المومن
يشمل الاطفال اي في سؤالهم قولان ويعضد الذي يعتمد من قول الناصح في باب الدعاء للطفل وقه
فتنة القبر وقال القرطبي في التذكرة ويشمل الجن ويشمل غير هذه الامة وهو احد
اقوال ثلاثة وقيل بالوقف وقيل لا يسألون قيل وهو الصحيح بدليل حديث ان هذه
الامة تبتلى في قبورها وحديث اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم وكانت الامم قبلنا
كانت الرسل تاتيهم فاذا ابو كفوا عنهم واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله
النبي محمدا صلى الله عليه وسلم امسك عنهم العذاب واعطي السيف حتى …

في سؤال الاطفال خلاف

الذي جعل من خلقه فانتم منهم من ثبت الايمان في قلبه ومنهم من لم يثبت والظاهر ان الاطفال
بلا ما توا فيفيض فيض الله لهم فيا ثاني القبر كما بين انه العبيثمي من الصبيان انظر عج وعليه فقوله
المومنين عام اريد به الخصوص لان المراد المومنون من هذه الامة وقد قال العلماء استثنوا
سبعة اصناف لا يسئلون شهيد المعترك الشيخ زروق سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما بال
الشهيد فقال كفى ببارقة السيوف على رأسه شاهدا … على الترغيب رواه مسلم اهـ
والمرابط الذي يموت حالة الرباط وشهيد الطاعون والصديق لانه اكبر من الشهيد وزاد
ما ورد من سؤال عمر بن الخطاب ان ثبت وقد تقدم عن الغزولي والصبيان على ما جزم به النسفي
ومقابله مرجوح فيستثنى الاطفال المسلمين بل والاطفال الكفار ان قلنا الصحيح انهم في الجنة
انظر شرح المراصد والميت في ليلة الجمعة او يومها وقارئ سورة الملك كل ليلة وزاد بعضهم
سورة السجدة وتعطي من قرأ في مرضه سورة الاخلاص بل قال الامام ابو عبد الله القرطبي
في التذكرة على حديث ما بال المومنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد فقال صلى الله عليه وسلم كفى
شهيدا … لقليل الحديث ما نص بمقتضاه عن سؤال كل من اطلق عليه اسم شهيد اهـ وانظر
في التثبيت وقوله يفتنون قال السيوطي وغيره اطبق العلماء على ان المراد بفتنة القبر
سؤال الملكين منكر ونكير والاحاديث في ذلك صحيحة ولذلك سمي ملكا السؤال الفتانين انتهى
بالمراد كما قال الشيخ زروق بالامتحان عنه الامتحان والاختبار بالسؤال فقوله يفتنون
عطف تفسير ومنه فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر جودته وقد يكون بمعنى الكفر
ومنه قوله تعالى على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم وقوله في قبورهم المراد به محل استقرارهم
على فصل الارواح فيتناول من اكلته السباع وتفرق … فلا يسأل من الشهداء وما قيل من ان الشهداء
كلهم لا يسألون ويتناول الناس يفني على وجه الارض وما جعل في تابوت ايا ما لينقل الى مكان اخر
فلا يسأل حتى ينقل كذا في البرزلي قال عج وينبغي ان … من يحل علم انه
ينقل فانه لا يسأل حيث علم الله انه ينقل فيسأل في المحل الذي ينقل اليه ولا يسأل في المحل الذي هو
به اولا والله اعلم وقوله بالقول الثابت اي بكلمة التوحيد وهي لا اله الا الله
محمد رسول الله قال عج وما يقوم مقام ذلك كذا ينبغي وقوله في الحياة الدنيا اي عند
الموت حين ان الشيطان يتخيل له في صورة اصل ابويه … النصرانية واليهودية
اليهود … ويقول له قد خضت الاديان فلك … كذا … الله الذين
امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وقوله وفي الآخرة اي عند سؤال الملكين لان القبر
اول منازل الآخرة زاد الشيخ زروق وعند السؤال من الله عن الواجبة تنبيهات
الاول الاخبار تدل على ان فتنة القبر مرة واحدة وعن بعضهم ان المومن يفتن سبعا
والمنافق يفتن اربعين صباحا وانظر التثبيت الثاني رجح السيوطي ان الروح تعود
للبدن جميعه لا نصفه الاعلى فقط قال في التثبيت وكله يقتضي لرد الجمهور
لا جزء لظاهر المأثور فقوله واه على العباد حفظة يكتبون

الشبعة الذين لا يسئلون

١٢٠

هل يتعدد السؤال

أعمالهم بهذا ونحوها مما يجب اعتقاده لورود النصوص الشرعية به قال تعالى وإن عليكم
لحافظين الآية وقال تعالى إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين الآية وقال تعالى ويرسل عليكم حفظة
وكذا هو قوله على العباد يشمل المومن والكافر والمكلف وغيره والإنس والجن
قال الشيخ زروق ولا يستوي المومن والكافر في ذلك هو الصحيح الذي لا يعول على غيره ولذا قال
على العباد ولم يقل على المومنين وجزم الشيخ وغيره بأن المجنون ليس عليه حفظة وأن الصبي
تكتب له الحسنات فقط قال ج والظاهر أن الكاتب لها هو الكاتب للمكلف وهو أحد
الحافظين ويحتمل غيره وكذا هو قوله حفظة الذي هو جمع حافظ ككاتب وكتبة أن
لكل واحد جماعة من الحفظة ويحتمل أن يكون من باب التوزيع وقد اختلف في قوله
عليه الصلاة والسلام يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة
الصبح وصلاة العصر هل هم الحفظة فيكونون أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وعليه فملكا
الليل اثنان معينان دائما وكذلك ملكا النهار أو ليسوا الحفظة إنما هم الصاعدون
بجميع الأعمال بعد قبضها من الحفظة انتهى ونقله ج عن بعض الشراح وقال الشيخ في
حاشية الموطإ على هذا الحديث جماعات من الحفظة الأكثرين الأظهر عندي غيرهم
أعجب بقول من قال إنهم يتعاقبون مع حفظة الإنسان قال السيوطي قلت بل نقل ذلك ذكر ما
يشهد لذلك عن الحسن وابن المبارك وعن زيد النخعي ما أن شيئا ونقله في شرح المد
أصل وسموا حفظة لحفظهم ما يصدر من الإنسان وبحفظهم إياه من الآفات ويكتبون العمر والأثر
من ضبابة الأعمال الجاع والفعل وإذا أتت المومن فقعدا على كتفيه يستغفر الله له إلى
الغيبة وأما الكلام وأنهما يجلسان على قبره يلعنانه إلى يوم القيامة واختلفوا
في موضع جلوس الملكين من الإنسان فقيل على عاتقه وقيل على ذقنه وقيل على عنفقته
وقال أبو طالب المكي في تفسيره يروى أن الملك على ناب الإنسان الذي يأكل به فلم
الملك لسان الإنسان ومداده ريق الإنسان قال وهذا أشبه العرب والله أعلم
بكيفية ذلك وأما الذي كتب فيه الحفظة فورق ونحوه كما قال الله تعالى في
منشور على أصل الأمر الله فيه وقال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
قال البغوي وفي الآثار أنه يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر
إلى يوم القيامة وقوله يكتبون أعمالهم قال ت ونحوه ملكا اليمين أمير على ملك الشمال
فإذا أراد صاحب الشمال كتب السيئة قال صاحب اليمين تمهل به إذا عمل سيئة
ونتظر ست ساعات والظاهر أن المراد بالساعات الساعات الفلكية قال ج
فتحصل من هذا أن من عمل كبيرة ومات قبل مضي ثلاث ساعات لم يكتب هل يموت على
ويكتب عليه ما أذنب أم لا فاحتمل ووجه رواية أن من عمل ذنبا فإنه يمهل ست
ساعات فإن استغفر فيهن وتاب كتب له صاحب اليمين حسنة وإلا كتب له صاحب
الشمال سيئة وفي رواية أنه ينتظر سبع ساعات وقد ذكر الروايتين الحافظ

السيوطي فإذا تاب قبل مضي مدة الانتظار ولم يثبت لم يكتب عليه والله أعلم انتهى وكذا هو
قوله أعمالهم أنهم يكتبون الأعمال الجوارحية والقلبية وفي حديث من هم بحسنة فعملها كتبت
له عشر حسنات وإن لم يعملها كتبت له حسنة وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها
قال القرطبي سئل سفيان كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو بسيئة قال إذا
هم بحسنة وجدوا منه ريح المسك وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن انتهى وقيل إن ما لا
ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب مما انفرد الله تعالى بعلمه واعلم
أن ما يقع في النفس من المعصية وغيرها له خمس مراتب الأولى الهاجس وهو ما يلقى فيها
ولا يواخذ به إجماعا لأنه ليس من فعل العبد وإنما هو وارد لا يستطيع دفعه الثانية
الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع أيضا الثالثة حديث النفس وهو ترددها هل
يفعل أم لا وهو مرفوع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها
ما لم تتكلم أو تعمل به الرابعة الهم وهو ترجيح قصد الفعل وهو مرفوع أيضا
وفي هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فإن الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه
بخلاف الثلاثة الأول فإنه كما لا يترتب عليها عقاب كذلك لا يترتب عليها ثواب الخامسة وهي
قوة القصد ويقال لها العزم وهو قوة القصد والجزم به وهو مواخذ
به على المعتمد وهو قوله لا تكتب ويكتب سيئة أي سيئة العزم وليست السيئة التي
نواها لأنه لم يعملها بعد وهذا إن قطعه عنها قاطع غير خوف الله فإن تركها خشية لله
تعالى كتبت له حسنة على ما جاء في الحديث الأخروي الله إنما تركها من جرائي أي من أجلي
مع العزم أو لم يتركه بذلك قال الزرخشي في شرحه للفاتحة فإن فعلها كتبت عليه سيئة فإنه
قال في الإحياء بعد نحو عشرة أوراق من رياض الجنة وقد حفظه إصرا وفعل كتبت
عليه سيئتان قوله كم يعمل خوفا من الله كتبت له حسنة ولغير خوفه كتبت عليه سيئة
والله أعلم وكذا هو المصنف أيضا أنهم يكتبون المباح الغفلة وهو كذلك ما
يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد الآية قال الحسن وقتادة يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت
الله من ذلك الحسنات والسيئات ثم يمحو غير ذلك وفي تف قال تعالى يكتبون كل
شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبون المباح وكذا الخلاف في الصغائر المغفورة
باجتناب الكبائر قال ج وجاء أنه تكتب المباحات يعرض على الله تعالى
ويعرض ذلك عليه كما يليق فإذا استنسخ ذلك ربما انكف عنه تنبيه
قال أبو طالب المكي روي أنه إذا كان بالليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال تعال إلى الفيء وأ
اطرح أنا حسنة وأنت عشرا حتى يصعد صاحب السيئات ولا سيئة معها فإنما
يرد الويل لمن غلبت آحاده أعشاره فالآحاد الحسنات وإلا عشار السيئات و
الغفران من عمل حسنة واحدة وعشر سيئات لم تغلب آحاده أعشاره لأن الحسنة
لكن عشر سيئات ومن عمل حسنة واحدة عشرة سيئة فقد غلبت آحاده أعشاره

ما ورد في الحفظة

هل لكل واحد جماعة من الحفظة

سموا حفظة لأنهم يحفظون الأعمال

موضع الحفظة من البدن فيه خلاف

تمهل الكاتب ست ساعات فإذا مات قبل ذلك لم يكتب ذنبه

تكتب الأعمال القلبية كالجوارحية

مراتب ما يقع في النفس

المراتب

الهاجس والخاطر وحديث النفس والهم والعزم
لا يواخذ بهذه الخمسة إلا بعزم وعزمه وفعله
إلا وينتهي إلى الأخيرة بجزمه من غير تضعيف
في عدم التضعيف وما أتى من حسن معروف
بعشر جماعة ولا ينفعه عند الله غير عمله

معنى قوله الويل لمن غلبت آحاده أعشاره

فالويل له ان لم يعف الله تعالى عنه اهـ نقله عج وفي تت وان عمل سيئة وحسنة فالحسنة
تذهب السيئة ولا تذهب السيئة الحسنة اهـ قوله ولا يسقط شيء من الذي عملا
صرح بهذا الرجز ما قدمنا من انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال العباد تعالى علم ربهم
الله عن ذلك وقد تقدمت ادلة احاطة علمه تعالى بكل شيء وقال تعالى وما تكون في شأن الاية
فتكون فائدة كتابة الحفظة حينئذ التذكرة والتوثق وانما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما
يتوثق ممن يحذر منه الاهمال وكل ذلك على الله تعالى محال وقد اشار تعالى الى استحالة ذلك
بقوله لا يضل ربي ولا ينسى بعد قوله علمها عند ربي في كتاب فكان النص نظير هذه الاية وانما
فائدة توكيلهم اقامة الحجة لهم وعليهم فان الانسان اذا علم ان معه من رسل الله وامنائه من
يحصي عمله عليه ويكتبه ليشهد له به في القيامة على رؤوس الاشهاد او عليه فتكون الحجة عليهم
اذا احصوا كله ذلك باعثا له على المبادرة الى الاعمال الصالحة وزاجرا له عن الوقوع في المعاصي
وهو لطف من الله تعالى بالعبد ورحمة وايضا فان النفوس الضعيفة تستشعر ان الشيء
المحوط بالكتابة لا يسقط ولهذا يقول الكلام باليد وبلسانه ما لا يحفظ الكتاب اياه ونحو هذا في
ابن عسكر ما يقال طرحه للغفلة اذ لا يتيقظ بعلمه بان الله تعالى مطلع ورقيب عليه
لا ان جرى الحفظة تتمة في بعض كتب التفسير في قوله تعالى ان كل نفس لما
عليها حافظ عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن ستون ومائة ملكا
ومائة ملك يذبون عنه ما لا يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب
عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
ابو من كنز الاسرار وفي تت اختلف هل عليه غير هذين الملكين فقيل عليه عشرة ملك عن يمينه
وملك عن شماله وملك امامه وملك خلفه وملك فوقه وملك تحته وملك على بصره وملك
على انفه وملك يرفعه اذا تواضع وملك يضعه ان تجبر وقيل في الانسان ثلاثمائة و
ستون عرقا على كل عرق ملك وعلى العروق الساكن والمتحرك فلو سكن المتحرك او تحرك الساكن
لتاذى لذلك قوله وان ملك الموت يقبض الارواح هذا البيت مما يجب
اعتقاده لقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وجمع بين هذه الاية وبين قوله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا بان اضافة القبض له تعالى لانه الفاعل حقيقة ولملك الموت لمباشرته وللملائكة
لانهم اعوانه يعالجون الروح حتى تبلغ الحلقوم فيخرجها ملك الموت قال ابن عمر اسمه
عزرائيل وقيل عبد الجبار وقال بعضهم ملك الموت اسمه عزرائيل وليس اسمه عزرائيل
لانه لم يرد بهذا اللفظ في الكتاب والسنة الا انه يذكر مستشهدا في الذكر انه ذكره في
شرح المراصد وملك الموت احد الملائكة الاربعة المدبرين امر الدنيا فملك الموت موكل
بقبض الارواح وجبريل موكل بالرياح والجنود والصواعق وهو صاحب الوحي والعقاب و
الرسالة وميكائيل موكل بالقطر والنبات وبالنفخ في الصور واسرافيل ينزل بالامر عليهم

فـ اختلاف في عدد الملائكة الموكلين بحفظ الانسان

وقد ارى بين يديه اللوح المحفوظ فاذا اخذ الله في شيء من السماء او من الارض ارتفع ذلك اللوح
فضرب جبهته فاذا ذكر الامر من عمل جبريل امره به وان كان من عمل ميكائيل امره به وان
كان من عمل ملك الموت امره به وخص ملك الموت بقبض الارواح لما ورد في حديث الزهري
وغيره ان الله تبارك وتعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام ارسل جبريل ليأتيه من تراب
الارض فاتاها لياخذ منه فاستعاذت بالله من ذلك فاعاذها فارسل ميكائيل فكذلك
فارسل عزرائيل فاستعاذت فلم يعذها واخذ منها فقال الرب تعالى اما استعاذت بي منك
قال نعم قال فهلا رحمتها كما رحمها صاحباك قال يا رب طاعتك اولى من طاعتها فقال عز وجل اذهب
فانت ملك الموت سلطتك على قبضها واسمع فبكى فقال ما يبكيك فقال يا رب انك تخلق من هذا
الخلق انبياء واصفياء ومرسلين وانك لم تخلق خلقا اكره اليهم من الموت فاذا عرفوني ابغضوني
قال الله تعالى انا ساجعل للموت عللا واسبابا ينسبون الموت اليها ولا يذكرونك فخلق
الاوجاع وسائر الحتوف ذكره القلشاني وغيره اهـ من شرح المراصد وهذا صريح في ان اسمه
عزرائيل وقوله يقبض الارواح قيل ان ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه وروي عن
مجاهد انه قال زويت لملك الموت الارض فجعلت مثل طست يتناول منها حيث شاء وذكر
عياض في المدارك قال سأل بعض الولاة ابراهيم بن يزيد عن ملك الموت كيف يقبض روحا بالهند
وروحا باقصى المغرب واخرى بمصر واخرى بالعراق في وقت واحد فقال له ابراهيم لما صعب
عليك امرها وكلا والعرش ولا الاعوان بين يديك حسبت ان امر الخالق وقدرته كذلك يا اثل
الا مثل الشمس تطلع على بلاد واحد فلو امرت بقبض الارواح جميعا الا كانت تقدر فقال نعم
قال كذلك ملك الموت اعطي من القوة مثل هذا اهـ نقله القلشاني وخرج الثعلبي بسنده
من حديث ابي ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي مررت على ملك جالس
على سرير من نور واحدى رجليه في المشرق والاخرى بالمغرب وبين يديه لوح ينظر فيه والدنيا
كلها بين عينيه والخلق بين ركبتيه ويده تبلغ المشرق والمغرب فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا
عزرائيل تقدم فسلم عليه فتقدمت فسلمت عليه فقال وعليك السلام يا احمد ما فعل ابن عمك علي فقلت
وهل تعرف ابن عمي عليا قال كيف لا اعرفه وقد امرني الله بقبض ارواح الخلائق ما خلا روحك
وروح ابن عمك علي ابن ابي طالب فان الله يتوفاكما بمشيئته اهـ وفي كنز الاسرار قال عطاء
بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان رفع الى ملك الموت صحيفة فيقال له اقبض
من في هذه الصحيفة فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه
في هذه الصحيفة كما يروى حكاه الغزالي وروي ان ملك الموت دخل على سليمان عليه السلام
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا فقال له هذا ملك
الموت قال رايته ينظر الي كانه يريدني قال فما تريد قال اريد ان تخلصني الريح فتلقيني بالهند
فامر الريح فحملته فالقته بالهند فجاء ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال سليمان
اديمت النظر الى رجل من جلسائي فقال كنت اتعجب منه امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
الهند وهو عندك

كيفية قبض الارواح

ذكره الغزالي في الاحياء وكذلك ذكره غيره اهـ **وظاهر** قوله الارواح انه يقبض ارواح الثقلين وغيرهم وصححه غير واحد من الشروح ونسب القول بانه انما يقبض ارواح الثقلين كما في تت اوفي كما في القلشاني وغيره للمعتزلة وان الله هو الذي يقبض ارواح غيرهم **ونقل** الحطاب في حاشيته على ابن هارون في شرح المدونة بعد ان حكى عنه القولين ما نصه وعكس ان الامر في جا ابزاء في صح الله وحفظ ابه ما جاء في الشرع ما يعبر احد المذهبين وجب المصير اليه والا وجب علينا الوقف اهـ **وفي الحبائك** اخرج العقيلي في الضعفاء والشيخ في العظمة والديلمي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجال البهائم وخشاش الارض كلها في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها وليس الى ملك الموت من ذلك شيء اهـ **قال** شيخنا ابو عبد الله سيدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي نفعنا الله بجميله جوابا له في هذه المسالة فهذا ان صح يدل على التخصيص اهـ وعلى الاول هل في الارواح ثلاثة اشغال وعلى الثالث للعهد والله اعلم **تنبيه** الذي يقبض روح غريق البحر وكذا من يغزو ابن كل حال تحضيره اية الكرسي وكذلك اهل الجوع في الدنيا هو الله سبحانه قال جج وقد نظمت ذلك فقلت

ان الذي يقبض روح من قرا	بعد صلاة فرضه بلا مرا
اية كرسي هو الله المجيد	كذا غريق البحر فافهم يا رشيد
ومن يجوع في حياته علي	وجه انتوى في حديث منقلي

ويعني ما ذكره قبل بعد اعلاه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجوع في الدنيا الذين يقبض الله ارواحهم هم الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا لم يعرفوا مع الخفيان في الدنيا معروفون في السماء اذا رءاهم الجاهل ظن بهم سقما وما بهم سقم الا الخوف من الله يستظلون يوم القيامة بيوم لا ظل الا ظله اخرجه الديلمي والطبراني في الكبير وفي اسناده بشير بن تميم متروك اهـ وقال الشيخ ابو الحسن في حزبه الكبير ونقول فبض ارواحنا بيدك والتراب بدلك حضيتوا بالتجلي واستغراقها في الشهود واستهلاكها في الحب واستيصالها بالغيبة وسلب الشعور بالغير في ذلك غاية امنيته ونهيته **وقوله** باذن ربه **قال القلشاني** قال القرطبي في التذكرة روى جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له عليه السلام ارفق بصاحبي هذا فانه مومن فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مومن رفيق واعلم ان ما من اهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى انا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت قبض بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الامر بقبضها اهـ قال بعض الشارحين اذن ربه عبارة عن تمكينه لهـ **تنبيه** في البشرى لكتيب اخرج ابن ابي الدنيا عن عائشة مرفوعا ان المومن اذا احتضر ورأى ما اعد

٢

لم يجعل يتجرع نفسه من الحرص على ان تخرج فهناك احب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا احتضر ورأى ما اعد له جعل يتبلع نفسه كراهية ان تخرج فهناك كره لقاء الله وكره الله لقاءه اهـ وفي البخاري من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المومن اذا احضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا احضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه اهـ وحاصله ان العبرة بما يكون عند الاحتضار من محبة او كراهية لا بما كان حالة الصحة وكان عائشة فهمت ذلك على السنة الضعفاء **وفي كنز الاسرار** قال وكيع في تفسيره قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا ان ذلك عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة والبشرى من الله تعالى وتاتي اعداء الله بالغلظة والفظاظة اهـ **وفي بشرى الكئيب** اخرج ابن ابي الدنيا عن كعب ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت ارني الصورة التي تقبض فيها المومن قال فرأى من النور والبهاء شيئا لا يعلمه الا الله فقال لو لم ير المومن عند موته من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه ثم زاد في الاحياء انه طلب منه ان يريه صورته التي يقبض فيها الكافر فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من مناخره ومن فيه لهب النار فغشي عليه ثم قال له لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورتك لكان حسبه اهـ **وفي الفرقان العظيم** وصف حال المومنين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وفي وصف الفاجرين ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم **فقوله وان خير القرون القرن الذين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** لا شك ان هذه الامة افضل الامم على الاطلاق ومزوده في خصوصياته ومزاياها شيء كثير **اخرج** ابن جرير وابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا وامتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه **وروى** ابو داود والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا اهـ وفي المناوي يعني حديث يا امة احمد سبقت لكم رحمتي غضبي اعطيتكم قبل ان تسالوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني واجبتكم قبل ان تدعوني وهو قوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولتبشرن الله قوله وان خير القرون الخ ان هذه الامة المشرفة على مراتب وليست في مرتبة واحدة وان هذا مما يجب اعتقاده **اخرج** البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي عن عمران بن حصين خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون من بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وفي رواية خير القرون

الثلاثة الذين يتولى الله قبض ارواحهم

اهل الجوع الذين يقبض الله ارواحهم

ما يراه المومن عند الموت من البشارة

مطلب هل الارواح منه على مراتب

قرني وفي رواية خير امتي القرن الذي انا فيهم **وقد بين** من المدعان المراد بالقرن الاول الصحابة
لانهم هم الذين رأوه صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وقد مدحهم الله في كتابه في قوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس قيل انه خاطبهم خطاب مشافهة اي انتم وقيل المراد كنتم في الازل **وقوله** رأوا
خرج مخرج الغالب لان الاعمى من اولي الصحبة من الصحابة **قال** في جمع الجوامع الصحابي من اجتمع
مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وان لم يرو ولم يطل **قال** الشيخ زروق في شرح الوغليسية قال ابو
زرعة الرازي رضي الله عنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة الف واربعة عشر الفا
كلهم رآه وروى عنه ذكره ابن القطان في مراتب الصحابة وابن الاثير في جامع الاصول اهـ **وزاد**
قوله وآمنوا به لدفع توهم ان من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن خير ممن لم يره من القرن
الثاني وهكذا وبهذا يندفع ما يقال انه لا يتوهم ان اهل القرن الاول اذا لم يؤمنوا خير من القرن
الثاني وان آمنوا فلا حاجة للتقييد بقوله وآمنوا به **ويحتمل** ان يكون لبيان الواقع انظر في
المراد بالذين يلونهم الصحابة التابعون ولذلك يقال التابعي هو من اجتمع بالصحابي وهل
لا بد من اطالة الاجتماع به خلاف ما تقدم في الصحابي وهو قول الخطيب وعليه درج في جمع
الجوامع **قال** المحلي والفرق ان الاجتماع به صلى الله عليه وسلم يؤثر من النور القلبي اضعاف
ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الاخيار فالاعرابي الجلف بمجرد ما يجتمع بالنبي
صلى الله عليه وسلم مؤمنا ينطق بالحكمة ببركة صحبته صلى الله عليه وسلم اهـ **وقيل** فيه ان يجتمع من
الصحابي او يلقاه وهو قول الحاكم **قال** الكمال وعليه العمل عند اكثر اهل الحديث ورجحه
ابن الصلاح وتبعه النووي والعراقي اهـ **والذين** يلونهم التابعين تابعو التابعين هذا قول اكثر
العلماء وعلى هذا القرون متراد الزمن وبهم الافتراق الا الطبقة الاولى صحبة والثانية [illegible]
والثالثة [illegible] وبهم اهل المذاهب المقتدى بهم **وقال** المغيرة افضل القرون الصحابة ثم
ابناؤهم ثم ابناء ابنائهم حكاه القلشاني وغيره وفي معنى القرن اقوال **قال** في
شرح مختصر المقاصد ما نصه وافضلية القرن الثاني على الثالث بالنسبة الى الجملة لا الافراد
بمعنى ان جملة القرن الثاني افضل واكثر خيرا وبركة من جملة القرن الثالث وقد يكون بعض
افراد الثالث افضل من بعض افراد الثاني بل ذلك كثير **واما** القرن الاول وهم الصحابة
ففضل كل فرد منهم على من بعدهم بالنسبة الى الجملة والافراد وقيل بالنسبة للجملة فقط والممتنع
ان يكون بعض التابعين او من بعدهم افضل من بعض الصحابة والاول قول الجمهور واختار ابن
[illegible] الكمال قال لان مزية الصحبة لا يوازيها عمل والثاني قول ابي عمر بن عبد البر اهـ
تكميل المفهوم مما بعد القرون الثلاثة اعلام ما ورد في حديث عمران بن حصين المتقدم
قال ابن ناجي واختلف فيما بعد ذلك من القرون فقيل انه سواء لكن مزية للاعصار على الاخر
قاله ابن رشد وقال ابن العربي وغيره لا يزال التفاوت كذلك الى قيام الساعة ويدل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم الا والذي بعده اشر منه وروي في كل عام ترذلون وانما
يسرع بخياركم اهـ القلشاني والتحاكم في ذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم

عدة من رأى النبي وروى عنه

هل لا بد من اطالة الاجتماع في التابعي بخلاف الصحابي

مذهب الجمهور ان مزية الصحبة لا يوازيها عمل

هل ما بعد اهل القرون الثلاثة درجة واحدة

القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم هل خرج مخرج الحصر للتفضيل ام لا **تنبيهان**
الاول استشكل حديث لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم بان بعض
الازمنة قد تكون في الشر كالتي قبلها او دون ولو لم يكن في ذلك الا زمن عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمن
الحجاج بيسير **واجيب** بحمله على الاغلب فيعرف قال الحسن البصري لا بد للناس من تنفيس واجاب
بعضهم بان المراد تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر فان عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة
وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا **وقال** الزبير وهب سمعت عبد الله بن مسعود يقول لا يأتي عليكم
يوم الا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة لست اعني رخاء من العيش ولا [illegible]
عليكم يوم الا وهو اقل علما من اليوم الذي مضى قبله فاذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون اهـ وهذا اولى بالاتباع قاله شيخ شيوخنا سيدي عبد الغفار [illegible]
في اخر تآليف له في [illegible] **الثاني** لا يعارض ما تقدم من تفضيل القرن الاول ما روي من قول النبي
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبعا لمن لم يرني وآمن بي وقوله ان من اشد الناس
حبا لي ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله **وكما** روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
هل احد خير منا قال نعم قوم يجيئون بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين يؤمنون بما فيه ويؤمنون بي ولم يروني
ويصدقون بما جئت به ويعملون بما فيه فهم خير منكم **لما** ذكره العلماء من انه لا يلزم من
تفضيلهم في جهة من الجهات تفضيلهم مطلقا اهـ **وورد** عنه عليه السلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى
اوله خير ام آخره قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي الى درجة الصحة
اهـ **والجمع** بينه وبين حديث خير القرون قرني ان معنى امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره في نفعه
العام وكثرة الاموال واتساع الارزاق فان الله تعالى فتح عليهم في الاول اقطار الارض واباح لهم اموال
الامم ومساكنهم ونساءهم وملكهم رقابهم وكذلك في آخر الامر تتسع البركات وتتضاعف الخيرات
كما ورد في الحديث عند نزول عيسى صلى الله عليه وسلم قاله السيوطي في شرح العقيلة لشيخه
الشاطبي ونحوه في الجعبري فانه قال والجمع بينهما انه يريد بالخير [illegible] خصب العيش
وسعة الارزاق ولا يلزم الافضلية **وتنبيه** تاويله بخير القرون الماضية قرني وكل قرن يليه
وان كان كذلك بدليل كنتم خير امة اخرجت للناس لرواية خير امتي القرن الذي انا فيهم ثم الذين يلونهم
ولما فيه من احتمال التسوية بين الصحابة ومن بعدهم اهـ انظر شرح الراصد **وروى** ابو داود و
الترمذي حديث ابي ثعلبة رضي الله عنه بلفظ ايام للعامل اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول الله قال بل
منكم **قال ابن حجر** هذا الحديث لا يدل على الافضلية المطلقة وانما الاجر انما يفضل لعامل بها
بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من زيادة
فضيلة المشاهدة لا يعدله فيه احد اهـ **ومثل** هذا يجاب عن قوله صلى الله عليه وسلم
اي الخلق اشد ايمانا واعظم قالوا الملائكة قال وما لهم لا وهم يشاهدون الامر قالوا الانبياء قال وما لهم لا
والوحي ينزل عليهم قالوا نحن قال وما لكم لا وانا بين اظهركم قالوا فمن يا رسول الله قال قوم يأتون من
بعدي يسمعون الاشياء [illegible] حبا واشتياقا وانا اليوم لمشتاق للعامل

حديث لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه وتاويله من العلماء

أجوبته ١٢٤

اهل يجيء فضل غير الصحابة من المؤمنين

معنى حديث امتي كالمطر

حديث ان للعامل اجر خمسين منكم

حديث اي الخلق اشد ايمانا

منهم اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم او قال سبعين قالوا منا او منهم قال منكم قالوا لم قال لانكم
تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون **وأما** ما ذكر في جامع الصغير عن سهل بن سعد قال سمع العقبة جوابا
فليس بظاهر في ما نحن فيه وفي الحديث انما انكر في زمان من ترك فيه عشر ما به امر هلك ثم يأتي زمان
من عمل فيه بعشر ما به امر نجى وانه مؤول بان ايام الصبر الصبر فيه كالقبض على الجمر واي الاجر
في الهرج كهجرة الي **وفي الحديث** في كل قرن من امتي سابقون الى يوم القيامة **قوله** وأفضل
الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم **قال** من الكرام
القلشاني اختلف العلماء في التفضيل بين الصحابة فمنهم من وقف **وأكثر** على التفضيل وعليه
جماعة من اهل بلدنا لا يفضلون بين الصحابة ويقولون الكل فضلاء **وأكثر** على التفضيل وعليه
وافضل الصحابة اهل الحديبية الآية لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة واعظمهم
اهل بدر **خرج** مسلم عنه عليه السلام انه قال لعل الله اطلع على اهل بدر فقال يا اهل بدر اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم وافضل اهل بدر العشرة وافضل العشرة الخلفاء الاربعة وهم في الفضل على ترتيبهم في
الخلافة وقيل بالوقف فيما بين عثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين ونفعنا بمحبتهم بمنه **ومن**
العلماء من ذهب الى ان من مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة شهيدا او غير شهيد
افضل ممن بقي بعده الى **وقد** رجح الاول على قول الاكثر وهو ثبوت التفضيل بينهم وقيل
لقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية والله اعلم وعلى ان الخلفاء افضل
ممن مات في حياته صلى الله عليه وسلم من الصحابة **و** هل التفضيل قطعي او ظني قال الاشعري قطعي
قال القاضي كان المسألة اجتهادية لوضوح اصول النظر فيها بان ادلة ليس التفضيل فيها علما
اعتقاده من غفل عن هذه المسألة لم يخرج ذلك في دينه **قال** في الذخيرة نعم متى خطر ببالك
او عرضت بالنسان وجب الانصاف وتوفية كل ذي حق حقه **والخلفاء** قال الشيخ جمع
بعضهم جمع خليفة والخليفة هو كل من قام مقام غيره في شيء وامام قام مقامه في شيء فهو
خلف بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام قال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات **و** الراشدون جمع راشد وهو المسترشد نفسه الموفق في امره والراشد هو الهادي لغيره
و المهديون المتصفون في انفسهم بالهدى المتمكنون في اسبابه ومعانيه وانا وصفهم بصفة
تخصهم في انفسهم لانها اذا تمكنت تعدت الى غيرهم اذ كان من كون الانصاف من شأن الغير وهذه
لا ان يكون في نفسه راشدا مهديا **و** الوصفان مترتبان في بعضهم من لطف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما قدم الوصف بالرشد لانه اعم لانه يصلح للمرتبين والرشد **و** المهدي اخص الرتبة **قوله**
ابو بكر اسمه عبد الله بن عثمان وقيل عتيق والصواب ان عتيقا لقبه **وليس** الخلافة
باجماع الصحابة ومن توقف منهم في النظر فقد لحق بهم في وقته في الاجماع
على تقريبه وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام ومات وسنه
كسن النبي صلى الله عليه وسلم **وكان** رضي الله عنه من اللين والتواضع على جانب
عظيم ومع ذلك قام بالامر اتم قيام في دولته البصيرة الثابتة والامانة

مناقب ابي بكر رضي الله عنه

لينه وتواضعه وصلابته في الدين

العراق وبعض من الشام **ولما** ارتدت العرب ومنعت الزكاة قال والله لاقاتلن من فرق بين
الزكاة والصلاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقاتلتهم على منعه **قال** عمر فقلت تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية
وخوار في الاسلام يا عمر انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي ثم خرج لقتالهم **ولما**
خرج شاهرا لسيفه راكبا راحلته جاء له علي حتى اخذ بزمام راحلته وقال له اقول لك ما قال لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك فوالله لئن اصبنا بك لا يكون للاسلام
بعدك نظام ابدا ومعنى شم اغمد **قالت** عائشة رضي الله عنها لما قبض رسول الله صلى الله ١٢٥
عليه وسلم ارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها **و**
قال ابو هريرة والله الذي لا اله الا هو لولا استخلاف ابي بكر ما عبد الله ثم قال الثانية والثالثة **و**
قال ابو رجاء العطاردي دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل راس رجل ويقول
انا فداؤك والله لولا انت لهلكنا فقلت من المقبل والمقبل قالوا عمر يقبل راس ابي بكر من اجل قتال
اهل الردة **ولما** مرض رضي الله عنه ترك التطبيب ثقة بامر الله تعالى فعاده الصحابة رضي الله عنهم
فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي قالوا وما قال لك قال قال اني فعال لما اريد **وكان**
اعلم الصحابة بالله واورعهم قولا وفعلا **اخرج** الملاء في سيرته عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنت
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر يتكلمان في علم التوحيد وانا جالس بينهما كاني
زنجي لا اعلم ما يقولون انتهى وانظر ثباته يوم الحديبية وموافقته لجواب النبي صلى الله عليه وسلم
حرفا حرفا وثباته يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهاده بقوله تعالى وما محمد الا
رسول الآية وقول عائشة فوالله لكان الناس لم يكونوا يعلمون ان الله انزل هذه الآية حتى
تلاها ابو بكر فتلقاها منه الناس فما اسمع بشرا الا يتلوها ما في كتب حديث لعل غزارة علمه رضي الله
عنه **وكانت** وفاته بحمى وقيل مات مسموما **ولكونه** افضل الصحابة اختاره الله تعالى لمرافقة رسوله صلى الله عليه وسلم
في الهجرة وهو المراد بالصاحب في قوله تعالى اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه وهو اول الناس ايمانا
الى الاسلام واول من تصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك سمي صديقا قال تعالى والذي جاء
بالصدق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وصدق به يعني ابا بكر رضي الله عنه وقال ابن ابي ركب انا
سماه الله صديقا لانه لم يكذب قط **ولذلك** استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه في الصلاة
وقال ارضى امرنا اليه لعلي في مجلسه ومن الله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر ولكن اخوة الاسلام وسدوا كل خوخة في رواية والابواب وكل باب في المسجد
الا باب ابي بكر **وفي** البخاري عن ابي الدرداء قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ اقبل ابو بكر اخذا بطرف ثوبه حتى ابدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما صاحبكم
فقد غامر فسلم وقال انه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فاسرعت اليه ثم ندمت
فسألته ان يغفر لي فابى علي فاقبلت اليك فقال يغفر الله لك يا ابا بكر ثلاثا ثم ان عمر

غزارة علمه

وفاته

وانظر بهامش تفسير ... المقابل ... ثلاث ...

احاديث في مناقبه

مناقب عمر رضي الله عنه

برع ما تم من الى بكر وبسال اشئ ابو بكر فقال الولادنا ان النبي صلى الله عليه وسلم منا مجعل وجه
النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى اشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله والله انا كنت
اظلم مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدق وواساني
بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي مرتين فما اوذي بعدها وحض النبي صلى الله عليه وسلم يوما
على الصدقة فقال عمر لا اسبق ابا بكر في هذا اليوم فجاء بشطر ماله فجاء ابو بكر فتصدق بجميع ماله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ما تركت لنفسك وعيالك قال الشطر وقال لابي بكر ما تركت لنفسك
وعيالك قال تركت لهم الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فضل ما بين صدقتيكما كفضل ما بين
كلمتيكما وانظر رحمك الله فضل ابي بكر بين المسلمين حيث ترك لهم ... وقال
صلى الله عليه وسلم فيه لو كشف الغطاء ما ازداد يقينا وقال ما فضلكم ابو بكر بصلاة
ولا صيام وانما فضلكم بشيء وقر في قلبه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام
عن فضائل عمر رضي الله عنه فقال لو لبثت معك ما لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما ما
وفيت بفضائل عمر وانه حسنة من حسنات ابي بكر **قوله** ثم عمر كنيته ابو حفص
ولقبه الفاروق **ولي** الخلافة باستخلاف ابي بكر الصديق **واجمعت** الصحابة على خلافته

مقتله رضي الله عنه

وكانت مدة خلافته عشرة اعوام وستة اشهر وخمس ليال وقيل ثلاثة عشر يوما وسنة
كسني ابي بكر طعنه العلج ابو لؤلؤة واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا
وقيل نصرانيا وكان طعنه يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين
من الهجرة وصلى عليه صهيب ودفن يوم الاحد هلال المحرم ولما طعن وهو في صلاة الغداة قال
الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام **وكان** سبب ذلك انه لقي عمر رضي الله عنه
يوما فقال يا امير المؤمنين ان المغيرة قد اثقل علي فكلمه ليخفف عني وكان يستغل منه المغيرة اربعة
دراهم كل يوم وكان يصنع الارحى فقال له عمر اتق الله واحسن الى مولاك فغضب ابو لؤلؤة
وقال يا عجبا له قد وسع الناس عدله غيري واضمر على قتله واصطنع له خنجرا له راسان وسمه
وتحين عمر رضي الله عنه فطعنه وهو في صلاة الغداة فقال عمر قتلني الكلب من طعنه فكان
العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات
سبعة وقيل تسعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما علم انه ماخوذ نحر
نفسه فقال عمر رضي الله عنه قاتله الله لقد امرت به معروفا **ولما** ولي عمر رضي الله

هيبة الناس له

عنه هابه الناس هيبة عظيمة حتى تركوا الجلوس بالافنية فلما بلغه تهيب الناس له
جمعهم وخطب خطبة من كلامه فيها اعلموا ان تلك الشدة قد تضاعفت ولكنها انما تكون
على اهل الظلم والتعدي على المسلمين واما اهل السلامة والدين والقصد فانا الين لهم من بعضهم
ولست ادع احدا يظلم احدا او يتعدى حتى اضع خده على الارض واضع قدمي على الخد الاخر
حتى يذعن بالحق **وكانت** درته اهيب من سيف الحجاج وهابته ملوك العرب

تقاوله بعزاله مرة على زهده

والروم وغيرهم ومع هذا كله بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه واوقاته

وتواضعه

قيامه بحوائج الضعفاء

وتواضعه وصبره على العيش الخشن وخبز الشعير والثوب الخلق المرقوع والقناعة باليسير
بيسير منه في حضره وسفره من غير حرس ولا حجاب لم تغيره الدنيا الاثرة ولم يطلب احراز ...
لا يطمع الشريف في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله ولا يخاف في الله لومة لائم **وهو**
اول من دون الدواوين ومصر الامصار وفتح الله على يديه الفتوحات الكبار والاقاليم الشاسعة
وكان يضع الشدة في مواضعها واللين في مواضعه فكان ابا العيال حتى يمشي الى المغيبات التي
غاب عنهن ازواجهن ويقول الكن حاجة فاني اكره ان تخدعن في البيع والشراء فيرسلن معه بجواريهن
فيدخل السوق ووراءه من جواري الناس وغلمانهم ما لا يحصى فيشتري لهن حوائجهن ومن
كانت ليس عندها شيء اشترى لها من عنده **وروي** ان طلحة رضي الله عنه خرج في ليلة مظلمة
فرأى عمر رضي الله عنه قد دخل بيتا ثم خرج فلما اصبح طلحة رضي الله عنه ذهب الى ذلك البيت فاذا
عجوز عمياء مقعدة فقال لها طلحة ما بال هذا الرجل ياتيك فقالت انه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني

١٢٦

ويخرج عني الاذى يعني القذر **ولما** ... الارض فجعل الصبي يقول وابتاه
اقامت القيامة فيقول ... ولا قتل عمر **وفي البخاري** قال صلى الله عليه وسلم لقد

كراماته

كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فان يكن من امتي منهم
احد فعمر **وقال** فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه
وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل **وقد** قال بعض الصحابة ما زلنا اعزة منذ اسلم
عمر **وفي الجامع** الصغير ابو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر **وجاء** انه ما
سلك فجا الا وهو يسلك فجا غيره ولا شيطان في الارض الا وهو يفر منه **و**وافق ربه في اشياء
كثيرة وكراماته في قصة سارية مشهورة **روى** البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عمر قال
وجه عمر جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية وجعل له الرياسة فبينما ...
... على باب نهاوند ... وكثرت جموع الاعداء وكاد المسلمون ينهزمون فصعد
عمر المنبر ثم خطب وجعل ينادي باعلى صوته في اثناء خطبته يا سارية الجبل ثلاثا واسمع الله
عز وجل سارية وجيوشه اجمعين صوته وقالوا هذا صوت امير المؤمنين فاسندوا ظهورهم
الى الجبل فهزم الله العدو وفتح الله على المسلمين قال الراوي فقيل لعمر بعد ذلك كيف ... ما كشف
له من حال سارية واصحابه المسلمين وحال العدو وبلوغ صوته الى سارية في بلاد العجم
قال تاج الدين السبكي في الطبقات وسمعت الشيخ الامام الوالد يقول في القصة
ان عليا رضي الله عنه كان حاضرا فقيل له ما هذا الذي يقول امير المؤمنين واين سارية
فقال علي دعوه فما دخل في امر الا وخرج منه ثم تبين الحال **وحكي** ...
الارض تزلزلت في زمن عمر فحمد الله واثنى عليه والارض ترجف وترتج ثم ضربها بالدرة وقال
اقري الم اعدل عليك فاستقرت من وقتها **وقصته** في جريان النيل بكتابه مشهورة
ايضا **وفي الصحيح** انه عليه السلام رأى انه شرب لبنا حتى كان الري يخرج من اظفاره
واعطى فضلته لعمر وانه صلى الله عليه وسلم اول ذلك بالعلم **ولما** حضرته

الوفاة قال لابنه عبد الله وراسه في حجره ضع خدي بالارض فقال يا ابتاه ان خدك من الارض قريب
فقال ضع خدي بالارض لا ام لك ووضع خده بالارض ثم قال ويل لعمر ان لم يغفر الله له ثلاث مرات فقال
رجل من القوم تقول والله يا امير المومنين علما نرجو وتعذر به عينك قال وما يدريك ويحك
فقال ابن عباس وما يدريك وقد عشت حميدا وهبت وقبضت وعملت بالحق فقال عمر رضي
الله عنه اتعجبون مما يقول ابن عباس قال والله لقد تمنيت ان شهادتكم عندي كنتم تشهدون
لي بها فقال ابن عباس فقال والله نعم ففرح بن يديه فقال الله اكبر الله اكبر **فصل** في عثمان

مناقب عثمان رضي الله عنه

هو ابن عفان يلقب ذا النورين لانه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم
وقيل لانه اذا دخل الجنة برقت له برقتين وقيل لانه كان يختم القرآن في الوتر فالقرآن
نور وقيام الليل نور وقال عبد الله بن عمر وفيه نزل قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل الاية وكان
ما يختم القرآن في ركعة **ويكنى** ابا عمرو وابا عبد الله وابا ليلى والاشهر **وكان** من السابقين
الى القبلتين وهاجر الهجرتين وهو اول من هاجر الى الحبشة فارا الى دينه ومعه زوجته
رقية وهو من البدريين ومن اهل بيعة الرضوان ولم يحضرهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاولى في التخلف لتمريض ابنته عليها السلام وقال انه له اجر رجل شهد بدرا وسهمه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه لمكة في الثانية وقال بيده اليمنى هذه يد عثمان **و**
كانت له شفقة ورحمة ورافة وحلم وحياء لين تواضعه ورفقه وشفقته ورحمته
برعيته **وكان** يطعم الناس طعام الامارة وياكل الخل والزيت **وقال** فيه النبي
صلى الله عليه وسلم عثمان احيا امتي واكرمها وكان صلى الله عليه وسلم يتحدث يوما مع ابي بكر
وعمر وهو كاشف عن فخذيه او ساقيه فلما دخل عثمان جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسوى ثيابه فقيل له في ذلك فقال الا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة وفي رواية انه قال
ان عثمان رجل حيي فلو اذنت له على تلك الحال خشيت الا تقضي حاجته **وكانت**
له افعال عظيمة من التجهيز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا باحلاسها واقتابها
واتم الالف بخمسين فرسا **وعن** حذيفة بن اليمان قال بعث صلى الله عليه وسلم الى عثمان
في تجهيز جيش العسرة فبعث عثمان اليه صلى الله عليه وسلم بعشرة الاف دينار فصبت
بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقلبها بيديه ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما
اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم **واشترى**
بير رومة بخمسة وثلاثين الفا وسبلها **وولي** الخلافة باتفاق اهل
الحل والعقد بعد عمر بثلاثة ايام وذلك انه لما طعن عمر رضي الله عنه سقي لبنا
فخرج من جرحه فعلموا انه ميت فقيل له استخلف يا امير المومنين قال ما اجد احق
بهذا الامر من هولاء الستة النفر او الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن
وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء فلما فرغ من دفن

اتفاق الصحابة على بيعته

عمر رضي الله عنه اجتمع هولاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم فقال
الزبير قد جعلت امري الى علي فقال طلحة قد جعلت امري الى عثمان وقال سعد قد جعلت
امري الى عبد الرحمن وقال عبد الرحمن ايكما تبرا من هذا الامر فنجعله اليه والله عليه و
الاسلام لينظرن افضلهم في نفسه فاسكت الشيخان فقال عبد الرحمن افتجعلونه الي والله
علي ان لا آلو عن افضلكم قالا نعم فاخذ بيد احدهما فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم والقدم في الاسلام ما قد علمت فالله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن امرت عثمان لتسمعن
ولتطيعن ثم خلا بالاخر فقال له مثل ذلك فلما اخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه
وبايعه علي وولج اهل الدار فبايعوه بعد انقضاء الشورى **وكانت** خلافته

مدة خلافته

اثنتي عشرة سنة الا اثنا عشر يوما **وكان** في مدته فتوحات عظيمة **ولما**
كثرت الخيرات والاموال بطرت الرعية فاخذوا ينقمون عليه انه كان له اموال عظيمة
والف مملوك وكان يولي اقاربه الولايات الجليلة **ونفى** اباذر الى الربذة وانه كان
يزيد النداء في الجمعة **ورد** الحكم بن ابي العاص وكان قد نفاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف
ولم يرده ابو بكر ولا عمر فقيل انما رده عثمان باذن من النبي صلى الله عليه وسلم فتكلموا فيه الى
ان قالوا هذا ما يصلح للخلافة وبعثوا بعزله مجانا ثم اشتد النخعي في ماتين رجلا من اهل

مقتل عثمان رضي الله عنه

الكوفة ومائتين وخمسين من اهل البصرة وستمائة من اهل مصر كلهم مجمعون على خلعه فلما اتوا
الى المدينة ارسل اليهم عثمان المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص يدعونهم الى كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فردوهما اقبح رد ولم يسمعوا قولهما فبعث عليا رضي الله عنه فردهم
الى ذلك وضمن لهم ما يعدهم عثمان وكتبوا كتابا بازاحة علتهم والسير فيهم بكتاب الله
وسنة نبيه عليه السلام فاخذوا عليه عهدا بذلك واشهد على علي انه ضمن ذلك **وافترح**

الذين اجتمعوا على قتله

المصريون على عثمان عزل عبد الله بن ابي سرح وكان واليا عليهم بمصر وتولية محمد بن ابي بكر فاجابهم
الى ذلك وولاه فاجتمع كل الى بلده فلما وصل المصريون الى ايلة وجدوا غلاما على
نجيب لعثمان رضي الله عنه ومعه كتاب مختوم بخاتم عثمان مصطنع على لسانه وعنوانه
من عثمان الى عبد الله بن ابي سرح وفيه اذا قدم محمد بن ابي بكر وفلان وفلان فاقطع ايديهم وارجلهم
وارفعهم على جذوع النخل فرجع المصريون ورجع البصريون والكوفيون لما بلغهم ذلك و
اخبروا بالخبر **فحلف** عثمان انه ما فعل ذلك ولا امر به فقالوا هذا اشد عليك
يوضع خاتمك ونجيب من ابلك وانت لا تعلم ما انت الا مغلوب على امرك ثم سالوه ان يعتزل
فاجمعوا على حصاره وحصروه وكان مدة قيل اكثر من عشرين يوما وقيل تسعة واربعين
وقيل شهرين يوما ومنع من ان يصل اليه الماء **قال** ثمامة بن ... لما اشتد الحصار رايت
عليا خارجا من منزله معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه وامامه
الحسن وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم في نفر من المهاجرين والانصار فحملوا على الناس ففرقوهم
ثم دخلوا على عثمان فقال له علي السلام عليك يا امير المومنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم إلى اليمن عن الامر حتى ضرب بالمقبل المدبر وانه والله لارى القوم الا قاتلوك ممن لو
فلنقاتل فقال عثمان انشد الله رجلا راى الله عز وجل عليه حقا واقر ان لي حقا ان يهريق في
سبب ملء محجمة من دم او يهريق دمه في فاعاد علي رضي الله عنه ما اجابه بمثل ما اجابه فرأيته
علينا خارجا من الباب وهو يقول اللهم انك تعلم انا قد بذلنا المجهود ثم دخل الشعير(؟) واقتحم
رؤوس شر على عثمان رضي الله عنه الدار والمصحف بين يديه وضربه كنانة بن عياض وسوار(؟)
ابن حمران بسيفهما وذبحوه وهو شيخ كبير فنضح الدم على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو
السميع العليم وقتل رضي الله عنه وهو ابن ثمانين سنة واحد عشر شهرا واربعة
عشر يوما وقيل عمره ثمانية وثمانون سنة وقيل ثلاثة وثمانون سنة وقيل تسعون و
كان ذلك اول وهن وبلاء تم على هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وبعد فتنة الكلمة
بعد قتله وماج الناس واقتتلوا حتى قتل من المسلمين تسعون فقتل رضي الله عنه شهيدا يوم
الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة وقيل لثمان عشرة خلت منه بعد العصر ودفن بالبقيع سنة
خمس وثلاثين وقد اعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المصيبة روى ابن عساكر عن عائشة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا بقصر من ذهب ودر وياقوت فقلت لمن هذا
فقالوا للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان وقال كيف انت يا عثمان اذا لقيتك(؟)
يوم القيمة واوداجك تشخب دما فاقول من فعل بك فتقول بين خاذل وامر مبين(؟)
كذلك اذ ينادي مناد من تحت العرش ان عثمان قد حكم في اصحابه وكان قتله سببا في
ابواب الفتن وما وقع من الحروب انا لله وانا اليه راجعون روى الديلمي عن ابن عباس(؟) ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيفا مغمودا في غمده ما دام عثمان حيا فاذا قتل جرد ذلك
السيف فلم يغمد الى يوم القيمة قوله ثم علي هو ابن ابي طالب يكنى ابا الحسن وكناه
المصطفى صلى الله عليه وسلم ابا تراب وكان احب ما ينادى به اليه بويع له بالخلافة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان بخمسة ايام وحضر بيعته جماعة من
الاعيان طلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم وغيرهم من الاعيان وتخلف
عن بيعته نفر لم يكرههم وقال قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل وممن
تخلف عن بيعته معاوية ومن معه بالشام الراي كان منهم بصيرا كان وصار الى
العراق وخرج عليه الخوارج فحكموا وكفروا من معه واجتمعوا على قتاله وشقوا عصا المسلمين
ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل فخرج بمن معه ورام رجوعهم
فابوا الا القتال فقاتلهم بالنهروان فقتلهم واستاصل جمهورهم ولم ينج منهم الا القليل و
اخباره في الشجاعة كثيرة ومما يؤثر من شجاعته انه كان اذا اعتلى قد واذا
اعترض قط والقد قطع الشيء طولا والقط قطعه عرضا وقتل رضي الله عنه
شهيدا وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فعن العرني(؟) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي اتدري من اشقى

مبايعة الناس لعلي رضي الله عنه

شجاعته ومقتله ومدة خلافته

الاولين

الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم
قال الذي يضربك على هذا وقبض على هذه واخذ بلحيته فكان علي رضي الله عنه يقول والله لوددت
ان انبعث اشقاها فخضب هذه من هذا قضي به ابن ملجم الخارجي بالكوفة سنة اربعين
على الصحيح المشهور وتوفي وهو ابن ثلاث وستين
وسبب ذلك على ما ذكر ابن خلكان وغيره انه اجتمع قوم من الخوارج
فتذاكروا اصحاب النهروان فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فتعاهد عبد الرحمن
ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي على ان ياتي كل واحد منهم واحدا من علي ومعاوية
وعمرو بن العاص رضي الله عنهم فقال ابن ملجم وهو اشقى الآخرين انا اكفيكم علي بن ابي طالب وقال
البرك وانا اكفيكم معاوية وقال ابن بكر وانا اكفيكم عمرو بن العاص ثم سموا سيوفهم وتواعدوا
لسبع عشرة ليلة من رمضان فدخل ابن ملجم الكوفة ثم اقبل حتى جلس مقابل السدة التي يخرج علي
منها للصلاة فلما خرج لصلاة الصبح ضربه ابن ملجم على طرته فقال علي رضي الله عنه فزت ورب الكعبة
ثم انه حمل ابن ملجم على الناس بسيفه فافرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بقطيفة رمى
بها عليه واحتمله فضرب به الارض فجلس على صدره واقام علي رضي الله عنه يومين ومات وقتل
الحسن بن علي عبد الرحمن بن ملجم واجتمع الناس واحرقوا جثته واما البرك فانه
ضرب معاوية فاصاب اوراكه وكان معاوية عظيم الاوراك فقطع منه عرق النكاح فلم
يولد له بعد ذلك فقطع معاوية يده ورجله واطلقه فرحل الى البصرة واقام بها حتى بلغ زياد
ابن ابيه انه ولد له فقال ايولد له وامير المؤمنين لا يولد له فقتله قالوا وامر معاوية رضي
الله عنه باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت واما ابن بكر فانه رصد عمرو بن العاص رضي الله
عنه فاشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة فصلى بالناس خارجة بن ابي حبيبة فحمل عليه ابن
بكر فقتله فجيء ابن بكر فلما دخل به على عمرو رضي الله عنه ورأى الناس يخاطبونه بالامارة قال
او ما قتلت عمرا فقيل له انما قتلت خارجة فقال اردت عمرا واراد الله خارجة فقتله عمرو رضي الله
عنه وعلي رضي الله عنه اول امام خفي قبره وقيل ان عليا اوصاهم بخفي قبره وكان رضي الله
عنه شديد الشفقة على الرعية متواضعا زاهدا قد فني في الدين وكان قوته من خبز
الشعير يلتزمه فيفتته فيضعه في القدح ثم يصب عليه الماء فيشربه قال ضرار الضبي
اشهد لقد سمعت عليا وقد ارخى عليه الليل ستوره يبكي ويقول يا دنيا غري غيري لا حاجة
لي فيك الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير
وخطرك حقير اواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قيل وفيه نزل قوله
تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية وكان تصدق وهو راكع بخاتمه وقوله
تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وكان له اربعة دنانير فتصدق بدينار ليلا
وبدينار نهارا وبدينار سرا وبدينار علانية وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه الآية
وقيل فيه قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت يعني البخل والطمع
ويطهركم تطهيرا يعني بالسخاء والايثار وكتب رضي الله عنه الى سلمان رضي الله عنه

هو أول امام خفي قبره

سيرته في نفسه ومع الناس

انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها وضع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن احذر ما تكون فيها اسر ما تكون منها فان صاحبها
كلما اطمان فيها الى سرور اشخصته الى مكروه وهو اسلم وهو ابن سبع او تسع او عشر او خمسة
عشر على اقوال ويقال انه اول من اسلم واول من صلى وشهد المشاهد كلها الا تبوك فانه
صلى الله عليه وسلم خلفه في اهله ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقام بعده ثلاث ليال
وايامها حتى ادى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ثم لحق به وزوجه النبي
صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة رضي الله عنها وبعث معها خميلة ووسادة من ادم
حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين وشهد له بالجنة وفي البخاري عن سهل بن
سعد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر لاعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه
فباتوا يدوكون ايهم يعطاها فغدوا كلهم يرجوا ان يعطاها فقال اين علي فقيل يشتكي
عينيه فارسلوا اليه فاتي به فبصق في عينيه وبرأ مكانه حتى كانه لم يكن
به شيء فقال نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى
الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك
من حمر النعم وفي رواية رجلا يحب الله ورسوله او يحبه الله ورسوله وفي رواية بالعلو والابا وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان السماوات وضعت في كفة ووضع ايمان علي رضي الله
عنه في كفة لرجح ايمان علي وفضائله رضي الله عنه اشهر من ان تذكر وقد بلغت في
الشهرة والكثرة مبلغا تنقطع فيه فضائل احد من الصحابة وقد جمعها الحافظ ابو عبد الله
... في مجلد وحديث انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي متواتر جاء عن نيف وعشرين
صحابيا واستوعبه الحافظ بن عساكر في نحو عشرين ورقة وقال عليه السلام انا مدينة
العلم وعلي بابها وقد نقل عنه في كل علم العجب العجاب حتى افتتنت به طوائف من المبتدعة
وادعى بعضهم فيه ما ادعت النصارى في عيسى عليه السلام وحكي عنه انه قال الواقعة
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ... اضع على البلاغة ومن يسعين بغير العقلة وتامل
منه الى رجلين بايديهما ثلاثة ارغفة وللاخر خمسة هجم عليهما ثالث فقدما له ما معهما و
استوعبوا ثلاثتهم ذلك اكلا فلما قام عنهما اجازهما بثمانية دراهم فقال صاحب الثلاثة
هي بيننا نصفين وقال الآخر بل على حساب الارغفة كل واحد بحسابه فقال الاخر انما اعطاه
الحق فرفعا الى علي رضي الله عنه فقال اضربا اعطاك فقال ارضى بجميع الحق فقال
برهنة اذا ليس لك الا درهم واحد فقال كيف فقال اكلتم ثلاثتكم ثمانية ارغفة ومرد
ثمن اكل كل واحد منكم غير معلوم فتحملون على السواء وثمانية على ثلاثة تباينا فتضرب
في مقسم اربعة وعشرين تضرب اي غفة كل منكما فيما ضربت فيه الثمانية المجموع ملك
ثلاثة تضرب في الثلاثة التي ضربت فيها الثمانية فذلك تسعة اكلت منها ثمانية بقي لك
واحد ولصاحبك خمسة تضرب له في الثلاثة فذلك خمسة عشر اكل منها ثمانية بقيت له سبعة

فقد اكل كل الوارد جزءا واكل الطاعم سبعة واثنا وثلاثين لذلك فاقسمها ما يخرج فوق
ما تقسمها له نقلة في شرح الكبير وقد انشد رضي الله عنه في ابياته المشهورة الى بعض
مزاياه تحدثا بنعم الله تعالى فقال

محمد النبي اخي وصهري • وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي • يطير مع الملائكة ابن امي
وبنت محمد سكني وعرسي • منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا احمد ابناي منها • فايكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرا • غلاما ما بلغت اوان حلمي

قال البيهقي وهذا الشعر مما يجب على كل متولي في علي حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام
ومات من الصحابة اصوالا وله فضائل ومناقب لا تحصى وقد مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز
فقال محمد رسول الله والذين معه اشداء الآية وقال ان الذين امنوا وهاجروا الآية
وقال والسابقون السابقون اولئك المقربون وقال والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الآية وقال للفقراء المهاجرين الى قوله والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
وقد تقدم قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقوله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
الآية تنبيه وها هنا سؤال وهو ان الانبياء والنبي صلى الله عليه وسلم سال العافية
العافية وكذلك الخلفاء الراشدون وكذلك غيرهم من ائمة الدين والعلماء العاملين وقطع وتجرع
بان الله تعالى لم يرد سؤالهم ولم يجبهم فيما سالوه ولم يرزقهم فيما طلبوه فيقول القائل واين هذه
العافية التي سالوها واعطوها مع ان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل والجواب
والله الموفق للصواب ان العلماء اجمعوا واطبقوا على ان تقسيم العافية الا بكل الله تعالى
اخبر انه لا يعلم توفيقه الا بحرمته ولا يخذله والا يعطه عنه والا يعلمه وانه حفظه ويرعاه
في احوال كلها وفي حرز التشاغل ولا تملك فمع ما تريد ولا كثر نعمتك التي لا تبرح مني
عندك فيها تدبيرك كما ايدت انبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك انك على كل شيء قدير
وكان بالشيخ ابي العباس المرسي امراض متعددة فقال له رجل عافاك الله يا سيدي فسكت
عنه ولم يجبه فقال ذلك الرجل الله يعافيك يا سيدي فقال له الشيخ وانا ما سالت الله العافية
فيه من سالت العافية والذي انا فيه هو العافية ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال
الله العافية وان الخلفاء الراشدين سالوا الله العافية وقد علمنا ما وقع من ان النبي صلى الله عليه
وسلم مات مسموما وان ابا بكر كذلك وان عمر مات مطعونا وان عثمان مات مذبوحا وان عليا
مات مقتولا ثم قال له فاذا سالت الله العافية فسله العافية من حيث يعلمها لك عافية
امر لكا تشكل البلاء الذي تكفر به السيئات وترفع به الدرجات عافية حقيقية وان البلاء الذي
يكون معه الرضى والتسليم عافية في الحقيقة وكذا الذي يوصل العبد الى الله ويوقفه بيابه على
صراط الاضطرار عافية ايضا على الحقيقة وقد قال الوانيلا يكمل البه حين من نعمة تقصيك عنه

وربما تيسر له ايضا رضي الله عنه
يعني باد نيا عن الخلق ايهم
وان العفوات تحمل الشيء كما به
يا معشر الدنيا على ... بنيه
والتاذذ بالغيرات في قصري
اصبحت زحوا اخلو فيه وفي
اجرز ناب الموت عرضي
بهت اه الموت وانشره
من يرحم يوما بها كوده
تشرح العواطف ضرا شرة
لم يعي الله يملي رشده

ويجنون ويحنون
رضي الله عنه
علمه

ولا يخرج نزول البلاء عن فضل الله فاسلم والله تعالى اعلم **تنبيه** اختلف العلماء في
التفضيل بين الصحابيات **وقد اختلف** هل الافضل خديجة او عائشة وهل الافضل مريم
بنت عمران على القول بانها ليست بنبية او فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم **وقد تعرض**
للكلام في ذلك الشيخ تقي الدين السبكي في فتاويه الحلبيات وينبغي التفصيل واقتضب
الشيخ جلال الدين السيوطي من كلامه ما هو المقصود وكذا نقله ما الى تفضيل فاطمة على الكل
وخديجة على عائشة ونقل الادلة في ذلك بطول فليطالع في محله **وقال الشيخ** زكريا
ما حاصله الذي اعتقده ان جهات التفضيل مختلفة ففاطمة افضل من جهة البضعة وخد
يجة افضل من جهة التوازر والنصرة والمواساة وعائشة افضل من جهة العلم
ام وفي الخصائص النبوية للسيوطي ذكر الامام علم الدين العراقي ان فاطمة واخاها
ابراهيم افضل من الخلفاء الاربعة باتفاق ونقل عن مالك انه قال لا افضل على بضعة من النبي
احدا **قال العارف** بالله تعالى سيدي عبد الرحمن محمد الفاسي في الاتقان نظر **قال سيدي عمر**
الفاسي وانا من حيث المعارف والاسرار الربانية فابو بكر افضل ثم هم على الترتيب واما من حيث
البضعة ففاطمة افضل وكذا بنوها فمن ... فاطمة اشرف من حيث الجوهر والجسم وفضل ابي بكر
افضل من حيث العرض القائم بالجسم والسر المتوارد عليه والله اعلم انظر شرح المواهب

قوله وان لا يذكر احدا من صحابة الرسول عليه السلام الا باحسن ذكر
ذكر جميع الصحابة باحسن الذكر مامور به لما فيه من امتثال الامر بتعظيمهم واتيان ذكرهم
بالقبيح ممنوع بالاجماع لما فيه من نقص فضلهم واما ذكرهم بما ليس بقبيح ولا حسن وهو
المباح فظاهر كلامه يقتضي النهي عنه نقل ذلك في عن بعضهم **وفي الحديث** اذا ذكر اصحابي
فامسكوا قيل معناه لا تذكروا الا باحسن ذكر ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوقيعة
على صحبتهم وحذر من اذايتهم فقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
من احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه **وقال عليه السلام** من احبني احب اصحابي وازواجي و
اهل بيتي ولم يطعن في احد منهم وخرج من الدنيا على محبتهم كان معي في درجتي يوم القيامة **قال
بعض العلماء** المحققين واعلم ان محبة الصحابة رضي الله عنهم واجبة على الجملة والتفصيل
لوجوه ثلاثة **الاول** لحسن اخلاقهم وجميل افعالهم وعظيم نصيحتهم للامة وشفقتهم على
الدين والشريعة واداهم الامانة وبسط العدل بين الامة بالاستقامة فمن طالع كتب
السير وتامل امرهم في مغازيهم وبرازهم ومكافحتهم للكفار مع قلة عددهم وعددهم وكثرة
المشركين عددا وعدة ادرك من شجاعتهم وجميل خصالهم ما يبهر العقول **ولقد جيشت**
المشركون الجيوش وجمعوا العساكر وحزبوا الاحزاب فما وهنوا وما ضعفوا وما
استكانوا كيف وكل ما نراه من بلاد الاسلام وقراها وما امطارها شرقا وغربا وجنوبا
وقبلة انما فتح على ايديهم بفضل سيوفهم وعظيم ايمانهم ومع قيتهم الكاملة التي قطعت

صح
عن ابن نجاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فانهم اسلموا من خوف
الله واسلم الناس من خوف سيوفهم
ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
القيامة الا ... شفاعة الله عن ... الا
... وينهم ... فلا ... يتوب
من صغيرها ...

لهم من النور المحمدي وكل ما حصل بايدي المسلمين من مجابي الاموال من اقطارهم المفتتحة انما ذلك بسببهم
وكذلك كل ما نراه من علم نافع وفرض وسنة وفضيلة ونافلة فهم الذين حملوا المؤونة في حفظه على
ان وجوههم واكملها كل ذلك في زمن قليل وعدد يسير رضي الله عنهم وارضاهم **الثاني**
لحسن صحبتهم نبي الرحمة وشفيع الامة وجميل عشرتهم معه في كل وقت وساعة وعظيم حرمتهم له
في كل امر بالسمع والطاعة وبذل الانفس والاموال له عند كل نازلة واحتمالهم المشقة في حروبه
عند المقاتلة مع اهل الكفر والضلال فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه
وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجو
ههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له حتى قال عروة بن مسعود جئت كسرى
في ملكه وقيصر في ملكه فما رايت احدا يعظمه اصحابه مثل ما يعظم اصحاب محمد محمدا **وفي** اخبار
الاسراء بليات ان رجلا عصى الله تعالى مائتي سنة فلما مات اخرجه بنو اسراءيل ورموه على
المزبلة فاوحى الله الى موسى عليه السلام ان اغسله وكفنه وصل عليه في جميع بني اسراءيل فجعل موسى
تعجبت بنو اسراءيل من ذلك وقالوا لموسى لم يكن في بني اسراءيل اكثر منه معاصي ولا اعتى
على الله منه قال قد علمت ولكن الله امرني بذلك فاتوا فسال الله عنه فقال وهو اعلم بما صدر منه
في صغره الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد مكتوبا فيها فقبله ووضعه على
عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوب مائتي سنة فما ظنك رحمك الله بهذا بهذا
الفعل فكيف بمن امن بالنبي عليه السلام ووازره ونصره واتبعه وبذل النفس والمال
دونه **وتامل** قضية المراة الانصارية التي قتل باحد ابوها واخوها وزوجها مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما
تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل **وقد بلغهم**
بشرة محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة **الثالث** لمحبة الله تعالى
لهم ورضوانه بذلك عنهم واختياره اياهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم رضي النبي صلى الله
عليه وسلم عنهم وطلب دعائه لهم وشهادته بسروره بهم وعظيم مدحه لهم قال عليه السلام في الحديث
لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم
ولا نصيفه **ام وفي البخاري** في صحيح البخاري عن انس ان رجلا سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها
قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال
انس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت
قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون
معهم بحبي اياهم وان لم اعمل بمثل اعمالهم اه ومن هذا الباب محبة العلماء
والاولياء والصالحين لما لهم من التعلق به صلى الله عليه وسلم ولا يحب المحبين

ابي صفية

كانت عائشة بمكة فلقيت قتل عثمان رضي الله عنه فحثت الناس على القيام بطلب دم عثمان وكان الناس مرتابوا بايعوا عليا بالخلافة وممن بايعه طلحة
والزبير واستاذنا عليا في العمرة فخرجا الى مكة فلقيا عائشة على جمل اسمه عسكر اشتراه لها يعلى بن امية بمائتي دينار في ثلاثة الاف رجل
الف من مكة والمدينة وتبعها طلحة والزبير وخرج علي رضي الله عنه من المدينة لما بلغه ذلك حتى وصل في تسعمائة راكب وكانت
وقعة الجمل في النصف من جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين وكان اول قتيل طلحة جاءه سهم غرب فحملوه الى البصرة ومات ودفن

المحقق بالمحبين وضرب لبعضهم في النوم ملائكة يكتبون اسماء المحبين فقال لهم بالله عليكم
هل كتبتموني معهم فقالوا لا فقال فبالله عليكم اكتبوني من محب المحبين فكتبوه فاخجا بالنداء ان
الله قد غفر للمحبة وللمحب بمحبه ومن احسن القائل •
تعلق باذيال الذين تهموا • بحرمة هذا المصطفى كان بكم • والقائل •
بساحة ومواليا • وصبروا لي وولي • مالي سواكم مصونا • من حادثات الليالي •
انا الفقير اليكم • انا غبار النعال • وكل من كان مثلي • في السهل او في الجبال • من جلده فوق
رابع • وصبه راس مالي • فقابلوا بقبول • وحسنوا سوء حالي • وغير خرف عليكم •
ان من الخير حالي • حاشاكم ان تضنوا • بعضكم من سوالي • ومن قطع في ازدياد • و
جودكم في توالي • **قوله** والامساك عما شجر بينهم هذا مستغنى
عنه بما قبله كما في ج وبعني ان من الواجبات الكف والسكوت عما وقع من النزاع و
القتال بين علي ومعاوية في وقعة صفين وهو اسم موضع او ماء بالشام ولم يقاتل علي
فيها حتى قتل عمار بن ياسر بحجرة ذا الغفار وقتل في ذلك الف وستمائة وفي وقعة الجمل
بالعراق بين علي والزبير وطلحة وغيره لكان امر الله واقوى علما ودينا من بعدهم ولذلك
لما سئل اهل البصرة عبد الله بن عمر عن امر عثمان وعن امر علي قال تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الاية وقال الامام مالك والشافعي او عمر بن عبد العزيز او غيره
ان من رآه رضي الله عنهم تلك دماء طهر الله منها ايدينا فلا نخضب بها السنتنا وروي
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال مثل اصحاب محمد مثل العيون ودواء العيون ترك مسها
وسئل الحسن عن حرب علي ومعاوية فقال شغلني عنه ذكر الصلوات واذا كان مثل هؤلاء
السادات مع قوة علمهم ورسوخ قدمهم في الدين وقرب عهدهم بما كان على ذلك لا يخوضون
في ذلك ولا يذكرونه فغيرهم ممن قل علمه ورق دينه احق واولى بهذا الادب و
انما فعلوا ذلك لانهم يشتغلون في النقل ما يتقلون الغث والسمين فالصواب الاعراض عن
ذلك واعتقاد ان جميع ما وقع بينهم باجتهاد وان الاجر ثابت لجميعهم وان الطاعن عليهم
انما تبوط للطعن على النبوة بذلك وهو كافر كما قال ابن فورك لعدالة جميعهم وقد ثبت
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وصح انتم خير امة فرج رواه الشيخان واما
قول المتكلمين كهر الله منكم فلا حد كسرقة او زنى عمل بمقتضاه فهو اخص من قوله
العدول في والصحابة عدول الا عند قيام العارض مع قيام اسباب الرضى لا تثبت العدالة
غير انه هو الحاصل فيهم من غير عصمة وعدم الحاطر فيه عدم العدالة هي تثبت العدالة
حكما بالغالب في العرب بغيرها وفيه نظر مات تشتغر بعد ابي هم وحسن ظنونهم مانع
لهم من الاصرار وان جرى عليهم الذنب بحكم الضرر فلا يقدح في مناصبهم ولا يعارض حسن
الظن بهم قاله الشيخ عبد الرحمن محمد العابدي ونقله في شرح المراصد **قوله** وانهم
احق الناس ان يلتمس لهم احسن المخارج ويظن بهم احسن المذ

براهي السباع ومات عشرة في الالف نصف
من اصحاب علي ونصفهم من اصحاب عائشة
وقيل قتل من اصحاب عائشة ثمانية الالاف
ومن اهل الكوفة خمسة الالاف وقيل لعلي
علام تقاتل هؤلاء فقال على الحق فقيل
انهم يقولون انهم على الحق قال اقاتلهم على
الخروج عن الجماعة ونكث البيعة ولما
بلغ معاوية غلبة علي على اهل الجمل دعا الى
الطلب بدم عثمان فاجابه اهل الشام
فسار اليه علي فالتقيا بصفين فاقتتلوا
فلم يتم لهم امر فوقع القتال الى ان قتل
من الفريقين ما كاد اهل الشام ان
يغلبوا رفعوا المصاحف بمشورة عمرو
بن العاص فدعوا الى الحكم فتال الامر
الى التحكيم فجرى ما جرى من اختلافهما
واستبداد معاوية بملك الشام واشتغال
علي بالخوارج انظر العقيدة مختصر نقل
عن ابن خيثمة انه قتل من الفريقين سبعون
الفا وقيل اكثر

عدالة الصحابة رضي الله عنهم

قال الشيخ زروق في شرح قصيدة زين الدين بن المقاتل روي
عنه وعن كثير ان عمت واما ابن في الحجاج
فله ومن حضر جماعة من العلماء بكفر
الحجاج منهم القاضي ابو بكر بن العربي
وسالت شيخنا ابا عبد الله القوري
رحمه الله عن ذلك فقال لي انه كان
يعظ الملك على النبوة وهذا ان صح
لم يختلف في كفره والمقطوع به في شأنه
وشأن يزيد انهما ظالمان سخط الله
عليهما اقرب من رحمته لهما ويتعلق كفرهما
على صحة ما نقل عنهما من الاقوال والافعال
الدالة عليه والله اعلم

المذاهب

المذاهب اي ومن ذلك اعتقاد ان الصحابة احق الناس بان يطلب لهم احسن المخارج
وفا بعهم وان يعتقدوا ان ذلك بكر اهل الدنيا لا العين هو النبي كان عن رهو مور الذين ومن في
الدنيا انما كانت تحت اقدامهم فلم يكن تنازعهم في رياستها ونيل حظوظها وشهواتها **قال**
في المختصر هنا واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه
ورسوله عليهم وما جرى بين معاوية وعلي كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة
اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب
امر الامامة في بدايتها فرأى التاخير اصوب وظن معاوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب
الاغراء بالائمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال اخرون
المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا اه وفي ابي الحسن والت
وغيرهما اتفق اهل الحق ان عليا رضي الله عنه اجتهد واصاب فله اجران وان معاوية رضي الله عنه
اجتهد واخطا فله اجر واحد **تنبيه** قال ابن حجر روى حديث تقتل عمارا
الفئة الباغية جماعة من الصحابة ثم قال بعد عده وغالب طرقه صحيحة او حسنة وفيه فضيلة
لعلي ظاهرة ولعمار **فان قيل** كان قتله بصفين وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية
وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء الى النار **فالجواب** انهم كانوا ظانين
انهم يدعون الى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء الى الجنة الدعاء
الى سببها وهو طاعة الامام وكذلك كان عمار يدعوهم الى طاعة علي وهو الامام الواجب الطاعة
اذ ذاك وهم كانوا يدعون الى خلاف ذلك لكنهم ظن لهم ان الامام الواجب الطاعة هو معاوية
رضي الله عنه **الثاني** في ما ذكره المصنف مناقض لما قبله لان التماس احسن المخارج فرع
ثبوت الخوض المنهي عنه **واجيب** بان الامساك لجمهور الناس وعامتهم والتماس المخارج
للعلماء وبان المراد بالامساك الكف عن تتبع الوقائع في الحروب والاعراض عما نقله جهلة المؤرخين
في ذلك والتماس المخرج الحسن يكون فيما نقل منه واشتهر قاله القلشاني وقال تت وقد
يقال انه يجب الامساك فلا يتكلم في شيء مما كان بينهم قبله وقع ونزل وتكلم فيه التمس لهم
احسن المخارج ويظن بهم احسن المذاهب فلا تناقض **قوله** والطاعة لائمة
المسلمين من ولاة امورهم وعلمائهم قال غير واحد من الشروح ان قوله والطاعة مبتدا
وخبره محذوف تقديره واجبة او من واجب امور الديانات واشار المص بقوله من ولاة امورهم
وعلمائهم الى ما قيل في تفسير اولي الامر من قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم فقد قال بعض المفسرين اولو الامر هم العلماء العاملون بعلمهم لقوله تعالى ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر منهم ولقوله فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **وهذا** بالنسبة
للمقلد واما المجتهد فلا يقلد غيره **قال** ابن عرفة انقطع الاجتهاد بموت عز الدين بن عبد السلام
قال اهل الاصول واختلفوا هل للانسان اذا التزم مذهبا معينا ان يخرج عنه على ثلاثة مذاهب احدها
انه لا يجوز له ذلك واختاره الامام المازري والثاني والثالث انه يجوز وهو الرابع

تاويل ما وقع بين الصحابة

طاعة العلماء

هل يجوز لمن التزم مذهبا ان يخرج عنه الى غيره

المذاهب كلها طرق الى الجنة

الثالث لا يجوز في بعض المسائل ويجوز في بعض فقال البعض الذي لا يجوز فيه هو الذي عمل
اخذا مما تقرر واختار عز الدين والقرافي جواز الانتقال وان المذاهب كلها مسالك الى
الجنة اه والجواز مطلقا هو الراجح من الاقوال الثلاثة ومن استوفى الكلام على هذه المسألة
شيخنا ابو عبد الله سيدي محمد بن احمد بن المسناوي الدلائي اطال الله تعالى بحياته في تاليف له في احكام الا
ستنابة في الوظائف ونقل كلام الائمة في ذلك من الكلام ما تكل البلاغة والبلاغة منه وقال
بعضهم اولوا الامر هم امراء الحق وهم العلماء العاملون بامر الله تعالى وامر السنة الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وجمع المصنف بين التفسيرين بانه لا بد من طاعة العلماء والا
مراء وبذلك تحصل حراسة الدين وسياسة الدنيا ولوجوب طاعة اولي الامر شروط منها
ما اتفق عليه ومنها ما اختلف فيه وقد اشار لها في المراصد بقوله

شروطه التي اتفاقا ذكروا • من كلف وعدل ذكر
ومن شرائط الادراك • والنطق يحكي ذاك كل حاكي
وزد على ذاك للجمهور • وصف الشجاعة مع التدبير
والاجتهاد في الفروع والاصول • وبسط تفريع الامامة يطول

والشيخ شيخنا العارف بالله سيدي عبد القادر الفاسي تاليف في الامامة اجاد فيه وذكر
التفاريع التي اشار لها في المراصد بما نظرها ان شئت قال الشيخ سيدي يوسف بن عمر في [illegible]
فيه الشروط المعتبرة وجبت طاعته ظاهرا وباطنا ومن لا طاعة له ظاهرا دون باطن فهو عام
ثم قال واما ولاة الجور فلا تجب طاعتهم الا ان يخاف منهم القتال والنزاع فتجب طاعتهم اه
وهذا اذا لم يامر بالمعصية اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال الناظم

ولا تحل طاعة الامام • في امره بالظلم والحرام

وثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب
وكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة رواه مسلم القلشاني وكان
بعض الخلفاء يقول اطيعوني ما اطعت الله فيكم وان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن
ابي حازم انه لما قال مسلمة بن عبد الملك الستم امرتم بطاعتنا في قوله تعالى واولي الامر منكم
فقال له اليس قد نزعت عنكم الطاعة اذا خالفتم الحق لقوله تعالى فان تنازعتم في شيء
الاية اه قال الطيبي اعاد الفعل في قوله اطيعوا الرسول اشارة الى استقلال الرسول
بالطاعة ولم يعده في اولي الامر اشارة الى انه يوجد فيهم من لا تجب طاعته ثم بين ذلك بقوله
فان تنازعتم في شيء كانه قيل فان لم يعملوا بالحق فلا تطيعوهم وردوا ما تخالفتم فيه الى حكم
الله والرسول اه وقال عمر رضي الله عنه من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه
في ذلك فقام اليه بلال او سلمان او غيرهما من الصحابة فقال لو رأينا فيك اعوجاجا
لقومناك بسيوفنا فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من اذا رأى مني اعوجاجا قومني
بسيفه وقال عمر رضي الله عنه لسويد بن غفلة يا سويد بن غفلة لعلك لا تلقاني بعد

القلشاني قسموا الامامة على اربعة اوجه امامة وحي ووراثة وعبادة وعامة فالاولى النبوة والثانية العلم والثالثة الصلاة والرابعة العامة وكلها ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اصل
ولما بايع الناس ابا بكر رضي الله عنه البيعة العامة التي كانت الغد من يوم السقيفة حمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى اريح عليه حقه ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى اخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله انتهى

اليوم

مجدعا

اليوم فعليك بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا مجدعا ان شتمك فاصبر وان
ضربك فاصبر وان اخذ مالك فاصبر وان اراد امرا ينتقص دينك فقل طاعة مني دمي دون ديني ولا
تخرج يدا من طاعة الله قاله سيدي زروق في النصيحة الكافية وهذه وصية جامعة لما تضمنته
الاحاديث المتظاهرة وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه انا الله لا اله الا انا ملك الملوك
قلوب الملوك بيدي فلا تشغلوا انفسكم بسبهم وادعوا لي اعطفهم عليكم اه واشار بقوله ولا تخرج يدا
من طاعة الى انه لا يجوز الخروج عليهم بالفسق والجور وهو الذي تدل عليه الاحاديث وهو مذهب الجمهور
قال القلشاني وعنه صلى الله عليه وسلم خيار ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم
ويصلون عليكم وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قلنا يا رسول الله
افلا ننابذهم عند ذلك قال لا ما اقاموا فيكم الصلاة وعنه عليه السلام انه قال ستكون بعدي
اثرة وامور تنكرونها قالوا يا رسول الله كيف تامر من ادرك منا ذلك قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون
الله الذي لكم اه وفي البخاري من حديث عبادة بن الصامت بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله الا
ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان اه ومعنى بواحا جهارا من باح يبوح قال سيدي
احمد الونشريسي في شرحه لابن الحاجب وان اجماع على منع قتال العدل منهم كما اجمعوا على قتال
الموثر منهم قال ابو الاكمال وكذلك اذا ترك اقامة الصلاة والدعاء اليها او غيرها من الشرع واختلف
العلماء في الفاسق وانما يجب القيام على الكافر او على الفاسق على احد القولين اذا لم تتحمل المسلمين
الفتنة عليه واذا لم يقدر المسلمون الا بفتنة فانه يجب القيام على الاول ويجب على الثاني ويجب على المسلمين
الهجرة من ارضه الى غيرها اه مختصرا وفي الاحياء اعلم ان السلطان به قوام الدين
فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص رضي الله عنه امام غشوم خير
من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله تعالى
بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل
رحمه الله من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن
اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس
السلطان فقال مهلا ان لله سبحانه في كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة
الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة
على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون اه وقولنا اذا لم يامر بالمعصية كلام مع الطوع
واما مع الاكراه فيجوز على تفصيل في ذلك عند العلماء قال ابن رشد الاكراه على الافعال
التي يتعلق بها حق المخلوق كالقتل والغصب لا يبيح باجماع وانما يبيح ما لا يتعلق به حق
لمخلوق من الاقوال باتفاق ومن الافعال على خلاف ابن نقله الحطاب في اخر باب القضاء
وتعقب ما حكاه من الاجماع فقال بل فيه الخلاف حسبما نقله في التوضيح وابن عرفة
وغيرهما اه ونقل في باب الطعام عن التوضيح الصحيح جواز اكل الخنزير وشرب الخمر اذا

اكره عليه **وقال** في المختصر وانما الكفر ويشهد عليه الطلاق وقوله السيد وانما يجوز للقتل اهـ وقال
ظهر بهذا ان الاكراه على الطلاق لا يلزم به طلاق **وقد** علمت بهذا ان الاقوال التي لا يتعلق بها حق المخلوق
والتي يتعلق بها معه وان الاكراه يصح فيهما معا وحكم الافعال التي يتعلق بها حق المخلوق والتي
لا يتعلق بها معه وان الخلاف فيهما معا والمشهور منعه الكفر فانه يصح الاكراه في الاول وتبع في
الثانية فتامل ذلك والله اعلم **تنبيه** قال في شرح المراصد قال السيوطي ان امر الامام
تابع فان امر بواجب وجبت طاعته فيه وان امر بمندوب ندبت طاعته ولم تجب وان امر بمباح
لم يجب ولم يندب او بمكروه كرهت طاعته فيه او بحرام حرمت طاعته **ومن** الجهال الان من يظن
ان طاعة السلاطين واجبة في كل شيء يامر به وهذا جهل يؤدي الى الكفر فان من راى تقديم امر
السلطان على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الشرع كفر **ومن** راى ان امر السلطان بحرام
او بمكروه يحله فقد اعرى بوجه كفراه وما قاله السيوطي رحمه الله وسلمه شارح المراصد من
ان امر الامام تابع وانه لا يجب طاعته الا في الواجب دون المندوب والمباح مخالف لما ذكره ائمتنا
من انه يجب طاعته في المندوب والمباح وكذا المكروه على ما للذي عرفته خلافا لما اختاره القرطبي
من انه لا تجب طاعته في المكروه وليس في ذلك تقديم امر السلطان على امر الرسول صلى الله عليه وسلم
لان وجوب طاعته فيما ليس بمعصية بامر الشارع صلى الله عليه وسلم فتامل ذلك والله اعلم

قوله واتباع السلف الصالح واقتفاء اثارهم اي اتباع طريقتهم وموافقتهم
في علمهم من الواجبات فهو منتقل معنوي اخبر ان الله تعالى توعد بالعذاب من خالفهم واتبع
غير سبيلهم فقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم فيجب اتباعهم **والسلف** المتقدمون وسلف الرجل اباؤه المتقدمون
والصالح من صلحت اقواله وافعاله واحواله فهو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى وحقوق
الناس والمراد به هنا الجنس الصالح افراده انظر القلشاني ونت **والمراد** بالسلف الصالح
هنا الصحابة فيجب علينا اتباعهم في اقوالهم وافعالهم وفيما تاولوه وفيما استنبطوه بالا
جتهاد **قال** المصنف في اخر الكتاب وفي اتباع السلف الصالح النجاة وهم القدوة
في تاويل ما تاولوه واستخراج ما استنبطوه واذا اختلفوا في الفروع والحوادث لم يخرج
عن جماعتهم اهـ اي اذا اختلف الصحابة في مسئلة فليس للمجتهد ان يخرج عن اقوالهم ولو
ادى اجتهاده الى ذلك فلا بد ان يوافق بعضهم فيما ذهب اليه **ونص** على ما ذهب اليه مالك
ومن وافقه من وجوب تقليد المجتهد للصحابة في اقوالهم وافعالهم الناشئة عن اجتهاد منهم
قال النخعي لو رايتهم يتوضؤون الى الكوعين وانا اقرا الى المرفقين لتبعتهم وكفى
حفظي لقوله تعالى ومن يشاقق الرسول الاية اهـ **وليس** كلام مالك بعمل باجماع
اهل المدينة على الصحابة وما استشنع عليه في قول اكثر مما وقع فيه الاختلاف قبل كلام
النخعي هذا يفيد ان عملهم يقدم على ظاهر القران وهذا اخص من قول مالك بتقديم عمل
اهل المدينة على خبر الاحاد **وذهب** غيرهم الى عدم جواز تقليدهم فيه واما تقليد

المجتهد

ما ينفع في الاكراه وما لا ينفع

من راى تقديم امر السلطان على امر الشرع كفر

تجب طاعة الامام فيما ليس بحرام

الصالح

هل يجب تقليد المجتهد للصحابة فيما نشا عن اجتهاد منهم

تقليد الصحابة

١٣٣

يجب تقليد المجتهد لهم فيما نقلوه عنه صلى الله عليه وسلم

المجتهد لهم فيما افتوا به صلى الله عليه وسلم فلا خلاف في اتباعهم فيه **واما** تقليد غير المجتهد لهم
فهذا النزاع فيه كتقليده لغيرهم من المجتهدين **ونص** الخلاف على ما ذكره القرافي في التنقيح **واما**
قول الصحابي فهو حجة عند مالك والشافعي في قوله القديم مطلقا لقوله عليه الصلاة والسلام اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم **ومنهم** من قال ان خالف القياس فهو حجة والا فلا **ومنهم** من قال قول
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حجة دون غيرهما **وقيل** قول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا اهـ **وقوله**
ان خالف القياس الخ وجهه انه اذا خالف القياس يقتضي انه انما عمل بالنص لانه اذا لم يخالفه امكن ان يكون
باجتهاده فيكون كقول غير الصحابي **ولم** يذهب احد الى تقليد المجتهد التابعي في اجتهاده **قال** حلو
كلام المص على ما يشمل التابعين كما فعل بعض الشارحين وحمل ان يراد باتباع التابعين اتباعهم فيما نقلوه
عن الصحابة لا فيما ذكروه عن اجتهادهم واستنباطهم **وكذا** ان حمل على ما يعم القرون الثلاثة كما يشمل له
كلام المص في شرح القصيرة في قوله

• يقفوا الصحابة في هدي وفي سنن • كلا انهم قدوة في القول والعمل •

ونصه بعد كلام وتعبير المؤلف هنا بالصحابة للاتباع كانه مبني على ما نقلناه فيما سبق من ان المراد بالسلف
الصالح علماء القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية والفضل لان من اقتفى اثار التابعين وتابع
التابعين فقد اقتفى اثار الصحابة اذ هم اعرف الناس بسيرتهم وحكومتهم ومن اقتفى اثار الصحابة
فقد اقتفى اثار النبي صلى الله عليه وسلم اذ هم اعرف الناس باحواله صلى الله عليه وسلم اهـ ملخصا من حج
قلت والظاهر ان المراد بالسلف الصالح هنا وفي اخر الكتاب اهل القرون الثلاثة ويجعل اتباع
السلف الصالح للمقلد ولو كان عالما لا باتباع امام من الائمة **واعلم** انه ليس للمقلد ان يتعلق باعيان
مذاهب اعيان الصحابة بل عليه ان يتبع مذاهب الائمة الذين سبروا ونظروا وبوبوا لان الصحابة رضي
الله عنهم لم يعتنوا بتهذيب مسائل الاجتهاد وايضاح طرق النظر بخلاف من بعدهم قاله امام
الحرمين ونسبه لاجماع المحققين **وقال** ابن الصلاح ما معناه ان التقليد يتعين لهؤلاء الائمة
الاربعة دون غيرهم لان مذاهبهم انتشرت وانبسطت حتى ظهر فيها تقييد مطلقها وتخصيص عامها
وشروط فروعها فاذا اطلقوا حكما في موضع وجد مكملا في موضع اخر واما غيرهم فتنقل عنهم
الفتاوى مجردة فلعل لها مكملا او مقيدا او مخصصا لو انضبط كلام قائله لظهر فيصير في تقليده على
غير ثقة بخلاف هؤلاء الاربعة قال وهذا توجيه حسن فيه ما ليس في كلام امام الحرمين **وقال**
ابن برهان من منع تقليد الصحابة كان مذاهبهم لم تكثر فروعها حتى يمكن المقلد الاكتفاء بها هو
ظاهر انظر الحطاب **وقد** سال ابن العربي الغزالي عمن قلد الشافعي مثلا وكان مذهبه مخالفا
لاحد الخلفاء الاربعة او غيرهم من الصحابة فهل له اتباع الصحابة لانهم ابعد عن الخطا ولقوله صلى
الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر **فاجاب** بانه يجب عليه ان يظن بالشافعي
انه لم يخالف الصحابي الا لدليل اقوى من مذهب الصحابي وان لم يظن به هذا فقد نسب الشافعي للجهل
بمقام الصحابي وهو محال **وهذا** سبب ترجيح مذهب المتاخر على المتقدم مع العلم بعد
فضلهم عليهم انظر تمامه في الحطاب **فقول** ج واما تقليد غير المجتهد لهم فهذا النزاع فيه

ليس للمقلد ان يتعلق بمذاهب اعيان الصحابة

تعين تقليد الائمة الاربعة

الظن بالمجتهد انه لا يخالف الصحابي الا لدليل اقوى من مذهبه

البحث في المنع لتقليد المجتهد للصحابة فيما افتوا له

فيعني به والله اعلم من كان في عصر من المقلدين امثال بعد الايمة الاربعة فيتعين عليه تقليد
خصوص الايمة الاربعة لما تقرر **وقوله** ليس للمجتهدين يخرج عما قالوه ولو ادى اجتهاده الى
الخ بعيد لكثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد فكيف يعلم مذاهبهم في النوازل **ومخالف** لما قاله
ابن عبد السلام قال الحطاب ذكر البرزلي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه سيل عمن يعمل مذهب
ابي بكر وغيره من علماء الصحابة في شيء فهل يعدل الى غيره ام لا **فاجاب** بان اذا صح عن علماء الصحابة
مذهب في حكم من الاحكام فلا يجوز العدول عنه الا بدليل اوضح من دليله ولا يجب على المجتهد تقليد العلماء
في مسايل الخلاف بل لا يجوز ذلك في وضوح ادلتهم على ادلة الصحابة الا منفق على قوله الا بدليل الخ **وما**
ذكره من كلام التنقيح ليس فيما قاله بصريح كما ان قول المص واذا اختلفوا في الفروع الخ ليس بصريح
في ذلك **فالحاصل** ان الذي يظهر ان مراد المص انه يتعين علينا اتباع الايمة المجتهدين ولا يجوز
لنا الخروج عن مذاهبهم وتقدم ان الاصح جواز الانتقال من مذهب الى مذهب وان في ذلك ثلاثة اقوال
واما كون المجتهد يجب عليه تقليد الصحابة في اجتهاده فهذا ليس بصريح في كلام المص ولا في اقرع
من كلام التنقيح ولم نقف على من صرح به والله اعلم بحقيقته **فقوله** والاستغفار لهم اي
من الواجبات قال الله عز وجل وان عمر قيل لقوله تعالى والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولانهم من غير النار التسليم لهم من اعظم المومنين الا **وللصحابة**
في عنقه منة لا تحصى لانهم الذين حملوا الينا الاحكام وبينوا الحلال والحرام وفتحوا الاقاليم والبلاد
وقهروا اهل الشرك والعناد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافيوه الحديث
على ان هذا لا يختص بالصحابة بل يعم كل من سبقنا بالايمان والظاهر كما في ج ان الاستغفار لهم
مما يجب في العمر مرة واحدة وانه بمنزلة التهليل والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم **وقوله**
وترك المراء والجدال في الدين اي من الواجبات ايضا في الحديث ما ضل قوم بعد هدى الا
اوتوا الجدال وفي رواية ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدال **وفي الجامع**
الكبير من رواية البيهقي وجاء الله من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او ليصرف
به وجوه الناس اليه فهو في النار **وقال** مالك الجدال ليس من الدين في شيء **والمراء**
لغة الاستخراج قال ابن الانباري ماريت فلانا اذا استخرجت ما عنده من الكلام ماخوذ
من قولهم مريت الناقة والشاة اذا استخرجت ضرعها لتدر **والجدال** لغة ماخوذ من الجدل
وهو الفتل ومنه الجديلة وهي القطعة من الحبل المحكم فتله ومنه الاجدل للصقر لقوته
وقيل يرجع لمعنى الاستخراج فيتعقبان قال الشيوخ المراء والجدال **واما اصطلاحا**
فهو تفاوض وتخاوض يجري بين متنازعين قصد اعرا او انما يجري اذا لم يكن ليرده باطل او اثبات حق
بل لاظهار الغلبة وايجاع الغير واظهار الفضل والشرف عند الناس والمباهات واستمالة
قلوب الناس لما ينشا عنه من المعايب كالكبر والعجب والحسد والحقد والمنافسة وتزكية
النفس وحب الجاه والكذب والفرح بمساءة المناظر والاستكبار عن الحق ونحو ذلك كما يفهم
من عباراتهم **قال** ابو الحسن المراء جحد الحق بعد ظهوره ودفعه بالباطل والجدال مناظرة

نظاير تجب مرة في العمر

اهل

[illegible] بيا ابا عبد الله لو اموت ... وضع ... [illegible]
[illegible]

اهل البدع **وقال** بعض الشارحين الجدال هو رد الحق بالباطل والمراء هو قصد الظهور في التناظر
بحق كان او بباطل **وقال** ع بعد ان نقل كلام هذا البعض ثم انه فرق بين المراء بجحد الحق بعد ظهوره
المراءاة والجدال بجحد الحق بعد ظهوره بعد تفاوض يجري بين المتجادلين وبذلك يحصل التخالف بينهما
ولم ار من نص على ذلك اه **وحكي** في تراجمهم قولين **وقد** استغير من هذا ان حكم الجدال تابع
لقصد صاحبه وان الذي يجب تركه من ذلك انواع جحد الحق بعد ظهوره تعنتا وعنادا وما احسن
قول بعضهم • واذا جلست الى الرجال واشرقت • في جو باطنك العلوم الشرد •
• فاحذر مذاكرة الجهول فانما • تغتاظ انت ويستفيد ويحقد •
وكذلك اظهار الفضل في الكلام الغير لينسب بذلك شرف العلم لنفسه والجهل لغيره **قال الشافعي**
ما ذاكرت احدا فقصدت اعجابه وانما اذاكره لاظهار الحق من حيث هو حق **وكذلك** قصده ليعجز
قوله او يعرف بالفصاحة والبلاغة وان كان محقا لما اقترن به من اعتقاد السوء في الغير من ذلك
الجدال محقا يبنى الله له قصرا في الجنة وقد قال الشافعي ما ناظرت احدا الا اردت ظهور الحق من عنده
اه **وكذلك** مناظرة اهل البدع وعلى هذا النوع حمل الفاضل عبد الوهاب كلام الشيخ **زروق**
عن مالك انه كان يقول ان اهل بلدنا يكرهون الجدال والبحث والنظر الا فيما عند عمل وتحت
مسيلة الامارة والاعتقاد فانهم لا يرون فيه جدالا ولا مناظرة **قال الفاضل** عبد الوهاب لانه
في مناظرة اهل الاهواء بسكنا تعمرهم وتاميمهم واظهار بدعتهم واعانة ضلالهم وبعضهم ما يجب
من هجرانهم ومعاقبتهم واجتنابهم وترك من اصلحتم والسلام عليهم وقد يقع للجهال والولدان
شبهة تشوش عليهم الصحيح ولذلك يقال لا تمكن زايغ القلب من اذنك اه **وقال الشيخ زروق**
لا الكلام مع اهل الاهواء ومنازعتهم ضرب في الغالب والقفع فيه الا للقادر والناظر لا صلح له اه
وكذلك قال عبد الله بن عمر انا على بينة من ربي فان كنت شاكا فاذهب الى شاك مثلك بالله
وكذلك عمر يضرب من يتعاطى علم المشكلات التي لا يعلم تاويلها الا الله كمتشابه القرءان واحاديث
الصفات **وكذلك** مخاصمة من غلب على الظن انه لا ينفع معه الجدال الا انه يزداد بسببه تمادا
تفرع من عباراتهم والله اعلم **وهذه** الانواع من الجدال هي المنهي عنه وهو مراد المص **واما**
ما كان لغير ذلك **فليس** بمنهي عنه قال الغزالي وهو عبارة عن تفاوض يجري بين متنازعين قصد
عن التحقيق حقا او ابطال باطل او تغليب ظن ايه **فهو** تارة يجوز لا ضرار مؤثرة ثلاثة وذلك
اذا كان في المسايل التي تكون قطعية وظنية كعقده ونحوه وتارة يكون للاحرار فقط
تحقيق حق او ابطال باطل وذلك اذا كان في المسايل القطعية فقط كالكلام والمعرفة
ودليل مشروعية الكتاب فقد حكى الله عن مناظرة الانبياء مع اممهم كقصة نوح مع قومه
حتى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا **والتسلسل** وفي القرءان العظيم وجادلهم بالتي هي احسن الايه الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية بالاية الى قوله تعالى فبهت الذي كفر والله
لا يهدي والاية وقال تعالى وتلك حجتنا الاية **وقد** اقام عليه الصلاة والسلام بمكة عشر سنين
يدعو الى الله تعالى ويبين لهم البراهين الساطعة والايات القاطعة ويحتج عليهم ويرد عليهم

انواع الجدال الممنوع

الجدال الجايز

ادلته

ويوبخهم ويتلو اعليهم فلما فعلوا ذلك ... والسنة في الصحيح تحاج ... ومن ذلك قوله في حديث لا عدوى ... وابتداع جماع قال الرب ... المجمع الصحابة على جوازه وفعله ومضى على ذلك السلف ومن تبعهم من الخلف الفلشاني ولهذا قال الشيخ في الرجل ان ما يكون منه في الدين هو الممتنع كجدال الخوارج والروافض وغيرهم من المبتدعة فلما ما يكون منه للدين وللطاعة فهو الذي ثبت به الشريعة وثبت نقله عن علماء الامة قال بعضهم والقول الجامع في ذلك ان الجدال ان استلزم معصية فهو المذموم الممنوع شرعا وان لم يستلزم معصية فان استلزم طاعة ايضا فهو المباح وتركه اولى وان استلزم طاعة فهو مشروع وفي ... وذلك بحسب الاختصام واللزومات اهـ وقال في مختصر المقاصد وشرحها ما حاصله ان الجدال تعرض له احكام الخمسة فالتحريم والكراهة ان يتعلق بالمعصية فان فوته المعصية حرم والاكراه والوجوب والندب والاباحة ان تعلق بالطاعة فان فوته وجب او ندب والاباحة كالتمري فانظره وانظر جعل المباح من جملة ما يكون للطاعة وهو خلاف ما تقدم عن بعضهم اهـ

تنبيه انفق الشيوخ على رد قول المصنف في الكتاب في المهجر ان ... هجران خير البدعة ثم ههنا يكون معنى الجواز الوجوب ... وغيره

قوله وترك كل ما احدثه المحدثون ... لانه واجب كالكتاب والسنة ... اصول الشريعة واجب وترك كل بدعة واجب ... بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح من الائمة ... الصالح واقتفاء آثارهم وقوله وبالقول ... وفي الحديث من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وعنه عليه السلام خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ... ما لك يكثر انشاده • وخير امور الدين ما كان سنة • وشر الامور المحدثات البدائع •

وقد اختلف العلماء هنا فمنهم من لا يطلق اسم البدعة الا على المحدثات التي لا اصل لها من اصول الشريعة فما تكون البدعة عنده الا مذمومة منهيا عنها لقوله في الحديث وكل بدعة ضلالة ... ومن العلماء من يطلق اسم البدعة على ما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم فلا يلزم ان البدعة بهذا المعنى تعرض له الاحكام الخمسة ولنذكر ما وقفت عليه الان من نصوصهم في ذلك قال الشيخ زروق قال علماؤنا البدعة احداث امر في الدين يشبه ان يكون منه وليس منه ... على قول من يرى ان البدع لا تدخل العادات ... الخمسة ... وقال ... البدع المسمى بالنهج الانفع واختلف في جريانها في العادات ... والشرب واللباس ونحوه فقيل بعقيل ...

المناصل والاشنان والشبع او كما قال وقيل لا تجري في ذلك والصلاة انس رضي الله عنه لا باعتبار الصور الواقعة فقط وعلى الاول يجري ما نقل عن المذهب في العمائم ونحوها كما ذكره في المدخل وغيره والعلماء قالوا ولا ينبغي ان يختلف فيها احد في ذلك مع اجماعهم انه من الدين لانه زيادة في حكم فيه والله اعلم اهـ ثم البدع ثلاثة انواع بدعة صريحة وهي ما تبع ما كان مشروعا او تراجمه وبدع اضافية وهي التي تيف اليه الوثانية شرعا بادخال كيفية ليست منه وبدع خلافية وهي التي تشتمل في الاصول فيتبع كلام الطائفة في تفصيل ذلك يطول وقد الف الناس في ذلك كثيرا وعلى ذلك وعلى مراتبها في العادات ... بعد الابدعة تعم بها الاحكام الخمسة فتكون واجبة كعلم النحو واصول الفقه والكلام ومحرمة كمذاهب المبتدعة المكرمة وغيرها ومندوبة كاحداث المدارس والكلام في دقائق التصوف وصلاة التراويح ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتخصيص بعض الايام ببعض العبادات ومنه الزيادة في المندوبات المحدودات كما ورد في التسبيح عقب الفريضة ثلاثة وثلاثين ومنه الزيادة على صاع في زكاة الفطر والزيادة استظهارا على الشارع وقلة ادب معه بل شأن العظماء اذا حدوا شيئا وقف عنده والخروج عنه قلة ادب ومباحة كالتوسع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس والمساكن ومن نظم ابن غازي رحمه الله هذه الاقسام الخمسة ممثلا لها في قوله

كن تابعا واعف من تبدع	وقسم خمسة هذي البدع
واجبة كمثل كتب العلم	ونقط مصحف كامل الفهم
ومستحبة كمثل الكانس	والحبس والمحراب والمدارس
ثم مباحة كمثل المنخل	وذات كره كحلواء المآكل
ثم حرام كاغتسال بالقلت	وكالبيات عاريات مائلات

والقلت اجزاء الطعام والاغتسال به ذلك الذي كما يفعله بعض جهلة النساء والمبيت بالثرى وقد شرح شيخ شيوخنا سيدي محمد ميارة في شرح الابيات جميع هذه الامثلة مما تركه قال بعد ان فسر البدعة الى هذه الاقسام فان البدعة اذا عرضت تعرض على قواعد الشرع وادلته فاي شيء تناولها من الادلة والقواعد الحقت به من ايجاب او تحريم او غيرهما وان نظر اليها من حيث الجملة بالنظر الى كونها بدعة مع قطع النظر عما يتقاضاها كرهت فان الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع وبعض السلف الصالح يعزى لابي العباس الا ... من اهل الانترايم ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع ولا تبتدع اتضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع اهـ والبدعة بمعنى ما لم يفعله صلى الله عليه وسلم سواء دل الشرع على حرمته او وجوبه او ندبه او كراهته او اباحته وهذا اقرب لمعناها العام لانه في اللغة ما فعل على غير مثال سبق ومنه قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وقوله تعالى بديع السماوات

ضابط ما يجوز من الجدال وما لا

الجدال تعرض له الاحكام الخمسة

القول بان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة

ثلاث فيهن خير الدنيا والآخرة

١٣٥

والارض وعند الاولين لا تكون البدعة الا محرمة او مكروهة والكراهة مصروفة للعمل بها واما احداثها فحرام لانه افتيات على الشارع وتقدم بين يديه وتغيير لاحكامه قال في عدة المريد قال المحققون وانما قسمها بعضهم للانقسام اعتبارا بمطلق الاحداث من حيث اللغة لا ابدا واما من حيث الشرع فقد نص غير واحد على ان الاستنباط وما استنبط منه ليس ببدعة

الاستنباط وما استنبط منه ليس ببدعة

قال القرافي ابو محمد [illegible] على هذا قول من قال من الجهال لا نفتي في فرع لم يفت فيه من تقدم ولا يستدل بدليل لم يستدل به وزعموا ان تصنيف الكتب وترتيب طرق النظر من الامور المحدثة وهذا كله جهل من قائله فان هذا كله منصوص على نفيه وكذلك استدلالنا على الاحكام بطرق الادلة فاذا سلكنا نحن هذا الطريق كنا بالنسبة الى الاتباع اولى منا بالنسبة الى الاحداث والابتداع لانا سلكنا الطريقة التي سلكوها وامرونا بسلوكها ولانه ربيعة ومالك اصحاب الكتب ومن على التوثقات ونبها على طرق الاحتجاج وكذلك غيرهما ممن على طريقتهما اهـ وقال الشعراني قال العلماء لا يسمى بدعة الا ما لم يكن منصوصا تحت اصل اهـ

لا يسمى بدعة الا ما لم يكن منصوصا تحت اصل

وقال ابو الحسن وتحت ما ذكره الشيخ هنا الاعتراض ما يلتفت الرافضة لحدث المنابر افضية بغير ما احدثوا من البدع ولانه لم هنالك محمول على ما استند الى كتاب او سنة او اجماع او قياس وما هنا محمول على ما ابتدع البر واحد منها اهـ وفي شرح ابي داود للسيوطي على قوله في الحديث فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة قال الخطابي هذا خاص في بعض الامور دون بعض من كل شيء احدث على غير مثال اصل من اصول الدين وعلى غير عيارته وقياسه واما ما كان منها مبنيا على قواعد الاصول ومردود اليها فليس ببدعة ولا ضلالة اهـ وفي ح قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في اقتطاف الانوار البدعة في اللغة احداث سنة لم تكن في الصدر الاول وتكون في الخير والشر واما في الاصطلاح فهي خاصة بالحادث المذموم فقط

البدعة الحادث المذموم

وكلام الامام الشافعي رحمه الله يقول المحدثات ضربان احدهما ما احدث مما يخالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا فهذه هي البدعة الضلالة الثاني ما احدث من الخير ولا خلاف فيه [illegible] ونحو لابن تيمية وغيره نقل كلامه في شرح الزرقاني [illegible] قبول الحكم والحاصل ان البدعة لغة ما لم يقع في زمانه عليه السلام وتنقسم الى حسن وغيره وشرعا احداث امر في الدين يشبه ان يكون منه وليس منه وهي الضلالة فلا تكون الا مذمومة فليس كل محدث لغة ضلالة شرعا ومثل هذا يقال في قول المص كل ما احدثه المحدثون وليس على اطلاقه بل لا بد من المحدث الذي هو واجب ترويج العلم ومن فصله المص كغيره وقد مثلوا للمباح بامر عادي على راي ان البدعة في العادات ايضا ولم يمنع نحو ذلك المص ولا رد عليه فوق

كلامه ولا سيما وهو يقول قبله وترك المراء والجدال في الدين فقوله وترك كل ما احدثه المحدثون الذي في الدين وليس فيه منفعة شرعية من اللاحق بواجب ونحوه لجامع بينهما عند من البدع التي بيناها ولهذا التمييز في كلامه فلا يكون الا المكروه وقد تناوله الترك من كلامه والمندوب وهو كثير في كلامه مما لم يكن بعينه في الصدر الاول وعلى هذا فليس المصنف بقائل ان كل ما لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم بدعة تجتنب خلافا لابن الشهاب الدين القرافي حيث نسب ذلك للمصنف اخذا من قوله وترك كل ما احدثه المحدثون ونص في الفرق الثاني والخمسين والمائتين اعلم ان الاصحاب فيما رايت متفقون على انكار البدع نظر على ذلك ابن زيد وغيره والحق التفصيل وانها خمسة اقسام الى اخر ما قاله في شرح المنار اصر بعنا قلت وكيف يكون المص قائلا بان كل ما لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم بدعة تجتنب وهو يقول في اخر الكتاب وفي اتباع السلف الصالح النجاة وهم القدوة في تاويل ما تاولوه واستخراج ما استنبطوه فان اختلفوا [illegible] على ما تاوله السلف الصالح وما استنبطوه فتعين حمل كلامه هنا على البدعة التي تستند لاصل من اصول الشريعة والله اعلم ثم ختم المصنف هذا الباب بمثل ما ختم به الخطبة وجميع الكتاب فقال وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى اله وازواجه وذريته وسلم تسليما وقد تقدم الكلام على ذلك والله اعلم

قال مقيده محمد بن قاسم جسوس عفا الله عنه هذا اخر ما
يسرت جمعه نفع الله به بجاه سيدنا ونبينا ومولانا
محمد خاتم النبيين وامام المرسلين عليه صلوات
الله وسلامه دائما [illegible] رب العالمين
ووافق الفراغ من تبييضه عشية
الثالث عشر من ربيع الاول من سنة
خمس وعشرين بعد مائة والف
والحمد لله وكفى وسلام على عباده
الذين اصطفى ووافق
الفراغ من نسخ هذه
النسخة في الثاني [illegible]
وثلاثين ومائتين
[illegible] ربه الفقير سيدي احمد [illegible]

شرح عقيدة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.
لمحمد جسوس، محمد بن قاسم – ١١٨٢ هـ .
بخط أحمد بن محمد المختار بن عمر بن علي
ابن تاشعيبر . ١٢٣٦ د .
١٣٥ ق ٢٣ س ٢٦×٢٠ سم
نسخة جيدة ، خطها مغربي ، طبع
 الاعلام ٧ : ٢٢٠ الخزانة العامة للرباط ق ٢
ج ١ : ١١٤ ، ١١٥
١ – أصول الدين أ – المؤلف
ب – الناسخ جـ – تاريخ النسخ د – شرح الرسالة
للقيرواني .